رواية

هاروكي موراكامي

رقص... رقص... رقص...

ترجمة: أنور الشامي



هاروكي موراكامي

رقص ... رقص ... رقص ...

بين الفانتازيا التي تعبّر عن الواقع الافتراضي، والحياة الواقعية المعاشة، يسير موراكامي في هذه الرواية. إنها حياة المجتمع الرأسمالي الحديث، حياة البحث عن الصداقة والحب والطعام، والحاجات الاستهلاكية التي تتنامى. وأيضاً حياة الفرديّة والتمزّق والعزلة. حياة والدَيْ هاكوني: الأم مصوّرة محترفة، فنانة مشهورة، تترك ابنتها وحدها، وهمّها السفر إلى أماكن التصوير.. والى عشّاقها. ووالد ثري يعيش في عالم آخر ويسعده أن يجد شخصاً يهتم بابنته، فيمنحه ليس فقط ما يريده، بل ما قد يشتهيه.

في خلفية هذه الرواية هناك دائماً الرجل المقنَّع، مالك الحكمة وحافظ تاريخ تحولات البشر. هذا الرجل يكرّر لبطل الرواية: يجب أن ترقص. ارقص . معبّرا بذلك عن نمط الحياة المعاصرة.

***

كعادته، يدهشنا هاروكي موراكامي في قدرته على تصوير العالم الذي نعيشه، مازجاً بين الفانتازيا وتحوّلات الواقع. وهو ما سبق أن رأيناه في رواية كافكا على الشاطئ التي سبق أن نشرناها ولاقت استحسان القرّاء.





الدار البيضاء: ص.ب 4006 (سيدنا)
بيروت: ص.ب: 113/5158
cca_casa_bey@yahoo.com
markaz@wanadoo.net.ma

هاروكي موراكامي

رقص... رقص... رقص...

هاروكي موراكامي

رقص...
رقص...
رقص...

رواية

ترجمة: أنور الشامي



الكتاب
رقص... رقص... رقص...
تأليف
هاروكي موراكامي
ترجمة
أنور الشامي
الطبعة
الأولى، 2011
الترقيم الدولي:
ISBN: 978-9953-68-495-2

الناشر
المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء ـ المغرب
ص.ب: 4006 (سيدنا)
42 الشارع الملكي (الأحباس)
هاتف: 303339 522 ـ 307651 522
فاكس: 305726 ـ 522 212+
Email: markaz@wanadoo.net.ma
بيروت ـ لبنان
ص.ب: 5158 ـ 113 الحمراء
شارع جاندارك ـ بناية المقدسي
هاتف: 01750507 ـ 01352826
فاكس: 01343701 ـ 961+
Email: cca_casa_bey@yahoo.com

العنوان الأصلي للرواية:
Haruki Murakami
Dance Dance Dance

(1)

كثيراً ما يتراءى لي فندق الدولفين في أحلامي. وفي هذه الأحلام أجدني هناك عالقاً في بعض الأحداث المتواصلة. كل شيء حولي يقول إنني جزء من هذا الحلم المستمر.

وفندق الدولفين هو فندق يندّ عن المألوف وذلك لضيقه الشديد الذي يجعله يبدو أشبه بجسر طويل، بيد أنه جسر مغطى. جسر يتمدد في الزمان إلى ما لا نهاية. وهناك أجدني داخله. لكن هنالك شخص آخر يبكي أيضاً.

أجد الفندق دائماً يحوطني من كل جانب. أستشعر نبضاته وحرارته. وفي أحلامي أجدني جزءاً منه.

أصحو من نومي، ولكن أين أنا؟ إنني حتى لا أفكر في ذلك، سألت نفسي بالفعل ذلك السؤال: «أين أنا؟» وكأنني لم أكن أعلم: إنني موجود. في حياتي. ووجودي هو مظهر من مظاهر العالم. لست أستذكر ولو لمرة واحدة أنه سبق لي أن وافقت على هذه الأمور أو هذه الحالة أو مجموعة الأحداث هذه التي أظهر فيها. ربما تكون ثمة امرأة تنام إلى جواري. ولكن في معظم الأحوال أجدني وحيداً. ليس هناك سواي أنا والطريق السريع الذي يمتد مباشرة بمحاذاة شقتي وكذلك كأس (كان ما زال فيها خمسة مليمترات من الويسكي) وضوء الصبح

المغبر. أحياناً يكون الطقس ماطراً. كنت إذا حدث ذلك، أؤثر البقاء في الفراش. أما إذا كان قد تبقّى بعض الويسكي في الكأس فإنني أحتسيه. وأنظر إلى قطرات المطر تتساقط من حواف الأسقف وأنا أفكر في فندق الدولفين. وربما أتمدّد على نحوٍ هادئ. وهو ما يكفيني حتى أتيقن من أنني أنا نفسي ولست جزءاً من شيء آخر. بيد أن الإحساس بالحلم لم يكن يفارقني إلى حد يمكنني معه أن أقسم أن باستطاعتي أن أمد ذراعي وألمسه وأن ذلك الشيء الذي يحتويني سوف يتحرك. وكنت إذا أرهفت سمعي تناهى إليّ ذلك التسلسل البطيء والحذر للأحداث على نحو يشبه تساقط قطرات المياه في تجربة لغز الماء المعقد، خطوة وراء خطوة وواحدة تلو أخرى. أصغي بانتباه. ذلك حينما أسمع شخصاً ينتحب بصوت هادئ يكاد لا يُسمع. صوت نشيج يأتي من مكان ما في الظلام. شخص ما يذرف الدمع من أجلي.

إن فندق الدولفين فندق حقيقي ويوجد بالفعل في حي من أحياء سابورو. كنت قد أمضيت فيه أسبوعاً قبل عدة سنوات. لا بل دعني أكون دقيقاً في ذلك. قبل كم سنة كان ذلك؟ أربع سنوات. وحتى أكون أكثر دقة، أربع سنوات ونصف. كنت ما أزال آنذاك في العشرينات من عمري. حينما نزلت بفندق الدولفين بصحبة امرأة كنت أعيش معها. وكانت هي مَن اختارت المكان حينما قالت «هذا هو المكان الذي سننزل به». ولولاها لما وطأت قدماي أبداً مثل هذا المكان.

كان فندقاً صغيراً وقبيحاً. فطوال الوقت الذي أمضيناه هناك لا أعرف ما إذا كنا رأينا أي نزلاء آخرين. كان هناك شخصان يحومان أمام منطقة الاستقبال ولكن من يدري إن كانا يقيمان هناك؟ كما كانت هناك بعض المفاتيح غير موجودة في اللوحة الموجودة خلف مكتب الاستقبال وهو ما يجعلني أخمّن أن ثمة نزلاء آخرين كانوا هناك.

بالرغم من أنهم لم يكونوا كثيرين. إنني أعني أنك إذا ما ثبّتّ لافتة تشير إلى وجود فندق في مكان ما في مدينة كبرى ووضعت رقم هاتف الفندق في دليل الهاتف، فمن غير المنطقي أن تظل بدون نزلاء على الإطلاق. ولكن إذا سلمنا بأنه كان هناك نزلاء آخرون غيرنا فقد كانوا صامتين صمت القبور. لم نسمع لهم صوتاً قط، وكدنا لا نرى علامة على وجودهم باستثناء ترتيب المفاتيح على اللوحة التي كان يطرأ عليها تغيير طفيف من يوم لآخر. هل كانوا مثل أشباح تزحف بمحاذاة حوائط الممرات وهم يحبسون أنفاسهم؟ كنا من وقت لآخر نسمع صوت خشخشة المصعد الكئيب ولكن ما إن يتوقف عن الحركة حتى يرين صمت قاتل من جديد على المكان.

إنه فندق يحوطه الغموض من كل جانب. يذكّرني بالموت البيولوجي، وبانتكاسة جينية. إنه صنيع غريب من أعمال الطبيعة التي ألقت بكائن في المسار الخطأ من دون أن يكون ثمة طريق للعودة.

إنه فندق تم تشييده وفيه عيب بالنشأة، شكل يتيم من أشكال الحياة تُرك يختبئ مرتعداً خلف ستار التاريخ، **في الأرض التي نسيها الزمان**[1] من دون أن يكون ثمة خطأ من أحد. ومن دون أن يكون ثمة من يلام على ذلك، ومن دون أن يكون ثمة من ينقذ ذلك.

ما كان ينبغي لهذا الفندق أن يُشَيَّد حيث كان. كان هذا هو الخطأ الأول الذي جعل كل شيء آخر يأخذ منحىً سيئاً. تماماً مثلما يتم تركيب زر على قميص بشكل خاطئ ولا تؤدي أي محاولة

---

(1) اسم لفيلم تدور أحداثه حول عروسين حديثي الزواج يخرجان في رحلة بحرية في الكاريبي في مركب خاص لكن عاصفة تضربهم وتلقي بهم في جزيرة غامضة فيها كائنات غريبة من بينها ديناصورات تأكل البشر وقد رأيت ترجمة اسم الفيلم كما هو. من دون مزدوجين، كما هو في النص الأصلي إذ لا توجد أي إشارة إلى الفيلم ، بل استُخدمت الأحرف الكبيرة. (المترجم)

لتصحيح الوضع إلا إلى فوضى - لا أقول أنيقة - وإنما مثيرة للإعجاب. فلا يوجد تفصيل وحيد يبدو في وضعه الصحيح. تطلّع نحو أي شيء في المكان وسوف تجد نفسك تهز رأسك بدرجات قليلة. ولكن ليس بدرجة يمكن أن تلحق بك أذى حقيقياً أو تجعلك تبدو غريباً. من يدري؟ ربما تعتاد مثل هذا الاعوجاج في الأشياء (ولكن إذا تم ذلك، فلن تكون قادراً أبداً على رؤية العالم مرة ثانية دون أن تجعل رأسك معوجّاً.)

ذلك هو فندق الدولفين الذي كان يفتقر إلى السويّة. فالاضطراب يتراكم بعضه فوق بعض حتى يتم الوصول إلى نقطة التشبّع، القابعة في المستقبل غير البعيد جداً ليتم ابتلاعها في دوامة الزمن. فأي شخص يمكنه أن يدرك ذلك بلمحة واحدة. إنه مكان يثير الشفقة والحزن مثل كلب أسود بثلاث قوائم وقد تبلل في أمطار ديسمبر. نعم إن الفنادق الباعثة على الكآبة موجودة في كل مكان، ولكن الدولفين كان فئة بذاته. بل إن فندق الدولفين يبعث على الأسى. لقد كان فندق الدولفين مأساوياً.

ومما لا ريب فيه أنه باستثناء هؤلاء الفقراء السذّج الذين قادتهم الصدفة لأن ينزلوا به، فلن ينزل فيه أحد آخر بملء اختياره.

ثمة فرق شاسع بين حقيقة الفندق وبين اسمه (بالنسبة لي اسم الدولفين يوحي بحلوى من السكر الأبيض لفندق ومنتجع على بحر إيجه)، فلولا اللوحة التي تم تعليقها أمامه، لما تسنى لك أبداً أن تعرف أن هذا المبنى هو فندق. بل حتى باللوحة والشعار النحاسي المعلق على المدخل فإنه لا يكاد يشبه مدخلاً لفندق.

لقد كان في واقع الأمر يشبه متحفاً. بيد أنه نوع غريب من المتاحف التي قد يتسلل إليها الأشخاص من ذوي الفضول الغريب لمشاهدة المعروضات الغريبة.

والأمر الذي ليس ببعيد عن الحقيقة بالفعل هو أن الفندق كان في جزء منه متحفاً بالفعل. ولكنني أتساءل هل ثمة من يرغب في الإقامة في مثل هذا الفندق؟ في بيت صغير تحوّل إلى مكان لحفظ الذخائر الدينية، وسُدّت ممراته المظلمة بجلد الأغنام المخزّن والصوف المتعفن والوثائق المغطاة والصور التي بهت لونها؟ وكل ركن من أركانه مغطى بالأحلام المَهيضة؟

أما الأثاث فقد كان مهترئاً، فالطاولات غير مستقرة والأقفال لا تعمل. وأرضيات الغرف خشنة والمصابيح ضعيفة الإضاءة وأحواض الغسيل كانت تسرّب المياه.

كانت ثمة خادمة بدينة تمشي في ردهاته بخطوات أشبه بخطى الفيل، وتسعل سعالاً يبعث على الملل وينذر بالشؤم. بينما كان صاحب الفندق رجلاً في أواسط عمره ترتسم في عينيه علامات الحزن ويجلس دائماً خلف مكتب الاستقبال، وكان فاقداً لإصبعين. إنه من نوعية هؤلاء الأشخاص الذين توحي هيئتهم بأن لا شيء في هذا العالم يأخذ منحىً صحيحاً بالنسبة إليهم. إنه نموذج حقيقي لتلك الروح التي أُثقلت بسوء الحظ والإخفاق والهزيمة. حتى إنك لترغب في أن تضعه في صندوق زجاجي وتحمله إلى حصة علم الأحياء: «الإنسان الذي يدمر نفسه بنفسه». ولا يكاد أي شخص يرى هذا الرجل إلا ويشعر بأن قدراً كبيراً أو صغيراً من الإحباط قد لحق به، كما أن عدداً ليس بالقليل سينتابهم الغضب (فبعض الناس يغضبون حينما تقع أعينهم على نماذج بشرية بائسة). إذا كان كل ذلك فمن الذي يرغب في الإقامة في هذا الفندق؟

بيد أننا أقمنا هناك. وأذكر أنها قالت «هذا هو المكان الذي سننزل به». لكنها اختفت بعد ذلك. ظهرت ثم اختفت. إنه الرجل المقنّع هو الذي أبلغني بذلك حينما قال: المرأة غادرت بمفردها بعد

الظهيرة. بطريقة ما كان الرجل المقنَّع يعلم بذلك. علم أنه كان لزاماً عليها أن تغادر، تماماً مثلما أعلم أنا الآن. كانت غايتها أن تأخذني إلى هناك. كما لو كان ذلك هو قدرها. مثل نهر فولتافا في تدفّقه نحو مصبّه في البحر. ومثل المطر في نزوله إلى الأرض.

حينما بدأت هذه الأحلام تنتابني حول فندق الدولفين، كانت هي أول ما يَرِدُ على خاطري. كانت تبحث عني. وإلا فلماذا يظهر لي الحلم نفسه المرة تلو المرة؟

إنها. . . ماذا كان اسمها؟ أمضينا شهوراً معاً، بيد أنني لم أعرف لها اسماً أبداً. ما الذي كنت أعرفه عنها بالفعل؟ كانت تعمل لدى ناد لبائعات الهوى. إنه ناد لأعضائه حصرياً. وكل شخص من غير ذوي المكانة الرّفيعة ليس مرحباً به فيه. إذاً فقد كانت بائعة هوى لصفوة المجتمع. ومع ذلك كانت تعمل في وظيفتين أخريين. أولاهما مدققة لغوية لدى دار نشر صغيرة، لبضع ساعات في اليوم ، والثانية عارضة اكسسورات للأذن. ولذا فقد كانت منشغلة على الدوام. بالطبع لم تكن بلا اسم. وفي الواقع أنا على يقين أنها كانت تستخدم عدة أسماء. بيد أنه وفي الوقت نفسه ومن وجهة نظر عملية لم يكن لها اسم. فلم يكن لديها رخصة قيادة أو اشتراك في قطار، أو بطاقات ائتمان. ومع أنها كانت تحمل معها مدونة صغيرة، فحتى هذه كانت مكتوبة برموز تستعصي على القراءة. كان جلياً أنها لا تريد لأحد أن يعرف هويتها. فبائعات الهوى وإن كان لهنّ أسماء، فإنهن يعشن في عالم لا يحتاج إلى معرفة ذلك.

إنني أكاد لا أعرف شيئاً عنها. مسقط رأسها أو عمرها الحقيقي، تاريخ ميلادها، تعليمها، وضعها العائلي. كانت مثل تغيرات الطقس تظهر سريعاً من مكان ما ثم لا تلبث أن تتلاشى ولا تخلف وراءها سوى الذكرى.

بيد أن ذكراها الآن قد اكتست بحقيقة متجددة. حقيقة محسوسة. لقد كانت دائماً ترد على خاطري من خلال ذلك الشيء المعروف بفندق الدولفين. لم أرها أبداً إلا كجزء من فندق الدولفين. نعم، لا شك في ذلك: إنها هي من تبكي من أجلي.

وفيما كنت أحدق في المطر، فكّرت في ما يعنيه أن يكون المرء جزءاً من شيء أو ينتمي إليه، وأن يكون هنالك من يذرف الدمع من أجلي. من مكان سحيق، سحيق جداً جداً. وأخيراً من حلم. ومهما حاولت ومهما أسرعت، فإنني لن أصل إليه.

لماذا يمكن أن يرغب أي شخص في البكاء من أجلي؟

لا بد أنها تناديني. من مكان ما في فندق الدولفين. وعلى ما يبدو، ومن مكان ما في عقلي، فإن فندق الدولفين هو أيضاً ما أبتغي أنا. أن يؤخذ بي إلى هذا المشهد، وأن أصبح جزءاً من ذلك المكان الغرائبي المشؤوم.

لكنه ليس أمراً هيناً أن أعود لفندق الدولفين، ولا حتى أن أستفسر مجرد استفسار عن الحجز فيه، ولا أن أستقل طائرة مجانية لأطير إلى سابورو فتتحقق المهمة.

فالفندق، كما أشرت، هو حالة بقدر ما هو مكان، هو حالة على هيئة فندق. أن أعود لفندق الدولفين يعني أن أواجه شبح الماضي. وهذا الاحتمال في حد ذاته يبعث على الاكتئاب. لقد كان كل ما استطعت القيام به في خلال هذه السنوات الأربع، هو أن أخلص نفسي من هذا الشبح الكئيب المخيف. فأن أعود إلى فندق الدولفين يعني أن أعود إلى كل ما تخلّصت منه في هدوء خلال هذه المدة. ليس معنى ذلك أن ما حققته كان شيئاً عظيماً. لكنك عندما تنظر إليه تجده أقرب ما يكون إلى مخدر يبعث على راحة مؤقتة. نعم لقد بذلت قصارى جهدي. ومن خلال بعض المهارات تمكنت من صياغة

حالة من الاتصال بالحقيقة وبناء حياة جديدة قائمة على قيم رمزية.
هل يتعين عليّ الآن أن أتخلى عنها؟

ولكن الأمر كله بدأ هناك. ولم يكن بالإمكان إنكار كل ذلك. ولذا فإن القصة كان ينبغي أن تبدأ من جديد هناك.

استلقيت على السرير وأنا أحدق بالسقف وتنهدت تنهيدة عميقة. فكرت: هل عليّ أن أستسلم؟ لكن فكرة الاستسلام لا تتمكن مني. هذا أمر خارج متناول يديك، يا صغيري. مهما كان ما تفكر فيه، فلن يكون بمقدورك أن تقاوم. لقد قُضي الأمر.

(2)

انتقلت إلى مدينة هوكايدو في مهمة عمل كلّفت بإنجازها. وعلى الرغم من أن العمل المعروض لم يكن فيه من الإثارة الكثير، إلا أنني لم أكن في وضعية تمكنني من الاختيار. وعلى أية حال كانت الأعمال التي تأتيني لا تختلف كثيراً بعضها عن بعض بشكل عام. وسواء ساء الوضع أو حَسُن، فإن المرء كلما ابتعد عن أوسط الأمور، قلّت أهمية الاختلاف النسبي بين أمر وآخر. والأمر نفسه ينطبق على طول الموجات: حينما تتجاوز نقطة معينة لا يمكنك أن تعرف أي من الموجتين المتجاورتين أعلى درجة في النغم حتى ينتهي بك الأمر لا إلى عدم قدرتك على التمييز بينهما فحسب، بل إلى عدم سماعهما بالمرة أيضاً.

كانت المهمة هي تقرير أكتبه حول: «الطعام الجيد في هاكوديت» لصالح مجلة نسائية. كان يتعين عليّ أنا والمصوِّر أن نقوم بزيارة عدد من المطاعم لأكتب أنا التقرير فيما يمدّني هو بالصور، وذلك في خمس صفحات. إذاً ثمة شخص ينبغي أن يكتب هذه الأشياء. والأمر نفسه يمكن أن يقال عن جمع القمامة وجرف الثلوج. لا يهم إن كنت تحبها أم لا. فالعمل عمل.

على مدى ثلاث سنوات ونصف السنة كنت أقدّم هذه المساهمة للمجتمع. جرف الثلج. لعلك تعرف الثلج الثقافي.

وبسبب بعض الظروف القاهرة تركت مكتباً كنت أديره بالاشتراك مع صديق لي، وظللت على مدى نصف عام أكاد لا أعمل شيئاً. لم أكن أشعر بالرغبة في عمل أي شيء. وخلال الخريف الماضي، ألَمّت بي كافة أنواع الخطوب. طُلِّقت من زوجتي. ومات أحد أصدقائي بطريقة غامضة للغاية. كما هجرتني امرأة عشت معها من دون كلمة منها. التقيت شخصاً غريباً ووجدت نفسي عالقاً في بعض التطورات الغريبة. وحينما كان كل شيء قد زال، إذا بحالة جمود أعمق من أي شيء خبرته في حياتي، تغمرني. وخيَّمت على شقتي حالة من العدم المدمِّر. على مدى ستة أشهر ظللت حبيس الشقة. لم أكن أغادرها طوال اليوم إلا لشراء بعض احتياجاتي الضرورية اللازمة لبقائي على قيد الحياة. كنت أخرج إلى المدينة مع ظهور أول خيوط الفجر وأسير في شوارعها المهجورة، لكن ما إن تبدأ الشوارع في الامتلاء بالناس، حتى أرتدّ عائداً إلى الشقة للخلود إلى النوم.

ومع حلول المساء كنت أنهض من نومي لأعدّ شيئاً ما لتناوله ولإطعام القط. وبعدئذ أجلس على الأرض كعادتي وأفكّر في ما حدث لي من وقائع محاولاً استكناه معناها. فأعيد ترتيب الأحداث، وأضع قائمة بالبدائل الممكنة وأفكر في صواب أو خطأ ما قمت به. وكان ذلك يستمر حتى بزوغ الفجر حينما أخرج وأهيم في الشوارع مرة أخرى.

على مدى نصف عام كان ذلك هو نظامي اليومي. ابتداء من يناير إلى يونيو 1979. لم أقرأ خلالها كتاباً واحداً. لم أتصفح جريدة ولم أشاهد التلفزيون ولم أستمع للإذاعة. ولم أر أي شخص ولم أتحدث إلى أي شخص. ونادراً ما كنت أشرب، فلم أكن في مزاج عقلي يدعوني للشراب. لم يكن لدي أدنى فكرة عما يجري في العالم، وعمن أصبح مشهوراً أو عمن مات. لم يكن ذلك لعجز مني

وإنما ببساطة لأنه لم يكن لدي رغبة في معرفة أي شيء. ومع ذلك كنت أدرك أن هناك أشياء تحدث من حولي. فالعالم لم يتوقف. كنت أشعر بذلك في جلدي حتى وأنا أجلس وحيداً في شقتي. وبالرغم من أن ذلك قلّما أرغمني على الاهتمام بما يحدث، فقد كان ذلك أشبه بزفرة هواء صامتة تمرّ بجانبي.

وفي جلوسي على الأرض كنت أقوم باسترجاع الماضي في رأسي. ومما يبعث على الاستغراب أن ذلك ظل ديدني على مدى نصف سنة ولم أشعر بالسأم ولو مرة واحدة. لقد كان ما كنت في خضمّه يبدو شاسعاً ويحمل أوجهاً كثيرة. كان شاسعاً ولكنه حقيقي، حقيقي للغاية، وهو السبب في أن هذه التجربة ظلت ماثلة أمامي مثل صرح مضيء في الليل. والمهم أن ذلك كان صرحاً بالنسبة لي. لقد كنت أدقق في الأحداث من كل زاوية ممكنة. وكنت أرى أنني قد دُمِّرت بشدة. لم يكن التدمير هيناً. كان الدم يتدفق بهدوء. وبعد فترة كان بعض الألم المبرّح يزول، فيما يطفو البعض الآخر على السطح في وقت لاحق. ومع ذلك فإن نصف العام الذي أمضيته حبيس شقتي لم يكن فترة نقاهة، كما لم يكن توحّداً كنوع من إنكار العالم الخارجي. كنت ببساطة أحتاج إلى وقت للوقوف على قدميّ من جديد.

وحينما وقفت على قدميّ كنت أحاول تجنّب التفكير في سؤال: إلى أين كنت متجهاً؟ سؤال كان ينبغي التفكير فيه برمّته في وقت لاحق. كان الأهم لدي هو استعادة توازني.

كنت نادراً ما أخاطب القط.

وحينما يرن الهاتف كنت أدعه يرن.

فإذا قرع البابَ أحدٌ كنت أتجاهله.

كان هناك القليل من الرسائل. اثنتان منها من شريكي السابق في المكتب الذي لم يكن يعلم أين أنا، وما الذي أنا بصدده وكان قلقاً

بشأني. هل كان ثمة ما يمكنه القيام به لمساعدتي؟ كان عمله يسير بشكل جيد، كما أن بعض المعارف القدامى سألوا عني.

أما زوجتي السابقة فقد كتبت تطلب مني الاعتناء ببعض أمور العمل. ثم ذكرت أنها بصدد الزواج بشخص لا أعرفه وربما لن أعرفه أبداً. وهذا يعني أنها انفصلت عن صديقي الذي ذهبت معه حينما وقع الطلاق بيننا. لم يكن مثيراً للدهشة أن ينفصلا. فهو لم يكن عازف غيتار من النوع العظيم، كما لم يكن عظيماً كشخص. ولم أفهم أبداً ما الذي أعجبها فيه، لكن على أيّ حال ليس هذا من شأني؟ أما بخصوصي فكتبتْ أنها غير قلقة عليّ. كانت متيقنة أنني سوف أكون على ما يرام مهما كان المسار الذي أختاره. لكنها احتفظت بقلقها حول الأشخاص الذين سوف أتعامل معهم. كنت أقرأ هذه الرسائل مرات قليلة ثم ألقي بها بعيداً.

وعلى ذلك المنوال مرت الشهور.

لم يكن المال يمثل لي مشكلة. فقد كنت أدخر منه ما يكفيني ولم أكن أشغل نفسي بما هو آت. كان الشتاء قد ولّى وحلّ الربيع. تغيرت رائحة الرياح. بل حتى ظلمة الليل اختلفت.

وفي نهاية مايو مات قطي كيبر. فجأة وبدون إنذار. استيقظت ذات يوم فوجدته مكوّماً على أرضية المطبخ وقد فارقته الحياة. ربما هو نفسه لم يدر أن ذلك كان يحدث. فقد كان جسمه بارداً وصلباً وأشبه بدجاجة أمس المشوية، بيد أن البريق كان قد فارق فراءه. إنه لا يمكنه أن يدعي أنه عاش أفضل حياة. فهو لم يحظ أبداً بحب حقيقي من أحد، كما يبدو أنه لم يحب أحداً أيضاً. كانت في عينيه دائماً تلك النظرة القلقة: وماذا الآن؟ لا يمكنك أن ترى هذه النظرة تتكرر كثيراً لدى قط. ولكن على أي حال فقد مات ولا شيء أكثر من ذلك. ربما ذلك هو أفضل شيء في الموت.

أدخلت جثته في كيس من البلاستيك، ووضعته على المقعد الخلفي للسيارة وذهبت إلى متجر المعدات لشراء مجرفة. صعدت كثيراً في الطريق السريع وسط التلال حتى بلغت مجموعة من الأشجار. وبعيداً عن الطريق حفرت حفرة بعمق متر ووضعت القط كيبر في كيس التسوق لمثواه الأخير. ثم أهلت عليه التراب. شعرت بالأسى وأنا أودّعه قائلاً له: هكذا هي الحياة. كانت الطيور تغرد طوال الوقت الذي كنت أدفنه فيه.

وما إن امتلأت الحفرة، حتى ألقيت بالمجرفة في صندوق السيارة ثم عدت إلى الطريق السريع. قمت بتشغيل مذياع السيارة وأنا في طريق العودة إلى طوكيو وذلك حينما كان راي تشارلز يغني متأوهاً: قدري هو الخُسران . . . . . والآن أنا أخسرك.

شعرت برغبة في البكاء. أحياناً يمكن لشيء صغير أن يحقق النتيجة المرغوبة. أغلقت مذياع السيارة ودخلت إلى محطة خدمات. أزلت الطين عن يدي أولاً ثم توجهت إلى المطعم. لم أتناول سوى ثلث الساندويتش، لكنني شربت كوبيْ قهوة.

تساءلت: ترى ما الذي يفعله كيبر الآن؟ هناك في الظلمات. كان صدى التراب وهو يهال على الكيس يتردد في داخلي. هكذا هي الدنيا يا صديقي تسير عليك مثلما هي عليّ.

جلست أحدّق في الساندويتش الذي لم أكمله على مدى ساعة. حتى جاءتني نادلة ترتدي زياً بنفسجياً وسألت بشيء من العصبية إن كان بإمكانها أن تأخذ الطبق.

وفكرت: هذا كل ما في الأمر. إذاً حان وقت العودة للمجتمع.

(3)

لا يحتاج الأمر إلى كبير جهد حتى تعثر على عمل وسط ركام مجتمع رأسمالي متقدم. وهذا بالطبع، ما دمت لا تطلب المستحيل.

حينما كنت ما أزال أدير مكتبي، كنت أقوم بجزء من التحرير والكتابة، وأتيح لي أن أتعرف على عدد قليل من العاملين في المجال. ولذا لم يكن الأمر يستلزم مني الكثير من التغيير عندما شرعت في العمل الحُرّ بالقطعة. كما أنني وعلى أي حال لم أكن بحاجة إلى الكثير من المال.

أحضرت دليل الهاتف الخاص بي وأجريت بعض المكالمات. وسألت عما إذا كانت هناك أي أعمال متاحة. وقلت إنني مستعد لتلقّي بعض الأعمال. وعلى الفور تقريباً راحت الأعمال تأتيني. لم تكن مواد شائقة، إذ كانت غالبيتها مجرد حشو لرسائل إخبارية خاصة بالعلاقات العامة وكتيبات الشركات. وبنظرة عملية يمكنني القول إن نصف المواد التي كنت أكتبها كانت غير ذات معنى أو جدوى لأي أحد. مجرد مضيعة للخشب وللحبر. بيد أنني كنت أقوم بالعمل بشكل آلي ودونما تفكير. في البداية لم يكن عبء العمل بالكثير. ربما كنت أعمل لساعتين كل يوم. أما باقي الوقت فكنت أمضيه إما في التجوال في الشوارع أو مشاهدة فيلم. لقد شاهدت الكثير من

الأفلام. على مدى ثلاثة أشهر شاهدت الكثير منها. كنت أعاود الاتصال مع الحياة بشكل بطيء.

وفي مطلع الخريف أخذت الأمور تتغير. زادت طلبات العمل بشكل مثير. لم يكن جرس الهاتف يتوقف وكان صندوق بريدي متخماً بالرسائل. التقيت أشخاصاً للحديث حول العمل وتناولت الغداء معهم. ووعدوني بمزيد من العمل.

السبب كان بسيطاً. لم أكن أبداً انتقائياً حول الأعمال التي أُكَلَّف بها. كانت لدي رغبة في القيام بأي شيء وكنت أسلم العمل في وقته، ولم أكن أشكو أبداً وكنت أكتب بشكل جيد. كنت دقيقاً. وبينما كان الآخرون يتلكأون كنت أكتب بشكل أمين. ولم أكن أبداً فظاً حتى حينما يكون الأجر منخفضاً. فإذا تلقيت مكالمة في الثانية والنصف فجراً تطلب عشرين صفحة من النصوص (مثلاً حول مزايا الساعات غير الرقمية أو جاذبية المرأة بعد سن الأربعين أو أجمل البقاع في هلسنكي بالرغم من أنني لم أذهب أبداً إلى هناك) مع حلول الساعة السادسة صباحاً، كنت أنتهي منها في الخامسة والنصف. وإذا ما عاودوا الاتصال من أجل إعادة الصياغة كنت أنجز ذلك بحلول السادسة. ولذلك كنت أحظى بسمعة جيدة.

وهو الأمر نفسه بالنسبة لجرف الثلوج.

دعها تمطر وسوف أُريك بعضاً من مهاراتي في أعمال الطرق.

ولأنه لم تكن لدي ذرة طموح واحدة ولا أدنى مثقال من التطلعات، فقد كان شاغلي الوحيد أن أتمّ الأعمال بشكل منتظم. وأحياناً أتساءل هل يمكن أن يثبت أن هذا ليس سبب شقائي في الحياة؟ بعدما بددت الكثير من الحبر والورق بنفسي، من أكون أنا حتى أشكو من التبديد؟ إننا نعيش في مجتمع رأسمالي متقدم على أية حال. التبديد هو اسم اللعبة، بل هو فضيلتها العظمى. ويسمّيه

السياسيون «تحسينات في الاستهلاك المحلي». أما أنا فأسميها تبديداً بلا مغزى. إنه اختلاف في الرأي. لكنه لا يغير الطريقة التي نعيش بها. إذا لم تكن تروق لي، يمكنني الهجرة إلى بنغلادش أو السودان.

ولأني لست متحمساً للعيش في بنغلادش أو السودان، فقد واصلت العمل.

وخلال فترة قصيرة لم تعد أعمالي تقتصر على العلاقات العامة. فقد كُلّفت بالكتابة لمجلات دورية. ولسبب ما كانت مجلات نسائية في معظمها. وبدأت أُجري مقابلات وأُعد تقارير قصيرة تحتاج إلى جهد جهيد. ولكن في واقع الأمر لم يكن العمل أفضل كثيراً من الرسائل الإخبارية الخاصة بالعلاقات العامة. وبسبب طبيعة هذه المجلات فمعظم الشخصيات التي عليّ أن أحاورها كانت تعمل في صناعة الترفيه. ومهما كانت أسئلتك فليس لديهم سوى الأجوبة المعلّبة. يمكنك التنبؤ بإجاباتهم قبل أن توجه لهم السؤال. وفي أسوأ الحالات كان مدير أعمال هذه الشخصية أو تلك يصرّ على الاطلاع على الأسئلة مسبقاً. ولذلك كنت أجهّز كل شيء بشكل مكتوب. وذات مرة سألت مطربة في السابعة عشرة من عمرها عن شيء لم يكن ضمن قائمة الأسئلة، وهو ما استدعى من مدير أعمالها التدخل: «ليس هذا ما اتفقنا عليه. لا يتعيّن عليها الإجابة عن ذلك». كان ذلك بمثابة الركلة. وتعجبت ألا يمكن لهذه الفتاة أن تجيب عن سؤال: أي الشهور يعقب أكتوبر من دون أن يكون هذا المدير بجوارها. ومع ذلك كنت أبذل قصارى جهدي. قبل كل مقابلة، كنت أقوم بإعداد جيد في البيت من خلال تصفّح المصادر المتاحة ومحاولة وضع أسئلة لم تخطر على بال الآخرين. وكنت أجهد نفسي حتى بناء الموضوع. لكن كل ذلك لم يكن ينال أي تقدير خاص. فلم أتلقَّ ولو مرة كلمة ثناء. كنت أفعل ذلك من أجل الانضباط الذاتي ولإعطاء أصابع يديَّ

ورأسي المعطلين جرعة عملية من العمل الزائد، وإن أمكن غير مؤذية.

إنه إعادة تأهيل اجتماعي.

بعد ذلك كانت أيامي مزدحمة بالعمل أكثر من ذي قبل. ليس فقط بسبب مضاعفة عبء العمل المعتاد مرتين أو ثلاثة، ولكن أيضاً بسبب الأعمال المستعجلة. بلا شك كانت الأعمال التي لا تجد من يقوم بها، تجد طريقها إليّ. كان دوري في هذه الدوائر أشبه بساحة إلقاء المهملات الواقعة على حافة المدينة. فأي شيء وخصوصاً إذا كان معقداً أو مؤلماً سوف يتم شده نحوي للتخلص منه.

بلغ حساب مدخراتي أرقاماً لم أر مثلها أبداً، فقد كنت مشغولاً إلى درجة تشغلني عن إنفاق أكثرها. ولذلك حينما عرض عليّ أحد معارفي صفقة جيدة تخلصت من سيارتي المصدّعة واشتريت سيارته «سوبارو ليون» المصنوعة قبل عام واحد فقط . لم تقطع أي أميال تذكر. كانت مزودة بستريو ومكيف هواء. بداية حقيقية بالنسبة لي. كما انتقلت إلى شقة في منطقة شيبويا[2] الأقرب إلى وسط المدينة. كانت أكثر ضوضاء- فالطريق السريع يمر بجانب نافذتي مباشرة- ولكنك تعتاد على ذلك.

نمت مع قليل من النساء اللائي التقيتهن من خلال العمل.

إعادة تأهيل اجتماعي.

كانت لدي حاسة أميز بها مع أي النساء ينبغي أن أنام، وأيهن سأقدر على النوم معها، وأيهن لن أقدر. بل وحتى من التي لا يجب عليّ النوم معها. إنه ذكاء يُكتسب مع التقدم بالعمر. كنت أعرف أيضاً

(2) شيبويا اسم منطقة تجارية تقع في وسط العاصمة اليابانية طوكيو لكن في النص الأصلي لا يذكر اسم طوكيو.

متى أنهي العلاقة بشكل سلس ولطيف بحيث لا يتأذى أحد. الشيء الوحيد الذي كان مفقوداً هو مشاعر الحب العميق.

أعمق علاقة دخلت فيها كانت مع امرأة تعمل لدى شركة الهاتف. التقيتها في حفل رأس السنة. كلانا كان ثملاً، تبادلنا النكات وأحبّ كل منا الآخر، وانتهى بنا الأمر في شقتي. كان لها رأس جيد فوق كتفيها وساقان رهيبتان. كنا نخرج معاً في سيارتي السوبارو. كانت تتصل بي كلما راق لها، وتأتي إليّ فنمضي الليلة معاً. كانت فرص نجاح علاقتنا تكاد تكون معدومة. وعلى الرغم من أن كلانا كان يعلم أن علاقتنا لا يمكنها الذهاب لأبعد من ذلك، فقد كنا نتفق بشكل ضمني على تجاهل حقائق الحياة. عشت ولأول مرة أياماً من السلام لم أذقها منذ زمن. كنا نتبادل الحب ونتكلم بلغة الهمس. كنت أطبخ لها وأقدم لها الهدايا في عيد ميلادها. كنا نذهب حيث موسيقى الجاز ونرتاد حفلات علية القوم التي يُقَدّم فيها الشراب. لم نتجادل ولو مرة واحدة. كان كل منا يعرف تماماً ماذا يريد منه الآخر. ومع ذلك فقد انتهت العلاقة. توقفت ذات يوم كما لو أن الفيلم خرج عن الشريط.

ترك رحيلها لديّ فراغاً أكثر مما تصورت. بل إنني لزمت مرة ثانية شقتي لفترة من الزمن.

والمشكلة هي أنني لم أكن أريدها، لم أكن أريدها حقاً. أحببتها وأحببت أن أكون معها. لقد أعادتني إلى المشاعر السامية. ولكن المهم في الأمر هو أنني لم أشعر أبداً بالحاجة إليها. ولم تكد تمرّ ثلاثة أيام على خروجها من حياتي حتى أدركت تلك الحقيقة. إنما في نهاية الأمر، كنت خلال الفترة التي أمضيتها إلى جوارها أحلّق في الهواء من فرط السعادة. لكني وطوال الوقت الذي كنت أستشعر وأتلمّس فيه نهديها، كنت في واقع الأمر أرغب في شيء آخر.

استغرق الأمر مني أربع سنوات لأتمكن من إعادة بناء حياتي مرة أخرى على أرض صلبة. كنت أُتم كل قطعة عمل تأتيني بعناية، وبدأ الناس يشعرون أن بإمكانهم الاعتماد عليّ. بل أصبح القليل منهم، وليس الكثير، ودودين معي. إلا أن ذلك من دون شك لم يكن كافياً. لم يكن كافيا على الإطلاق. هنا أمضيت كل هذا الوقت محاولاً الوصول إلى سرعتي المعهودة في الأداء وقد عدت فعلاً إلى حيث بدأت.

قلت في نفسي: إن سن الأربعة والثلاثين هي المربع رقم واحد. ماذا تفعل الآن؟

لم يكن يتعين عليّ التفكير ملياً في ذلك. كنت أعرف بالفعل. لقد كانت الإجابة تحوم فوق رأسي مثل سحابة سوداء كثيفة. كل ما كان عليّ عمله هو القيام بعمل معيّن بدلاً من تأجيله المرة تلو المرة. كان لا بد من الذهاب إلى فندق الدولفين. حيث بدأ كل شيء.

كان لا بد لي أيضاً أن أعثر عليها. تلك المرأة التي كانت أول من دلّتني على فندق الدولفين والتي كانت بائعة هوى للصفوة في عالمها الليلي المحاط بالأسرار. (في ظل ظروف غريبة أتيح لي أن أعرف اسم هذه المرأة التي كانت مجهولة الاسم في وقت لاحق. ولكن لأسباب الملاءمة وبالرغم من أن ذلك أمراً غير تقليدي فإنني سوف أخبرك به الآن. استميحك عذراً على ذلك. اسمها كيكي.) نعم كيكي. كان المفتاح بحوزتها. كان لا بد لي من أن أستدعيها. إلى حياة معي تركتها بلا عودة. هل كان ذلك ممكناً؟ من كان يدري، بيد أنه كان لا بد لي من المحاولة. ومن هذه اللحظة سوف تبدأ دائرة جديدة.

حزمت حقائبي، ضاعفت الوقت المبذول للانتهاء من الأعمال المعلقة، ثم قمت بإلغاء الأعمال التي كنت حددت لها مواعيد في الشهر التالي. كنت أقول إنني مغادر طوكيو في شأن عائلي. تبرّم من

ذلك محرران ولكن ماذا عساهما فاعلين؟ أنا لم أخيب ظنهما أبداً قبل ذلك، وأكثر من ذلك قد أخطرتهما مسبقاً للبحث عن بدائل ووسائل أخرى. وفي النهاية كان كل شيء على ما يرام بعدما أبلغتهما بأنني سأعود في غضون شهر.

بعدئذ أخذت الطائرة إلى هوكايدو. كان ذلك في بداية مارس 1983.

بالطبع لم ينته الشأن العائلي بأي شكل خلال الشهر.

(4)

استأجرت سيارة ليومين وقمت أنا والمصور بجولة حول هاكوديت وسط الثلوج لتفقّد مطاعم المدينة.

أنا أجيد البحث وأتمتع بكفاءة ومنهجية عاليتين. إن الشيء الأهم في هذا النوع من الأعمال هو أن تتجهز لها وتضع برنامجاً. هذا هو المفتاح. حينما يتعلق الأمر بجمع المواد مسبقاً، فلا يمكنك أن تتفوق في هذا المجال على المؤسسات التي تجمع المعلومات عن الأشخاص. وعندما تصبح عضواً لديهم وتدفع الرسوم، سوف يبحثون لك عن كل شيء تقريباً. فإذا تصادف قيامك ببحث حول أماكن تناول الطعام في هاكوديت، فيمكنهم إجراء عملية بحث جيدة. إنهم يستخدمون نظام الاسترداد الخاص بالحاسب الآلي Main Frame، فيرتّبون الأشياء على هيئة ملفات ويطبعون نسخاً ورقية، حتى إنهم يقومون بالتوصيل حتى عتبة البيت. أعترف أن التكلفة ليست رخيصة، ولكنها تستحق الكثير بسبب ما توفره من وقت.

وفوق ذلك أنا أقوم بنفسي بقليل من البحث عن المعلومات. فهناك غرف خاصة للقراءة في موضوعات الأسفار والرحلات، وهي مكتبات تقوم بجمع الصحف المحلية والمطبوعات الإقليمية. ومن بين كل هذه المصادر كنت أنتقي أفضلها ثم أتصل بهم للتأكد من ساعات

عملهم. ولأني كثيراً ما قمت بذلك، فقد وفر ذلك عليّ الكثير من العناء داخل المكتب. كنت أقوم بعد ذلك بوضع خطة العمل وتحديد جدول كل يوم. أنظر في الخرائط وأضع علامات على الطرق التي سنسلكها، محاولاً تقليل الأمور غير اليقينية إلى الحد الأدنى.

ما إن وصلنا إلى هاكوديت حتى ذهبت أنا والمصور في جولة على المطاعم بالترتيب. كانوا حوالى ثلاثين مطعماً. نأخذ قضمتين- بما يكفي فقط لمعرفة الطعم، ثم نترك باقي الوجبة كما هي. تحسينات في الاستهلاك. كنا ما زلنا نعمل بشكل غير مكشوف في هذه المرحلة، ولذا لم نلتقط أي صور. فقط بعد الخروج من المبنى أقوم أنا والمصور بالنقاش حول الطعام وتقييمه على أساس سلّم من واحد إلى عشرة. فإذا حاز على درجة مقبول، يظل على القائمة، وإلا يتم حذفه. كنا نفكر بشكل عام في إسقاط النصف على الأقل. وبالتوازي مع ذلك كنا نقوم بتصفح الصحف المحلية بحثاً عن قائمة الأماكن التي فاتتنا، وربما اخترنا منها خمسة. ونذهب إلى هذه أيضا ونستبعد التي دون المستوى. وحينئذ نكون قد وصلنا إلى القائمة النهائية. ثم أتصل بهم وأعطيهم اسم المجلة وأبلغهم عن رغبتنا في إعداد تقرير صحفي عنهم – تقرير مصحوب بالصور. كل ذلك في نهارين. أما في المساء فكنت أمكث بالفندق لوضع النسخة الرئيسية. وفي اليوم التالي وبينما كان المصور يأخذ لقطات سريعة للطعام وصفّ الموائد، كنت أنا أتحدث إلى أصحاب المطاعم. توفيراً للوقت. ولذلك يمكنني أن أسميها ختام في ثلاثة أيام. إحقاقاً للحق هناك آخرون يقومون بذلك في وقت أقل. ولكنهم لا يقومون بأي عمليات بحث. إنهم يعملون على حفنة من أماكن الطعام المعروفة ويقومون بجولة سريعة عليها من دون أن يتناولوا أي طعام، ويكتبون تعليقات موجزة. هذا شأنهم وليس شأني. وإذا جاز لي أن أكون

صريحاً صراحة مطلقة فإنني أشك في أن الكثير من الكتاب يتجشّمون من العناء مثلما أتجشّم أنا في مرحلة إعداد التقرير الصحفي. إنه ذلك النوع من العمل الذي يمكن أن يكسرك إذا ما أخذته بجدية أكثر من اللازم، وإلا فليس أمامك إلا التمرد وألا تقوم بعمل شيء تقريبا. وأسوأ ما في الأمر سواء كنت تأخذه بجدية أو لمجرد قتل الوقت فإن الفرق بالكاد سوف يظهر في المقالة النهائية. على السطح. في النقاط الدقيقة فحسب، يمكنك أن تتلمس علامات التميّز.

إنني لا أشرح ذلك من قبيل الفخر أو أي شيء.

كنت أريد فقط أن تتبلور لديك فكرة عامة عن العمل ونوعية العقبات التي أتعامل معها.

وفي الليلة الثالثة أنهي الكتابة.

أما اليوم الرابع فيُترك خالياً من أي أعمال تحسباً لأي طارئ.

ولكن نظراً لأن العمل استُكمل وليس لدينا أي شيء آخر، استأجرنا سيارة وذهبنا في يوم للتزلج. في ذلك المساء، جلسنا لاحتساء الشراب مع وجبة طعام ساخن ولذيذ. إنه يوم للاستجمام. حولت ما كتبته للمصور وهذا ما كان. انتهى دوري وأصبح العمل في يد شخص آخر.

ولكن قبل الذهاب إلى النوم في ذلك المساء، طلبت من خدمة الدليل الهاتفي في سابورو رقم هاتف فندق الدولفين. لم يكن عليّ الانتظار طويلاً. جلست في الفراش وأنا أتنهد. حسناً على الأقل فإن فندق الدولفين لم يختف. لم أكن قلقاً بحسب ما أظن. لأنني لم أكن لأُدهش لو أن مكاناً غرائبياً مثله قد اختفى. أخذت نفساً عميقاً، واتصلت بالرقم وعلى الفور أجاب شخص ما على الطرف الآخر. كما

لو أنهم كانوا في انتظار رنة الهاتف. ولذلك فقد جفلت على الفور في واقع الأمر.

ورد صوت فيه بهجة: «فندق الدولفين، مرحباً بكم!».

كانت فتاة. فتاة؟ ماذا يجري؟ لا أتذكر أن الفندق كان فيه فتيات.

لم أستوعب، ولذا فحصت العنوان للتأكد من أنه هو. نعم إنه العنوان ذاته الذي كان لفندق الدولفين الذي عرفته. ربما كان الفندق قد وظّف بنت أخت صاحب الفندق أو شيئاً من هذا القبيل. ليس ثمة ما يبعث على الاستغراب بشدة من ذلك. أخبرتها أنني أرغب في تسجيل حجز.

أجابت: «شكراً جزيلاً سيدي. لحظة من فضلك وسأحوّلك إلى قسم الحجز لدينا».

قسم الحجز لدينا؟! الآن اختلط الأمر عليّ حقاً. إنني لم أستوعب الأولى. ما الذي حدث لذلك الفندق القديم؟

«معذرة عليّ جعلك تنتظر. هذا هو قسم الحجز. كيف يمكنني مساعدتك؟» كان الصوت هذه المرة لشاب. إنه صوت توحي نغمته بالود والحيوية، وبأن صاحبه شخص متمرس في الفندقة. وهو ما زاد من فضولي فضولاً.

طلبت غرفة مفردة لثلاث ليال. أعطيته اسمي ورقم هاتفي في طوكيو.

«حسنا سيدي. لديك ثلاث ليال تبدأ من الغد. غرفتك في انتظارك».

لم أجد ما أقوله حيال ذلك. لذا شكرته وأنهيت الاتصال وأنا تتملكني حالة من الارتباك الكامل. أما كان يتعيّن عليّ أن أطلب

تفسيراً؟ سوف يتضح كل شيء بمجرد وصولي إلى هناك. وعلى أيّ حال فأنا لا يمكنني إلا أن أذهب. لم أكن أملك بديلاً.

طلبت من الاستعلامات تفحّص مواعيد القطارات المتجهة إلى سابورو. بعد ذلك طلبت من خدمة الغرف إرسال قنينة من الويسكي وبعض الثلج وظللت أشاهد فيلما في آخر الليل على التلفزيون. فيلماً لكلينت ايستوود. لم يبتسم كلينت مرة واحدة، ولم يمتعض. حاولت أن أضحك، لكن وجهه ظل خالياً من التعبير. انتهى الفيلم وكنت قد انتهيت من شرب الويسكي وحينها أطفأت الأنوار ونمت مباشرة طوال الليل. هل انتابتني أي أحلام، لا أتذكر.

كل ما كنت أستطيع رؤيته من خلال نافذة قطار الصباح الباكر هو الثلج. كان يوماً ساطعاً وصافياً ولذا كان وهج النهار يبهر البصر. لم أر أي مسافر غيري ينظر من النافذة. كانوا كلهم يعرفون كيف يبدو الثلج.

لم أذهب لتناول الإفطار، ولذا توجهت لعربة الطعام قبل الظهيرة بقليل. تناولت بعض العجة واحتسيت البيرة. وفي قبالتي كان يجلس رجل في الخمسينات يرتدي بذلة وربطة عنق ويتناول ساندويتشاً من لحم الخنزير وبيرة. كانت هيئته توحي بأنه مهندس ميكانيك وهذا هو ما كان بالفعل. ابتدرني بالحديث قائلاً إنه كان يقوم بصيانة طائرات قوات الدفاع. ثم أخبرني كيف كانت المقاتلات والقاذفات السوفياتية تغزو مجالنا الجوي من دون أن يبدو عليه أنه متضايق بشدة من ذلك. لقد كان معنياً أكثر بمدى توفير طائرة الفانتوم إف 4 في استهلاك الوقود. ما هو مقدار الوقود الذي تستهلكه في كل طلعة، يا له من تبديد. «لو أن اليابانيين هم من صنعوها لأمكنك الرهان على أنها كانت ستكون أفضل كفاءة. ودون أن يكون ذلك على حساب الأداء

أيضاً! ليس هناك ما يجعلنا لا نستطيع صنع مقاتلة منخفضة التكلفة إذا ما أردنا ذلك».

كان ذلك بينما كنت أردد عبارات الحكمة بأن التبديد صار هو أعلى الفضائل التي يمكن للمرء أن يبلغها في المجتمع الرأسمالي المتقدم. إن مجرد شراء اليابان لطائرات الفانتوم من أمريكا وتضييعها لكميات هائلة من الوقود يعطي دفعة قوية لعجلة الاقتصاد العالمي وهذه الدفعة ترفع الرأسمالية نحو مزيد من القوة. وإذا تم إنهاء كل أشكال التبديد، فسيحلّ هلع جماعي وسينهار الاقتصاد العالمي. إن التبديد هو وقود التناقضات والتناقضات تنشط الاقتصاد والاقتصاد النشط ينتج المزيد من التبديد.

على الرغم من أن المهندس أقرَّ بذلك، إلا أن كونه كان طفلاً في زمن الحرب وتعيّن عليه أن يعيش في ظروف من الحرمان، فإنه لم يستطع فهم ماذا يعني ذلك النظام الاجتماعي الجديد. وقال وهو يتصنع ابتسامة: «إن جيلنا ليس مثلكم أنتم الشباب. إننا لا نفهم مثل هذه التعقيدات التي لديكم».

لا يمكنني القول إني فهمت ذلك تماماً، ولكن لأنني لم أكن متحمساً لأن يمتد النقاش أكثر من ذلك، فقد التزمت الصمت. لا إنني لست معتاداً على هذه الأمور، إنني فقط أدركها على ما هي عليه. ثمة فارق حاسم بين هذين المقترحين. وكنت قد أنهيت لتوي عجّتي فاستأذنت منه وانصرفت.

نمت لثلاثين دقيقة ثم أمضيت باقي الرحلة في قراءة السيرة الذاتية لجاك لندن كنت اشتريت الكتاب بالقرب من محطة هاكوديت. مقارنة بالنجاح الكبير والرومانسية في حياة الكاتب الأمريكي جاك لندن فقد بدا وجودي أشبه بفأر يسند رأسه على حبة جوز فتأخذه غفوة من النوم حتى حلول الربيع. في الوقت الحالي كان هذا هو الوضع. ولكن

هكذا هي السير الذاتية. أقصد من ذا الذي سيقرأ عن الحياة والأوقات الهادئة لشخص يعمل في مكتبة بلدية كاوازاكي؟ بعبارة أخرى، إن ما نبحث عنه هو نوع من التعويض عن ما نتجشّمه.

حينما وصلت إلى سابورو قررت أن أتمشى إلى الفندق. كان الطقس ممتعاً بعد الظهيرة ولم أكن أحمل سوى حقيبة كتف.

كانت الشوارع مغطاة بطبقة رقيقة من الثلج فيما كان المارة يدققون النظر بعناية في أقدامهم. كان الهواء منعشاً. وكانت طالبات المدارس الثانوية يحدثن جلبة بأصواتهم ووجناتهم المحمرة تشع أنفاساً بيضاء يمكنك أن تكتب بواسطتها تعليقات لرسوم الكاريكتير. واصلت سيري بتمهّل مسجّلاً معالم المدينة. لقد مرت أربع سنوات ونصف منذ آخر مرة كنت في سابورو . كانت المدة تبدو أطول من ذلك.

توقفت في مقهى على الطريق. كان كل شيء حولي طبيعياً، أجواء المدينة العادية تسير بشكل عادي وكذلك الشؤون اليومية. كان العشاق يهمس كل منهم للآخر، ورجال الأعمال يفكرون في جداول الأعمال، وأطفال المدارس يخططون لرحلة التزلج التالية ويتناقشون حول أغنيات الألبوم الجديد لفرقة بوليس. كان ما يحدث يمكن أن يكون في أي مدينة في اليابان. يمكنك أن تجد المشهد نفسه في مقاهٍ في يوكوهاما أو فوكوكا ولن يبدو أي شيء في غير مكانه. وعلى الرغم من كوني - أو بالأحرى لأنني كنت - أجلس هنا في هذا المقهى أحتسي قهوتي وأشعر بوحدة اليائس، كنت أنا الوحيد الدخيل. لم يكن ثمة مكان لي هنا.

بالطبع وبالطريقة نفسها لم أكن أستطيع القول إنني أنتمي إلى طوكيو ومقاهيها. ولكني لم أشعر أبداً بمثل هذه الوحدة هناك . يمكنني أن أحتسي قهوتي وأقرأ كتابي وأمضي باقي النهار من دون أي

أفكار من نوع خاص وذلك كله لأني كنت جزءاً من المشهد المعتاد. أما هنا فلم يكن ثمة ما يربطني بأي شخص. والواقع هو أنه سوف يتعين عليّ إصلاح نفسي.

دفعت الحساب وانصرفت. ثم اتجهت صوب الفندق.

لم أكن أعرف الطريق تماماً، وكان يداخلني بعض الشك في أني ربما أضلّ الطريق إلى الفندق. لكن ذلك لم يحدث. وكيف لأي أحد أن يضل؟ لقد تحوّل الفندق إلى سيمفونية من الزجاج والصلب تمزج الفن بالمعمار وترتفع في السماء متلألئة لستة وعشرين طابقاً، تزينها أعلام الدول التي ترفرف على واجهة الفندق ويحيّي البوابون في زيّهم الأنيق سيارات التاكسي، وكذلك مصعد زجاجي ينطلق لأعلى للوصول إلى مطعم فوق سطح الفندق. وكان مدخل الفندق يزينه عمود من المرمر نقشت عليه عبارة:

فندق الدولفين

توقفت هناك لما يزيد على عشرين ثانية فاغراً فمي ومحدّقاً بناظريّ في الفندق. ثم زفرت نفسا عميقاً وطويلاً كان يمكن أن يصل مباشرة وبسهولة إلى القمر. لم تكن كلمة الاندهاش بقادرة على التعبير عما انتابني من شعور.

(5)

لم يكن بإمكاني الوقوف محدقاً بيله في الواجهة إلى الأبد. مهما كان هذا المبنى فالعنوان كان صحيحاً كما هو الاسم أيضاً. وعلى أي حال كان لدي حجز، أليس صحيحاً؟ ليس عليّ إذاً إلا الدخول.

صعدت الطريق المنزلق بلطف ودخلت من باب دوار من النحاس اللامع. كان البهو من الاتساع بما يكفي لأن يكون صالة رياضية، أما السقف فكان يرتفع بمقدار طابقين على الأقل. ثمة حائط زجاجي كان يرتفع بارتفاع الفندق ومن خلاله يتدفق ضوء الشمس الرائع بغزارة. كانت الأرضية قد فرشت بمجموعة من الأرائك الفاخرة والتي تتخللها بعض أشجار الزينة. وكان الديكور العام يرتكز على ثلاث لوحات زيتية كبيرة. لم يكن لأي منها قيمة فنية بارزة ولكنها كانت مثيرة للإعجاب ولو من ناحية حجمها فقط. وفي الناحية القصوى من البهو كان ثمة بار فخم لطلب القهوة. إنه ذلك النوع من المكان الذي تطلب فيه ساندويتشاً فيحضرون لك أربع قطع صغيرة مرصوصة مثل بطاقات الاتصال على صينية من الفضة تم تزيينها بشرائح من البطاطا والخضروات، أضف إلى ذلك فنجاناً من القهوة، وسوف تجد أنه يتعين عليك أن تدفع ما يكفي لشراء وجبة غداء كاملة لأسرة مقتصدة تتألف من أربعة أفراد.

كان البهو يغصّ بالنزلاء. ثمة نشاط ما على ما يبدو كان يجري. هناك مجموعة من الرجال في أواسط أعمارهم وبملابس أنيقة يجلسون على الأرائك متقابلين، يومئون برؤوسهم ويبتسمون بسخاء. ثغورهم بارزة وسيقانهم متقاطعة بشكل متسق. هل ينتمون إلى مؤسسة ما؟ ربما أطباء أو أساتذة جامعة؟ وحولهم كانت مجموعة من الفتيات- ربما كنّ جزءاً من الجمع نفسه - يتحلقن ويتحدثن بصوت هامس وهنّ في ثياب رسمية، بعضهن كن يلبسن الكيمونو فيما لبست الأخريات لباساً طويلاً يمتد حتى الأرض. كان هناك عدد قليل من الغربيين أيضاً، ناهيك عن بعض رجال أعمال يابانيين ببذّاتهم السوداء وربطات عنق وحقائب أنيقة في أيديهم.

باختصار كانت الأعمال مزدهرة في فندق الدولفين الجديد.

ما كان لدينا هنا هو فندق أُنفقت عليه أموال والآن يحقق عوائد كاملة. ولكن كيف حدث ذلك بحق الجحيم؟ حسنا يمكنني أن أخمّن بالطبع. من خلال قيامي ذات مرة بصياغة نشرة علاقات عامة لسلسلة فندقية، فإني أعرف العملية برمّتها. قبل تشييد فندق بهذا الحجم، يقوم شخص ما أولاً بتحديد التكاليف الخاصة بكل جانب من جوانب المشروع بالتفصيل، ثم يتم استدعاء المستشارين ويتم إدخال كافة المعلومات في حواسيبهم الآلية من أجل دراسة شاملة. يؤخذ كل شيء في الاعتبار بما في ذلك سعر الجملة وحجم أوراق الحمّام التي تُستَهلك. ثم يتم تعيين بعض الطلبة للقيام بجولة في المدينة - سابورو في هذه الحالة - للقيام بمسح للسوق. يستوقفون الشبان والشابات في الشوارع ويسألونهم عن عدد حفلات الزفاف التي يتوقعون حضورها كل عام. لعلك أدركت ما حدث. إن القليل يتم تركه بدون دراسة. كل ذلك لتقليل عنصر المخاطرة.

لذلك فقد بذل فريق مشروع فندق الدولفين جهوداً مضنية على

مدى شهور كثيرة لرسم خطة هي أدق ما يكون. اشتروا الأرض وجمعوا الموظفين وحصلوا على مساحات إعلانية براقة. إذا كان المال هو كل ما يحتاج إليه الأمر - ولأنهم كانوا مقتنعين بأنهم سيستردونه- فلن يكون ثمة نهاية للأموال التي سيصبّونها فيه. إنه عمل كبير يجري بحسب نظام مدروس.

والآن فإن الشركات التي يمكنها البدء في مثل هذه المشروعات الكبيرة هي تلك الشركات المندمجة الضخمة. وذلك لأنه حتى بعد استبعاد المخاطر، يظل احتمال وجود بعض عناصر عدم اليقين المتخفّية قائماً في الخفاء وهو الأمر الذي يمكن فقط للاعب كبير أن يستوعبه.

وحتى أكون أميناً، فإن فندق الدولفين الجديد لم يكن اختياري. أو على الأقل وفي الظروف العادية وإذا كان عليّ أن أختار مكاناً لأقيم فيه، فإنني لم أكن لأختار فندقاً مثل هذا الفندق. فأسعاره مرتفعة جداً.

توجهت إلى مكتب الاستقبال وأعطيت اسمي، فرحّبت بي فتيات ثلاث كن يرتدين سترات زرقاء فاتحة وعلى وجوههن ترتسم ابتسامات تشبه تلك التي نراها في إعلانات معجون الأسنان. لا بد أن التدريب على الابتسامات قد تم تضمينه في رأس المال الذي أنفق. كنّ ثلاثتهن بتنوراتهن الناصعة البياض وبتسريحات شعورهن الأنيقة في بهو الاستقبال يستحقّن أن تُلتقط لهن الصور. ومن بين الثلاث كانت إحداهن ترتدي نظارة تناسبها بشكل جميل. حينما خطَتْ نحوي استشعرت بدفقة من الراحة حقاً. كانت أجملهن وأكثرهن قبولاً. ثمة شيء في تعبيرات وجهها لمس لديّ وتراً، شيء فيه تجسيد لروح الفندق. بل كنت أتوقع أنها ربما تحمل في يدها عصا سحرية، كما لو كانت في فيلم من أفلام ديزني لاند، فتخرج كرات من الثلج.

ولكن بدلاً من العصا السحرية، استخدمت حاسوباً حيث طبعت اسمي ورقم بطاقة الائتمان الخاصة بي بشكل سريع وتحققت من البيانات الموجودة على الشاشة لديها. ثم سلمتني البطاقة الممغنطة للغرفة رقم 1523. ابتسمت وأنا أتناول منها دليل الفندق. سألتها: متى افتتح الفندق؟ أكتوبر، أجابت بشكل تلقائي تقريباً. إنه في الشهر الخامس من التشغيل الآن.

«هل تعلمين»، قلت وأنا أتصنّع ابتسامة، «إنني أكاد أتذكر فندقاً صغيراً يحمل اسماً مشابهاً كان في هذه البقعة قبل عدد قليل من السنوات. هل لديك أي فكرة عما حدث له؟».

شاب ابتسامتها انزعاج خفيف، وانتشرت تموّجات هادئة عبر تقاسيم وجهها كما لو أن قنينة من البيرة ألقيت في نبع مقدس. وبمرور الوقت هدأت هذه التموجات لتصبح ابتسامتها المصطنعة أقل بهجة مما كانت عليه. لاحظت هذه التغيرات باهتمام بالغ. هل يبدو أن عفريت النبع يسأل عما إذا كانت القنينة التي تخلصت منها ذات غطاء فضي أو ذهبي.

أجابت متهربة من السؤال وهي تحرك جسر نظارتها بسبابتها قائلة: «حسناً. الآن. لقد كان ذلك قبل أن نفتح أبوابنا، لذا فإنني حقيقة لا أستطيع . . .».

توقفت عن الكلام. انتظرتُ أن تستأنف الكلام ولكنها لم تفعل.

وقالت: «آسفة جداً».

مرت ثوان. شعرت بانجذاب نحوها. أردت أن ألمس نظارتي أيضاً غير أنني لم أكن أرتدي أي نظارات. وقلت: «آه. حسناً. إذاً هل ثمة من يمكنك سؤاله؟».

حبست أنفاسها لبُرهة وهي تفكر في الأمر. تلاشت الابتسامة.

من الصعب للغاية أن تحبس أنفاسك وتواصل الابتسام. جرب ذلك إن لم تكن تصدقني.

وقالت ثانية: «آسفة جداً. ولكن هل يمكنك الانتظار للحظة؟» ثم دلفت إلى باب لتعود منه بعد ثلاثين ثانية ومعها رجل في الأربعين من عمره يرتدي بذلة سوداء. كان مظهره يوحي بأنه شخصية فندقية حقيقية. لقد التقيت الكثيرين منهم خلال عملي. إنهم كائنات متشككة لديها خمس وعشرون ابتسامة مختلفة جاهزة للاستخدام لدى كل ظرف من الظروف المتنوعة. فمن الابتسامة الهادئة والودودة غير العابئة إلى الابتسامة العريضة المعبرة عن الرضا. إنهم يتحكمون في ترسانة الابتسامات كلها من خلال الأرقام مثل نوادي الغولف لبعض الضربات.

قال وهو يطلق ابتسامة متوسطة المدى نحوي مصحوبة بانحناءة مهذبة من رأسه: «هل يمكنني أن أساعدك إذا سمحت؟» لكنه ما إن لاحظ ملابسي حتى تراجعت ابتسامته سريعاً ثلاث درجات. كنت أرتدي جاكيتاً رياضياً مبطناً بالفراء ذا أزرار «كيث هارينج» في منطقة الصدر وقبعة نمساوية وبنطالاً فيه الكثير من الجيوب وحذاء عمل. كلها كانت قطع من الملابس العملية والجميلة. لكنها لم تكن تتلاءم مع بهو مثل هذا الفندق. ليس ثمة خطأ مني، بل مجرد اختلاف في نمط الحياة.

قال بشكل واضح: «أعتقد أن لديك سؤالاً بشأن فندقنا؟».

وضعت يديَّ على طاولة الاستقبال وكررت استفساري.

رمق الرجل ساعة ميكي ماوس التي ألبسها بذات القلق المجرد من المشاعر التي ربما يوجِّهها طبيب بيطري نحو قطة تهشّم مخلبها.

ثم استعاد هدوءه ليتكلم وقال: «هل لي أن أسأل لماذا ترغب في

معرفة ما حدث للفندق السابق؟ إذا لم يكن لديك مانع في أن أسألك طبعاً؟».

شرحت ذلك كأبسط ما يكون: قبل عدد من السنوات كنت أقيم في فندق الدولفين القديم وحدث أن تعرفت على المالك. والآن وبعد مضي سنوات ها أنا ذا أزور المكان فإذا بكل شيء قد تغير تماماً. وهو ما جعلني أتساءل عما ألمّ بالرجل العجوز؟

أومأ الرجل وقد اكتسى وجهه بعلامات الانتباه.

وقال وهو ينتقي كلماته بعناية: «بكل صدق إنني لست مطّلعاً تماماً على التفاصيل بشكل تام. لكن ما أفهمه عن تاريخ هذا الفندق هو أن شركاتنا اشترت المكان الذي كان يوجد فيه فندق الدولفين السابق وشيدت مكانه ما نراه الآن أمامنا. وكما ترى فقد تم الاحتفاظ بالاسم لكل النيّات والأغراض ولكن اسمح لي بأن أؤكد لك أن الإدارة منفصلة تماماً ولا يوجد أي شيء يربطها بسابقتها».

- إذاً لماذا تحتفظون بالاسم؟

- استميحك عذراً، يؤسفني حقاً القول إنني لا أعلم...

- أظن أنك لن يكون لديك فكرة عن أين يمكنني العثور على المالك السابق؟

أجاب وهو ينتقل إلى الابتسامة رقم 16: «آسف، ولكن لا، ليس لدي فكرة...».

- هل هناك أي شخص آخر يمكنني سؤاله؟ شخص ربما يعرف؟

أجاب الرجل وهو يمدّ رقبته قليلا: «نظراً لأنك مصمّم، فإننا جميعاً هنا مجرد موظفين وعليه فإننا غير معنيين تماماً بأي شيء حدث قبل افتتاح هذا المبنى الحالي للعمل. ولذلك يؤسفني أن أقول إنه إذا

كان شخص مثلك يرغب في معرفة شيء معيّن فلن يجد غير أقل القليل في الواقع...».

لا ريب أن ما قاله مفهوم، ولكن ثمة شيء لاح بخاطري. شيء مصطنع وغير طبيعي تبين من خلال إجابات كل من الفتاة والرجل الصارم الذي يجيب عن أسئلتي الآن. صحيح أنه لا يمكنني أن أضع إصبعي على شيء محدد، ولكني أيضاً لا يمكنني استساغة ذلك. ما عليك إلا أن تجري نصيبك من المقابلات مع الشخصيات وسوف تكتسب هذه الحاسة السادسة، فتعرف من خلال نغمة الصوت أن شخصاً ما يخفي شيئاً ما، ومن خلال تعابيره يمكن أن تعرف أنه يكذب. ليس لدي أدلة حقيقية تمكنني من مواصلة ذلك. مجرد شعور حدسي بأن هناك أكثر مما قيل.

رغم ذلك كان واضحاً أن لا فائدة من الضغط عليهما أكثر من ذلك. شكرت الرجل، فاعتذر مني ثم انسحب. بعدما تلاشت بذلته السوداء من أمامي، سألت الفتاة عن الوجبات وخدمة الغرف وأفاضت في إجاباتها. وفيما كانت تجيب كنت أحدق في عينيها مباشرة. عينان جميلتان. أقسم أنني كدت أرى فيهما أشياء وأشياء. ولكنها كانت حينما تلتقي عيناها بعينيّ يحمرّ وجهها خجلاً. وهو ما جعلني أنجذب إليها أكثر. لكن لماذا كان ذلك؟ هل لأن روح الفندق كانت تسكنها؟ على أية حال، شكرتها وانصرفت ثم أخذت المصعد إلى الطابق الذي أنزل فيه.

كانت الغرفة رقم 1523 غرفة جيدة. فمساحة كل من السرير والحمام أكبر بكثير من أن يكونا لشخص واحد. كما تمّ تزويد الحمام بمجموعة متكاملة من الشامبو ومرطبات الشعر وكريمات ما بعد الحلاقة بالإضافة إلى رداء الحمام. وكانت الثلاجة ممتلئة حتى آخرها

بوجبات الطعام الخفيفة. وثمة طاولة تتسع للكتابة والكثير من أدوات الكتابة والمغلّفات. كانت خزانة الملابس كبيرة، والسجادة سميكة. خلعت معطفي وحذائي ورحت أتصفح دليل الفندق. يا له من فندق! لم يبخلوا بأي شيء.

«يمثل فندق الدولفين تطويراً جديداً بالكلية في المنطقة السكنية في وسط المدينة. مزود بأحدث أسباب الراحة وخدمات متواصلة على مدى أربع وعشرين ساعة. تتميز غرف ضيوفنا بالرحابة والفخامة. وتحتوي على مجموعة من المنتجات رفيعة المستوى ويسودها جو يبعث على الراحة، ومشاعر تبعث على الدفء المنزلي. مساحة احترافية ذات وجه إنساني». كان ذلك ما قرأته في دليل الفندق.

بكلمات أخرى لقد أنفقوا أموالاً طائلة ولذلك كانت الأسعار مرتفعة.

لقد تبين بالفعل أنه فندق رفيع المستوى. مساحة واسعة مع مركز للتسوق في الطابق السفلي، وحمام سباحة داخلي وساونا وصالون لإكساب البشرة اللون البرونزي. ملاعب تنس وناد صحي مزود بمدربين وأجهزة تمارين، قاعات مؤتمرات مجهزة بوسائل الترجمة الفورية، وخمسة مطاعم وثلاث قاعات للانتظار، بل وحتى مقهى يعمل حتى آخر الليل. ناهيك عن خدمة سيارات الليموزين فضلاً عن تجهيزات أخرى متاحة لجميع النزلاء. كل ما يخطر ببالك سوف تجد أنهم فكروا فيه. هل خطر ببالك مهبط طائرة مروحية؟

تجهيزات ذكية وديكور وصل حالة من الكمال والإتقان.

ولكن ماذا عن المجموعة التجارية التي كانت تملك هذا الفندق وتديره؟ قرأت الدليل من البداية حتى النهاية مرة ثانية. ليس ثمة ذكر على الإطلاق للإدارة. أمر غريب بدون مبالغة. لم يكن متصوراً إلا أن سلسلة فنادق ذات خبرة واسعة يمكنها أن تدير مثل هذا الفندق

رفيع المستوى. وأي مشروع بهذا الحجم سيحرص على وضع علامته في كل مكان وينتهز كل فرصة للترويج لسلسلة فنادقه الكاملة. حينما تقيم في فندق من سلسلة فنادق «برنس» فلا بد أن يذكر الدليل كل فنادق السلسلة في اليابان. هذا هو المعهود.

وبعد ذلك كان السؤال ما زال قائماً، لماذا يرغب فندق من هذه الفئة أن يقبل اسم فندق أشبه بسلة مهملات مثل فندق الدولفين القديم؟

لم أتمكن من الوصول ولو حتى إلى معلومة صغيرة تفيد في الإجابة عن ذلك السؤال.

ألقيت بالدليل فوق الطاولة، واستلقيت على الأريكة رافعاً قدميّ لأعلى، ونظرت إلى خارج نافذة الطابق الخامس عشر حيث أقيم. كل ما كنت أستطيع رؤيته هو سماء زرقاء. شعرت كما لو أنني أحلّق في السماء.

كل هذا كان جميلاً، ولكني كنت أفتقد البار القديم سيّئ السمعة. كان هناك الكثير الذي يمكنني رؤيته من تلك النوافذ.

(6)

قمتُ بجولة بالفندق لمشاهدة ما يستحق المشاهدة به. تفقدت المطاعم والردهات، وألقيت نظرة على حمام السباحة والسونا والنادي الصحي وملاعب التنس، واشتريت كتابين من مركز التسوق. عبرت بهو الفندق ثم توجهت إلى مركز الألعاب ولعبت بعض الجولات من لعبة الطاولة. واستغرق ذلك كله فترة ما بعد الظهيرة. كان الفندق بالفعل أشبه بمركز للترفيه والتسلية. حقاً إن العالم مليء بطرق ووسائل إضاعة الوقت.

بعد ذلك غادرت الفندق لألقي نظرة على المنطقة حوله. وفيما كنت أسير في الشوارع مع اقتراب الساعات الأولى من المساء بدأت أتذكر معالم المدينة تدريجياً. أذكر أنني حينما كنت أقيم في فندق الدولفين القديم كنت أقطع هذه المنطقة بشكل دائم وبوتيرة تبعث على الكآبة. ولم يكن في فندق الدولفين القديم قاعة لتناول الطعام، وحتى لو كان فيه أشك أنني كنت سأميل لتناول الطعام هناك، ولذلك كنت أنا وكيكي دائماً نتوجه إلى مكان قريب لتناول طعامنا. والآن شعرت بالرغبة في زيارة منطقة قديمة وشعرت بالرضا لمجرد أنني تجولت حول المنطقة وحصلت على بعض المشاهد المألوفة.

حينما غابت الشمس عن الأفق، شعرت ببرودة في الهواء. كان

وقع الأقدام على الثلج الذائب في الشوارع يتردد صداه. لقد ذاب الثلج، وبالتالي لم يكن المشي تجربة سيئة على الإطلاق. كان الجو ما زال صحواً وصافياً. حتى أكوام الثلج المتراكم في كل الزوايا بدت ذات أثر ساحر حينما تنعكس عليها أضواء أعمدة الإنارة في الشوارع.

لقد تغيرت المنطقة بشكل ملحوظ عما كانت عليه في الأيام القديمة. بالطبع هذه «الأيام القديمة» لم يمضِ عليها إلا أربع سنوات فقط، كما قلت، فإن معظم الأماكن التي ترددت إليها كانت تقريباً كما هي. كانت الأجواء المحلية هي نفسها أيضاً، ولكن علامات التغيير كانت تنتشر في كل مكان. أنشئت متاجر، واللوحات التي تشير إلى عملية التطوير القادمة كانت مثبتة. بناية ضخمة كانت قيد الإنشاء. مطاعم البرغر والمتاجر المتخصصة في تصميم الملابس وصالات بيع السيارات الأوروبية ومقهى حديث يوجد بداخله ساحة من أشجار عيد الميلاد- ظهرت كل أنواع المؤسسات الجديدة واحدة بعد أخرى، مُهمشة بذلك الكتل السكنية القديمة ذات الثلاثة طوابق التي تبعث على الكآبة، وكذا المطاعم الرخيصة التي زينت مداخلها بالستائر السوداء التقليدية القديمة ومحلات الحلوى حيث تنام القطة بجوار الموقد. كان الخليط الغريب من أنماط الحياة يمثل عرضاً مؤقتاً للتعايش، تماماً مثلما هو الحال مع فم طفل صغير وقد بدأت الأسنان الجديدة تظهر فيه. أحد البنوك فتح فرعاً جديداً، ربما بسبب عملية التمويل الرأسمالي التي شيد من خلالها فندق الدولفين القديم. قم بتشييد فندق بهذه الضخامة في منطقة عادية جداً ومهملة إلى حد ما وستجد أن التوازن قد اختل. تدفق الناس يتغير، والمكان يبدأ في الظهور، وأسعار الأراضي ترتفع.

أو ربما كانت التغيّرات أكثر تراكمية. فالثورة لم يشعلها فقط فندق الدولفين الجديد وحده، وإنما كانت مرحلة من التغيّرات الهائلة

التي طرأت على البنية التحتية للمنطقة، فقد كان ثمة برامج عمرانية طويلة المدى يجري تنفيذها على سبيل المثال.

ذهبت إلى حانة صغيرة تذكرتها، واحتسيت بعض الشراب وتناولت بعض الطعام هناك. كان المكان متسخاً، صاخباً ورخيصاً. إنه أشبه بثقب في حائط أبحث عنه دائماً حينما يتعين عليّ تناول الطعام في الخارج. فأماكن مثل هذه تشعرني بالراحة، ولا تشعرني أبداً بالوحدة. يمكنني الحديث إلى نفسي من دون أن يسمعني أحد، أو يأبه لي أحد.

بعد أن تناولت الطعام شعرت بالرغبة في المزيد، ولذا طلبت بعضاً من شراب الساكي. وبينما كان الشراب الدافئ يسري في أوصالي، خطر ببالي السؤال: ماذا أفعل هنا بحق الجحيم؟ فندق الدولفين الذي كنت أقصده لم يعد له وجود. لم يكن يهم ما الذي أبحث عنه، فالمكان لم يعد له وجود. إنه لم يتلاش فحسب، بل حل محله هذا الفندق الأحمق الذي يعتمد على التقنية العالية مثل حرب النجوم. يبدو أنني وصلت متأخراً للغاية. أحلامي بشأن ما كان فندق الدولفين ليست أكثر من أحلامي بكيكي التي خرجت من الباب ولم تعد منذ مدة طويلة. ربما كان هناك شخص يبكي من أجلي. ولكن كل ذلك تلاشى. ولم يبق أي شيء. ماذا عساك أن تجد هناك أيها الصغير؟

فكرت: لقد قلتها. أو ربما أنني فغرت فاهي وقلتها لنفسي: لم يبق شيء هنا. ولا حتى شيء واحد بقي لك.

زممت شفتيّ بشدة وحدقت في قنينة صلصة الصويا الموجودة على المائدة.

إذا قدر لك أن تعيش وحيداً لفترة من الزمن، فسوف تعتاد التحديق في أشياء مختلفة. تتحدث إلى نفسك أحياناً. تتناول الطعام

في مناطق مزدحمة. تطور علاقة حميمة مع سيارتك السوبارو المستعملة. إنك ببطء ولكن بثبات سوف تصبح شيئاً من الماضي.

غادرت الحانة وتوجهت إلى الفندق. مشيت مسافة قصيرة نوعاً ما، لكن لم يكن صعباً أن أهتدي إلى طريق العودة. لم يكن عليّ سوى النظر لأعلى حتى أرى فندق الدولفين الجديد جاثماً على كل شيء آخر. مثل الملوك الثلاثة الذين اهتدوا بالنجم في طريقهم إلى القدس أو بيت لحم أو أينما كان، توجهت مباشرة إلى الوجهة الجاذبة الرئيسية.

بعد أن أخذت حماماً جففت شعري، حدقت في أفق مدينة سابورو. حينما كنت أقيم في فندق الدولفين القديم، ألم يكن هنالك بناية لمكتب صغير خارج نافذتي؟ أي نوع من المكاتب، لم أفهم ذلك أبداً، لكنها كانت شركة وكان الناس هناك دائمي الانشغال. لقد كان ذلك هو ما أطلّ عليه يوماً بعد يوم. ما الذي جرى لهذه الشركة؟ لقد كانت هناك امرأة جميلة تعمل هناك. ترى أين هي الآن؟

لم يكن لدي ما أعمله، لذلك رحت أذرع الغرفة جيئة وذهاباً قبل أن أقوم بتشغيل التلفزيون. كان هو نفسه الحفل القديم الذي يبعث على الاشمزاز. ليس حفلاً أصلياً بل حتى يبعث على التقيؤ. كان زائفاً ومصطنعاً. ولكن كونه مصطنعاً جعله غير صادم بشكل كامل. لو لم أغلق التلفزيون، لشعرت يقيناً أنني أشاهد نتاجاً لعميلة تقيؤ حقيقية.

ارتديت بعض الملابس وصعدت إلى ردهة في الطابق السادس والعشرين. جلست بجوار البار وطلبت فودكا وصودا بالليمون. كان أحد حوائط البار عبارة عن نافذة وفّرت إطلالة بانورامية آسرة على سابورو في الليل. إنها مدينة أشباح حرب النجوم.

إضافة إليّ كان هناك فقط ثلاثة زبائن آخرين. رجلان في أوسط عمرهما يتحدثان همساً على مائدة خلفية. ويبدو من خلال الموقف

أنهما يتحدثان عن أمور على قدر عال جداً من الأهمية. مؤامرة لاغتيال الشرير دارث فادر في فيلم حرب النجوم. وكانت تجلس إلى مائدة أخرى إلى اليمين منهما مباشرة طفلة يتراوح عمرها ما بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من العمر وتضع على أذنيها جهاز «وُكمان» وترتشف بعض الشراب من خلال ماصّة. كانت طفلة جميلة. شعرها الطويل شديد النعومة كان يتدلى مثل الحرير على حافة المائدة. كانت تنقر بأصابعها على المائدة بالتناغم مع إيقاع الصوت الذي تسمعه. كانت أصابعها الطويلة تترك انطباعاً أكثر طفولية من أي شيء آخر بها. ليس لأنها كانت تحاول الظهور بمظهر الكبار. وليس لأنها متعجرفة أو راغبة في الاختلاف وإنما لأنها كانت منطوية.

ولكن في الواقع لم تكن الطفلة تنظر صوب أي شيء. فهي غير عابئة بكل ما يحيط بها. كانت ترتدي بنطالاً من الجينز وكنزة رياضية بيضاء وكل تركيزها مع الموسيقى. وأحياناً تحرّك شفتيها لتردد بعض المقاطع.

تطوع النادل من نفسه وقال وكأنه يعتذر عن وجود الطفلة: «عصير ليمون! إن الطفلة في انتظار والدتها».

وأجبت مخفياً دهشتي: «إممم». من المؤكد أنك حينما تذهب إلى بار فندق بعد العاشرة ليلاً، فأنت لا تتوقع أن تجد طفلة صغيرة تجلس بمفردها ومعها مشروب ووُكمان. ولكن لولا أن النادل شرح لي الموضوع، لما استطعت ربما أن أرى شيئاً غير طبيعي، فالطفلة كانت تبدو جزءاً من المكان.

طلبت شراباً آخر وتجاذبت أطراف الحديث لفترة قصيرة مع النادل. عن الطقس والمناظر وأمور أخرى. وبعدئذ وبرباطة جأش سألته: من المؤكد أن هذا المكان تغير كثيراً، أليس كذلك؟ وهو ما اصطنع النادل إزاءه ابتسامة وأقرّ أنه حتى وقت قريب كان يعمل في

فندق بطوكيو وبالتالي فإنه لا يكاد يعرف شيئاً عن سابورو. وهنا دخل نزيل آخر منهياً محادثتنا غير المجدية.

احتسيت أربع كؤوس من الفودكا والصودا. كان بإمكاني أن أشرب أي عدد إضافي بيد أني قررت التوقف. كانت الطفلة ما زالت في مقعدها متشبثة بالوكمان. ذاب الثلج في كوبها ولم تكن والدتها قد ظهرت، وهو ما بدا أنها لم تلحظه. ولكن حينما نهضت من أمام المائدة رمقتني لثانية أو ثانيتين وهي تبتسم. أو ربما كان ذلك مجرد رعشة اعترت شفتيها. ولكن بالنسبة لي بدا أنها ابتسمت. وهو الأمر – أعرف أنه يبدو غريباً – الذي صدمني حقاً. شعرت كما لو أن الاختيار قد وقع عليّ. شعرت بأن جرعة من الطاقة سرت في أوصالي، وبدا لي أن جسمي قد ارتفع لأعلى بضعة سنتيمترات.

محملاً بمشاعر أكثر من الود، أخذت المصعد وعدت إلى غرفتي. ابتسامة من طفلة في الثانية عشرة؟ كيف يمكن لشيء في مثل هذه البراءة أن يحركني من الداخل بهذه القوة؟ كان يمكن أن تكون ابنتي.

وماذا عن كنزة من ماركة «جنيسيس» Genisis يا له من اسم أحمق لعلامة تجارية.

ولكن لأن الطفلة ترتدي مثل هذه الكنزة الرياضية فقد بدا الاسم وإلى حد ما رمزياً. جنيسيس (سفر التكوين[3]).

(3) جنيسيس، هذه الكلمة تحمل إيحاءات تحيل الى سفر التكوين حيث وردت قصة خطيئة آدم وحواء وبدأ تقليد ارتداء الملابس كنتيجة للخطيئة الأولى لآدم وحواء، فكأن الراوي يريد أن يعقد صلة بين خطيئة آدم وحواء التي وردت في سفر التكوين وأعقبها ارتداء الملابس وبين لبس الطفلة يوكي لملابس تحمل اسم السفر نفسه الذي وردت فيه قصة الخطيئة. لكن المؤلف الذي يبدو مستاءً من علامة تجارية للملابس تحمل هذا الاسم، لمّح تلميحاً بعيداً جداً واكتفى بالكلمة معزولة كما ترونها.

استلقيت على السرير من دون أن أخلع حذائي. أغمضت عيني وجاءتني صورة الطفلة. وُكمان. أصابع بيضاء تنقر على سطح المائدة. جنيسيس. الثلج الذائب.

جنيسيس.

مع إغماضي لعيني كان باستطاعتي أن أشعر بالشراب وهو يسري في داخلي. خلعت حذاء العمل ووضعت عني ملابسي وغمرت نفسي تحت الغطاء. كنت متعباً للغاية، ثملاً إلى أقصى حد، حتى إنني لم أكن قادراً على الشعور كثيراً بأي شيء. انتظرت أن تقول لي المرأة التي إلى جواري: «شربنا كثيراً جداً، أليس كذلك؟» ولكن لم يدر مثل هذا الحوار.

جنيسيس.

مددت يدي لأطفئ ضوء الغرفة. هل ستأخذني أحلامي إلى فندق الدولفين؟ تساءلت في هذه الظلمة.

حينما استيقظت الصباح التالي، انتابني شعور بالخواء اليائس. لا أحلام ولا فنادق. عدم.

كانت فردتا الحذاء عند مؤخرة السرير حيث وقعتا. كما لو كانتا كلبين صغيرين متعبين.

خارج نافذتي كانت السماء تبدو منخفضة ورمادية اللون. يبدو أن الثلج هو الذي أضاف إليّ شعوري بالإعياء. كانت الساعة السابعة وخمس دقائق. أمسكت بالريموت كنترول وشاهدت أخبار الصباح وأنا ممدد على السرير. كان هناك شيء عن انتخابات مقبلة. بعد خمس عشرة دقيقة نهضت من السرير وذهبت إلى الحمام للاستحمام وحلاقة ذقني وأنا أدندن على لحن المقدمة الموسيقية لأوبرا «زواج فيجارو» كوسيلة لإيقاظ نفسي. أم تراها كانت المقدمة الموسيقية

لأوبرا الناي السحري[4]؟ حاولت أن أقدح زناد فكري لكني لم أستطع تحديد ذلك. جرحت ذقني أثناء الحلاقة وقطعت زراً من أزرار القميص. كانت إرهاصات اليوم غير مشجعة.

عند الإفطار رأيت الطفلة الصغيرة التي سبق أن رأيتها في البار، لكنها كانت تجلس مع امرأة ظننت أنها أمها. كانت ترتدي الكنزة الرياضية نفسها ولكن على الأقل لم تكن تحمل الوُكمان. لم تكد تلمس خبزها أو البيض المخفوق. وبدت عليها علامات السأم وهي تشرب الشاي. كانت أمها امرأة شابة في أوائل الأربعينات. شعرها ملفوف على هيئة كعكة مشدودة وحاجباها كانا تماماً مثل حاجبي ابنتها، رشيقة، ذات أنف جميل، وترتدي معطفاً بنيّ اللون بدا أنه كشمير فوق قميص أبيض. كانت في ملابسها حسنة الهندام. ملابس تناسب امرأة اعتادت أن تكون محط انتباه الآخرين. كانت تبدو عليها علامات السأم من العالم من خلال الطريقة التي كانت تضع بها الزبدة على خبزها المحمّص.

أثناء مروري بجانب مائدتهما، رمقتني الطفلة ثم ابتسمت. ابتسامة أكثر وضوحاً من ابتسامة الليلة السابقة. ابتسامة لا تخطئها العين.

تناولت إفطاري بمفردي وحاولت أن أفكر ولكن بعد هذه الابتسامة لم أستطع أن أركز. لا يهم ما الذي خطر ببالي، كانت الأفكار تتداخل في رأسي بشكل غير مجد. في النهاية حدقت بناظريّ في علبة التوابل ولم أفكر في أي شيء على الإطلاق.

(4) أعمال أوبرالية لموتسارت.

(7)

لم يكن لديّ ما أفعله، ولم يكن ثمة ما يجب أن أفعله، ولم يكن ثمة ما أريد أن أفعله. قطعت كل هذه الطريق من أجل فندق الدولفين، بيد أن فندق الدولفين الذي أردته قد تلاشى من على وجه الأرض. فماذا أفعل؟

نزلت إلى بهو الفندق، وزرعت نفسي في إحدى الأرائك الوثيرة وحاولت أن أعدّ برنامجاً لليوم. هل يجب عليّ أن أخرج لمشاهدة المناطق السياحية؟ وإلى أين؟ وماذا عن مشاهدة فيلم سينما؟ لا لم يكن هناك ما أريد أن أراه؟ وهل قطعت كل هذه المسافات إلى سابورو لمشاهدة فيلم؟ إذاً ماذا أفعل؟

لا شيء يمكن فعله.

قلت في نفسي: حسناً، إنه صالون الحلاقة. لم أكن قد ذهبت إلى حلاق منذ شهر، وكنت بحاجة إلى الحلاقة. نعم إن تلك طريقة جيدة للاستفادة من وقت الفراغ. إذا لم يكن لديك أي شيء أفضل يمكنك فعله، فاذهب إلى الحلاق.

ولذلك مشيت نحو صالون الحلاقة في الفندق وكلّي أمل أنه سيكون مزدحماً وأنه سيتعين عليّ انتظار دوري. ولكن كان المكان خالياً وعلى الفور وجدت نفسي على مقعد الحلاق. كانت هناك لوحات تجريدية معلقة على الحوائط الزرقاء الرمادية وكذلك معزوفة

لجاك روشيه كانت تنساب بهدوء ونعومة من مكبرات الصوت المركزية. لم يكن يشبه أي صالون حلاقة ذهبت إليه من قبل- يمكنك بالكاد أن تسميه صالون حلاقة. أما الأمر الثاني الذي تعرفه، هو أنهم سوف يشغلون أغنيات غريغورية في الحمامات ومعزوفات الموسيقار ريوشي ساكاموتو في غرف الانتظار. كان الرجل الذي حلق لي شعري شاباً لم يكد يكمل العشرين. حينما ذكرت أمامه أن فندقاً صغيراً هنا كان يحمل الاسم نفسه كانت إجابته بسؤال: «حقاًج أصحيح ذلك؟» لم يكن يعرف الكثير عن سابورو أيضاً. كان لطيفاً. يرتدي قميصاً من تصميم Men's Bigie. ومع ذلك كان ماهرا في حلاقة الشعر ولذا غادرت المكان وأنا راض كل الرضا.

ماذا بعد؟

نظراً لافتقاري إلى أي خيارات أخرى عدت أدراجي إلى أريكتي في البهو ورحت أشاهد المنظر. كانت موظفة الاستقبال ذات النظارة التي تكلمت معها أمس تقف خلف مكتب الاستقبال. بدت متوترة. هل كان وجودي يطلق إشارات بداخلها؟

من غير المحتمل ذلك. دقت الساعة الحادية عشرة. وقت الغداء. توجهت للخارج وأنا أدور في المكان محاولاً التفكير في ما يتماشى مع حالتي المزاجية. ولكني لم أكن جائعاً ولم يجذبني أي مكان. ولأني كنت أفتقر إلى الإرادة، فقد تجولت في المكان من أجل بعض السباغيتي والسَلَطة. ثم بعد ذلك البيرة. كانت السماء تنذر بتساقط الثلوج. لكن لم يكن ثمة ندفة من الثلج يمكن رؤيتها. كانت السماء صلبة وغير متحركة. مثل جزيرة لابوتا في رحلات جليفر حيث كانت السماء جاثمة على المدينة. كل شيء بدا أنه مغطى باللون الرمادي. حتى حينما أعود بالذاكرة للوراء، أجد وجباتي رمادية. هذا اليوم ليس للأفكار الجيدة.

في النهاية استقللت سيارة أجرة وذهبت إلى متجر في وسط المدينة. اشتريت حذاءً وملابس داخلية وبطاريات جديدة وفرشاة أسنان وقلامة أظفار. اشريت ساندويتش لوجبة خفيفة لتناولها في وقت متأخر من الليل وقنينة براندي. لم أكن أحتاج إلى أيّ من هذه المواد، كنت فقط أتسوّق، لمجرد قتل الوقت. أضعت ساعتين.

ثم مشيت في الشوارع الكبيرة وأنا أنظر في النوافذ وليس لي وجهة معينة وحينما سئمت ذلك دلفت إلى مقهى حيث قرأت في كتاب للكاتب الأمريكي الشهير جاك لندن أثناء احتسائي للقهوة. وقبل أن يمر وقت طويل كان المساء يقترب. الحديث عن الملل، وقتل الوقت ليس بالأمر الهين.

حينما عدت إلى الفندق وأثناء مروري بمكتب الاستقبال رن على مسامعي اسمي. لقد كان الصوت لموظفة الاستقبال ذات النظارة. أشارت إليّ بالاقتراب من أحد طرفي طاولة الاستقبال والذي كان بالفعل قسم استئجار السيارات حيث كانت توجد الكتيبات المعروضة. لم يكن أحد سواها على الطاولة آنذاك.

عبثت بقلم بين أصابعها لبرهة وقالت: «لديّ شيء أود إخبارك به ولكن لا أدري كيف أقوله». كان واضحاً أنها غير معتادة على هذا النوع من الأشياء.

وبدأت: «من فضلك سامحني. ولكن يتعين علينا أن نتظاهر بأننا نتحدث عن استئجار سيارة». ثم نظرت نظرة سريعة بطرف عينها صوب مكتب الاستقبال. «الإدارة صارمة معنا. يفترض أن لا نتحدث إلى النزلاء بشكل شخصي».

قلت: «حسناً. سوف أسألك عن أسعار السيارات وأنت تجيبين بما تودّين قوله. لا شيء شخصي».

قالت مرة ثانية وقد علت وجهها حمرة الخجل: «سامحني. إنهم صارمون جداً في التمسك بقواعد العمل هنا».

ابتسمتُ. «نظارتك لائقة عليك جداً».

«عفواً؟».

قلت: «تبدين جميلة للغاية بهذه النظارة. جميلة للغاية».

لمسَت إطار النظارة ثم نظفت حنجرتها بشكل عصبي. استعادت هدوءها وقالت: «هناك شيء كنت أود أن أسألك عنه، إنه أمر خاص».

لو كان باستطاعتي، لربّتّ على رأسها لأهدئها، ولكن بدلاً من ذلك ظللت صامتاً ونظرت في عينيها.

قالت بصوت ناعم: «إنه ما سألت عنه ليلة أمس. هل تذكر، عن فندق كان هنا يحمل الاسم نفسه الذي يحمله هذا الفندق. كيف كان ذلك الفندق؟ أعني هل كان فندقاً عادياً؟».

أمسكتُ بكتيب لتأجير السيارات وتصرّفتُ كما لو كنت أتصفحه. «هذا يتوقف على ماذا تعنين بكلمة «عادي»؟».

ضغطتْ على أطراف ياقتها ونظفت حنجرتها مرة ثانية. «من الصعب أن أحدد ذلك بالضبط، ولكن هل كان ثمة شيء غريب حول هذا الفندق؟ لا يمكنني أن أزيح ذلك عن تفكيري».

كانت عيناها جميلتين ولكنّها جادة. تماما مثلما كنت أتذكرها. احمرَّت خجلاً مرة أخرى.

- أظن أني لا أعرف ماذا تقصدين، ولكني متأكد أن الأمر يحتاج إلى وقت أطول للحديث عنه ولا يمكننا أن نكمله هنا. إنك تبدين مشغولة جداً.

نظرت بطرف عينها إلى موظفة الاستقبال الأخرى، ثم عضت

على شفتها السفلى عضة خفيفة. وبعد لحظة من التردد قالت: «حسناً، هل يمكنك مقابلتي بعد انتهائي من العمل؟».

- متى ذلك؟

- أنهي عملي في الثامنة. ولكن لا يمكننا أن نلتقي قريباً من هنا. قوانين الفندق. يجب أن يكون ذلك في مكان بعيد عن هنا.

- حددي المكان. لا يهمني مهما بَعُدَ، سوف أكون هناك.

أطرقت لبرهة أخرى من الزمن. ثم خطّت اسماً لمكان ورسمت لي خريطته. «سوف أكون هناك في الثامنة والنصف».

دسست الورقة في جيبي.

والآن كان دورها قد حان للنظر نحوي، وقالت: «آمل ألا تظن أنني غريبة. هذه هي المرة الأولى التي أقوم فيها بشيء مثل هذا. لم يسبق لي أن خالفت أي قواعد من قبل. ولكن هذه المرة لا أعلم ما الذي يمكنني عمله غير ذلك. سوف أشرح لك كل شيء لاحقاً».

قلت: «لا. لا أظن أنك غريبة. لا تقلقي. لست ذلك الشخص السيّئ جداً. ربما لا أكون الشخص الذي يحبه كل العالم، ولكني أحاول ألا أضايق الناس».

عبثتْ بقلم بين أصابعها مرة أخرى وهي غير متأكدة كيف تستوعب ذلك. ثم ابتسمت ابتسامة غير واضحة، وحركت جسر نظارتها لأعلى، وقالت: «حسناً. لاحقاً». ثم انحنت انحناءة جادة قبل أن تعود إلى مكانها وراء مكتب الاستقبال. بدت ساحرة الجمال وإن كانت قلقة قليلاً.

صعدتُ إلى غرفتي وسحبت قنينة بيرة من الثلاجة لأطفئ حدة ساندويتش اللحم المشوي الذي تناولته في المتجر. حسناً، الآن لدينا على الأقل خطة عمل. ربما تكون سرعتنا بطيئة، لكننا نسير. ولكن إلى أين؟

أخذتُ حمّاماً وحلقت ذقني، وغسلت أسناني. في هدوء وصمت ومن دون أي ضجيج. ثم وقفت أمام المرآة وتفحصت ملامحي بشكل لم أفعله منذ زمن. ليس ثمة اكتشافات ضخمة. لم أشعر بأي ارتفاع في شجاعتي. إنه الوجه القديم نفسه الذي كان دائماً.

غادرتُ غرفتي في السابعة والنصف واستقللت سيارة أجرة. تفحّص السائق الخريطة التي أظهرتها له ثم أومأ من دون أن ينطق بكلمة حتى بلغنا المكان. قطعت المسافة بألف ين وشيء. كان باراً صغيراً في بناية من خمسة طوابق. أول ما قابلني لدى الباب هو صوت دافئ لإحدى التسجيلات القديمة لعازف الساكسفون الأمريكي جيري موليجان.

أخذتُ مقعداً عند طاولة البار واستمعت إلى المعزوفة الموسيقية. حتى الثامنة وخمس وأربعين دقيقة لم تكن قد ظهرت بعد. لم أبال بذلك كثيراً. فالبار كان مريحاً كثيراً وكنت قد أصبحت حينذاك محترفاً في قتل الوقت. أخذت أرتشف شرابي وحينما انتهيت منه طلبت آخر. ورحت أتأمل في منفضة السجائر.

في التاسعة وخمس دقائق دلَفَتْ إلى البار.

قالت وهي مرتبكة: «آسفة. لقد تلاحقت الأشياء عليّ في اللحظات الآخيرة، كما أن بديلتي أتت متأخرة».

قلت: «لا عليكِ. كان الأمر على ما يرام هنا. كان عليّ أن أقتل الوقت على أية حال».

بناء على اقتراح منها انتقلنا إلى طاولة في مؤخرة المكان. جلسنا بينما كانت تخلع قفازها وغطاء الرأس ومعطفها. كانت ترتدي تحته تنورة من الصوف ذات لون أخضر داكن وقميصاً أصفر خفيفاً وهو ما

كشف لي عن تضاريس كبيرة دهشت أنني لم ألحظها قبل ذلك. وكانت تضع حلق أذن صغيراً جداً من الذهب.

طلبتُ شراب كوكتيل بلودي ماري. وحينما جاء الشراب كانت ترتشف منه وهي مترددة. تناولتُ جرعة أخرى من الويسكي الخاص بي، ثم أخذت هي رشفة أخرى من بلودي ماري. كنت أتسلى ببعض البندق.

وأخيراً، أخرجت تنهيدة عميقة، ربما كانت أطول مما أرادت هي، فيما كانت تنظر إليّ بعصبية.

سألتها: «هل عملك مرهق؟».

قالت: «نعم. مرهق للغاية. ما زلت غير معتادة عليه. فالفندق لم يفتتح إلا منذ وقت قريب والإدارة يجن جنونها لأبسط الأشياء».

ضمّت ذراعيها ووضعتهما على الطاولة. كانت تضع خاتماً واحداً في خنصرها. خاتماً عادياً من الفضة خالياً من أي بهرجات.

وبدأتْ: «عن فندق الدولفين القديم. ولكن مهلا. سمعت أنك كاتب في مجلة أو شيء من هذا القبيل؟».

قلت مجفلاً: «مجلة؟ عمَّ تتكلمين؟».

قالت: «هو ما سمعته».

توقفتْ عن الكلام. وعضّت على شفتها وحدقت في نقطة على الحائط.

ثم استأنفت: «واجهنا بعض المشاكل ذات مرة. ولذا فإن الإدارة يجن جنونها من وسائل الإعلام. هل تعرف، رغم أن أرض الفندق قد تم شراؤها بالكامل. لكن إذا تسرب الكثير من ذلك لوسائل الإعلام، فيمكن أن يتسبب في معاناة للفندق. الصورة السيئة يمكن أن تدمر المشروع».

– هل سبق أن كُتب عنه شيء؟

– ذات مرة في مجلة أسبوعية منذ فترة. كانت هناك تلميحات إلى معاملات غير نظيفة. شيء عن الاستعانة بعصابات الياكوزا أو بعض عصابات اليمين لتمارس ضغوطاً على الأشخاص الذين يقاومون. أشياء من هذا القبيل».

– وأظن أن فندق الدولفين القديم تمّت استعادته وسط هذه المشاكل؟

هزت كتفيها ورشفت رشفة أخرى. «لم أدهش لذلك. وإلا لما تصرف معك المدير بهذه العصبية حينما استفسرت عن الفندق القديم. أقصد أنك على ما يبدو لمست وتراً حسّاساً لديه تقريباً. ليست لدي أي تفاصيل، لكنني سمعت ذات مرة اسم الدولفين في سياق حديث عن فندق قديم. من شخص ما».

– شخص ما؟

– واحد من أصحاب البذات السوداء[5].

– أصحاب البذات السوداء؟

قلت: «آه نعم. لكن ما عدا ذلك لم تسمعي أي شيء عن فندق الدولفين القديم؟».

هزت رأسها وراحت تعبث بخاتمها وقالت همساً: «إنني مرعوبة. إنني مرعوبة جداً. إنني . . . لست أدري ماذا أفعل».

– مرعوبة؟ بسببي وبسبب المجلات؟

(5) يبدو أن المقصود رجال العصابات أو رجال الأعمال أو حراسهم الشخصيين الذين يحرصون على ارتداء البذات السوداء ويبعثون الرهبة في قلوب الآخرين، خاصة أن العبارة وردت في سياق الحديث عما يُعرف بعصابات الياكوزا.

هزت رأسها ثم عضت بشفتها على حافة كوبها. «لا، ليس ذلك. ليس للمجلات أي صلة بذلك. لو أن شيئاً تم نشره، ما الذي يعنيني في ذلك؟ ربما تستشيط الإدارة غضباً بسبب ذلك، ولكن ليس هذا هو ما أتحدث عنه. إنه المكان كله. الفندق برمّته. أعني أنه كان هناك دائماً شيء غريب حوله. شيء مستغرب. شيء غير مألوف».

توقفت عن الكلام ولاذت بالصمت. كنت قد أنهيت الويسكي، ولذا طلبت كأسين أخريين لكلينا.

حاولت أن استحثها على الكلام: «ماذا تعنين بغير مألوف؟ هل تقصدين شيئاً محدداً؟».

قالت بحدة: «بالطبع أقصد. لقد وقعت أشياء ولكن من الصعب أن أجد الكلمات التي تصف ذلك. ولذا لم أخبر أي مخلوق عنها. أعني أن ما شعرت به كان حقيقياً بالفعل، ولكن إذا حاولت أن أشرحه في كلمات، فإن الكلمات تخونني».

- إذاً هل ذلك يشبه حلماً حقيقياً؟

- ولكن ذلك لم يكن حلماً. الأحلام تتلاشى بعد فترة. لكن هذا الشيء لم يتلاش. إنه باق دائماً كما هو. إنه حقيقي ودائماً قائم هناك، ماثل أمام عيني.

لم أكن أدري ماذا أقول.

«حسناً، إليك هذا ما حدث». قالت وهي تشرب البلودي ماري وتمسح شفتيها بمنديل.

«كان ذلك في يناير. مطلع يناير. مباشرة بعد بداية السنة الجديدة. كنت أعمل في مناوبة ليلية متأخرة وأنا لا أحب هذه المناوبة بشكل عام. ولكن كان دوري في ذلك اليوم. على أية حال لم أنته من عملي قبل منتصف الليل. حينما تعمل حتى وقت متأخر مثل ذلك،

فإنهم يوفرون لك سيارة أجرة لأن القطارات تكون قد توقفت. بعد أن غيرت ملابسي، تذكرت كتاباً تركته في استراحة الموظفين. ظننت أنه يمكنني الانتظار لليوم التالي، لكن الفتاة التي كنت سأشاركها السيارة لم تكن قد انتهت من عملها بعد، ولذا قررت الذهاب لإحضاره. أخذتُ المصعد الخاص بالموظفين وضغطت على زر الطابق السادس عشر حيث توجد استراحة الموظفين وباقي المرافق الخاصة بهم. فهناك نمضي استراحة القهوة وكثيراً ما نذهب إلى هناك.

«على أي حال كنت في المصعد وانفتح الباب وخرجت منه كالعادة. لم أفكر في أي شيء مما فعلت. إنه شيء تفعله طوال الوقت، أليس كذلك؟ خرجت من المصعد، كان تصرّفي طبيعياً مثل أكثر الأشياء طبيعية في العالم. أظن أنني كنت أفكر في شيء ما، لا أذكر ماذا كان. ربما كنت أضع يديّ في جيبيّ. كنت في الردهة حينما لاحظت أن كل شيء حولي قد استحال إلى ظلام دامس. أعني تماماً مثل اللون الأسود الداكن. التفتّ فإذا بباب المصعد قد أغلق. أول شيء خطر ببالي كان أن انقطاعاً وقع في التيار الكهربائي. ولكن ذلك مستحيل. ففي الفندق مولّد كهربائي للطوارئ، وفي حال حصول انقطاع في التيار الكهربائي فإنه يعمل بشكل تلقائي. لقد تلقينا جلسات تدريبية حول ذلك ولذا فأنا أعرف. يفترض أن ليس هناك ما يسمى انقطاع تيار كهربائي. وحتى لو صحَّ احتمال الواحد إلى مليون بأن خطأ فنيا حدث للمولّد الكهربائي، فإن مصابيح طوارئ الغرف من المفترض أن تضيء. ما أود أن أقوله هو أنه لم يكن من المفترض أن يتحول المكان إلى ظلام دامس أبداً. كان يجب أن أرى المصابيح الخضراء عبر الردهة.

«ولكن المكان كله تحوّل إلى ظلام دامس. كل ما كان باستطاعتي رؤيته هو مفاتيح المصعد واللوحة الرقمية الحمراء التي

تشير إلى الطابق الذي يوجد فيه المصعد. ولذا كان أول شيء فعلته هو أن ضغطت على مفاتيح استدعاء المصعد لكنه واصل نزوله للطوابق السفلى. لم أعرف ماذا عليّ أن أفعل. حينئذ ولسبب ما قررت أن ألقي نظرة حول المكان. كنت فزعة حقاً، ولكنني أيضاً شعرت بضيق شديد.

«ما فكرت فيه هو أن خللاً أصاب الوظائف الأساسية للفندق. خلل ميكانيكي أو إداري أو شيء آخر. وهذا يعني تعرضنا لمزيد من المضايقات من الإدارة وإيقاف الإجازات، وكافة أنواع المضايقات الأخرى. ولذا كنت كلما فكرت في ما يحدث أشعر بمزيد من الضيق. لكن ضيقي كان قد جاوز شعوري بالخوف. وهكذا قررت أن ألقي نظرة حول المكان. مشيت خطوتين أو ثلاث فإذا بشيء غريب حقاً. أعني أنني لم أكن أستطيع سماع وقع قدميّ. لم يكن ثمة صوت على الإطلاق. وبدت الأرضية غريبة وليست مثل السجاد المعتاد. كان الملمَس صلباً. ثم كان الهواء أيضاً يبدو مختلفاً. كان . . . كان عفناً. ليس مثل هواء الفندق على الإطلاق. فالهواء مكيف بشكل كامل في فندقنا والإدارة شديدة الحرص على ذلك لأنه هواء ليس مثل هواء أنظمة التكييف العادية. يفترض أن الهواء هنا هواء ذو جودة معينة وليس مثل هواء الفنادق الأخرى الذي تنزع منه الرطوبة حتى يصيب أنفك بالجفاف. هواؤنا مثل الهواء الطبيعي. ولذا كان الهواء العفن بالنسبة لي صدمة حقيقية. وكانت رائحته توحي بأنه هواء قديم كأنك تذهب لزيارة جدك في الريف وتفتح مخزن العائلة القديم، شبيه بذلك. راكد وعفن.

«التفتّ حولي فإذا بمفاتيح استدعاء المصعد قد انطفأت أيضاً. لم أستطع أن أرى شيئاً. انطفأ كل شيء بشكل كامل وهو ما أفزعني حقاً. أعني أني أصبحت بمفردي في عتمة كاملة وكان السكون حولي

مطبق. مطبق. لم يكن ثمة صوت واحد. أمر مثير للاستغراب. حتى إذا انقطع التيار الكهربائي فعلى الأقل ستسمع شخصاً واحداً ينادي. وهذا في وقت كان الفندق ممتلئاً تقريباً بالنزلاء. ويمكن أن يُحدث الكثير من الأشخاص ضجة. لكن ذلك لم يحدث هذه المرة».

وصل النادل بالشراب وراح كل منا يرتشف من كأسه. وضعت هي شرابها وأعادت ضبط نظارتها.

– هل تابعتني حتى الآن؟

قلت: «نعم أتابعك بشدة».

– كنتُ في الطابق السادس عشر. المكان عتمة حالكة. هناك رائحة غريبة. سكون تام. شيء مثير للاستغراب يحدث.

تنهَّدَتْ تنهيدة. «لا أعرف إن كان ذلك جيداً أم سيئاً، لكني لست ذلك الشخص الجبان. على الأقل أظن أنني شجاعة جداً. لست من النوعية التي تصرخ بأعلى صوتها حينما ينقطع التيار الكهربائي. نعم شعرت بالفزع لكني لم أفقد السيطرة على أعصابي. أفهم أنه ينبغي عليك أن تتفحص الأشياء. ولذا بدأت أتلمس طريقي في الردهة المظلمة».

– في أي اتجاه؟

قالت وهي ترفع يدها اليمنى: «إلى اليمين. كنت أتحسس طريقي بمحاذاة الحائط ببطء شديد وبعد قليل انعطفت مع الردهة نحو اليمين مرة ثانية. بعد ذلك استطعت أن أرى أمامي شعاع ضوء خافت. خافت جداً مثل ضوء شمعة يتسرب من بعيد جداً. كان أول ما جال بخاطري هو أن شخصاً ما عثر على بعض شموع الطوارئ وأضاءها. واصلت السير، وحينما أصبحت أكثر قرباً، رأيت ضوءاً يأتي من غرفة قد تُرك بابها موارباً. كان الباب غريباً جداً أيضاً. لم

يسبق أن رأيت مثل هذا الباب القديم في الفندق. وقفت هناك أمامه، لا أدري ماذا أفعل بعد ذلك. وماذا لو أن شخصاً كان بالداخل؟ ماذا لو أن شخصاً غريباً قد خرج منه؟ وما الذي كان يفعله مثل هذا الباب هنا في الأصل؟

لذا نقرتُ على الباب نقراً خفيفاً، خفيفاً جداً. بل لم تكن نقرة على الإطلاق، لكنها مع ذلك أحدثت صوتاً عالياً، ربما لأن الصمت كان يخيم على الردهة بشكل مطبق. على أي حال، لم يكن هناك من مجيب. انتظرت عشر ثوان وفي غضون هذه الثواني كنت قد تجمدت. لم يكن لدي أدنى فكرة عما سأفعله. عندئذ سمعت هذه الضوضاء المكتومة. أشبه بضوضاء صادرة عن شخص يرتدي ملابس ثقيلة ثم كان وقع أقدام. متباطئة للغاية، وزاحفة كما لو كان يلبس شبشباً أو شيئاً من هذا القبيل. كان وقع الأقدام يقترب من الباب شيئاً فشيئاً».

كانت تحدق في الفراغ وتهز برأسها.

«كان ذلك حينما بدأ يتملكني الشعور بالفزع، كأن تكون هذه الخطى ليست لبشر. لست أدري كيف وصلت لهذا الاستنتاج. وهنا انتابتني مشاعر اقشعرّ لها بَدَني فالقدم البشرية لا تخطو بهذه الطريقة. وسَرَت القشعريرة في جسمي حتى بلغت عمودي الفقري. إنني أعني كل ما أقول. أخذت أركض. لم ألتفت حتى إلى أين أنا ذاهبة. أغلب ظني أني وقعت أرضاً مرة أو مرتين. ربما كان ذلك بسبب أن جواربي تمزقت. هذه الجزئية لا أذكرها جيداً. كل ما أذكره هو أني ركضت. وأني شعرت بالهلع. ماذا لو أن المصعد معطل؟ لهج لساني بالحمد، حينما وصلت هناك أخيراً ووجدت مفاتيح الاستدعاء ومصباح الطوابق مضيئاً. كان المصعد في الطابق الأرضي. رحت أضغط بشكل متكرر

على مفتاح الاستدعاء وبدأ المصعد في الصعود. ولكن بشكل أبطأ من المعتاد. في واقع الأمر كان بطيئاً بشكل لا يصدق. مثل اثنان . . . ثلاثة . . . أربعة . . . كنت أردد متوسلة: تعالَ، أسرع، تعالَ. ولكن ذلك لم يؤت أدنى فائدة. استغرق ذلك زمناً. بدا الأمر وكأن شخصاً ما يعوق حركته».

أخرجَتْ نفساً عميقاً ثم رشَفَتْ من شرابها مرة أخرى. عبثتْ مرة ثانية بخاتمها ولكن لمدة أطول.

انتظرتها حتى تكمل. توقفت الموسيقى وسُمع شخص يضحك.

«كان باستطاعتي سماع وقع أقدام تجرجر وتقترب شيئاً فشيئاً وتتحرك تجاهي. شعرت بالهلع. شعرت بهلع لم أشعر بمثله طول حياتي. شعرت بأن معدتي قد انقبضت بشدة وارتفعت إلى حلقي. كان جسمي يتصبب عرقاً ولكني كنت أشعر بالبرد. اقشعرّ بَدَني. المصعد لم يكن قد اقترب بأي حال. السابع . . . الثامن . . . التاسع . . . ووقع الأقدام ما زال قادماً».

توقفتْ لعشرين أو ثلاثين ثانية. ومرة ثانية أدارت خاتمها دورات إضافية قليلة، كما لو كانت تقريباً تدير موجة مذياع. صُودف أنّ امرأة كانت عند طاولة البار قالت شيئاً استدعى ضحكة أخرى من رفيقها. تمنيت لو يسرع أحد ويشغّل تسجيلاً من التسجيلات.

تحدثت بجمود: «لا يمكنني حقاً أن أصف كيف كنت أشعر. عليك فقط أن تمر بذلك لتعرفه».

- ثم ماذا حدث بعد ذلك؟

قالت وهي تهز كتفيها: «الشيء الذي عرفته لاحقاً هو أن المصعد كان هناك. فتح الباب واستطعت رؤية ذلك الضوء اللطيف المألوف.

خارت قدماي بالفعل. كان جسمي كله يرتعش ولكني تمكنت من الضغط على زر بهو الفندق. حينما وصل إلى هناك، أظن أنني أصبت الجميع بالفزع. كنت شاحبة اللون وفاقدة للقدرة على النطق. كانت فرائسي ترتعد. اقترب المدير مني وهزني وقال: «ماذا حدث؟» حاولت إخباره بما حدث من غرائب في الطابق السادس عشر لكني كنت ما زلت ألهث. قاطعني المدير في منتصف حكايتي، واستدعى أحد موظفي الفندق من الرجال وذهب ثلاثتنا إلى الطابق السادس عشر. فقط للتأكد مما هناك. لكن كل شيء كان طبيعياً إلى حد الإتقان. كل المصابيح تضيء المكان، لا روائح قديمة وكل شيء كان كما هو دائماً وكما يجب أن يكون. ذهبنا إلى استراحة الموظفين وسألنا شخصاً تواجد هناك إن كان قد أحس شيئاً مما حدث لكنه أقسم إنه كان مستيقظاً طوال الوقت وإن الكهرباء لم تنقطع. وبعدئذ سرنا في الطابق السادس عشر من أوله إلى آخره فقط لنطمئن. لم نجد أي شيء خارج المألوف. كان يبدو أنني وقعت تحت تأثير مَسّ أو سحر أو شيء.

عدنا لأسفل واصطحبني المدير إلى مكتبه. كنت متأكدة أنه سيصرخ في وجهي ولكنه حتى لم يغضب. طلب مني أن أقصَّ عليه ما حدث مرة ثانية ولكن بتفاصيل أكثر. شرحت له كل شيء بأقصى ما أستطيع من وضوح من البداية وحتى الخطى التي تعقبتني. شعرت بأنني حمقاء. كنت متأكدة أنه سوف يسخر مني ويقول إن تلك الأشياء كلها محض خيال.

لكنه لم يسخر أو يضحك. بل بدت عليه جدية تامة. وقال: «يجب ألا تخبري أحداً بما حصل». كان يتحدث بلطف شديد. «يبدو أن ثمة خللاً قد وقع، ولكننا يجب ألا نزعج الموظفين الآخرين، لذا دعينا نضع كل ذلك طي الكتمان». واسمح لي أن أقول لك إن هذا

المدير ليس من النوع الذي يتكلّم بلطف. إنه مستعد لأن يطلق العنان لغضبه في أي لحظة. كان يبدو أنني ربما لم أكن أول من يتحدث معه عن ذلك».

جَلَسَت صامتة الآن.

- ولكن ألم تسمعي أي شخص يتحدث عن أشياء من هذا القبيل؟ تجارب غريبة، أو أحداث غير مألوفة، أو أي شيء غامض؟ وماذا عن الشائعات؟

فكرَتْ لبرهة ثم هزت رأسها. «لا. لا شيء من ذلك بحسب علمي. لكن ثمة شيء يبعث على الاستغراب حقاً في المكان. الطريقة التي تفاعل بها المدير حينما أخبرته بما حدث والحوارات الهامسة التي تدور طوال الوقت. لا يمكنني أن أشرح الأمر بأفضل من ذلك ولكن ثمة شيء في الأمر. إنه لا يشبه الفندق الذي عملت فيه قبل ذلك على الإطلاق. بالطبع لم يكن فندقاً كبيراً مثل هذا وكانت الأشياء تختلف بعض الشيء عن هنا، ولكن هذا الفندق مختلف حقاً. هذا الفندق فيه حكاية الشبح الخاصة به - ربما يكون لكل فندق حكاية شبح، ولكن يمكننا أن نسخر منها جميعاً. أمّا هنا فالأمر يختلف تماماً. لا أحد يسخر. ولذلك فهي مخيفة أكثر. فمثلاً لو أن المدير صنع مما حدث نكتة أو حتى صرخ في وجهي، لما بدا الأمر غريباً بهذا الشكل. ولكنت اعتقدت أن خللاً أو شيئاً ما قد وقع».

أغمضت عينيها ونظرت إلى الكأس في يدها.

سألتها: «هل ذهبتِ إلى الطابق السادس عشر مرة ثانية؟».

قالت: «مرات كثيرة. ما زال جزءاً من مكان عملي. أذهب إلى هناك حينما يتعين عليّ ذلك أحببت ذلك أم لا. غير أني أذهب أثناء النهار فقط. لا أذهب إلى هناك أبداً في الليل مهما كان. لم أرغب

أبداً في المرور بمثل ذلك مرة ثانية. ولذا لا أعمل في مناوبة الليل. بل حتى أخبرت رئيسي بذلك».

– ولم تذكري ما حدث لأحد أبداً؟

هزت رأسها فوراً. «كما قلت لك، هذه هي المرة الأولى. لم يكن أحد ليصدقني على أية حال. أخبرتك بذلك لأني ظننت أنك ربما لديك تفسير لحكاية الطابق السادس عشر».

– أنا؟

حدقتْ فيّ بشكل عام. «حسناً، على الأقل أنت تعرف شيئاً عن فندق الدولفين القديم وكنت تريد أن تسمع ماذا حدث له. لم يكن أمامي ألا أن يحدوني الأمل في أنك ربما تعرف شيئا حول ما مررت به».

قلت بعد برهة: «لا. معذرة. لست متخصّصاً في الفندق. فندق الدولفين القديم كان مكاناً صغيراً ولم يكن مشهوراً جداً. كان مجرد فندق عادي».

بالطبع لم أعتقد ولو للحظة أن فندق الدولفين كان مجرد فندق عادي، ولكني لم أشأ فتح علبة الديدان هذه.

– ولكنك هذا اليوم حينما سألتك عن فندق الدولفين القديم قلت إنها قصة طويلة. ماذا عنيت بذلك؟

قلت: «هذا أمر شخصي. إذا بدأت فيه سيأخذنا لمواضيع أخرى. على أي حال لا أعتقد أن ذلك له أي صلة بما قصصتِ عليّ الآن».

بدت عليها علامات الإحباط. ومدت شفتها السفلى وهي تحدق في يديها.

قلت: «معذرة لعدم تمكني من مساعدتك خصوصاً بعد كل ما تجشمتِ من أجل أن تخبريني بهذا».

– لا عليك. هذا ليس خطأك. ما زلت أشعر بسرور لأني استطعت أن أخبرك بما حدث. حينما تحتفظ بكل هذه الأشياء لنفسك، فإنها تبدأ بالتمكّن منك.

– «نعم يجب أن تُخرجي هذه الضغوط. إن لم تفعلي فإنها تتراكم داخل رأسك». ثم رسمت بالونة منفوخة جداً بذراعيّ.

أومأتْ بصمت وهي تعبث بخاتمها مرة أخرى، تخلعه من إصبعها ثم تعيده.

وقالت بصوت خافت دون أن ترفع عينيها عن أصابعها: «قل لي، هل تصدق قصتي هذه؟ بخصوص الطابق السادس عشر وكل ذلك؟».

قلت: «بالطبع أصدقها».

– حقاً؟ لكنه شيء غريب، ألا تعتقد ذلك؟

– ربما كان ذلك، ولكن الأشياء الغريبة تحدث. أعرف ذلك جيداً. لهذا أنا أصدقك. كل ذلك يلتقي في مكان ما على ما أظن.

أطرقتُ لدقيقة. «إذاً هل مررت بتجارب مشابهة؟».

– نعم، أظن أنني مررت.

سألتْ: «هل كانت مخيفة؟».

أجبت: «لا، لم تكن مثل تجربتك. لا، ما أعنيه هو أن الأشياء تتصل بشتى الطرق. معي . . .». ولكن لسبب لم أفهمه جفّت الكلمات في حلقي. كما لو أن شخصاً قد انتزع خط الهاتف من مكانه. رشفت رشفة من الويسكي وحاولت مرة ثانية. «آسف، لا أعرف كيف أعبّر عن ذلك. ولكن من المؤكد أنني رأيت نصيبي من الأشياء التي لا تصدق. ولذا فأنا مستعد تماماً لتصديق ما أخبرتني به. لا أعتقد أنك اختلقتِ القصة».

نظرتْ لأعلى وابتسمَتْ. كانت ابتسامة طبيعية وليست من حزمة الابتسامات المعلّبة. وقالت: «لا أعرف لماذا؟ ولكني شعرت بارتياح حينما تكلمت معك. في العادة أنا خجولة جداً. من الصعب عليّ حقاً أن أتحدث إلى الناس، ولكن معك الأمر مختلف».

ضحكتُ: «ربما ثمة شيء يجمعنا».

لم تعرف كيف ترد على تلك الملاحظة وفي النهاية لم تقل أي شي. بدلاً من ذلك تنهدت. ثم سألتني: «هل ترغب في تناول شيء من الطعام؟ فجأة شعرت بجوع شديد».

عرضتُ عليها أن أصحبها إلى مكان نتناول فيه وجبة كاملة، ولكنها قالت إن وجبة خفيفة ستكفي.

طلبنا بيتزا وواصلنا الكلام ونحن نأكل، حول العمل في الفندق، والحياة في سابورو، وعن نفسها. بعد المدرسة الثانوية التحقت بمدرسة فندقية لسنتين، ثم عملت في فندق بطوكيو على مدى سنتين حينما تقدمت لوظيفة في إعلان عن فندق الدولفين الجديد. كانت في الثالثة والعشرين. كان الانتقال إلى سابورو في مصلحتها، فوالداها كانا يديران باراً قريباً من أساهيكاوا التي تبعد 120 كيلومتراً عنها.

قالت: «إنه بار معروف إلى حد ما. كانا فيه منذ فترة طويلة».

سألتها: «إذاً بعد الانتهاء من عملك هنا هل ستتولين إدارة عمل الأسرة؟».

قالت وهي ترفع جسر نظارتها: «ليس بالضرورة. لم أصل بتفكيري إلى هذا الحد. إنني فقط أحب العمل الفندقي. حيث الأشخاص يأتون ويقيمون ثم يغادرون وكل ذلك. أشعر بالارتياح حينما أكون في خضم كل ذلك. إنه يريحني. على أي حال هذه هي البيئة التي نشأت فيها».

قلت: «إذاً هذا هو السبب».

- السبب في ماذا؟

- السبب في أنك وأنت واقفة في الاستقبال تبدين وكأنك روح الفندق.

ضحكت: «روح الفندق؟ يا له من شيء لطيف ما تقوله. ليتني حقاً أستطيع أن أكون مثلما تقول».

رددت على الابتسامة قائلاً: «أنا متأكد أنه يمكنك أن تكوني إذا كان ذلك هو ما تريدين».

أطرقت لفترة، ثم طلبت أن تسمع قصتي.

«ليست شائقة جداً». اعتذرت منها ولكنها ظلت على رغبتها في سماعها. لذا أعطيتها تقريراً مختصراً: «في الرابعة والثلاثين، مطلق، كاتب لموضوعات غريبة، قائد لسيارة سوبارو مستعملة. لا شيء جديداً».

لكنها ظلت على فضولها حول عملي. لذا أخبرتها عن مقابلاتي مع النجمات المغمورات، وعن مقالتي عن الفنادق في هاكوديت.

قالت مبتهجة: «يبدو أنه عمل ممتع».

- ممتع ليست هي الكلمة. الكتابة نفسها ليست بالأمر الكبير. أعني أنني أحب الكتابة. إنها حتى تساعدني على الاستجمام. ولكن المحتوى ما هو إلا صفر حقيقي. وفي حقيقة الأمر دون مغزى.

- ماذا تعني؟

- أعني أن تقومي على سبيل المثال بجولة على خمسة عشر مطعماً في يوم واحد وتأكلين من كل طبق قدراً صغيراً وتتركين الباقي كما هو. هل تظنين أن لذلك معنى؟

- ولكنك لا تستطيع أن تأكل كل شيء، أليس كذلك؟

- بالطبع لا يمكنني. وإلا سوف أقع ميتاً في ثلاثة أيام إن فعلت. وسيظن كل واحد أنني كنت أحمق. ولن أحصل على أي تعاطف كان.

قالت: « إذاً أي خيار كان أمامك؟».

- لست أدري. من خلال الطريقة التي أراها بها، هي أشبه بجرف الثلوج. تزيلينه لأن شخصاً ما لا بد أن يفعل ذلك، وليس لأنه ممتع.

أطرقت: «جرف الثلوج، هه؟».

قلت: «نعم. لعلك تعرفين الثلوج الثقافية».

شربنا كثيراً. لا أذكر مقدار ما شربناه، ولكن الساعة كانت تجاوزت الحادية عشرة حينما نظرت في ساعتها وقالت إن لديها نوبة عمل في الصباح الباكر. دفعتُ الحساب ثم خرجنا وسط الثلوج المتساقطة. عرضت عليها أن أوصلها بسيارة الأجرة التي ستقلني إلى مكان إقامتها الذي كان يبعد عشر دقائق. لم يكن الثلج كثيفاً ولكن الطريق كان زلقاً ومغطى بالثلج، أمسكت بذراعي بشدة ونحن نسير صوب موقف سيارات الأجرة. أعتقد أنها كانت ثملة إلى حد كبير.

سألتها ونحن نسير بشكل حذر: «هل تعرفين المقالة التي كشفت النقاب عن الطريقة التي شُيِّد بها الفندق؟ هل ما زلت تذكرين اسم المجلة؟ هل تذكرين متى نشرت المقالة؟».

قالت على الفور: «أنا متأكدة أنها كانت في الخريف الماضي. لم أر المقالة بنفسي. ولذا لا يمكنني أن أقول حقاً ماذا كان محتواها».

وقفنا لخمس دقائق وسط ندف الثلج المتطاير في انتظار سيارة، فيما كانت هي تتعلق بذراعي.

قالت: «منذ زمن لم أشعر بمثل ما أشعر به الآن من ارتياح».

لقد خامرني أنا أيضاً الشعور ذاته. ربما كان ثمة شيء مشترك يجمعنا معاً.

داخل السيارة لم نتحدث عن شيء بعينه. تحدثنا عن الثلج والصقيع، عن ساعات عملها، عن أشياء في طوكيو. وهو ما جعلني أتساءل ماذا سيحدث بعد ذلك. دفعة صغيرة وربما أمكنني النوم معها[6]. كان باستطاعتي أن أستشعر ذلك. بالطبع لم يكن بمقدوري الجزم بأنها ترغب في النوم معي. ولكني فهمت أنها لن تمانع في ذلك. يمكنني أن أرى ذلك في عينيها، في الطريقة التي تتنفس بها، في الطريقة التي كانت تتكلم بها، بل حتى في حركات يديها. وبالطبع كنت أعرف أنني لن أتمنع عن النوم معها. وربما لن تكون ثمة تعقيدات تحول دون ذلك أيضاً. بيد أنه وبطريقة ما خانني عزمي. ظلت فكرة جاذبيتها عالقة في ذهني. كانت تصغرني بعشر سنوات، غير مستقرة بعض الشيء. كانت قد شربت كثيراً حتى إنها لم تستطع أن تمشي بشكل مستقيم. سوف أكون أشبه بمن يدخل رهاناً بأوراق لعب تم التلاعب فيها. هذا ليس عدلاً.

ولكن إلى أي مدى هو سلطان الجاذبية على الجنس؟ إذا كانت الجاذبية هي ما تبحث عنه، فسوف تكون حياتك الجنسية مثيرة مثلما هو الطحلب حينما ينمو في حوض زجاجي.

---

(6) استخدم الراوي لفظة «ينام مع» للإشارة إلى المضاجعة وممارسة الجنس في جميع السياقات ولم يستخدم أي كلمة أخرى مرادفة لهذا المعنى، ربما جاز أن تترجم إلى يضاجع، لكني آثرت أن ألتزم بالأصل إذ إن العبارة يمكن أن تفهم بذات المعنى في اللغة العربية أيضاً ولا يمكن أن تنصرف إلى أي معنى آخر غير ممارسة الجنس والفعل المستخدم دائماً هو to sleep with. (المترجم)

صوت العقل.

ظل الجدال يحتدم في رأسي بينما كان السائق ينعطف نحو البناية الخرسانية البسيطة التي تضم شقتها، لكنها أنهت هذا الاحتدام بشكل واضح حينما قالت: «إني أعيش مع أختي الصغرى».

لم يعد ثمة داع أو رغبة في مزيد من التفكير حول الموضوع. شعرت بالفعل ببعض الراحة.

ولكنها وهي تغادر السيارة سألتني ما إذا كنت أرغب في مرافقتها حتى باب الشقة. «ربما لا يوجد ما يدعو للقلق»، قالت متأسفة، «ولكن من حين لآخر وفي الأوقات المتأخرة أجد رجلاً غريباً في الردهة». طلبت من السائق الانتظار لدقائق قليلة ثم صحبتها وذراعي في ذراعها وصعدنا معاً الطريق المغطى بالثلوج. صعدنا لمابقين من السلالم حتى وصلنا إلى باب شقتها رقم 306. فتحت حقيبتها اليدوية وراحت تبحث بيدها عن المفتاح، ثم ابتسمت ابتسامة مشوبة بالقلق وشكرتني لقضائها وقتاً لطيفاً معي.

طمأنتها قائلاً: «وأنا كذلك».

فتحت الباب ثم أعادت المفتاح إلى حقيبتها. سُمع صدى طرفي حقيبتها وهي تزمّهما. ثم رمقتني بنظرة مباشرة. في عينيها كنت أرى مسألة رياضية تستعصي على الحل. كانت مترددة ولم تكن تعرف بأي طريقة تريد أن تقول وداعاً. كان باستطاعتي أن أرى ذلك.

مستنداً بيدي إلى الحائط، انتظرت أن تصل إلى قرار، لكن ذلك بدا غير وشيك.

قلت: «تصبحين على خير. تحياتي إلى شقيقتك».

على مدى أربع أو خمس ثوانٍ زمت شفتيها، ثم همست قائلة: «ما قلته عن عيشي مع شقيقتي ليس صحيحاً. في الواقع إنني بمفردي».

قلت: «أعرف ذلك».

اعترى وجهها احمرار بطيء. «كيف عرفت؟».

- لا يمكنني أن أقول كيف، لكنني عرفت.

- إنك مستحيل، هل تعرف ذلك؟

كان السائق يتصفح جريدة رياضية حينما عدت إلى السيارة. بدت عليه علامات الدهشة حينما رآني مرة ثانية خلفه في السيارة أطلب منه أن يقلني إلى فندق الدولفين.

قال بابتسامة بلهاء: «هل حقاً ستعود؟ من ظاهر الأمور كنت متأكداً أنك سوف تدفع الأجرة وتدعني أذهب. هذا ما يحدث عادة».

- تراهن على ذلك.

- لو أنك مارست عملي هذا طوال المدة التي مارسته أنا فيها، لما خاب حدسك أبداً تقريباً.

قلت: «حينما تمارس هذا العمل طوال هذه المدة، فمن المحتمل أن يخيب حدسك بعض المرات. هذا هو قانون الاحتمالات».

أجاب وهو مرتبك بعض الشيء: «أظن ذلك. ولكن ما زال أمراً غريباً. هل هي صديقتك؟».

قلت: «ربما ذلك. ربما ذلك».

عدت إلى غرفتي، أخذت حماماً قبل الذهاب إلى الفراش. كان ذلك حينما بدأت أشعر بالندم على ما فعلت، أو بالأحرى على ما لم أفعل، ولكنني سرعان ما ذهبت في نوم عميق. فعادة لا تدوم نوبات الندم لدي طويلاً.

كان أول ما فعلته في الصباح هو أن اتصلت بقسم الاستقبال ومددت إقامتي لثلاثة أيام أخرى. لم يكن الوقت موسماً سياحياً، لذا فقد سرّهم ذلك.

بعد ذلك اشتريت صحيفة وتوجهت خارجاً إلى محل «دانكن دوناتس» وتناولت كعكتين مع كوبين كبيرين من القهوة. عادة ما يسأم المرء من إفطار الفندق بعد يوم واحد. إن دانكن دوناتس هو الحل الأمثل. فهو رخيص ويمكنك الحصول على أكثر من كوب قهوة.

ثم أخذت سيارة تاكسي وطلبت من السائق أن يقلني إلى أكبر مكتبة في سابورو. بحثت عن الأعداد السابقة من المجلة التي يفترض أن مقالة حول فندق الدولفين نشرت فيها ووجدتها في العدد الصادر في العشرين من أكتوبر. قمت بتصوير المقالة، وأخذتها معي إلى مقهى قريب لقراءتها.

كانت المقالة وعلى أقل تقدير مربكة. كان عليّ أن أقرأها مرات ومرات قبل أن أتمكن من فهم ما يدور. لقد حاول الصحافي بكل جهده أن يكتب موضوعاً مباشراً، ولكن جهده هذا لم يكن شيئاً أمام التعقيدات التي تخللت التفاصيل. لك أن تتحدث عما بين السطور والثنايا. يلزمك أن تجلس أمامها قبل استكشاف خلاصتها العامة. كان العنوان: «عمليات أرض سابورو: أيادٍ سوداء وراء التطوير العمراني». ومعها صورة جوية لفندق الدولفين الجديد الذي كان في حالة شبه مكتملة البناء.

كانت المقالة بشكل عام كما يلي: قامت أطراف معينة بشراء قطعة أرض كبيرة في أحد أحياء مدينة سابورو. على مدى عامين ظلت أسماء أصحاب قطعة الأرض يتم تداولها تحت السطح وبطرق خفية وملتوية. كانت أسعار الأراضي قد اشتعلت بلا سبب واضح. من دون أي شيء آخر يُعتمد عليه، بدأ الصحافي تحقيقه. كان ما عثر عليه من معلومات كما يلي: تم شراء الأراضي من قبل شركات متنوعة، كانت في معظمها شركات موجودة على الورق فقط. كانت الشركات مسجلة بشكل كامل، وتدفع الضرائب ولكن بلا مكاتب أو

موظفين. هذه الشركات الوهمية كانت مرتبطة مع شركات وهمية أخرى. بصرف النظر عمن يكونون، فإن تعاملهم مع ملكية الأرض كان أمراً بارعاً حقاً. قطعة أرض تم شراؤها بعشرين مليون ين ثم بيعت بستين مليوناً، والشيء اللاحق لذلك أن تعرف أنها بيعت مرة أخرى بمئتي مليون ين. إذا واصلت تعقب ممتلكات كل شركة من هذه الشركات الوهمية من خلال هذه المتاهة من الثروات المتشابكة، فسوف تجد أنها جميعها تنتهي في المكان نفسه: شركة B. INDUSTRIES «بي للصناعات» وهي لاعب يحظى ببعض الشهرة في عالم العقارات. الآن شركة بي للصناعات هي شركة حقيقية ولها مكاتب كبيرة وحديثة في حي أكازاكا في طوكيو. وحدث أن شركة B. INDUSTRIES وبشكل غير معروف على المستوى العام، كانت مرتبطة بشركة A. ENTERPRISE وهي اتحاد شركات ضخم يشمل خطوط سكك حديد وسلسلة فنادق وشركة إنتاج سينمائي وخدمات طعام ومتاجر كبرى، ومجلات... وكل شيء آخر بدءاً من وكالات الائتمان إلى شركات التأمين. وكانت A. ENTERPRISE ترتبط بعلاقات مباشرة مع بعض الدوائر السياسية وهو ما دفع الصحافي إلى متابعة هذا الخيط في تحقيقه أكثر.

وهذا يبين كيف اكتشف أمراً أكثر إثارة، وهو أن منطقة سابورو التي كانت شركة B. INDUSTRIES منهمكة ومهتمّة بالشراء فيها مخصصة لتنفيذ مشروعات ضخمة لإعادة التطوير. كانت الخطط قد تم وضعها بالفعل لبناء أنفاق ونقل المكاتب الحكومية إلى المنطقة. كان يفترض أن يأتي الجزء الأعظم من تمويل مشروعات البنية التحتية من الداخل. ويبدو أن الإدارات الحكومية على مستوى الدولة والبلدية والحي قد عملت معاً على عملية التخطيط وأقرت برنامجاً شاملاً لعملية التقسيم العمراني للمناطق والميزانية وحجم التطوير. ولكن

ما إن ترفع هذا الغطاء حتى يتضح لك أن كل متر مربع من مواقع إعادة التطوير قد تم الاستحواذ عليه بشكل ممنهج على مدى السنوات القليلة الماضية. ثمة شخص كان يسرب المعلومات إلى A. ENTERPRISE وفوق ذلك كان التسريب موجوداً حتى قبل أن تتم الصياغة النهائية لخطط إعادة التطوير. وهو ما يوحي أيضاً، ومن ناحية سياسية، أن الخطط النهائية كانت أمراً واقعاً ربما منذ البداية الأولى لكل خطّة.

ومن هنا دخل فندق الدولفين الصورة. لقد كان هو رأس الحربة في عملية الاستحواذ السرية على العقارات. ففندق الدولفين يمَثّل عقاراً فخماً من الطراز الأول. ومن ثم يمكن لشركة A. ENTERPRISE أن تنشئ مكاتب في هذه المعجزة المعمارية المشيدة من الكروم والمرمر كقاعدة محلية لأعمالها. كان المكان منارة وبرج مراقبة ورمزاً مشهوداً للتغيير، وكذلك، مركز استقطاب يمكنه أن يعيد توجيه تدفق الناس في الحي. كان كل شيء يسير حسب ما هو مرسوم له في الخطط شديدة التعقيد.

هذه هي الرأسمالية المتقدمة بالنسبة لك: اللاعب الذي يقوم بأقصى قدر من الاستثمار الرأسمالي يحصل على أقصى قدر من المعلومات الهامة وذلك لكي يجني أقصى قدر يشتهيه من الأرباح بأقصى كفاءة لرأس المال، من دون أن يطرف لأحد جفن. إنه مجرد جزء من كيفية توجيه رأس المال هذه الأيام. إنك تطلب أكبر عائد على رأس المال الذي وضعته. فالشخص الذي يقدم على شراء سيارة مستعملة يُعنى بأن يركل الإطارات ويفحص ما تحت الغطاء الأمامي، كذلك يُعنى اتحاد الشركات الذي يستثمر مئة مليار ين بأدق التفاصيل حول المكان الذي سيذهب إليه رأس المال، وعادة ما يقوم بقليل من التلاعبات. ليس هناك أي علاقة بين ذلك وبين النزاهة. في ظل وجود

هذا النوع من الأموال المتاحة من يمكنه أن يجلس صامتاً للتفكير في أمور تجريدية مثل تلك؟

بل إنهم أحياناً كانوا يرغمون الناس على البيع.

فمثلاً، إذا افترضنا أن شخصاً ما لا يريد أن يبيع. وليكن صاحب متجر أحذية عريق. هنا يخرج أولاد أفظاظ من مخابئهم. تحتفظ الشركات الكبرى بصلات معهم، ويمكنك المراهنة على أنهم يضعون كل الأشخاص بدءاً من السياسيين والروائيين ونجوم الغناء وحتى عصابات الياكوزا تحت نفوذهم. لذا فإنهم يكتفون بالاتصال بهؤلاء الأولاد الذين يأتون بسيوف الساموراي. ولا تتحمس الشرطة كثيراً لمواجهة أمور كهذه خصوصاً أنها تعرف أن الترتيبات قد تمت بالفعل في مستويات عليا. ليس ذلك فساداً حتى. تلك هي الكيفية التي يعمل بها النظام. ذلك هو الاستثمار الرأسمالي. لا شك أن هذا النوع من الأشياء ليس بجديد على العصر الحديث. إن كل ما حدث قبل ذلك ليس شيئاً مقارنة بالتفاصيل الدقيقة والقوة المحصنة وهشاشة الشبكة العنكبوتية لرأسمالية اليوم. إنها أجهزة الحواسيب العملاقة التي جعلت كل ذلك ممكناً، مع وجود قدراتهم على الإيذاء، كما على اجتذاب كل العوامل وكل الظروف على وجه الأرض للعمل لحساباتهم الصافية. لقد تفوقت الرأسمالية المتقدمة على نفسها. وليس من المبالغة في شيء أن تقول إن المعاملات المالية قد أصبحت عملياً نشاطاً دينياً. نوع جديد من التصوف. يعبد فيها الناس المال ويتعشقون في هالة النور التي على رأسه ويركعون أمام أسعار سيارات البورش وقطع الأراضي في طوكيو. يعبدون كل شيء ترمز إليه سيارات البورش اللامعة. إنها مادة الخرافة الوحيدة الباقية في العالم.

إنها رأسمالية آخر الأيام. شئت أم أبيت، إنها المجتمع الذي نعيش فيه. حتى معايير الصواب والخطأ تم تقسيمها وأصبحت أكثر

تعقيداً. داخل الخير يوجد خير مساير للعصر وآخر غير مساير للعصر والأمر نفسه بالنسبة للشر. وضمن الخير المساير للعصر هناك الرسمي وغير الرسمي، هناك الفضفاض وهناك المتحرر وهناك العصري، وهناك المتعالي. خليط من هذا وذاك. مثلما تلبس جاكيت ميسوني مشنولاً وحذاء بوليني أسود لامعاً. يمكنك الآن أن تستمتع بهجين من الأخلاقيات. إنه الطريق الذي يتجه صوبه العالم، فحتى الفلسفة أخذت تبدو أكثر وأكثر شبهاً بإدارة الأعمال.

على الرغم من أنني لم أكن اعتبرها كذلك وقتذاك، فإن الأشياء كانت أكثر بساطة في 1969. كل ما كان يتعين عليك عمله للتعبير عن نفسك هو أن ترشق شرطة مكافحة الشغب بالحجارة. ولكن مع تعقيدات هذه الأيام، من يمكنه أن يرشق الحجارة؟ من يمكنه أن يتحدى الغاز المسيل للدموع؟ لقد تم التلاعب بكل الأشياء، وأصبحت مرتبطة بالشبكة الهائلة لرأس المال، ومن وراء هذه الشبكة توجد شبكة أخرى. لا أحد يتجه لأي مكان. ارشق حجرا وسوف تجده يرتد مباشرة إليك.

كان الصحافي قد كرّس الكثير من جهده لاقتفاء أثر الخيط في مقالته. لكن وعلى الرغم من غضبه أو بالأحرى بسبب غضبه، افتقرت المقالة بشكل يثير التساؤل إلى الفاعلية. لم تكن صرخته صرخة حاشدة. يبدو أنه فقط لم يكن مدركاً أن شيئاً من كل ذلك هو موضع اتهام. كانت حالة طبيعية. طبيعية نظام اليوم والمعرفة العامة. وهذا هو السبب في أن أحداً لم يكن يبالي. إذا استطاعت المصالح الرأسمالية الضخمة الحصول على المعلومات بشكل غير قانوني واستحوذت على الممتلكات واستصدرت عدداً من القرارات السياسية، ثم حصلت على الصفقة بجعل عصابات الياكوزا تنتزع متجراً صغيراً للأحذية تحت التهديد هنا، أو ربما ضرب صاحب فندق صغير هناك،

فما الضير في ذلك؟ تلك هي الحياة يا صديقي. إن رمال الزمن تظل تجري من تحت أقدامنا. لم نعد نقف حيث كنا نقف قبل ذلك.

لقد بذل الصحافي كل ما بوسعه. كانت المقالة جيدة من الناحية البحثية، وزاخرة بالسخط المحق، ولكنها كانت بشكل ميؤوس منه غير مسايرة.

طويتها، ووضعتها في جيبي، ثم شربت كوباً آخر من القهوة.

خطر ببالي صاحب فندق الدولفين القديم. ذلك الشخص العاثر الحظ الذي ظل الانهزام جاثماً عليه منذ ميلاده. كان من المستحيل عليه أن يساير هذا الزمن وهذا العصر.

«إنه غير مساير للعصر»، قلت بصوت عال.

رمقتني إحدى النادلات بنظرة منزعجة.

أخذتُ سيارة أجرة وعدت إلى الفندق.

(8)

من غرفتي اتصلت بشريكي السابق في طوكيو. كان على الطرف الآخر من الهاتف شخص لم أكن أعرفه سألني عن اسمي، قبل أن يحيلني لشخص آخر سألني عن اسمي هو الآخر، وأخيراً جاءني شريكي السابق على الهاتف. بدا مشغولاً. كان قد مر قرابة العام على آخر مرة تحدثنا فيها. ليس لأنني كنت أتحاشاه عن قصد، وإنما ببساطة لأنه لم يكن لدي ما أتكلم معه بشأنه. كنت دائماً أحبه وما زلت. ولكن في واقع الأمر كان شريكي السابق بالنسبة لي (كما كنت بالنسبة له) «أرضاً منسية». مرة ثانية، هذا لا يعني أن كلاً منا قد دفع بالآخر إلى ذلك الموقع. فقط كل منا سلك مساراً منفصلا ويبدو أن المسارين لم يتقاطعا، لا أكثر ولا أقل.

سألته: كيف حالك؟

قال: جيد بما يكفي

أخبرته أنني في سابورو. سألني إن كان الجو باردا هناك.

أجبت: نعم إنه بارد.

كان سؤالي التالي: كيف يسير العمل؟

أجاب بكلمة واحدة: مشغول.

حان دوره للسؤال: هل تثلج هناك؟

أبقيت الكرة في الهواء: ليس الآن.

كنا على وشك الانتهاء من هذا الحوار المهذب والمتسارع.

- «اسمع»، قلت مغيّراً مجرى الحوار «هناك معروف أرجوه منك». كنت قد أسديته معروفاً قبل وقت طويل. أنا وهو كنا نذكره. وإلا فإنني لست من هؤلاء الذين يطلبون المساعدة من الناس.

- «بالتأكيد»، قال بدون أي رسميات.

سألته: «هل تذكر حينما عملنا معاً على النشرة الصحفية الخاصة بالسلسلة الفندقية؟ ربما قبل خمس سنوات مضت؟».

- نعم أذكر ذلك.

- قل لي هل ما زلت تحتفظ بأي اتصالات حية هناك؟

أطرق لبرهة. «لا يمكنني القول إنها تتحرك. ولكنها حية ما دامت هناك حياة. ليس من المستحيل تدفئتها إذا لزم الأمر».

- هناك فتى كان يعرف الكثير عما يدور في الصناعة. لا يحضرني اسمه. كان شاباً نحيفاً ويرتدي دائماً قبعة غريبة. هل تعتقد أن بإمكانك الاتصال به؟

- أعتقد ذلك. ما الذي تريد أن تعرفه؟

قدمت له تقريراً موجزاً عن التحقيق الصحفي الذي كشف بعض الحقائق عن الدولفين. دَوّن تاريخ نشر الموضوع. ثم أخبرته عن فندق الدولفين القديم الصغير الذي كان هنا قبل الظهور المتوحش للدولفين الحالي وقلت له أود أن أعرف المزيد عن الأشياء التالية: أولاً، لماذا احتفظ الفندق الجديد باسم الفندق القديم؟ ثانياً، ماذا كان مصير صاحب الفندق القديم؟ وأخيراً، هل هناك أي تطورات جديدة طفت على سطح الفضيحة؟

دوَّنَ كل ما قلت ثم أعاد قراءته عليّ عبر الهاتف.

- هل هذا هو كل شيء؟

قلت: «هذا يكفي».

- سوف أرى ماذا يمكنني فعله اليوم. ما هو رقمك هناك؟

أعطيته رقمي.

- «سأتحدث معك لاحقاً». قال ووضع السماعة.

تناولت غداء خفيفاً في مقهى في الفندق. ثم ذهبت إلى البهو ورأيت الفتاة ذات النظارة خلف مكتب الاستقبال. انتحيت جانباً في مقعد بأحد أركان البهو وأنا أرقبها. كانت منهمكة في عملها وبدا أنها لم تنتبه لوجودي. أو ربما انتبهت ولكنها تحاول أن تبدو طبيعية. لم يكن يعنيني ذلك بحسب ما أظن. أحببت رؤيتها هناك. وقلت في نفسي: كان بإمكاني أن أنام معها لو أردتُ.

هناك أوقات أجدني بحاجة إلى الحديث مع نفسي بهذا الشكل.

بعدما تشبعتُ من رؤيتها، أخذت المصعد وعدت إلى غرفتي وقرأت كتاباً. كانت السماء في الخارج ملبدة بالغيوم وهو ما جعلني أشعر كما لو كنت أعيش فوق مسرح ضعيف الإضاءة. لم أكن أعرف متى سوف يعاود شريكي السابق الاتصال ولذلك لم أشأ الخروج وهو الأمر الذي لم يترك لي غير القليل لفعله: القراءة. انتهيت من كتاب جاك لندن ومن ثم بدأت بكتاب «الحرب الأهلية الأسبانية».

كان يوماً أشبه بفيديو بطيء الحركة في وقت الغسق. يوم عادي. راح لون السماء الرمادي يختلط بالأسود في بطء حتى تماهى مع الليل أخيراً. مجرد ملمح آخر من ملامح الاكتئاب. كما لو أنه لا يوجد غير لونين في العالم الرمادي والأسود يتقدمان ويتراجعان فيما بينهما بشكل منتظم.

اتصلت بخدمة الغرف وطلبت ساندويتشاً تناولته وأنا أحتسي كوباً من البيرة. حينما لا يكون لديك ما تفعله، فإنك لا تفعل شيئاً بانتباه. في السابعة والنصف اتصل شريكي السابق.

قال: «لقد عثرت على الفتى».

- هل واجهت الكثير من الصعاب؟

- «بعضاً منها». قال بعد توقف قصير كشف أن الصعوبات كانت جمة. «دعني أستعرض كل شيء معك. أظن أنه يمكنك القول إن الغطاء كان مغلقاً على هذه وبإحكام شديد. بل ليس مغلقاً فقط. إنما كان مسمّراً بالمسامير ومحفوظاً بعيداً في قبو مغلق. لم يكن متاحاً لأحد الوصول إليها. إنها «قضية تم إغلاقها». ليس ثمة ما يمكن النبش فيه على الإطلاق. يبدو أنه كانت هناك بعض المخالفات الصغيرة في بعض الإدارات الحكومية أو البلدية. لا شيء ذا أهمية، مجرّد تغييرات طفيفة كما يقولون. لا أحد يعرف أكثر من ذلك. مكتب المدعي العام تحرّى الأمر لكنه لم يصل إلى أي شيء يجرّم أحداً. الكثير من الخيوط تجري خلال هذه العملية. مادة تثير الشهية. كان من الصعب أن تستخرج أي شيء من أي شخص».

- اهتمامي بالموضوع هو اهتمام شخصي. لن أسبب متاعب لأي أحد.

- هذا هو ما قلته بالضبط للفتى.

ممسكاً بالسماعة مددت ذراعي إلى الثلاجة وأخرجت قنينة أخرى من البيرة وصببت منها في كوب.

قال لي شريكي السابق: «على الرغم من أنني سوف أبدو مثل والدتك، فإن لدي كلمات قليلة أرجو أن تعيها: إذا كنت ستتحرى الأمر، فستلحق بنفسك الأذى. هذا الأمر على ما يبدو كبير، كبير

جداً. لست أدري ماذا وجدتَ هناك، لكن لو كنت مكانك لما ذهبتُ بعيداً فيه. فكر في سنك ومكانتك، ينبغي عليك أن تعيش ما بقي لك من حياة في جو أكثر سلماً. لكن ليس معنى ذلك أنني النموذج الأمثل».

قلت: «إذاً تعترف».

سعل، فيما رشفت رشفة من البيرة.

– بخصوص صاحب فندق الدولفين القديم، يبدو أن الرجل لم يذعن حتى آخر لحظة وهو ما جلب عليه الكثير من الأسى. كان ينبغي أن يخرج من ذلك، لكن ببساطة لم يقبل أن يخرج. لم يستطع أن يقرأ الصورة الكبرى.

قلت: «كان من هؤلاء الأشخاص شديدي التصلُّب».

– تعرض للعواقب السيئة للمشروع. مجموعة من عصابات الياكوزا انتقلت إلى الفندق وعاشت يوماً رياضياً فيه. ليس هناك أسوأ من أن تخالف القانون. عقدوا محكمة في البهو وكانوا يتحدّون كل شخص يمشي بالمكان. هل فهمت قصدي؟ وما زال الرجل يغط في نوم عميق.

قلت: «يمكنني تفهّم ذلك». كان صاحب فندق الدولفين ممن ذاقوا البؤس بكل ألوانه. لذا لم تكن هذه المحنة الضئيلة لتقضّ مضجعه.

– وفي النهاية خرج الدولفين بأغرب عرض ممكن. أخبرهم الرجل بأنه سوف يحزم أمتعته بشرط واحد. ولعلك تعرف أي شرط كان؟

قلت: «ليس لديّ دليل».

– خمن. . . ففي هذا الإجابة عن أسئلتك الأخرى.

قلت: «بشرط أن يُبقوا على اسم فندق الدولفين. هل هو ذلك؟».

قال: «نعم! تلك كانت الشروط وذلك هو ما وافق عليه المشترون».

– ولكن، لماذا؟

– إنه ليس اسماً سيئاً. فندق الدولفين اسم جيد بما يكفي.

قلت: «حسناً. أظن ذلك».

– الأكثر من ذلك أن هذا الفندق كان من المفترض أن يكون الفندق الرئيسي في سلسلة جديدة من الفنادق التي كانت تخطط لها A. ENTERPRISE. فنادق فخمة، وليست من نوعية الدرجة المتوسطة التي اعتادوا عليها. ولم يكن لديهم بعد اسم للسلسلة.

– ومن هنا! كانت سلسلة فنادق الدولفين.

– حسناً. سلسلة تنافس سلسلة فنادق الهيلتون وحياة العالميتين.

كررت الاسم مرة ثانية: «سلسلة فنادق الدولفين».

تراث تمّ وأده وحلم تمّ فتحه. «إذاً ماذا حدث لصاحب فندق الدولفين القديم؟».

– من يدري؟

رشفت رشفة أخرى من البيرة وحككت أذني بطرف قلمي.

– حينما غادر أعطوه مبلغاً جيداً من المال يمكنه أن يفعل به أي شيء. ولكن ليس ثمة سبيل لتعقّب أثره. كان مجرد لاعب صغير ومر مروراً.

– أظن ذلك.

قال شريكي السابق: «هذا كل ما استطعت أن اكتشفه. لا شيء أكثر من ذلك. هل ذلك يكفيك؟».

قلت: «شكراً. لقد أسديت لي مساعدة كبيرة».

نظف حنجرته.

سألت: «هل دفعت مالاً في سبيل ذلك؟».

قال: «لا. سوف أشتري للفتى عشاء ثم أصطحبه إلى أحد نوادي حي جينزا ثم أدفع له أجرة السيارة التي ستقله إلى منزله. هذا ليس كثيراً، لذا انس الأمر. يمكنني وضعها في حساب المصروفات على أي حال. كل شيء يمكن حسمه بهذه الطريقة. دائما ما يطلب مني محاسبي أن أنفق أكثر. لذا لا تقلق بشأن ذلك. إذا ما ساورتك الرغبة في أي وقت للذهاب إلى ناد في حي جينزا فأخبرني بذلك. سوف أتكفل بكل شيء. وتذكر أنك لم تذهب مسبقاً إلى أي من تلك الأماكن».

– ولكن ما الجاذبية في نادي جينزا؟

قال: «شراب وفتيات. كلمات لطيفة من محاسب الضرائب لدي».

– لماذا لا تذهب معه؟

قال وهو يبدو سئماً للغاية: «لقد فعلت، لم يكن ذلك منذ مدة طويلة».

ودّع كل منا الآخر ووضعنا السماعات.

رحت أفكر في شريكي السابق. كان في عمري نفسه ولكن كان ينمو له كرش. تجد كل أنواع الأدوية في مكتبه. كان متخوفاً بالفعل بشأن من فاز بالانتخابات. قلقاً على تعليم أطفاله. دائم الشجار مع زوجته، ولكنه كان رب أسرة حقيقياً. بالتأكيد كانت لديه نقاط ضعف، فكان معروفاً بنهمه الكبير للشراب ولكنه مع ذلك كان يجتهد

في عمله، كما أنه من هؤلاء الأشخاص المستقيمين بكل ما تعني الكلمة.

بدأ تعاوننا مباشرة بعد الكلية وسار ذلك بشكل جيد. أسسنا مكتباً صغيراً للترجمة لكنه كبر بشكل تدريجي. لم يكن كل منا الصديق الحميم للآخر. لكن كوّنا شراكة جيدة بما يكفي. كنا نلتقي كل يوم. لم يحدث أبداً أن نشب بيننا شجار. كان هادئاً ومهذباً وأنا لم أكن من هؤلاء الذين يهوون المشاحنات. كنا نختلف أحياناً، ومع ذلك تمكنا من مواصلة العمل معاً على أساس الاحترام المتبادل. ولكن حينما وقع ما لم يكن بالحسبان، انفصلنا، ربما في الوقت المناسب أيضاً. لكنه بدأ العمل مرة ثانية. وأدار الإنفاق والمصروفات بشكل ربما أفضل مما كان عليه الأمر حينما كنا معاً. توسعت الشركة ووظف طاقم عمل جديداً تماماً. حتى على المستوى النفسي بدا أنه أصبح أكثر استقراراً.

والأمر الأكثر احتمالاً أنني كنت سبب المشاكل. وربما كان لي تأثير غير صحي عليه. وهو ما يعين على تفسير التحسّن الذي طرأ على أوضاعه بعد أن تركته. كان يتودد إلى موظفيه ويطريهم للحصول على أفضل ما لديهم، ويلقي النكات السخيفة مع المرأة التي تمسك بالدفاتر، ويصحب عملاءه طائعاً إلى نوادي الجينزا مهما ثقل ذلك على نفسه. ولو أنني ظللت معه، فلربما كان ذلك سبباً في جعله أكثر توتراً بشكل لا يمكّنه من القيام بذلك. كان دائماً يحسب حساباً لرأيي فيه، وقلقاً بشأن ما سأقول. إنه من هذه النوعية من الأشخاص. وعلى الرغم من كل ذلك فإنني لم أكن في الحقيقة أعير ما يقوم به اهتماماً كبيراً.

حسناً إنه الآن مسؤول عن نفسه في كل شيء.

ولذلك حينما تركته، لم يكن خائفاً من التصرف بشكل ناضج.

في التاسعة صباحاً رن جرس الهاتف. لم أكن أنتظر أي مكالمات. لم يكن أحد سوى شريكي السابق يعرف أنني هنا. لذا لم أستوعب صوت الجرس في البداية. لم أرفع السماعة إلا بعد أربع رنات.

- كنت ترقبني اليوم وأنا في بهو الفندق، أليس كذلك؟ جاء صوت صديقتي موظفة الاستقبال. لم يبد أنها غاضبة، ولكنها لم تكن سعيدة تماماً أيضاً. كان صوتها خالياً من أي غموض.

أجبت: «نعم كنت أرقبك».

ساد صمت

- لا أحب أن يرقبني الناس وأنا في عملي. إن ذلك يثير أعصابي ويجعلني أرتكب الأخطاء. شعرت بأن عينيك كانتا مسلّطتين عليّ طوال الوقت.

قلت: «آسف. لن أحدق فيكِ مرة ثانية. كنت أرقبك فقط لمنح نفسي الثقة. لم أكن أظن أن ذلك سوف يوتّرك إلى هذا الحد. من الآن فصاعداً سأكون أكثر حرصاً. من أين تتصلين؟».

أجابت: «من المنزل. إنني على وشك أن آخذ حماماً قبل أن أذهب إلى الفراش. لقد مددت إقامتك، أليس كذلك؟»..

- آه، لقد تم إرجاء مهمتي العملية قليلاً من الوقت،.

ساد صمت قصير مرة ثانية.

سألتْ: «هل تعتقد أن توتري كان مبالغاً فيه؟».

قلت: «لا أعرف. إنه أمر يختلف من شخص لآخر. ولكن على أي حال أعدك ألا أحدّق مرة ثانية. لا أريد أن أخرّب عليكِ عملك».

أطرقت لبرهة ، ثم تمنى كل منا للآخر نوماً هانئاً.

وضعتُ السماعة، وأخذت حماماً وتمددت على أريكة ورحت

أقرأ حتى الحادية عشرة والنصف. ثم ارتديت ملابسي وخرجت إلى الردهة. وأخذت أمشي جيئة وذهاباً. كانت الرّدهة أشبه بمتاهة. في الطرف القصي منها كان يوجد مصعد موظفي الفندق، كان محجوباً بعض الشيء عن الرؤية، بجوار سلم الطوارئ. إذا تتبعت لوحات الإشارات إلى أرقام غرف النزلاء فسوف تصل إلى مصعد مكتوب عليه «للأمتعة فقط». وقفت أمامه ولاحظت أنه متوقف في الطابق الأرضي. يبدو أن لا أحد يستعمله. كانت تنبعث من سماعات السقف مقاطع موسيقية لأغنية «لاف إز بلو» "Love Is Blue" الشهيرة للموسيقار الفرنسي بول موريات.

ضغطتُ الزر. تحرك المصعد وبدأ في الصعود. كانت الشاشة تسجّل الطوابق - 1، 2، 3، 4، 5، 6 - ببطء ولكنها كانت تتقدم بثبات على إيقاع الموسيقى. إذا تبين أن شخصاً ما داخل المصعد يمكنني أن أدّعي عدم المعرفة. إنه خطأ يقع فيه النزلاء طوال الوقت. 11، 12، 13 ويصعد بثبات. تراجعت خطوة للخلف ودسست يديّ في جيبيّ وانتظرت الباب حتى يفتح.

15- توقف العد. كانت هناك لحظة توقف ولم يصدر أي صوت، ثم انفتح الباب. كان المصعد خالياً.

صمت مطبق في المكان. فارق شاسع بينه وبين الضجيج والصفير الغريب في الفندق القديم. دلفت إلى داخل المصعد وضغطت على الرقم 16. انغلق الباب دون أي صوت مرة ثانية، شعرت بحركة خفيفة قبل أن ينفتح الباب. الطابق السادس عشر. كان ساطعاً ومضاء بشكل كامل، وما زالت الموسيقى تتدفق "Love Is Blue" من السقف. لا ظلام ولا روائح عفنة. قطعت الطابق مشياً من بدايته حتى نهايته. تبين أن له تصميم الطابق الخامس عشر نفسه. الردهات الملتوية نفسها. الترتيب اللامتناهي نفسه لغرف النزلاء،

الفجوة نفسها الخاصة بثلاجات بيع المشروبات، المصاعد الخاصة بالنزلاء نفسها.

كان السجاد أحمر داكناً، ذا وبر كثيف وناعم. لا يمكنك حتى أن تسمع وقع خطواتك. في الواقع كان كل شيء في حالة من الصمت الرهيب. لم يكن هناك سوى معزوفة "A Summer Place" ربما لبيرسي فيث. بعد أن وصلت للنهاية استدرت للخلف ومشيت حتى منتصف الردهة إلى حيث مصاعد النزلاء ونزلت إلى الطابق الخامس عشر. ثم كررت الخطوات نفسها مرة ثانية. مصعد الموظفين إلى الطابق السادس عشر حيث كان كما كان من قبل، طبيعي بشكل تام وجيد الإضاءة. وما زالت "A Summer Place" تسمع.

توقفت عن ذلك، وذهبت إلى الطابق الخامس عشر مرة أخرى واحتسيت رشفتين من البراندي وأويت إلى الفراش.

عند الفجر، تحوّل الأسود مرة أخرى إلى الرمادي. كانت الثلوج تتساقط. وفكرت، ماذا يمكنني أن أفعل اليوم؟

كالعادة لم يكن ثمة ما يمكنني عمله.

مشيت تحت الثلج إلى دانكن دوناتس وأنا أمضغ بعض الكعك. وتصفحت جريدة الصباح وأنا أحتسي قهوتي. قرأت مقالة حول الانتخابات المحلية قراءة سريعة. مررت خلال قوائم الأفلام السينمائية. لم يكن بها شيء أرغب في مشاهدته، ولكن كان ثمة فيلم واحد يشارك فيه أحد زملائي السابقين في المدرسة الثانوية. فيلم عن القلق النفسي لدى المراهقين، اسمه: «حب من طرف واحد» بين ممثلة شابة واعدة ومطرب شاب واعد. يمكنني أن أخمّن نوعية الدور الذي سيلعبه زميل دراستي الثانوية: مدرِّس شاب وسيم وذكي، طويل ورشيق ورياضي، الفتيات يذبن أمامه. بالطبع كانت الفتاة البطلة قد وقعت في غرامه. لذا فهي تمضي الأحد في إعداد الكعك ثم تأخذه

إليه في شقته. ولكن كان هناك فتى آخر يهتمّ بأمرها ويسعى إليها. فتى متوسط، خجول إلى حد ما، . . . نمطي. يمكنني أن أحكي الفيلم دون مشاهدته.

حينما أصبح زميل دراستي ممثلاً، ذهبت لمشاهدة أفلامه الأولى القليلة، مدفوعاً إلى حدّ ما بالفضول. ولكن سرعان ما لم أعد أهتم بالأمر. فكل فيلم هو استنباط تام من القالب نفسه، وكل دور لعبه كان هو الدور نفسه: طويل، وسيم، رياضي، نظيف، غالباً يكون طالباً في البداية ثم يصبح لاحقاً مدرساً أو طبيباً أو رجل أعمال شاباً من الصفوة، تعشقه جميع الفتيات اللائي تُحِطْنَ به. كانت له أسنان منمقة وابتسامة ساحرة. دمث الأخلاق. ومع ذلك فإن أفلامه ليست بالقيمة التي تجعلك ترغب في دفع النقود لمشاهدتها. والآن لست ذلك المتكبر الذي يذهب فقط لمشاهدة أفلام فيلليني أو تاركوفسكي. لست ذلك على الإطلاق. ولكن أفلام هذا الرجل كانت هي الأسوأ. إنتاج منخفض الميزانية، يقوم على قصص مكررة وحوار متواضع، أفلام يمكنك القول إن المخرجين أنفسهم لم يهتموا بها.

وعلى الرغم من أن زميلي في حياته الواقعية كان يشبه كثيراً الأدوار التي لعبها فإنه كان لطيفاً بما فيه الكفاية ولكن من كان يعرف بالفعل أي شيء عنه؟ كنا في الفصل الدراسي نفسه خلال الصف الأول من المدرسة الثانوية وذات مرة اشتركنا في الطاولة نفسها في المعمل أثناء إحدى التجارب العلمية. كنا صديقين. ولكن حتى في ذلك الوقت كان لطيفاً لدرجة تجعله غير واقعي - تماماً مثلما هو في أفلامه. كانت الفتيات بالفعل يقَعْنَ في حبه. فإذا تكلم معهن كانت أعينهن تغرورق. وإذا أشعل أنبوبة اللهب في المعمل بيديه الرقيقتين، كان كما لو أنه حفل افتتاح الألعاب الأولمبية. لكن أياً من الفتيات لم تكن تلحظ أنني موجود.

كانت علاماته الدراسية جيدة أيضاً، دائماً يأتي في المركز الأول أو الثاني في الفصل. لطيف، مخلص وودود. لم يكن يهم نوع الملابس التي يرتديها، فهو يبدو دائماً أنيقاً ونظيفاً. بل حتى حينما كان يتبول كان ثمة شيء أنيق يحيط به. بالكاد يمكن أن يبدو رجلاً أنيقا وهو يتبول. بالطبع كان جيداً في الرياضات وناشطاً في المدرسة. كانت تدور شائعات حول علاقة بينه وبين أشهر الفتيات في الفصل، ولكن أحداً لم يتأكد من ذلك. كل المدرسين كانوا يعتبرونه عظيما، وفي يوم اجتماع أولياء الأمور كانت جميع الأمهات يفتتن به أيضاً. كان تماماً ذلك النوع. رغم ذلك، وكما قلت، كان أمراً صعباً أن تعرف كيف كان يفكر هذا الشخص.

حياته كانت تقريباً مستقاة من الأفلام السينمائية.

ما الذي يجعلني أدفع نقودي للذهاب لمشاهدة فيلم كهذا؟

ألقيت بالصحيفة في سلة القمامة وعدت إلى الفندق تحت الثلوج. حينما دخلت إلى بهو الفندق تطلعت نحو مكتب الاستقبال لكن صديقتي لم تكن هناك. توجهت إلى زاوية ألعاب الفيديو ولعبت دورتين من لعبة باكمان وجالاكسي. أرهقت أعصابي. ألعاب مثل تلك تستخرج العدوانية من داخل الأشخاص. ولكنها تقتل الوقت.

بعد ذلك عدت إلى غرفتي ورحت أقرأ.

كان يوماً يستحيل أن تفهمه. حينما سئمت من القراءة، رحت أنظر من النافذة إلى الثلوج. ظلت تثلج طوال اليوم. وجدته أمراً يثير فيّ الإلهام أن تظل السماء تثلج بهذا الشكل. في الثانية عشرة نزلت إلى المقهى للغداء. ثم عدت إلى غرفتي ورحت أقرأ وأتأمل الثلوج.

ولكن مع ذلك، لم يكن هذا اليوم كله خسارة. في الساعة الرابعة وفيما كنت ممدداً على السرير وأنا أقرأ سمعت طرقة على الباب. كانت صديقتي موظفة الاستقبال تقف هناك بنظارتها وسترتها

فاتحة الزرقة. لم تنتظر حتى أفتح الباب بشكل أوسع، إذ انسلت داخل الغرفة مثل شبح وأوصدت الباب.

قالت بسرعة: «إذا اكتشفوا وجودي هنا فسيتم فصلي. إنها سياسة الفندق».

جالت بناظريها في الغرفة ثم جلست على الأريكة، وهي تشد طرف تنورتها نحو ركبتيها، ثم تنهدت تنهيدة. وقالت: «إنه وقت استراحتي الآن».

سألتها: «سأحتسي بعضاً من البيرة الآن، هل ترغبين في شرب شيء؟».

- لا. شكراً. ليس لديّ كثير من الوقت. لقد أغلقت على نفسك الباب طوال النهار، أليس كذلك؟

قلت: «لم يكن لدي شيء معيّن أعمله. إنني فقط أضيّع الساعات بالقراءة ومشاهدة الثلوج».

- ما هذا الكتاب؟

- إنه حول الحرب الأهلية الأسبانية. تاريخها بالكامل من بدايته حتى النهاية. مليء بالغمز واللمز. لا شك أن الحرب الأهلية الأسبانية كانت زاخرة بالإيحاءات التاريخية.

قاطعتني: «اسمع، لا تفهم ذلك خطأ».

سألت: «ما هو الذي لا أفهمه خطأ؟».

ساد صمتٌ للحظات.

سألتها: «هل تعنين مجيئك لغرفتي؟».

- آه. نعم.

جلستُ على حافة السرير والبيرة في يدي. «لا داعي للقلق. لا أنكر أني دهشت لرؤيتك تقفين على باب غرفتي. لكنها الدهشة السارة. إنني مبتهج بمثل هذه الصحبة. لقد كان يومي مملاً للغاية».

وقفت وفي وسط الغرفة. خلعت سترتها وعلقتها بعناية على ظهر كرسي حتى لا تتجعد. ثم مشت باتجاهي عند حافة السرير وجلست. ساقاها كانتا متوازيتين بتناسق. من دون السترة بدت عزلاء وغير محصّنة. طوقتها بذراعي فيما أراحت هي رأسها على كتفي. كان قميصها قد تم كيه بعناية وتنبعث منه رائحة عطرة. مكثنا على هذه الوضعية خمس دقائق. أنا أطوقها بذراعي فحسب، وهي تجلس هناك مسندة رأسها على كتفي، مغمضة عينيها، تتنفس ببطء، تقريباً كما لو كانت نائمة. في الخارج واصلت الثلوج تساقطها، دون نهاية، تبتلع كل صوت.

كانت متعبة. كانت تحتاج إلى شجرة تنام عليها، وكنت أنا أقرب غصن لها. أدركت الأمر. بدا من غير المعقول ومن غير العدل أن امرأة في شبابها وجمالها الغضّ يجب أن تكون مرهقة إلى هذا الحد. بالطبع لم يكن الأمر غير معقول أو غير عادل. فالإرهاق لا يأبه لسن أو جمال. مثل الأمطار والزلازل والبرد والفيضانات.

رفعت رأسها عن كتفي، ووقفت منتصبة، ولبست سترتها. مشت باتجاه الأريكة وجلست وراحت تداعب خاتماً في إصبعها الصغير. حينما ارتدت زي الفندق بدت صارمة ومتحفظة.

ظللت جالساً على حافة السرير.

بدأتُ: «هل تذكرين تلك التجربة العجيبة التي مررتِ بها في الطابق السادس عشر. هل فعلتِ أي شيء معين أو هل كان ثمة شيء خارج عن المألوف؟ مثلاً قبل أن تدخلي المصعد، أو أثناء صعودك فيه؟».

رفعت رأسها مستغربة. «دعني أتذكر. لا، لا أظن ذلك. ولكنني لا أستطيع حقاً أن أتذكر».

- ألم يكن ثمة إيحاء بأي شيء غريب؟

هزت كتفيها وقالت: «كل شيء كان كما هو. لم يكن ثمة شيء مستغرب على الإطلاق. وفعلاً كان ركوبي المصعد طبيعياً بشكل تام، ولكن ما إن فتح الباب حتى تحوّل كل شيء إلى عتمة حالكة السواد. هذا هو كل ما في الأمر».

قلت: «أفهم ذلك. ما رأيك في تناول العشاء في الخارج معاً؟».

هزت رأسها. «آسفة. لدي أعمال أخرى الليلة».

- وماذا عن الغد؟

- يجب أن أذهب إلى نادي السباحة غداً.

قلت مبتسماً: «نادي سباحة؟ هل تعرفين أن المصريين القدماء كانت لديهم نوادٍ للسباحة؟».

قالت: «لا. ولكنني أجد تصديق ذلك أمراً صعباً للغاية، أليس كذلك؟».

-« بل إنها الحقيقة. لقد توصلت إلى ذلك من خلال بعض البحوث التي أجريتها مرة». شرحت لها. كان ذلك عينة من سجل الحقائق غير المفيدة الذي لدي.

نظرت في ساعتها ثم نهضت واقفة. وقالت: «حسنا، شكراً». وانسلت خارجة من الباب بالهدوء نفسه الذي دخلت به. أخيراً فهمت شيئاً من هذا اليوم. تركتني أتساءل كيف كان المصريون القدماء يملأون أوقاتهم، وما هي المباهج القليلة التي كانوا يستمتعون بها وهم يسلكون طريقهم المرهق نحو الموت. تعلم السباحة، وتحنيط المومياوات. ومجموع إنجازات كل ذلك نسميه حضارة.

(9)

بحلول الحادية عشرة من تلك الليلة كنت قد انتهيت من كل ما يمكنني عمله. لقد قمت به على أفضل وجه. قلمت أظافري، أخذت حماماً، نظفت أذني، بل حتى شاهدت الأخبار على التلفزيون. قمت ببعض تمارين الجلوس والوقوف وتمددت، تناولت العشاء، انتهيت من قراءة الكتاب. لكن لم تكن لديّ رغبة في النعاس. فكرت في أن أتفحّص مصعد الموظفين مرة أخرى ولكن كان الوقت مبكراً على ذلك. كان عليّ الانتظار حتى ينتصف الليل وتخف حركة الموظفين القادمين والمغادرين.

في النهاية قررت الصعود إلى غرفة الانتظار في الطابق السادس والعشرين. رحت أرتشف بهدوء من كأس المارتيني فيما كنت أحدق بشكل مباشر في خيوط الدوامات البيضاء التي ترتسم في الفراغ. رحت أفكر في المصريين القدماء محاولاً أن أتخيل نوعية الحياة التي كانوا يعيشونها. ومن هم الأشخاص الذين كانوا ينضمون إلى نادي السباحة؟ لا شك أنهم كانوا من عائلة الفرعون، والأشخاص الأرستقراطيين والطبقات العليا. كان المصريون القدماء مسايرين للموضة وهواة للسفر والسياحة. ربما كان لديهم جزء خاص بهم من النيل أو أنهم شيدوا حمامات خاصة لتعلم حركات الأيدي الأنيقة.

وهي حمامات مجهّزة بمدربي سباحة محبوبين ووسيمين، مثل زميل دراستي نجم السينما، يرددون عبارات مثل: «رائع، سموك، ربما فقط يمكنك أن تمد ذراعك اليمنى قليلاً للأمام حتى يتسنى لك السباحة».

كانت مياه النيل زرقاء زرقة السماء والشمس ساطعة، والجنود مدججين بالرماح ربما لصدّ التماسيح والعامة من الناس. لا شك أنه كان هناك أمراء ولكن ماذا عن الأميرات؟ هل كان يسمح للنساء بتعلم السباحة؟ كليوباترا مثلاً. في أيام شبابها الأولى كانت تشبه جودي فوستر، هل كانت ستقع في غرام زميل دراستي، مدرب السباحة؟ أغلب الظن نعم. ذاك هو السبب الذي من أجله كان يوجد هناك.

لا بد أن ينتج أحد فيلماً مثل ذلك. وأنا مثلاً سوف أدفع لمشاهدته.

لا، لا يمكن أن يكون مدرب الرياضة من عائلة فقيرة. بل سيكون ابن ملك إسرائيل أو أشور، أو أي مكان مشابه، تم أسره في معركة وجره إلى مصر كعبد. ولكنه لم يفقد مثقال ذرة من دماثة خلقه وطيب طباعه حتى لو كان عبداً. وهذا هو ما يميزه عن تشارلتون هيوستون أو كيرك دوغلاس. إن أسنانه البيضاء تلمع حينما يبتسم وهو يتبول بشكل أرستقراطي. ثم يقف على ضفتي النيل ممسكاً بقيثارة ذات أربعة أوتار مستغرقاً في عزف أغنية "روك أهولا بيبي"[7]. لا شك أنه هو الشخص الوحيد الذي يمكنه أداء هذا الدور.

بعد ذلك وفي يوم من الأيام صُودف مرور الفرعون وحاشيته. كان مدرب السباحة بالخارج يحمل منجلاً لقطع الحشائش حينما رأى مركباً ينقلب في الماء. من دون أدنى تردّد غطس في النهر وسبح بشكل

(7) أغنية شهيرة لإلفيس بريسلي

رائع وأنقذ طفلة صغيرة وسبق التماسيح إليها وعاد إلى الشاطئ. فعل كل ذلك بجمال أخّاذ. بالجمال نفسه الذي كان يشعل به أنبوبة اللهب في المعمل أثناء حصة العلوم. أعجب الفرعون به إعجاباً عظيماً وفكر أن يأتي بهذا الشاب ليعلم أمرائي السباحة. فقد ثبت أن مدرب السباحة السابق يعصى الأوامر ومن ثم ألقي في غياهب السجن قبل أسبوع. وهكذا أصبح زميل دراستي مدرب السباحة الملكي. وهو محبوب حتى إن كل شخص يعشقه. وفي الليل كانت وصيفات بلاط الفرعون يسارعن لدهن أجسادهن بالزيوت والعطور قبل أن يذهبن إلى فراشه. كان كل الأمراء والأميرات يخلصون له إخلاصاً تاماً.

كما لو كان المشهد مقتطعاً من فيلم Bathing Beauty، أو The King and I. انخرط زميل دراستي والأمراء والأميرات في سباحة إيقاعية احتفالاً بعيد ميلاد الفرعون. كان الفرعون مبتهجاً، وهو ما رفع من أسهم الشاب أكثر. إنه نموذج للتواضع. يبتسم الابتسامة نفسها ويتبول بأناقة. حينما تنام إحدى وصيفات البلاط في فراشه، يمضي ساعة كاملة في المداعبة ويجعلها طوال الوقت في حالة من النشوة، ثم بعد ذلك يمسح على شعرها ويقول: «إنك أفضلهن». إنه شخص جيد.

للحظة ما حاولت أن أتخيل النوم مع سيدة مصرية من سيدات البلاط ولكن الصورة كانت تستعصي. وكلما أرغمتها، تحول كل شيء إلى فيلم «كليوباترا» الذي أنتجته فوكس القرن العشرين. ملحمي للغاية. إليزابث تايلور وريتشارد بيرتون، وريكس هاريسون. كانت الإماء وهنّ يعشن مشهداً من مشاهد التعرّي في سينما هوليوود ببشرتهن المدهونة بزيت الزيتون وسيقانهنّ الطويلة يحرّكن مراوح طويلة فوق إليزابث تايلور التي كانت تأخذ أوضاعاً فاتنة حتى تغوي زميل دراستي. وهي خصلة في المرأة المصرية. فاتنة الرجال.

ولكن جودي فوستر كليوباترا هي التي وقعت في غرامه.

كما وقع هو أيضاً في حبها.

لكنه لم يكن الوحيد الذي افتتن بجودي كليوباترا. هناك أمير عربي أسود يتحرّق شوقاً لها. إنه يحبها حباً شديداً حتى إن مجرد طوافها بخياله يجعله يرقص. إن الدور مفصّل على قياس مايكل جاكسون. لقد عبر الرمال العربية للوصول إلى مصر من أجل حبها. إننا نراه يرقص حول نيران معسكر القافلة ويدق الطبلة ويغني «بيلي جين». كانت عيناه تلمعان تحت ضوء النجوم. كان ذلك بالطبع يستلزم مواجهة كبيرة بين مايكل وزميل دراستي مدرّب السباحة. منافسة بين عشاق.

كنت قد ذهبت إلى هذا الحد، حينما جاءني النادل وقال: معذرة حان وقت الإغلاق. كانت الثانية عشرة ونصف، كنت آخر الزبائن في غرفة الانتظار، كانت الأكواب قد تم تجفيفها بواسطة الفوط، وانتهى النادل تقريباً من عملية التنظيف. هل كنت أهذي بكل هذا الهراء طوال هذا الوقت؟ يا لي من أبله! وقّعت على الفاتورة وشربت آخر ما تبقى من المارتيني وخرجت وأنا أتحسس طريقي إلى المصعد ويداي في جيبي.

هل كانت جودي كليوباترا ما زالت غير مسموح لها بالزواج من شقيقها الأصغر؟ كان السيناريو الذي تخيلته له منواله الخاص. لم يكن بمقدوري التخلص من هذه الأفكار. تواصل تدفق المشاهد. شقيقها الأصغر الكسول والمنحرف. والآن من سيكون الأجدى بالدور؟ وودي آلان؟ أعطني فسحة من الوقت. هذا ليس كوميديا. لا نحتاج إلى مهرج بلاط يختلق النكات الممجوجة، ويضرب رأسه بقطعة من الملاط البلاستيك.

سوف نعود لموضوع الشقيق لاحقاً. يجب أن يُسندَ دور الفرعون إلى لورنس أوليفييه. دائماً كان يشكو من صداع نصفي ويضغط بأصابعه على جانبي رأسه. يلقي بكلّ مَنْ يستثير أعصابه في غياهب السجون أو يرغمه على السباحة في النيل مع التماسيح. ذكي، قاسٍ ومشدود الأعصاب. يفقأ أعين الناس ويلقي بالفقراء في الصحراء.

آه، وفريق التمثيل، وفريق التمثيل، وحينئذ وصل المصعد. انفتح الباب بصمت تام لم أره من قبل. دخلت وضغطت على الرقم 15. وعدت إلى الفيلم المصري الخاص بي. ليس لأنني كنت أريد ذلك حقاً، ولكن لم يكن بمقدوري إيقافه.

تغير المشهد إلى خلاء وصحراء. غير معروفة للجميع، في كهف في البرية يعيش نبي اعتزل العالم، فقد نبذ من المجتمع بقرار من الفرعون. وبرغم أن عينيه قد اقتلعتا فقد قطع مسيرة معجزة وطويلة عبر الصحراء. كان يتدثر بلباس من صوف الغنم ليقيه من الشمس الحارقة. إنه يسكن في ظلام دامس ويقتات على الجراد والحشائش البرية. يمتلك بصيرة نافذة ويقرأ المستقبل. يرى سقوط الفرعون ومرحلة الغسق في مصر وعالم يغير قواعده.

إنه الرجل المُقنّع، أعتقد ذلك. الرجل المُقنّع؟

انفتح باب المصعد دون صوت وخرجت منه دون تفكير. الرجل المُقنّع؟ في مصر القديمة؟ أليس كل ذلك مسخاً بلا معنى على أية حال؟ فكرت في هذه الأشياء وأنا واقف ويدي في جيبي في ظلام دامس.

ظلام دامس؟

حينئذ فقط لاحظت الانعدام التامّ للضوء. ولا ذرة واحدة من الضوء. حينما أغلق باب المصعد خلفي، ألفيت نفسي غارقاً في عتمة

سوداء. لم أكن أستطيع رؤية يدي. صوت الموسيقى الذي كان ينبعث في الفندق قد تلاشى أيضاً. لم يعد هناك "Love Is Blue" أو "A Summer Place". وأصبح الهواء بارداً وعفناً.

كنت أقف هناك وحيداً ومدحوراً في حالة من العدم التام.

(10)

كان الظلام حالك السواد.

لم أستطع تمييز شكل أو جسم. لم أستطع حتى أن أرى جسمي. لم أستطع فهم أي شيء عن أي شيء مما كان هناك. كنت في قلب فراغ أسود هائل.

تضاءلتُ حتى أصبحت مجرد فكرة. لحمي تحلل، وتبدد قوامي. كنت أسبح في الفضاء. تحررت من جسدي، لم يكن لي أي خيار للذهاب إلى أي مكان آخر. كنت هائماً في الفراغ. في مكان ما عبر الخط اللطيف الذي يفصل الكابوس عن الحقيقة.

كنت واقفاً. لكن لم أستطع أن أتحرك. شعرت بأن شللاً قد أصاب ذراعيّ وقدميّ. كنت في قاع البحر حيث الضغط كثيف وساحق وطاغ. كان صمت رهيب يضغط على طبلتي أذنيّ. كان ظلاماً حالكاً بلا هوادة. لا يمكن جعله أقل عتمة بأي حال من الأحوال. كان عصياً على الاختراق. ظلمات بعضها فوق بعض.

دون وعي مني فتشت في جيبيَّ. في جيبي الأيمن كانت محفظتي وعلاّقة المفاتيح وفي الأيسر كان مفتاح الغرفة الإلكتروني والمنديل وبعض النقود. كل ذلك بات الآن عديم الجدوى. لو أني لم أقلع عن التدخين الآن، لكنت على الأقل أحمل معي قداحة أو بعض أعواد

الثقاب. وكأن ذلك سيحدث فرقاً! أخرجت يديّ من جيبيّ ومددتهما محاولاً تلمّس حائط. وجدت واحداً لكنه كان زلقاً وبارداً جداً، لا يشبه أبداً حائطاً تتوقع أن تجده في فندق الدولفين مكيف الهواء.

الأمر بات سهلاً الآن. يمكنك فهم كل شيء.

إذاً، هذا هو ما حدث بالضبط مع صديقتي موظفة الاستقبال. إنني فقط أعيد اقتفاء خطواتها. لا داعي للفزع. لقد نَجَتْ وسأنجو أنا أيضاً. هدئ من روعك وافعل ما فعلت هي. لا بد أن ثمة شيئاً غريباً يجري هنا الآن. ربما له علاقة بي؟ أو بفندق الدولفين القديم؟ هذا هو السبب الذي جئت من أجله إلى هنا، أليس كذلك؟ نعم. إذاً تحرك وأتم الأمر.

هل أنت فزع؟

لا شك في ذلك.

كنت فزعاً، فقدت القدرة على التفكير. شعرت بأنني عريان ألقي به في خضم موجات عنيفة من السواد الكثيف التي تهاجمني مثل الأسماك الثعبانية العمياء. غمرني شعور بالعجز. كان قميصي مبللاً بالعرق البارد، وكان حلقي خشناً وجافاً.

أين كنت بحق الجحيم؟ لم أكن هنا، في فندق الدولفين، هذا ما أنا متأكد منه. لقد عبرت خطأً ودخلت منه إلى الجحيم حيث المَطْهَر. أغمضت عينيّ ورحت أتنفس بعمق.

أعرف أنه يبدو سخيفاً، لكني وجدت نفسي أشتاق إلى "Love Is Blue". صوت الموسيقى، أيّ موسيقى، سوف يمنحني قوة. كنت سأرضى بأغان لريتشارد كلايدرمان، أو لوس إنديوس تاباجاراس، أو خوسيه فيلسيانو، أو خوليو إغليسياس، أو سرجيو منديس، أو بأي شيء آخر.

ولكن عقلي تحوّل إلى صفحة بيضاء. هل بسبب الخوف؟ هل يمكن للخوف أن يتسلل إلى فراغ؟ كان مايكل جاكسون يرقص حول نيران المعسكر وهو يغني بآلته «الرق»: «بيلي جين». كانت الإبل مبتهجة بالأغنية.

لا بد أنني أصبحت مشوشاً بعض الشيء.

لا بد أنني أصبحت مشوشاً بعض الشيء.

كان ذلك على ما يبدو أشبه بصوت يتردد صداه داخل رأسي. صدى داخل رأسي.

أخذت نفساً عميقاً آخر وحاولت طرد هذه الصور العبثية من عقلي.

تأهبت وحاولت أن أستدير ناحية اليمين وذراعاي ممدودتان. ولكن ساقيّ لم تتحركا وكأنهما ليستا ساقيّ. ولم تستجب أي من العضلات أو الأعصاب أيضاً. كنت أرسل الإشارات لكن شيئاً لم يحدث. كنت غارقاً في ظلام ذائب. أدركت أني وقعت في فخ، وفقدت القدرة على الحركة.

كان الظلام ممتداً بلا نهاية. وثمة قوة تدفعني صوب مركز الأرض. لن أطفو على السطح مرة ثانية أبداً. فَكر في شيء آخر يا صغيري. فكر وإلا فإن الخوف سوف يتملك كل كيانك. ماذا عن سيناريو ذلك الفيلم المصري؟ أين كنا؟ يدخل الرجل المُقنّع. ينتقل من الصحارى الواسعة إلى قصر فرعون. كانت الأبراج اللامعة تتلألأ بكنوز أفريقيا. العبيد النوبيون ينتشرون في كل مكان. الفرعون، هوالمركز المحوري. موسيقى ميكلوس روزا. الفرعون غاضب. ثمة شيء فاسد في دولة مصر. أشتم رائحة مؤامرة في القصر. أشعر بها في عظامي. يجب عليّ أن أعيد الأمور إلى نصابها.

خطوت للأمام بحذر، أنقل قدماً واحدة في كل مرة. كان ذلك حينما خطر ببالي السؤال. ماذا كان بوسع صديقتي موظفة الاستقبال أن تفعل؟ أمر مذهل! أن يُلقَى بها في حفرة مجنونة حالكة الظلمة ثم تتمكن من تفحُّص كل شيء بنفسها.

والآن هي ترتدي الملابس السوداء الخاصة بسباقات السباحة وتؤدي قفزاتها في النادي. ومَن هناك سوى زميل دراستي نجم السينما. إنني متأكد أنها افتتنت به لدى رؤيته. إنه يقدم لها إرشادات حول مد الذراع اليمنى أثناء السباحة. إنها تحدق فيه وعيناها تتوهجان بالإثارة. وفي تلك الليلة تسللتْ إلى فراشه. أشعر بالانسحاق. لا يمكن أن أدع ذلك يحدث. إنها لا تعرف أي شيء. نعم إنه لطيف وعطوف. إنه يقول كلمات معسولة ويجعلها تبلغ حالة النشوة. ولكن ذلك يظل ضمن حدود الرقة والعطف. إن ذلك مجرد مداعبة.

انعطفت الردهة نحو اليمين.

تماماً مثلما قالت.

إنها في الفراش مع زميل دراستي. إنه يجردها من ملابسها برقّة مغدقاً عبارات الثناء على كل جزء من أجزاء جسدها. وهو مخلص. عظيم، فقط عظيم. ولكنّ غضباً ما بدأ شيئاً فشيئاً يستعر في داخلي. إن ذلك خطأ!

انعطفت الردهة إلى اليمين.

انعطفت لليمين متحسساً طريقي بمحاذاة الحائط. بعيداً لاح بصيص من ضوء خافت. كما لو كان قد تم تصفيته عبر طبقات وطبقات من الحُجُب.

تماماً مثلما قالت.

كان زميل دراستي يُقَبلها في كل أنحاء جسدها. بتوؤدة ومهارة

من خلف رقبتها إلى كتفيها حتى نهديها. زاوية الكاميرا تظهر وجهه وظهرها. ثم تدور الكاميرا فتظهر وجهها. ولكنها ليست صديقتي موظفة الاستقبال، لا. إنها كيكي. صديقتي بائعة الهوى للكبار وصاحبة أجمل أذنين في العالم والتي ذهبت معي إلى فندق الدولفين القديم أول مرة. كيكي التي اختفت دون كلمة منها، ودون أن تترك أثراً. وهي هنا تنام مع زميل دراستي.

إنه مشهد حقيقي من فيلم حقيقي. كل لقطة تم إخراجها حسب الخطة. بل ربما، بحسب الخطة، أكثر مما ينبغي. يبدو مشهداً في غاية الابتذال. إنهما يتبادلان الحب داخل شقة حيث تلمع الأنوار من خلال الستائر. كيكي. ما الذي تفعله هنا؟

لا بد أن ثمة خللاً قد أصاب الزمان والمكان.

واصلت المشي نحو بصيص الضوء. فيما كانت قدماي تخطوان، تلاشت الصورة التي كانت في رأسي.

زوت. اختفت

واصلتُ السير بمحاذاة الحائط. توقف تفكيري. انصب تركيزي على تحريك قدمي إلى الأمام. بحذر ولكن بيقين. بدأ الضوء الخافت الذي أمامي يتسرب وينتشر من داخل الباب. لكني لم أكن قد عرفت بعد أين أنا. وبالكاد أستطيع أن أقول إنه باب. إنه لا يشبه أي شيء رأيته حينما قمت بجولتي قبل ذلك. على الباب توجد لوحة معدنية محفور عليها رقم. لا أستطيع قراءة الرقم. الجو مظلم. واللوحة باهتة اللون. ولكني على الأقل أعرف أن هذا ليس فندق الدولفين الجديد. الأبواب مختلفة. والهواء كذلك. تلك الرائحة، ما هي؟ مثل رائحة الصحف القديمة. كان الضوء يتأرجح من وقت لوقت. ضوء شمعة.

لاحت بفكري صديقتي موظفة الاستقبال مرة أخرى. كان ينبغي أن أنام معها حينما أتيحت لي الفرصة. من يدري إن كنت سأعود للعالم الحقيقي مرة ثانية؟ هل سأحصل على فرصة أخرى لرؤيتها؟ شعرت بالغيرة من العالم الحقيقي ونادي السباحة. أو ربما أنني لم أكن غيوراً. ربما كانت مسألة ندم، إحساس منتفخ ومشوه بالندم على الرغم من أنه قد يتبين أنني، حتى وأنا غارق في هذه الظلمة، كنت أشعر بالغيرة. كان ذلك منذ سنوات. لقد نسيت ماذا يعني أن تشعر بالغيرة. إنه شعور خاص. ربما كنت أشعر بالغيرة الآن. ربما، ولكن من نادي سباحة؟

هذا غباء.

ازدردتها. بدت مثل مضرب غولف معدني ينقر طبلة. هل كان ذلك لعاباً؟

ثم حدث اهتزاز غريب، نصف صوت. كان يجب أن أطرق الباب. هذا صحيح، مثلما قالت هي. استجمعت شجاعتي فخرجت مني نقرة خفيفة. شيء لم أكن بالضرورة أريده أن يُسمَع. ولكنه أحدث صوتاً هائلاً ومدوّياً. بارد وثقيل كالموت.

حبست أنفاسي.

ساد صمت. تماماً مثلما حدث معها. كم استمر ذلك، لا أذكر. ربما كانت خمس ثوان، ربما كانت دقيقة. لم يكن الوقت ثابتاً. كان يتذبذب، يتمدد، ينكمش. أم أنه أنا من كان يتذبذب، يتمدد، وينكمش في الصمت؟ كنت ملفوفاً بين طيات الزمن، مثل صورة منعكسة في مرآة بيت العجائب.

ثم كان ذلك الصوت. خشناً وعالياً. شيء يبرز من الأرضية. ثم خطى أقدام. تتجه نحوي. زحف شبشب. شيء ما لكنه ليس بشرياً.

مثلما قالت هي. شيء من حقيقة أخرى - حقيقة كانت موجودة هنا.

لم يكن من مفر. لم أتحرك. عَرقي كان يتصبب فوق ظهري. لكن بينما كانت الخطى تدنو مني شيئاً فشيئاً، كانت مخاوفي تهدأ بشكل لا يُفسر. قلت لنفسي، الأمر على ما يرام. مهما كان، فإنه لا ينذر بشرّ. أدركت أن لا شيء يستدعي الخوف. بإمكاني أن أدعه يحدث.

شعرت بالدوخة مع الإفرازات الدافئة. أمسكت بشدة بقبضة الباب، أغمضت عيني، حبست أنفاسي. إنك على ما يرام، إنك بخير. شعرت بدقات قلب مدوية وسط الظلمة. كانت دقات قلبي. غمرتني، كنت جزءاً منها. لم يكن هناك ما أخافه. كل شيء كان على اتصال.

توقفت خطى الأقدام. كانت قد دنت مني. كانت عيناي مغمضتين. إنها في سبيلها للتجمع. أدركت أنني كنت على اتصال بهذا المكان. ضفاف النيل وسيدات البلاط النوبيات اللائي تفوح منهن روائح العطور وكيكي وفندق الدولفين وموسيقى الروك إند رول، كل شيء، كل شيء. ثم وقع إنفجار داخلي للزمن والشكل الجسمي. ضوء قديم، صوت قديم، أصوات قديمة.

«كنت أنتظرك. أنا بانتظارك منذ زمن. تعالَ».

عرفت لمن كان الصوت من دون أن أفتح عينيّ.

(11)

جلس كل منا في مواجهة الآخر ونحن نتحدث عبر مائدة صغيرة. كانت المائدة قديمة جداً، مستديرة، وتتوسطها شمعة واحدة. كانت الشمعة مثبتة فوق طبق فنجان صغير. ذلك هو كل الأثاث في الغرفة. لم يكن فيها أي مقاعد. كنا نجلس على كومتين من الكتب.

إنها غرفة الرجل المُقنّع.

ضيقة ومليئة بالكراكيب. الحوائط والسقف توحي بفندق الدولفين القديم، لكنه مع ذلك لم يكن الفندق القديم. في الطرف الأقصى من الغرفة كانت توجد نافذة مغلقة بألواح خشبية من الداخل. مغلقة منذ زمن طويل، هذا إن كانت المسامير الصدئة والتراب الرمادي الذي يتخلل الألواح الخشبية يمكن أن يقوم دليلاً على ذلك. كانت الغرفة أشبه بصندوق مستطيل الشكل. لا أنوار. لا خزانة للملابس. لا حمام. لا سرير. لا بد أنه كان ينام على الأرض متدثراً بزي الغنم.

لم يكن فيها متسع يكفي للمشي فيها. كانت الأرضية مغطاة بالكتب والصحف القديمة التي اصفرّ لونها والألبومات المليئة بالقصاصات. بعضها كانت قد أكلته الحشرات وانحلّ من أغلفته.

كانت كلها على ما يبدو تدور حول تاريخ الأغنام في هوكايدو. ربما جاءت كلها من أرشيف فندق الدولفين القديم. غرفة مراجع الأغنام التي كان والد صاحب الفندق، أستاذ الأغنام، يفضل العيش فيها كثيراً. ترى ماذا حدث له؟

نظر إليّ الرجل المُقنّع من خلال لهب الشمعة المتقطع. إلى الخلف منه كان ظله الهائل الحجم جاثماً فوق حائط يبعث على الكآبة.

- «منذ زمن طويل لم تأت إلى هنا. دعنا نرى إن كان جسمك قد نحف أم ماذا؟» تحدث من وراء قناعه.

- نعم ربما فقدت بعض الوزن.

- إذاً أخبرنا كيف حال العالم في الخارج؟ إننا لا نحصل على كثير من الأخبار.

وضعت ساقا على ساق وهززت رأسي. «كما هو أبداً. لا شيء جديراً بالذكر. كل شيء أصبح أكثر تعقيداً. كل شيء يصبح أكثر تسارعاً. لا، لا جديد حقاً».

أومأ الرجل المُقنّع. «ألم تندلع الحرب التالية بعد؟».

أي الحروب كانت آخر الحروب بالنسبة للرجل المُقنّع؟ لم أكن متأكداً. وقلت له: «ليس بعد».

قال دون أن تتغير لهجته وبعد أن فرد يديه التي يضعها في قفاز: «ولكنها عاجلاً أو آجلاً سوف تقع. يحسن بك أن تأخذ حذرك. الحرب قادمة. لا احتمال آخر. احفظ كلماتنا. لا يمكنني أن أثق بالناس. لن يفعلوا أي شيء مفيد. سوف يقتلونك في كل مرة. سوف يقتل بعضهم بعضاً. سوف يقتلون الجميع».

كان معطف الصوف الذي يرتديه الرجل المُقنّع متسخاً، كان

الصوف متيبساً ومشحماً. بدا قناعه أيضاً سيئاً مثل شيء تم ترقيعه بشكل متسرع. لم تكن الإضاءة الضعيفة في الغرفة الرطبة مساعدة، وربما كانت ذاكرتي مخطئة، ولكنها لم تكن الملابس وحدها هي المهترئة. بل كان الرجل المُقنّع أيضاً مهترئاً. كان قد انكمش عما كان عليه منذ آخر مرة رأيته فيها قبل أربع سنوات. أصبح تنفسه أكثر صعوبة وأكثر إزعاجاً للأذن مثل أنبوبة تم سدها.

قال الرجل المُقنّع: «ظننت أنك ستصل قبل ذلك. كنا في انتظارك طوال ذلك الوقت. في أثناء ذلك وصل شخص آخر. كنا نظنه أنت ولكنه لم يكن أنت. ما رأيك في ذلك؟ هل أنت مجرد شخص جاء يتجول هنا؟ لكن على أية حال كنت أنتظرك قبل ذلك».

هززت كتفيّ. «كنت دائماً أعتقد أنني سوف أعود. كنت أعرف أنني يجب، لكنني لم أتمكن من تجميعه. كنت أحلم به. أحلم بفندق الدولفين، أقصد. كنت أحلم به طوال الوقت. ولكن الأمر احتاج بعض الوقت حتى أقرر العودة».

- هل حاولت أن تزيحه من عقلك؟

قلت: «نعم، أظن ذلك». ثم نظرت إلى يدي في ضوء الشمعة الذي كان يخفق خفقاناً. كان هناك تيار من الهواء يأتي من مكان ما.

- في البدء ظننت أنني يجب أن أحاول نسيان ما يمكنني نسيانه. كنت أريد حياة منفصلة تماماً عن هذا المكان.

- بسبب أن صديقتك ماتت؟

- نعم بسبب أن صديقتي ماتت.

قال الرجل المُقنّع: «ولكنك رجعت».

قلت: «نعم رجعت. لم أستطع أن أزيح هذا المكان من عقلي. كلما حاولت أن أنسى، يظهر لي شيء آخر. لذا لم يكن يهم إذا كنت

أحبه أم لا. كنت أعرف أنني أنتمي إلى هذا المكان. لم أكن أعرف ماذا يعني ذلك أيضاً. في أحلامي عن هذا المكان كنت جزءاً من كل شيء. ثمة شخص كان يبكي من أجلي هنا. شخص ما كان يريدني. لهذا رجعت. لكن أي مكان هذا؟».

نظر الرجل المُقنّع إلى وجهي نظرة حادة وهز رأسه. «يوسفني أننا لا نعرف الكثير. إنه كبير حقاً، مظلم حقاً. كل ما نعرفه هو هذه الغرفة. أما ما وراء ذلك فلا نعرف شيئاً. ولكن على أية حال أنت هنا. لا بد أنه استغرق منك وقتاً حتى تعثر على سبيلك إلى هنا. سبيل نراها نحن على الأقل...». توقف الرجل المُقنّع لبرهة ليجتر. «ربما ثمة شخص يبكي من أجلك في أرجاء هذا المكان. شخص كان يعرف، يعرف أنك قادم إلى هنا على أية حال. مثل طائر عائد إلى عش... ولكن دعنا نضعها بشكل مختلف. لو أنك لم تعد إلى هنا، لما كان هذا المكان قد وُجد». ضغط الرجل المُقنّع على يديه. كان ظله على الحائط يضخم كل إيماءة بشكل كبير، وكأن شبحاً مظلماً يتأهب للإمساك بي من أعلى.

مثل طائر يعود إلى العش؟ حسناً إن ذلك هو شعوري نفسه. ربما كانت حياتي تتبع هذا المسار المجهول المعالم طوال الوقت.

قال الرجل المُقنّع: «إذاً الآن حان دورك. أخبرنا عن نفسك. هنا عالمك. لا داعي للرسميات. خذ وقتك. قل ما تشاء».

في ضوء خافت ومُحدّقاً في الظل المنعكس على الحائط، رحت أروي قصة حياتي. كانت طويلة للغاية، ولكن ببطء مثل ثلج يذوب. قصصت كل الأحداث. كيف استطعت أن أدعم نفسي. لكن لم أتمكن أبداً من الذهاب إلى أي مكان. لم أذهب إلى أي مكان، لكنني كنت أكبر بالرغم من ذلك. كيف أنه لم يلمسني أي شيء. وأنني لم ألمس أي شيء. كيف فقدت الطريق نحو ما يهم. كيف كنت أعمل

مثل الأحمق من أجل أشياء لم توجد. كيف كنت أفقد الشكل. الأنسجة كانت تتصلب وتقسو من الداخل. كان ذلك يفزعني. كيف استطعت أن أقيم الاتصال مع هذا المكان. هذا المكان لا أعرفه ولكن كان لدي هذا الشعور بأنني كنت جزءاً منه. هذا المكان الذي ربما عرفت بالفطرة أنني أنتمي إليه . . .

كان الرجل المُقنّع يصغي لكل ما أقول دون أن ينبس بكلمة. بل حتى ربما كان نائماً. ولكن حينما انتهيت من كلامي فتح عينيه وتحدث بصوت خافت. «لا تقلق. إنك حقاً جزء من هنا. كنت دائماً وستكون. كل شيء يبدأ هنا وينتهي هنا. هذا هو مثواك. إنه العقدة. العقدة التي تصل كلّ شيء».

- كل شيء؟

- كل شيء. الأشياء التي فقدتها. الأشياء التي ستفقدها. كل شيء. هنا همزة الوصل بين كل شيء.

رحت أفكر في ذلك. لم أفهم أي شيء منه. كانت كلماته شديدة الغموض وغير واضحة. كان عليّ أن أجعله يفسرها لي. بيد أنه كان قد انتهى من الكلام. هل كان ذلك يعني أن التفسير مستحيل؟ هز رأسه الصوفية في صمت. اهتز الظل على الحائط. كان من الضخامة إلى حدّ جعلني أظن أن الحائط سوف ينهار.

طمأنني: «سوف تفهمها لاحقاً. قريباً جداً سوف تفهمها. حينما يحين الوقت، سوف تفهم».

قلت: «ولكن أخبرني شيئاً واحداً إذاً. لماذا أصر صاحب فندق الدولفين على أن يحمل الفندق الجديد الاسم نفسه؟».

قال الرجل المُقنّع: «فعل ذلك من أجلك. كان عليهم أن يحافظوا على الاسم حتى ترجع إليه. وإلا لما كنت هنا الآن. تغيرت

البناية ولكن فندق الدولفين بقي. مثلما قلنا، إن كل شيء هنا. لقد كنا في انتظارك».

لم أستطع تجنّب الضحك. «من أجلي؟ أسموا هذا المكان فندق الدولفين فقط من أجلي؟».

- أهذا أمر غريب جداً؟

هززت رأسي. «لا، ليس غريباً، بل مذهل. إنه غير متوقع بالمرة، يبدو أنه غير حقيقي».

قال الرجل المُقنّع بصوت خافت: «آه، إنه حقيقي. حقيقي مثلما هي لوحة فندق الدولفين حقيقية. كيف تريده أن يكون حقيقياً؟».

نقر بأصابعه على المائدة واهتز لهب الشمعة. «إننا حقاً هنا. كنا في انتظارك. قمنا بالترتيبات. فكرنا في كل شيء. كل شيء، حتى يمكنك أن تعيد الاتصال مع كل شخص».

حدقت في لهب الشمعة المتراقص. كان ذلك فوق قدرتي على التصديق. «لم أفهم ذلك. لماذا تتجشمون كل هذه المتاعب؟ ومن أجلي؟».

قال الرجل المُقنّع بلا عاطفة: «هذا عالمك. لا تفكر كثيراً في ذلك. إذا كنت تبحث عنه، فهو هنا. المكان تم إعداده هناك من أجلك. على نحوٍ خاص. وعملنا باجتهاد حتى يمكننا أن نعيدك إلى هنا. للحيلولة دون أن تنفرط الأشياء. وللحيلولة بينك وبين النسيان».

- إذاً هل أنا حقاً جزء من شيء هنا؟

كرر الرجل المُقنّع: «بالطبع إنك تنتمي إلى هنا. كل شخص هنا معنا. هذا عالمك».

- إذاً من أنت؟ وماذا تفعل هنا؟

قال باسماً: «نحن الرجل المُقنّع. ألا تدرك؟ إننا نرتدي قناع

الغنم ونعيش في عالم لا يمكن أن يراه البشر. تمت مطاردتنا حتى دخلنا الغابة. منذ زمن طويل. زمن طويل جداً. نكاد لا نتذكر ماذا كنا قبل ذلك. ولكن منذ ذلك الوقت كنا دائماً بعيدين عن الرؤية. أمر من السهل أن تفعله، إذا كان ذلك هو ما تريده. ثم جئنا إلى هنا، للعناية بالمكان. إنه مكان ما خارج العناصر. الغابات فيها حيوانات مفترسة. هل تفهم ما أقصد؟».

قلت: «بالتأكيد».

- إننا نصل الأشياء بعضها ببعض. ذلك هو ما نفعله. مثل لوحة مفاتيح نصل بين الأشياء. هذه هي العقدة. ونحن نعقدها. نحن همزة الوصل. لا نريد أن تتفكك الأشياء، لذلك نقوم بربط العقدة. ذلك هو واجبنا. واجب لوحة المفاتيح. أنت تبحث عنه، ونحن نوصلك، فتحصل عليه. هل حصلت عليه؟

قلت: «نوعاً ما».

استأنف الرجل المُقنّع: «لذلك أنت بحاجة إلينا. وإلا فلن تكون هنا. وستفقد الأشياء، وستضل الطريق. ولن يكتمل اتصالك. سوف ترتبك إذا فقدت الاتصال. ولكن هنا ترتبط كل الأشياء معاً».

فكرت في ما قال. «ربما تكون على صواب. كما تقول إنني أشعر بالضياع، والحيرة والارتباك. لست مرتبطاً بأي شيء. هنا هو المكان الوحيد الذي أشعر بالرغبة في الانتماء إليه». انتهيت وأنا أحدق في يدي تحت ضوء الشمعة. «ولكن الشيء الآخر، الشخص الذي أسمعه يبكي في أحلامي، هل هو موصول بهذا المكان؟ أظن أني أستشعر وجوده. هل تعلم أنني، لو استطعت، أريد أن أبدأ من حيث توقفت قبل سنوات. وهذا هو ما أحتاج إليك هنا من أجله».

كان الرجل المُقنّع صامتاً. بدا أنه ليس لديه المزيد ليقوله. خيم

الصمت بشكل كثيف كما لو كنا هوينا إلى قاع حفرة ذات قرار سحيق. جثم فوقي حتى ثبت أفكاري تحت جاذبيته. من حين لحين كانت الشمعة تتراقص. صَوّب الرجل المُقنّع تحديقه نحو اللهب. وما زال الصمت متواصلاً لم يقطعه شيء. ثم ببطء رفع الرجل المُقنّع عينيه نحوي.

قال الرجل المُقنّع: «إننا جميعاً نفعل ما بوسعنا. بالرغم من أننا نتقدم في العمر. آمل أن يظل لدينا المادة داخلنا. سوف نحاول، ولكن لا ضمانات، لا وعود بأنك ستكون سعيداً». كان وهو ممسك ببعض الصوف يبحث عن الكلمات: «لا يمكننا الاكتفاء بالقول. في ذلك العالم الآخر ربما لا يكون هناك أي مكان، ولا حتى مكان لك. بدأت تبدو ثابتاً للغاية. ثابتاً بشكل لا يمكن خلخلتك. إنك لست صغيرا على أية حال».

– إذاً أين سيدعني ذلك؟

– فقدتَ الكثير من الأشياء. فقدت الكثير من الأشياء الثمينة. ليس بسبب خطأ من أحد. ولكن في كل مرة تفقد شيئاً، تفقد معه حزمة كاملة من الأشياء. والآن لماذا؟ لماذا يجب عليك أن تذهب وتفعل ذلك؟

– لست أدري.

– من الصعب أن تفعل شيئاً مغايراً. إنه قدرك، أو شيء شبيه بالقدر. ميول.

– ميول؟

– ميول. لديك ميول. لذا حتى إذا أتيح لك أن تعيد كل شيء مرة أخرى، حياتك كلها، فإن ميولك تجعلك تفعل نفس ما فعلت دائماً وأبداً.

– نعم، ولكن أين سيدعني ذلك؟

قال الرجل المُقنّع: «كما قلنا. سوف نفعل ما بمقدورنا. نحاول أن نعيد وصلك بما تريد. بيد أنه لا يمكننا أن نفعل ذلك وحدنا. يجب أن تسعى من جانبك أيضاً. الاكتفاء بالجلوس لن ينفع، والتفكير لن يحقق ذلك».

– إذاً ماذا يجب عليّ أن أفعل؟

قال الرجل المُقنّع: «ارقص. يجب أن ترقص. ما دامت الموسيقى تعزف. يجب أن ترقص. لا تفكر حتى في السبب. إذا شرعت في التفكير فسوف تتوقف قدماك. إذا توقفت قدماك، فسوف نتعطل نحن. إذا تعطلنا نحن، فسوف تتعطل أنت. لذا لا تفكر في شيء، مهما بدا ذلك حمقاً. يجب أن تواصل الخطى. يجب أن تُمرّن جسمك. يجب أن تحلحل ما قمت بربطه. يجب أن تستخدم كل ما لديك. نعلم أنك متعب، متعب وخائف. هذا يحدث لكل شخص، حسناً؟ فقط لا تدع قدميك تتوقفان».

نظرت إلى أعلى مرة أخرى وأنا أحدق في الظل على الحائط. واصل الرجل المُقنّع: «الرقص هو كل شيء. ارقص بأقصى ما لديك من قوة. ارقص حتى يظل كل شيء يدور. إذا فعلت ذلك، فلربما استطعنا أن نفعل شيئاً من أجلك. يجب أن ترقص ما دامت الموسيقى تعزف».

سمعت رجع الصدى في عقلي، ارقص ما دامت الموسيقى تعزف.

– مهلاً، ما هذا العالم الذي لا تفتأ تتحدث عنه؟ أنت تقول إنني إذا توقفت في مكان، فسوف أجرُ من ذلك العالم لهذا العالم، أو شيء من هذا القبيل. ولكن أليس هذا العالم مخلوقاً من أجلي؟ ألم

يوجد من أجلي أنا؟ إذاً أين المشكلة؟ ألم تقل إن هذا المكان يوجد فعلاً؟

هز الرجل المُقنّع رأسه. أما ظله فقد هز إعصاراً. «الأمر يختلف هنا. لستَ مستعداً، لست مستعداً للمجيء إلى هنا. هنا مظلم للغاية وكبير للغاية. من الصعب أن تفسره. كما قلنا، إننا لا نعرف الكثير. ولكنه حقيقي. ما تقوله أنت ونحن هنا حقيقة. بيد أنه ليس الحقيقة الوحيدة. توجد الكثير من الحقائق هناك. وقع اختيارنا على هذه فقط لأننا لا نحب الحرب. ولم يكن لدينا ما نخسره. ولكنك ما زلت تملك الدفء. فهنا الجو بارد ولا يمكن احتماله. ولا شيء يُقتات عليه. ليس هذا المكان مكانك».

لم يكد الرجل المُقنّع يذكر البرد حتى لاحظت درجة الحرارة في الغرفة، فدسست يداي في جيبيَّ وأنا أرتعد.

سألني الرجل المُقنّع: «إنك تشعر به، أليس كذلك؟».

أومأت: «نعم».

حذرني الرجل المُقنّع: «الوقت ينفد. كلما مر الوقت، أصبح الجو أكثر برودة. يحسن بك أن تذهب».

- مهلاً، أمر أخير. أعتقد أنك كنت موجوداً كل هذا الوقت لكني لم أكن أراك. ظلك فقط كان في كل مكان. إنك نوع مما هو دائماً هناك.

رسم الرجل المُقنّع شكلاً غير محدد بأصابعه. «هذا صحيح. نحن نصف أشباح، نحن في مرحلة بين بين».

قلت: «لكني ما زلت في حيرة. هنا يمكنني رؤية وجهك وجسمك بوضوح. لم أكن أستطيع قبل ذلك، ولكن الآن يمكنني. لماذا؟».

تمتم بصوت خافت: «لقد فقدت كثيراً جداً لدرجة تمكنك الآن من رؤيتنا».

- «هل تقصد . . .؟» وتأهبت قبل أن أسأل السؤال الكبير: «هل هذا هو عالم الموتى؟».

أجاب: «لا». أمال كتفيه وهو يُخرج نفساً. «أنت ونحن نعيش مرة ثانية. نتنفس. نتكلم».

- لم أفهم قصدك.

قال: «ارقص. هذه هي الطريقة الوحيدة. كنت أتمنى لو استطعنا أن نفسر الأمور بشكل أفضل. ولكننا أخبرناك بكل ما نستطيع. ارقص. لا تفكر. ارقص. ارقص بأقصى ما أوتيت، كما لو أن حياتك تتوقف على ذلك. يجب أن ترقص».

كان ثمة هبوط في درجات الحرارة. بدا أنني فجأة تذكرت هذه القشعريرة. برد يخترق العظام، برد رطب. منذ زمن طويل ومن مكان بعيد. ولكن أين؟ أصيب عقلي بالشلل. ثابت ومتصلب.

استحثني الرجل المُقنّع: «يحسن بك أن تذهب. سوف تتجمد إن مكثت هنا. ولكن إن كنت بحاجة إلينا، فنحن هنا. إنك تعرف أين تجدنا».

اصطحبني الرجل المُقنّع إلى خارج الغرفة لدى انعطافة الردهة، وهو يجر قدميه وراءه محدثتين صوتاً زاحفاً. توادعنا. لم نتصافح أو نستخدم أياً من التحيات الخاصة. فقط وداعاً، وحينئذ افترقنا في الظلمة. عاد هو إلى غرفته الصغيرة فيما واصلت أنا نحو المصعد. ضغطت على مفتاح الاستدعاء. حينما وصل المصعد، فتح الباب دون صوت. غمرني ضوء ساطع بلغ الردهة. دخلت وأنا ألقي بثقلي نحو الحائط. أغلق الباب. لم أتحرك.

حدثتُ نفسي، ماذا جرى؟ لم أجد جواباً. كان عقلي فراغاً هائلاً. فراغاً بلا منتهى. كما قال الرجل المُقنّع، كنت متعباً وفزعاً. ووحيداً. وضائعاً.

قال الرجل المُقنّع: «يجب أن ترقص».

قلت في خاطري: «يجب أن ترقص».

كررت بصوت عال: «يجب أن ترقص».

ضغطت على زر الطابق الخامس عشر.

حينما وصل المصعد إلى هناك. استقبلتني موسيقى «مون ريفر» تنساب من مكبرات الصوت المثبتة في السقف. العالم الحقيقي الذي ربما لن أشعر بالسعادة فيه أبداً أو أصل فيه إلى مكان أبداً.

نظرت في ساعتي. وقت العودة: الثالثة وعشرين دقيقة فجراً.

فكرت، إذاً الآن. وردد عقلي، إذاً الآن إذاً الآن إذاً الآن إذاً الآن إذاً الآن إذاً الآن . . .

(12)

عدت إلى غرفتي وجهزت الحمّام. تجردت من ملابسي، ثم غمرت نفسي في الماء الساخن. ولكن مما يبعث على الاستغراب هو أنني لم أشعر بالدفء. ظل جسمي مقشعراً من البرد، ولم ينفع جلوسي في الماء الساخن إلا أن جعلني أرتجف أكثر وأكثر. فكرت في أن أبقى في حوض الماء حتى تتوقف الرجفة، ولكن قبل حدوث ذلك كان البخار قد جعلني أشعر بالدوار ولذا خرجت. ألصقت جبهتي في مواجهة النافذة لأصفي ذهني، ثم صببت لنفسي كأساً من البراندي التي ازدردتها جرعة واحدة قبل أن ألقي بنفسي على السرير. كنت أريد أن أنام ورأسي خالٍ من أي أثر للتفكير، لكن لم يكن لي مثل هذا الحظ. تمددت على السرير، وأنا في حالة من الوعي لا يمكن السيطرة عليها. في النهاية طلع الصبح ثقيلاً وملبداً بالغيوم. لم تكن تثلج ولكن سحباً كثيفة كانت تملأ السماء حتى اكتست المدينة كلها باللون الرمادي. كان كل ما أراه رمادياً. مستنقع مغطى بالأرواح الغارقة.

لم يكن التفكير هو ما حرمني النوم. لم أكن أفكر على الإطلاق. كنت مرهقاً لدرجة لا أستطيع معها التفكير. لولا أن ذلك الركن الصلب من رأسي يصر على دفع نفسي لذروة النشاط. كنت

أشعر بالتوتر والعصبية كما لو كنت أحاول قراءة لوحات المحطات وأنا أطل من قطار سريع. ها هي محطة تقترب. كانت الحروف باهتة. تكاد تقرأ شيئاً ولكن السرعة كانت هائلة بما لا يسمح بذلك. تحاول مرة ثانية حينما تدخل المحطة التالية في مجال الرؤية، ولكنك تتجاوزها قبل أن تخرج بأي شيء. ثم كانت المحطة التالية . . . في وسط اللامكان. كان القطار يطلق صافرته. عالية وخارقة.

ظللت على هذه الحال حتى التاسعة حينما نهضت من السرير. حلقت ذقني، ولكن كان عليّ أن أكرر لنفسي: أنا أحلق الآن كي أخرج من هذه الحال. ارتديت ملابسي ومشطت شعري ونزلت قاصداً مطعم الفندق. جلست إلى مائدة بالقرب من النافذة وطلبت قهوة وخبزاً محمّصاً. استغرق الأمر دهراً حتى انتهيت من الخبز الذي بدا طعمه أشبه بضمادة من الكتان وكان رمادياً بسبب السماء. كانت السماء تنذر بنهاية العالم. احتسيت قهوتي وقرأت قائمة الطعام ثم أعدت قراءتها مرات ومرات. كان رأسي صلباً للغاية. لا شيء يتم تسجيله. القطار يواصل السرعة. والصافرة تدوي. شعرت كأنني قطعة جافة من معجون الأسنان. كان الناس جميعهم من حولي يلتهمون فطورهم، يحركون قهوتهم، ويدهنون بالزبدة خبزهم، ويقطعون لحم الخنزير والبيض. كان صوت الأطباق والملاعق والسكاكين والشوك يُسمع بشكل واضح. مثل مرآب قطارات.

تذكرت الرجل المُقنّع. إنه يوجد في هذه اللحظة. في مكان ما، في طية صغيرة من الزمكان[8] في هذا الفندق. نعم، كان هنا. وكان يحاول أن يخبرني بشيء. ولكن دون جدوى. لم أتمكن من قراءته.

(8) الراوي في تحديده لمكان الرجل المقنّع يستخدم ما يُعرف بالبعد الرابع الذي يجمع بين الزمان والمكان وقد ترجمتها بهذه الصيغة **الزمكان**.

كنت أسرع بصورة لا يمكن معها تسجيل الرسالة. كان رأسي ثقيلاً إلى درجة لا يمكنني معها أن أفهم معاني الكلمات. كنت أستطيع أن أقرأ فقط ما لا يتحرك. أ- إفطار كونتيننتال، عصائر (خياراتك من البرتقال أو الغريب فروت أو الطماطم)، وخبز محمص أو . . .

كان هناك شخص يتحدث إليّ. يطلب إجابتي. ولكن من؟ رفعت رأسي فإذا به النادل. مهندم في زيه الأبيض، يحمل فنجان قهوة بكلتا يديه كمن يحمل درعاً تذكارية لبطولة. «هل ترغب في مزيد من القهوة سيدي؟» سألني بأدب. هززت رأسي. انصرف عني هو فيما نهضت أنا لمغادرة المطعم. وخلفت ساحة القطارات ورائي.

عدت إلى غرفتي. أخذت حمّاماً آخر. لم أكن أرتجف هذه المرة. أرخيت جسمي لمدة طويلة في الحوض وذلك لإزالة التيبُّس من مفاصلي الصلبة. أصبح بإمكاني تحريك أصابعي بحرية مرة ثانية. نعم ها هو جسمي على ما يرام. نعم أنا هنا الآن. عدت إلى غرفة حقيقية وفي حوض حقيقي. لست على متن قطار سريع. لا صوت صافرات يتناهى إلى مسمعي. لا حاجة إلى قراءة أسماء المحطات. لا حاجة إلى التفكير على الإطلاق.

ما إن انتهيت من الحمّام حتى تمددت في السرير. كانت العاشرة والنصف. أمر عظيم. فكرت في التخلص من النوم والخروج لأخذ جولة في المدينة، ولكن قبل ذلك غلبني النوم. كانت أنوار المسرح قد خفتت وأظلم كل شيء فجأة. حدث ذلك في لمح البصر. حتى يمكنني تذكّر تلك اللحظة التي استغرقت فيها في النوم. كما لو أن غوريلا عملاقة رمادية اللون قد تسللت إلى الغرفة وضربتني فوق رأسي بمطرقة ثقيلة. ضربة فقدت الوعي على أثرها.

كان نومي ثقيلاً وجامداً. معتماً لدرجة لا ترى أي شيء فيه. لا موسيقى في الخلفية. لا موسيقى «مون ريفر» ولا «لاف إز بلو».

مجرد نوم خال من أي إضافات. سألني شخص «ما الذي يأتي بعد 16؟ أجبت، «41». تدخلت الغوريلا الرمادية وقالت، «إنه غائب عن الوعي» هذا صحيح، كنت نائماً. كل شيء كان يتدحرج في كرة فأرة الكمبيوتر التي تدور في غلاف من الصلب. صلب يحطم الكرة وأنا مستغرق في النوم.

ثمة شيء يناديني.

صافرة قطار بخاري؟

لا، شيء آخر. هكذا يخبرني النورس.

شخص ما يحاول أن يقطع كرة الصلب باللهب الصاهر. هذا هو الصوت.

لا، ليس ذلك، ردد النورس. مثل جوقة يونانية.

إنه الهاتف، ربما.

تلاشى النورس.

مددت ذراعي وأنا أتحسس الهاتف الذي بجوار السرير. «نعم» سمعت نفسي أقولها. ولكن كل ما كنت أسمعه كان صوت رنة الجرس. بيييييب يحدث صوتاً يصدر من مكان آخر. إنه جرس الباب! شخص ما يرن جرس الباب. بيييييييب.

تمتمت: «جرس الباب».

ذهب النورس. لا أحد يصفق. لا لعب، لا شيء.

بييييييب.

ارتديت رداء الحمام وذهبت صوب الباب. من دون أن أسأل من بالباب، فتحته.

كانت صديقتي موظفة الاستقبال. انسلت للداخل وأغلقت الباب وراءها. كنت فاقد الحس بمؤخرة رأسي. هل كان ينبغي على تلك

الغوريلا أن تضربني بشدة هكذا؟ أشعر كما لو أن ثمة انبعاجة في جمجمتي.

رمقتْ رداء الحمام وعقدت حاجبيها وقالت متعجبة: «تنام حتى الثالثة بعد الظهر؟».

كررتُ: «الثالثة بعد الظهر؟» لم أفهم شيئاً حتى مما قالت. «لماذا؟» تساءلتُ.

- أي ساعة ذهبت إلى الفراش؟ حقاً!

حاولتُ أن أتذكر. بذلت جهداً حقيقياً للتذكر. لكن لم تسعفني الذاكرة بشيء.

قالت وهي تهز رأسها: «حسناً، لا عليك». ثم ألقت بنفسها على الأريكة، وضبطت إطار نظارتها وهي تحدق في وجهي مباشرة. «تبدو مخيفاً».

قلت: «نعم، أراهن أنني كذلك».

- تبدو شاحب اللون ومرهقاً. هل أنت بخير؟ هل تشتكي من الحمى؟

- أنا بخير. فقط أحتاج إلى قسط من النوم. لا تقلقي. حالتي الصحية بشكل عام جيدة. هل لديك استراحة الآن؟

قالت: «نعم. كنت أود أن أراك. آمل ألا أكون أقحم نفسي عليك».

قلت وأنا أجلس على السرير: «مطلَقاً. نعم أنا مرهق للغاية. ولكنكِ لا تقحمين نفسك».

- ألن تجرب أي شيء غريب؟

- لن أجرب أي شيء غريب؟

- كل شخص يقول إنه لن يفعل، ولكن في النهاية كلهم يفعلون ذلك.

قلت: «ربما يفعل كل شخص ذلك، بيد أنني لا أفعل».

أطرقتْ تفكر في الأمر ثم وضعت أصابعها على جانبي رأسها كما لو كانت تتحقق من النتائج الذهنية. «حسناً، أظن أنك ربما لن تفعل. تبدو مختلفاً عن الآخرين».

أضفتُ: «على أية حال أشعر بالنعاس الشديد الآن».

نهضت واقفة ثم خلعت سترتها ذات اللون الأزرق الفاتح وعلقتها بعناية على ظهر كرسي مثلما فعلت في المرة السابقة. لكنها لم تجلس بجواري هذه المرة. مشت باتجاه النافذة ووقفت تحدق في السماء. ربما فوجئت حينما وجدتني على هذه الحال من التعب الشديد ولا أرتدي غير رداء الحمام- لكن لا يمكن أن تملك كل شيء. إنني لا أحصّل عيشي من مجرد أن أبدو عظيماً طوال الوقت.

قلت قاطعاً الصمت: «اسمعي، لم أخبرك عن ذلك من قبل، لكن أظن أن هناك صفات قليلة مشتركة تجمعنا».

قالت من دون أي عاطفة: «حقاً؟ مثل ماذا؟».

أجبت: «مثل ــــ»، ولكن في تلك اللحظة انقطع الإرسال الذهني لديّ. لم أستطع التفكير في أي شيء. لم أستطع أن أجد الكلمات. ربما كان ذلك مجرد شعور. ولكنه كان شعوراً مشتركاً بيننا، حتى وإن كان شعوراً غير واضح، لكنه على الأقل يعني شيئا. يكفي أن أعرف ذلك.

استطردت: «لا أعرف. يجب عليّ أن أعيد ترتيب أفكاري. طريق للجنون. يجب أن أنظم أولاً ثم أتحقق ثانياً».

«آه، ذلك أمر هام»، قالتها وهي تنظر نحو النافذة. على الرغم

من أن صوتها لم ينمّ عن أي سخرية على الإطلاق، فإنه لم يكن يوحي أيضاً بنغمة الحماسة.

تمددت على السرير وأسندت رأسي على مقدمة السرير وأنا ألاحظها. ذلك القميص الأبيض الخالي من التجاعيد. والتنورة الضيقة ذات اللون الأزرق الداكن. الجوربان يكشفان عن ساقيها. كانت تبدو رمادية اللون مثل صورة قديمة. كان ذلك رائعاً بالفعل. شعرت كما لو أن اتصالاً حدث بيني وبين شيء ما. الشيء التالي الذي عرفته هو أنني أحسست بانتصاب. ليس سيئاً. سماء رمادية، إرهاق، في الثالثة بعد الظهر.

واصلتُ النظر إليها. حتى حينما استدارت ورأتني أنظر نحوها، لم أحوّل ناظري.

سألتْ: «لماذا تحدق فيّ هكذا؟».

قلت: «أشعر بالغيرة من نادي السباحة الذي تذهبين إليه».

هزت رأسها ثم انفرجت أساريرها عن ابتسامة: «يا لك من شخص غريب، هل تعرف ذلك؟».

قلت: «لست غريباً. بل مرتبكاً. أنا بحاجة لأن أعيد ترتيب أفكاري».

اقتربت مني وتحسست جبهتي.

قالت: «حسناً، لا توجد حمّى. إنك بحاجة إلى قسط من النوم. أحلام سعيدة».

كنت أريدها أن تمكث معي هنا. بجواري على السرير أثناء نومي. بيد أني كنت أعرف أن ذلك مستحيل. لذا لم أقل أي شيء. شاهدتها وهي ترتدي سترتها بلونها الأزرق الفاتح ثم تغادر. وعندئذ دخلت الغوريلا رمادية اللون مرة ثانية إلى الغرفة حاملة مطرقة قوية.

رحت أخبرها: «حسناً، إنني مستغرق في النوم على أية حال». ولكن لم أكد أنبس بكلمة حتى هوت عليّ بضربة أخرى.

ثمة شخص يسأل: «ما العدد الذي يأتي بعد 25؟» أجبته: «71».
وقالت الغوريلا الرمادية: «إنه غائب عن الوعي». فكرت: «يا للعجب. تضربني بهذه القوة ولا أدخل في إغماءة؟» غمرني الظلام مرة أخرى.

(13)

ثمة حاجة إلى العُقد. كانت التاسعة مساء. كنت أتناول العشاء بمفردي، بعدما استيقظت من نوم عميق في الثامنة. نهضت من النوم وشعرت بيقظة مفاجئة، مثلما استغرقت في النوم فجأة. لم تكن ثمة منطقة وسطى بين النوم واليقظة. وبدا أن رأسي قد عاد إلى وضعية التشغيل. كانت آثار ضربات الغوريلا على الجمجمة قد تلاشت. لم أكن أشعر بدوار أو كسل ولم أشعر بأي رجفة. تذكرت كل شيء بوضوح كامل. شعرت بشهية مفتوحة. كنت جائعاً للغاية. لذا ذهبت إلى البار الذي ذهبت إليه في الليلة الأولى وتناولت بعض اللقيمات مع الشراب. شراب، وسمك مشوي، وخضروات مسلوقة، وحساء وبطاطس. كان المكان مزدحماً وعبقاً بالدخان والروائح والضجيج. وكان كل شخص يصيح بجاره.

فكرت، ثمة حاجة إلى تنظيم ذلك.

هل ثمة حاجة إلى العُقد؟ سألت نفسي في خضم الفوضى. استحضرت الكلمات بهدوء إلى شفتي: ما عليك إلا أن تسعى وسوف يقوم الرجل المُقنّع بتدبير الاتصال.

لا أدّعي أني فهمت ما قاله بشكل كامل. كانت كلماته مجازية ورمزية إلى حد كبير. ولكن ربما كان ذلك النوع من الأشياء التي

يتعيّن عليك التعبير عنها بشكل مجازي. أكاد ألا أصدق أن الرجل المُقنّع اختار التحدث إليّ بهذه الطريقة لمجرد التسلية. ربما كانت هي الطريقة الوحيدة.

من خلال ذلك العالم الذي يعيش فيه الرجل المُقنّع – وعبر لوحة المفاتيح الخاصة به – يتم وصل كافة أنواع الأشياء. لقد قال إن بعض التوصيلات أدت إلى ارتباك. لأنني فقدت السبيل نحو ما أريد. إذاً هل كانت كل روابطي غير ذات معنى؟

كنت أشرب وأنا أحدق في منفضة السجائر التي أمامي.

ماذا حدث لكيكي؟ كنت أشعر بوجودها بقوة في أحلامي. إنها هي من استدعتني إلى هنا. كانت بحاجة إليّ. كانت السبب الذي من أجله جئت إلى فندق الدولفين. ولكن ما زال يجب عليّ أن أسمع صوتها. انقطعت رسالتها، كما لو أن شخصاً قد انتزع السلك.

لماذا يبدو كل شيء شديد الغموض هكذا؟

ربما كانت الخطوط متداخلة. كان عليّ أن استوضح ما كانت تريده مني. أن أطلب مساعدة الرجل المُقنّع وأن أصل بين الأشياء خطوة خطوة. مهما كانت الصورة خارج البؤرة، كان يجب عليّ أن أفكك كل الأسلاك المتداخلة بصبر. أفككها ثم أربطها جميعاً معاً. كان عليّ استرداد عالمي.

ولكن من أين أبدأ؟ ليس ثمة مفتاح واحد. كنت منبطحاً أمام جدار عال. كان كل شيء مثل مرآة ملساء. لا سبيل لأن تمد يدك وتقبض على الأشياء. كنت على وشك أن أفقد قدرتي على التمييز.

دفعت الفاتورة وغادرت. كانت ندف كبيرة من الثلج تتساقط من السماء. لم تكن قد وصلت إلى الأرض بعد. ولكن صوت المدينة كان مختلفاً بسبب الثلج. مشيت بنشاط حول البناية حتى أفيق من أثر

الشراب. من أين أبدأ؟ وإلى أين أذهب؟ لم أكن أعرف. شعرت بأن صدأ يعلوني بشدة. وحيداً هكذا، سوف أجعل نفسي غير ذي جدوى تدريجياً. عظيم، عظيم. من أين أبدأ؟ آه. صديقتي موظفة الاستقبال؟ كانت تبدو جميلة. كنت أحبها. كنت أشعر بأن رباطاً يجمعنا معاً. كان بإمكاني أن أنام معها لو حاولت. ولكن ماذا بعد؟ إلى أين كنت سوف أتجه من هناك؟ ربما ليس هناك وجهة. مجرد شيء آخر سوف أفقده. لست أدري ماذا أريد. وإذا كانت هذه هي الحالة، وكما قالت زوجتي السابقة، فسوف ألحق الأذى بالناس.

قمتُ بجولة أخرى حول البناية. كان الثلج يتساقط بهدوء. يَعلق بمعطفي للحظات قصيرة، ثم يختفي. حاولت أن أعيد ترتيب أفكاري. كان الناس يسيرون بمحاذاتي، يخرجون دخاناً أبيض في الهواء. كان الجو بارداً للغاية حتى شعرت بأن وجهي يؤلمني. واصلت الطواف حول البناية، وواصلت محاولة التفكير. عَلِقتْ كلمات زوجتي السابقة في رأسي مثل اللعنة. سيئة لأنها كانت حقيقية. لقد آذيت كل شخص. إذا ظللت هكذا، فسوف أفقدهم هم أيضاً.

«اذهب وعش فوق سطح القمر!» كانت تلك آخر كلمات تفوهت بها صديقتي قبل رحيلها. لا، إنها ليست راحلة، إنها عائدة. كانت تتحدى في عودتها إلى العالم الكبير، والسيّئ والحقيقي.

عندئذ تأتي كيكي. نعم! كيكي يجب أن تكون هي النموذج. ولكن رسالتها تلاشت في منتصف الطريق.

إذاً من أين أبدأ.

أغمضت عينيّ وأنا أحاول العثور على جواب. ولكن في رأسي لم يكن ثمة أحد. لا رجل مقنّعاً، لا نورس، لا غوريلا رمادية. أجلس وحيداً في غرفة خالية شاسعة بعدما هجرني الجميع. لا أحد

يمكنه أن يقدم ليّ الجواب. سوف أجلس وأكبر في السن حتى أذوي في تلك الغرفة. لا رقص هنا. أمر محزن جداً.

لماذا لم أتمكن من قراءة أسماء المحطات؟

كان الجواب سيأتيني عند الظهيرة التالية. كالعادة من دون سابق إنذار، ومن حيث لا أدري. مثل غوريلا تضرب فوق رأسي بشدة.

(14)

كان أمراً غريباً، ولكنه ليس غريباً إلى ذلك الحد على ما أظن. حينما ألقيت بنفسي على السرير في منتصف الليل، غرقت على الفور في نوم عميق. لم أستيقظ قبل الثامنة صباحاً. وفي الثامنة بالضبط وكما لو أني استدرت دورة كاملة. شعرت بالراحة والجوع. لذا عدت إلى دانكن دوناتس ومنه ذهبت للتجول في المدينة. كانت الشوارع زلقة وصلبة، وكانت الثلوج الناعمة مثل ريش يهوي في هدوء. كما هي دائماً كانت السماء ملبدة بالغيوم. لم يكن الطقس أبداً هو الأنسب لجولة بلا متاعب حول المدينة، ولكن الخروج كان مفيداً لمعنوياتي. كانت برودة الجو تزيد نشاطي وتصفي ذهني.

بعد ساعة عدت أدراجي إلى الفندق. وجدت صديقتي موظفة الاستقبال في عملها مع زميلة لها منشغلة مع أحد النزلاء. كانت صديقتي تتحدث في الهاتف وعلى وجهها ترتسم ابتسامة مصطنعة وتعبث بقلم بين أصابعها دون أن تشعر بذلك. سرت نحوها وانتظرت حتى انتهت من مكالمتها.

رمقتني بنظرة لوم، ولكنها لم تسمح لها بأن تعوق ابتسامتها التي اصطنعتها بحِرَفية وإتقان. سألتني بأدب: «كيف يمكنني أن أساعدك؟».

نظفت حنجرتي وقلت: «معذرة، ولكني سمعت أن فتاتين قد

تعرضنا ليلة أمس لهجوم مأساوي من تمساح في نادي السباحة. هل تعرفين أي شيء عن هذا الخبر؟».

- «حسناً. لا يعرف المرء أبداً عن هذه الأشياء، أليس كذلك؟» أجابت وكانت ابتسامتها المصطنعة والدقيقة قد تجمدت. احمرت وجنتاها قليلاً، كما كانت فتحتا أنفها قد تمددت. «لا يمكنني القول إني أعرف أي شيء عن ذلك سيدي. معذرة ولكن هل أنت متأكد أن هذه هي القصة التي سمعتها؟».

- كان التمساح ضخماً بحسب جميع الآراء ويساوي في حجمه شاحنة فولفو كبيرة. لقد جاء محلقاً في ضوء السماء، وحطم الزجاج في كل مكان. والتهم الفتاتين في قضمة واحدة. ثم تناول نصف نخلة كتحلية. كنت أود أن أعرف ما إذا كان ذلك المخلوق طليقاً أم لا. هل تعتقدين أن الخروج أمر آمن الآن؟

لكنها قاطعتني من دون أن تغيّر أياً من تعبيرات وجهها قائلة: «معذرة سيدي، ولكن يمكنك إبلاغ الشرطة بنفسك سيدي. أنا متأكدة أن بإمكانهم أن يوفروا لك أخباراً عن آخر التطورات بخصوص هذا الحادث. هناك مركز شرطة ليس بعيداً عن هنا. يمكنك محاولة السؤال هناك».

قلت: «شكراً لك. هذا ما سأفعله. أتمنى لك حظاً سعيداً».

قالت ببرود وهي تضبط نظارتها: «العفو سيدي».

لم يمر وقت على عودتي إلى غرفتي حتى اتصلت بي.

- هل يمكن أن تخبرني ماذا كنت تريد من وراء كل ذلك؟

لم تفلح رغم نغمتها الهادئة في إخفاء غضبها. «ما كان ينبغي أن تفعل أي شيء لافت للانتباه خلال ساعات عملي. ألم أطلب منك ذلك من قبل؟ إنني أكره مثل هذه المزاح السخيف حينما أكون في العمل.

قلت معتذراً: «كنت فقط أريد التحدث إليك. كنت أريد أن أسمع صوتك. كانت نكتة سخيفة. آسف. كنت فقط أريد أن ألقي السلام. حقيقة لم أقصد أن أضايقك».

- إن هذا يضايقني بشدة. أخبرتك بذلك. حينما أكون في العمل أكون متوترة. لذا رجاء لا تفعل أي شيء مثل ذلك مرة أخرى. لقد وعدت أيضاً ألا تحدق فيّ.

- لم أكن أحدق. كنت فقط أحاول التحدث إليك.

- حسناً، من الآن فصاعداً، لا أرغب في حديث مثل ذلك. رجاء

- أعدُك. أعدُك. لا حديث. لا تحديق ولا حديث. سوف أكون صامتاً مثل الغرانيت. ولكن دعيني أنتهز فرصة أنك على الهاتف، هل لديك وقت هذا المساء؟ أم أن لديك دروس تسلّق جبال الليلة؟

سمعت صوت ضحكة جافة، نصفها صمت ثم وضعت السماعة.

انتظرت ثلاثين دقيقة ولكنها لم تعاود الاتصال. لقد أغضبتها. أحياناً لا يميز الناس حينما أمزح وحينما أكون جاداً. ولأنني لم يكن لدي ما هو أفضل لعمله، خرجت أتمشى مرة أخرى. إن حالفني الحظ، ربما أجد شيئاً جديداً. على أية حال كانت فكرة الخروج تروقني أكثر من مجرد الجلوس من دون فعل أي شيء.

تمشيت لساعة ولم أزدد إلا شعوراً بالبرد. ظلت الثلوج تتساقط. في الثانية عشرة ونصف دخلت إلى أحد مطاعم ماكدونالد لتناول بيرغر بالجبن وكوكا وبطاطا مقلية. لم أعرف حتى لماذا. لأسباب غائبة عني أجد نفسي أحياناً ألتهم هذا الطعام. ربما كان تركيبي

الجسماني مبرمجاً على تناول هذا الطعام «الجانك» عالي السعرات قليل القيمة الغذائية. ربما كنت أحتاج إلى راحة اليوم.

بعد ماكدونالد تمشيت ثلاثين دقيقة أخرى. لكني لم أعثر على أي اكتشافات تثير الاهتمام. زاد تساقط الثلوج. كانت العاصفة تزداد قوة. أغلقت معطفي حتى الرقبة طوال الطريق وغطيت أنفي بقلنسوتي. لكن مع ذلك كنت أشعر بالبرد. وكان لا بد أن أقضي حاجتي. ما الذي يجعلني أخرج في يوم كهذا وأشرب الكوكا؟ استطلعت المكان بحثا عن مكان فيه حمام يمكنني أن أقضي فيه حاجتي، ولم أجد سوى دار سينما. منشأة ميتة حقاً، ولكن كان يجب أن يكون لديهم حمام. وربما كان الجو دافئاً هناك. لم لا؟ لدي من الوقت ما أقتله على أية حال. ولكن ما الذي كانوا يعرضونه؟ فيلمان محلّيان أحدهما كان «حب من طرف واحد». هذا الفيلم من بطولة زميل دراستي السابق. حسناً.

بعدما قضيت حاجتي تماماً، اشتريت قهوة ساخنة وأخذتها ودخلت صالة العرض. كان المكان وكما توقعت خالياً من الجمهور ودافئاً. مرت ثلاثون دقيقة من الفيلم لكن لم يبدُ أنه يتحرك نحو حبكة معقدة. كان زميل دراستي يلعب دور مدرس علم أحياء طويل ووسيم، وفتى أحلام فتاة شابة. وربما كانت مفتونة به. بل ويغمى عليها لمجرد رؤيته. وبالطبع كان هناك شخص آخر - الذي كان يقوم بالمبارزة بعيدان الخيزران في وقت الفراغ - وكان يهيم بها حباً. يا له من فيلم سيئ. كان بإمكاني أن أؤلف مثل هذا الفيلم.

لكن ومع ذلك كان عليّ أن أقر بأن زميل دراستي الذي كان اسمه الحقيقي ريوشي جوتاندا، ليس تماماً هو الشخص الذي يبهج الفتيات. لذا فقد أُعطيَ في الفيلم اسماً يوحي بالحيوية ولعب دوره بالقليل من التعقيد. لا أثر لأي ماض مضطرب. أو جراح. ربما كان

طالبا رجعيا أو تسبب في جعل فتاة تحمل ثم هجرها - ولكن هذا أفضل من لا شيء. من وقت لآخر كان الفيلم يحتوي على المشاهد التي تعود بالزمن للوراء (فلاش باك) - مثل لقطة تصوره حينما كان طالباً في جامعة طوكيو.

على أية حال لعب جوتاندا دوره حتى النهاية. ولكن الفيلم كان مثيراً للسخرية ومخرجه يفتقر إلى أي موهبة، والسيناريو صبيانياً لدرجة محرجة وسلسلة لا نهاية لها من المشاهد المتلاحقة التي لا معنى لها واللقطات المقربة على الفتاة، وكان كل ذلك يشير إلى أن جوتاندا محكوم عليه بالفشل من البداية. ومهما كان مقدار التمثيل الحقيقي الذي أداه، فلا يمكنك احتمال مشاهدته.

ثم وفي مشهد من المشاهد، ينام جوتاندا في فراشه في شقته صباح الأحد مع امرأة حينما تدخل عليه الفتاة المفتونة بحبه وهي تحمل بعض الكعك الذي صنعته في البيت أو شيئاً من هذا القبيل. كان جوتاندا حميمياً للغاية ومخلصاً في الفراش، وقريباً مما تخيلت. يا له من جنس ممتع جداً. وربما تنبعث من تحت إبطيه رائحة عطرة. كان شعره غير مشذّب بشكل يدغدغ الحواس. إنه يمسد ظهر المرأة. وهي عارية. تدور الكاميرا حتى تقترب منها. وفجأة يظهر وجهها — إنها كيكي!

تجمدت في مقعدي. يمكنني أن أسمع صوت زجاجة فارغة تتدحرج بين صفي المقاعد. مستحيل! هذه هي الصورة نفسها التي رأيتها في الردهة المظلمة في فندق الدولفين. جوتاندا ينام معها!

كان ذلك حينما أدركت أننا جميعاً متصلون.

كان هذا هو المشهد الوحيد الذي تظهر فيه كيكي. صباح الأحد في الفراش مع جوتاندا. كان جوتاندا قد ذهب إلى بار ليلة السبت، واصطحبها من هناك معه إلى شقته. ثم يتضاجعان مرة أخرى في

الصباح. كان ذلك حينما دخلت تلميذته المتيمة بحبه وهي الفتاة البطلة. كان قد نسي إقفال الباب. ذلك هو كل المشهد. كيكي لا تتفوه بغير سطر واحد. وهو سطر كريه للغاية. وهو يسير هكذا:

كيكي:

ما الذي يحدث هنا؟

بعد أن ركضت الفتاة من المكان مصدومة بينما جوتاندا في حالة من الذهول. يأتي هذا السطر الذي تقوله كيكي.

لم أكن حتى متأكداً ما إذا كان ذلك صوتها. لم تكن ذكرياتي عنها واضحة جدا، كما لم تكن المكبرات في صالة العرض ذات صوت حاد. يمكنني مع ذلك تذكّر جسمها. شكل ظهرها، ملمس عنقها، نهديها ناعمي الملمس. نعم كانت هي تماماً. جلستُ هناك متسمراً في مقعدي ومحدقاً في الشاشة. لم يكن ممكناً أن يمتد المشهد لأكثر من دقيقتين. كيكي في عناق مع جوتاندا. إنها تتدفق مع مداعباته، وتغمض عينيها في حالة من البهجة وشفتاها ترتجفان قليلاً. تخرج تنهيدة قصيرة. لا يمكنني الجزم إن كانت تمثل أم لا - ولكن لنفترض أنها كانت تمثل. فهذا فيلم على أية حال. ليس يعني ذلك أنني أعتقد للحظة أن كيكي يمكنها أن تمثل.

لنفترض أن كيكي لم تكن تمثل، إذن ذلك يعني أنها كانت تتجاوب مع ممارسة جوتاندا. ولكن إذا كانت تمثل فهذا يعني أنها لم تكن المرأة التي عرفتها. لم تكن تؤمن بالتمثيل. لم تكن مخلوقة للتمثيل. ولكن في كلا الحالتين كنت أحترق بنار الغيرة.

في البداية نادي سباحة، والآن فيلم غبي. هل كانت لدي القدرة على أن أغار من أي شيء؟ هل كان ذلك علامة جيدة؟

تفتح الفتاة البطلة الباب الآن. تقع عيناها على الجسدين العاريين

وهما يتعانقان. تحبس أنفاسها. تغمض عينيها. تستدير وتفر تاركة المكان.

انتابت جوتاندا الدهشة. كيكي تقول: «ما الذي يحدث هنا؟» الكاميرا تقترب من وجه جوتاندا الذي بانت عليه علامات الصدمة. ثم يتلاشى المشهد بشكل تدريجي.

باستثناء ذلك الدور الصغير، لم تظهر كيكي في أي مشهد آخر. ناهيك عن الحبكة الغبية، كانت عيناي مسلطتين على الشاشة وعرفت أنها لم تكن في أي مكان بها. كان من المقرر أن تكون محطة لليلة واحدة لجوتاندا، وشاهدة على مشهد واحد سريع الزوال في حياة جوتاندا قبل أن تختفي للأبد. كان ذلك هو دورها. نفس ما قامت به معي. فجأة هي هناك، ترى ما يمكن رؤيته هناك، ثم بعد ذلك ترحل.

انتهى الفيلم. أضيئت الأضواء. تم تشغيل الموسيقى. ظللت في مقعدي مشدوهاً أمام الشاشة الفارغة البيضاء. هل كان ذلك واقعاً أم خيالاً؟ انتهى الفيلم، بيد أنني لم أفهمه. ما الذي كانت تفعله كيكي في فيلم سينمائي؟ ومع جوتاندا؟ إنه أمر عبثي. لا بد أنني مخطئ. لقد قمت بتوصيلة خطأ. لا بد أن تداخلاً حدث في الأسلاك في مكان ما. بأي طريقة أخرى يمكنني أن أشرح ذلك؟

قمتُ بجولة أخرى حول المكان بعد مغادرتي السينما. كنت أفكر طوال الوقت في كيكي. شعرت بأنها تهمس في أذني: «ما الذي يحدث هنا؟».

لا بد أنها كانت هي. لا يمكن أن يكون هنالك خطأ في الأمر. كانت لها تكشيرة الوجه نفسها حينما أمارس الجنس معها، وكانت شفتاها ترتجفان بالطريقة نفسها، هكذا كانت تتنهد. لم يكن ذلك تمثيلاً. مستحيل. أما هذه المرة فذلك مشهد من فيلم سينمائي.

أمر لا يمكن فهمه.

كنت كلما مشيت تقلّ ثقتي بذاكرتي. ربما كان الفيلم السينمائي نفسه نوعاً من الهلوسة.

بعد ساعة ونصف عدت إلى دار السينما نفسها. وشاهدت فيلم «حب من طرف واحد» مرة أخرى من البداية. صباح الأحد، جوتاندا يمارس الجنس مع امرأة. ظهْر المرأة في مواجهة الكاميرا. الكاميرا تدور. ثم يظهر وجه المرأة. إنها كيكي. شيء واضح وضوح الشمس. تدخل الفتاة البطلة. تحبس أنفاسها. تغمض عينيها. ثم تهرول. جوتاندا مرتبك وفي حالة من الذهول. كيكي: «ما الذي يحدث هنا؟» ثم اختفاء.

الأحداث نفسها بالتفصيل.

شاهدته مرة ثانية وما زلت غير قادر على التصديق. على الإطلاق. لا بد أن خطأ ما وقع هنا. لماذا تنام كيكي مع جوتاندا؟

في اليوم التالي ذهبت إلى السينما مرة أخرى. وجلست لمشاهدة فيلم «حب من طرف واحد» مرة أخرى انتظاراً لذلك المشهد. كنت قلقاً ومتعجلاً. أخيراً جاء المشهد. صباح الأحد، جوتاندا يمارس الحب مع امرأة. ظهر المرأة إلى الكاميرا. تدور الكاميرا في المكان. ثم يظهر وجه المرأة. إنها كيكي. واضحة وضوح الشمس. تدخل الفتاة البطلة. تحبس أنفاسها. تغمض عينيها. تهرول من المكان. جوتاندا مرتبك ومذهول. كيكي: «ما الذي يحدث هنا؟» اختفاء.

هناك في الظلام تنهدتُ تنهيدة عميقة.

نعم، نعم. لقد فزت. هذا حقيقي. لا خطأ في الأمر. إننا متّصلون.

(15)

عدت إلى مقعدي وضممت كفّيَّ لأغطي بهما وجهي وسألت نفسي السؤال المعتاد: ماذا يمكنني أن أفعل؟ إنه السؤال نفسه. ولكني الآن أدركت أنني بحاجة لأن أعيد التفكير في الأشياء بهدوء ورباطة جأش. بحاجة لأن أعيد ترتيب الأشياء. بحاجة لأن أعيد ضبط الاتصالات المتشابكة.

ثمة شيء هنا كان مربكاً، هذا ما لا شك فيه. ثمة شيء مفقود. كيكي وجوتاندا وأنا كنا كلنا متصلين من خلال حزمة متشابكة من الأسلاك، ولكن لماذا؟ كان يجب عليّ أن أفض هذا الاشتباك.

كان يجب عليّ أن استعيد إحساسي بالحقيقة. ولكن ربما لم تكن الاتصالات مرتبكة متداخلة، وربما كان كل ذلك تواصلاً جديداً وليس له أي صلة بما سبق تماماً. لكن ما زال عليّ أن أفكك الخيوط المتداخلة. حتى أتجنب تقطيع أي منها.

هنا كنت أنا المفتاح. كان يجب عليّ الاستمرار في الحركة. لم أكن أستطيع التوقف. يجب أن أرقص. بخفة على قدمي حتى يظل كل شيء يدور.

قال الرجل المُقنّع: يجب أن ترقص.

وسمعت صدى ذلك في عقلي: يجب أن ترقص.

حان الوقت لعودتي إلى طوكيو. لم يعد هناك داع لبقائي هنا. لقد استنفد فندق الدولفين الغرض منه. بمجرد عودتي إلى طوكيو سوف يكون لدي الكثير من العقد التي عليّ تفكيكها.

قمت بضبط هندامي وغادرت المسرح. كانت الثلوج تتساقط بكثافة أكبر من قبل، حتى كادت تحجب طريق العودة. المدينة كلها تجمدت حتى صارت مثل جثة وكانت كل زاوية فيها تبعث على الاكتئاب.

مع عودتي إلى الفندق، اتصلت بالخطوط الجوية أوول نيبون وحجزت تذكرة سفر إلى طوكيو هذا المساء.

«بسبب الثلوج هناك احتمال كبير لتأخير الرحلة أو حتى إلغائها». هكذا أخبرتني موظفة الحجز. لم آبه لذلك. كنت قد عزمت على العودة وكلما عدت مبكراً إلى طوكيو كان ذلك أفضل. ثم حزمت حقائبي ونزلت حتى أصفي حسابي في الفندق. تصادف ذلك مع نوبة عمل صديقتي موظفة الاستقبال. ألمحت إليها برغبتي في التحدث إليها عند طاولة تأجير السيارات.

قلت لها: «ثمة عمل طارئ حدث ويتعين عليّ العودة إلى طوكيو».

قالت بابتسامة مصطنعة: «شكراً جزيلاً، ونرجو أن تعود مرة ثانية». تُرى هل يمكن أن تكون قد شعرت بالضيق كوني لم أخطرها إلا قبل المغادرة بقليل؟

قلت: «أنوي العودة قريباً. عندما أعود سوف نذهب معاً للعشاء ونتكلم. هناك الكثير أريد أن أخبرك به. لكن لدي أشياء يجب ضبطها في طوكيو أولاً. وبمجرد الانتهاء منها سوف أعود. هناك شيء خاص بهذا المكان لكن لا أعرف كيف أعبّر عنه. لذا عاجلاً أو آجلاً سوف أعود إلى هنا مرة أخرى».

قالت متشككة بعض الشيء: «إمممم».

كررت ولكن بشكل أكثر إيجابية: «إمممم. أنا متأكد من أن ما أقوله يبدو غير صادق».

قالت دون أن تتأثر ملامح وجهها: «لا مطلقاً. لا يمكن للمرء أن يتأكد من أشياء قبل حدوثها بشهور كثيرة جداً».

قلت بلهجة بدت صادقة كما أردتها: «لن يطول ذلك لشهور كثيرة جداً. سوف نلتقي ثانية. أشعر حقاً بأن ثمة شيئاً خاصاً يجمعنا معاً أيضاً. ألا تشعرين بذلك؟».

وضعت قلمها على الطاولة كنوع من الرد. «وأظن أنك ستخبرني أنك حجزت على أول رحلة مغادرة؟».

– آه، نعم. لقد رتبت ذلك. في حال أقلعت الرحلة. ولكن في ظل هذا الطقس ربما لن نقلع في الموعد.

– حسناً إذا كنت ستغادر على الرحلة القادمة فإن لديّ طلباً.

– بالطبع.

– هناك طفلة عمرها ثلاث عشرة سنة يجب عليها أن تعود إلى طوكيو. اضطرت أمها للمغادرة فجأة في مهمة عمل وتركت الطفلة في الفندق هنا بمفردها. أدرك أنها مهمة شاقة ولكن هل يمكن أن تصحب الطفلة معك إلى طوكيو؟ لديها الكثير من الأمتعة وأخشى أن أرسلها بمفردها على طائرة.

قلت: «حقيقة لا أفهم. ألا ترينه سلوكاً غريباً أن تذهب أمٌ إلى مكان ما وتخلّف طفلتها وراءها في فندق؟».

هزت صديقتي كتفيها: «ربما. لكنها تعمل في الوسط الفني. مصورة مشهورة. ويمكن أن تكون شاذة الطباع. فكرة لاحت لها فغادرت. لقد نسيت تماماً شأن الطفلة. ثم بعد ذلك تلقينا اتصالاً منها

يبلغنا بأن ابنتها في مكان ما بالفندق وتطلب أن نعيدها إلى طوكيو على متن إحدى رحلات الطيران إلى هناك. هذا كل ما في الأمر».

– ألا ينبغي أن تأتي بنفسها وتأخذ الطفلة.

– هذا ليس من شأني. بالإضافة إلى أنها ذهبت إلى كاتماندو في مهمة عمل وقالت إنها سوف تكون مشغولة لأسبوع آخر. إنها مشهورة للغاية وضيفة دائمة في الفندق، كيف لي أن أناكفها؟ قالت لي إذا استطعت أن أوصل ابنتها إلى المطار فيمكنها أن تعود باقي الطريق بنفسها. ربما كان ذلك صحيحاً، ولكن البنت ما زالت طفلة. وإذا ما أصابها مكروه فسوف تكون مسؤوليتنا.

قلت بعدما لاحت بخاطري فكرة: «حسناً، هل هي طفلة ذات شعر طويل وترتدي كنزة روك أند رول وتضع واكمان، أليس كذلك؟».

– نعم بالضبط. كيف عرفت ذلك؟

– يا لها من عائلة غريبة؟

بدأت صديقتي بالإجراءات على الفور. اتصلت بشركة الخطوط الجوية «إيه إن أيه» وحجزت مقعداً للفتاة على رحلتي. اتصلت بالفتاة وأبلغتها أن شخصاً ما هي تعرفه سوف يصحبها في طريق العودة إلى طوكيو وأن عليها أن تحزم أمتعتها على الفور. اتصلت بحامل الحقائب وأرسلته إلى غرفة الفتاة لحمل حقائبها. واستدعت خدمة الليموزين في الفندق. لم أستطع إخفاء إعجابي.

– قلت لك إنني أحب عملي. إنني مخلوقة له.

– ولكن لو أن شخصاً عرّضك لبعض الصعوبات في العمل فسوف تتوقفين.

ضربت بقلمها على الطاولة. «هذا أمر آخر، هناك فرق. لا أحب أن أكون موضع سخرية».

قلت: «لا أقصد ذلك. من فضلك صدقيني. كنت فقط أحاول المزاح معك. لم أقصد أي إساءة فعلاً. إنني أحاول المزاح فقط لأنني بحاجة إلى بعض الترويح».

زمّت شفتيها قليلاً ونظرت إليّ نظرة مباشرة. نظرة شخص يستطلع أرضاً منخفضة من على قمة تل بعدما تراجعت مياه الفيضانات. ثم تكلمت بصوت كان أشبه بتنهيدة. «بالمناسبة هل يمكنني أن أطلب منك بطاقتك التعريفية إذا سمحت؟ كإجراء احترازي بالطبع، لعلك ترى كيف أنني أعهد بطفلة صغيرة لرعايتك».

همست: «كإجراء احترازي». ثم أخرجت من جيبي بطاقة تعريفية وقدمتها لها. نظراً لقيمتها فإنني أحمل معي بطاقات تعريفية. نظراً لقيمتها أخبرني الكثير من الناس عن مدى أهميتها في تسيير الأعمال. نظرت إلى بطاقة التعريف الخاصة بي كما لو كانت منفضة.

ثم كان عليّ أن أحاول: «وهل يمكنني أن أعرف ما هو اسمك؟».

قالت وهي ترفع نظارتها بإصبعها الوسطى: «ربما في المرة القادمة. إذا التقينا ثانية».

قلت: «بالطبع سوف نلتقي».

ناعمة وهادئة مثل قمر جديد، علت وجهها ابتسامة.

بعد عشر دقائق ظهر حامل الحقائب والفتاة في بهو الفندق. كان حامل الحقائب يحمل حقيبتي سامسونايت من الحجم الكبير. كل واحدة تسع راعي أغنام ألمانياً بالغاً وهو واقف. وتعتبر كبيرة على فتاة في الثالثة عشرة من عمرها أن تتوجه بها بنفسها إلى المطار. كانت ترتدي بنطالاً من الجينز الضيق وتنتعل حذاءً رياضياً وكانت الكنزة التي ترتديها في هذا اليوم مكتوباً عليها TALKING HEADS. وفوق ذلك كانت ترتدي فراءً يبدو أنه مرتفع الثمن. كان هناك الإحساس الشفاف

نفسه حولها. كان جمالها من ذلك النوع المرهف. لديها توازن يصعب جداً أن يتم الحفاظ عليه.

لم يكن TALKING HEADS اسماً سيئاً لفرقة موسيقية.

رمقتني الفتاة بنظرة غير عابئة. لم تبتسم ولكنها رفعت حاجبيها ثم استدارت نحو صديقتي موظفة الاستقبال ذات النظارة.

قالت لها صديقتي: «لا تقلقي، إنه شخص جيد».

فقلت: «لست سيئاً كما يبدو عليّ».

نظرت إليّ الفتاة مرة ثانية. ثم أومأت برأسها كما لو كانت تبدي موافقتها.

ثم تابعت صديقتي: «أؤكد لك أن الرحلة ستكون ممتعة. إن هذا الرجل العجوز يقول نكات مضحكة».

شهقت: «رجل عجوز!».

واستطردت من دون أن تُعرني أي اهتمام: «إنه يلقي من وقت لآخر بالكلمات اللطيفة. إنه حقاً رجل شهم معنا نحن السيدات. وفوق كل ذلك إنه صديقي. ولذلك سوف تكونين بخير معه».

اتجهت كلتاهما صوب سيارة الليموزين أمام مدخل الفندق. ثم تبعتهما، وأنا أشعر بأن كرامتي قد أهينت، في صمت تام.

كان الطقس سيئاً للغاية. وكان الطريق المؤدي للمطار قد امتلأ بالثلوج المتساقطة حتى بات أشبه بالقارة القطبية.

سألتُ الفتاة: «ما اسمك؟».

حدقت الفتاة فيّ ثم هزت رأسها. «لحظة من فضلك». وراحت تنظر حولها كما لو كانت تبحث عن شيء مفقود، ولكن لم يكن هناك ما يمكن رؤيته غير العاصفة الثلجية في الخارج.

وقالت: «يوكي» (أي ثلوج).

– هل يمكنك أن تقوليه مرة ثانية؟

همست: «إنه اسمي!».

ثم أخرجت جهاز الوُكمان من جيبها ووضعت السماعات في أذنيها. وخلال المسافة المتبقية إلى المطار لم تعرني حتى التفاتة.

اسمها ثلوج، يا له من اسم. يا لها من شخصية ساحرة مليئة بالروح الاجتماعية. ربما كان يجب عليها على الأقل أن تعطيني واحدة من علكاتها في كل مرة تتناول واحدة. ليس معنى ذلك أنني كنت أرغب في واحدة، ولكن ألم تسمع عن الأدب؟ كانت تلك العلكة ستجعلني أشعر أنني أستقل معها السيارة نفسها على الأقل. جلست في مقعدي وأنا أعد الدقائق ومغمضاً عينيّ.

فقط لاحقاً علمت أن «يوكي» كان بالفعل هو اسمها. تذكرت حينما كنت في مثل سنها. كنت معتاداً على جمع تسجيلات أغاني البوب بنفسي.. كنت أمتلك حوالي 145 من هذه التسجيلات. كنت معتاداً على سماعها يوماً بعد يوم، وأحفظ كلماتها عن ظهر قلب. أحفظ تلك الكلمات التي يمكن أن يحفظها الأطفال. ودائماً ما تكون تلك الأبيات هي الأكثر عبثية والأكثر افتقاراً للمعنى. أبيات مثل: دمية صينية في هونغ كونغ القديمة تنتظر عودتي...

تركت يوكي في غرفة الانتظار وذهبت لشراء تذكرتي السفر. كانت الرحلة متأخرة ساعة عن موعد الإقلاع. ولكن موظفة صرف التذاكر قالت إنها ربما تتأخر أكثر من ذلك. وقالت: «رجاء تابع البيانات التي تذاع في المطار. مستوى الرؤية الآن سيئ للغاية».

سألتها: «هل تعتقدين أن الطقس سوف يتحسن؟».

قالت غير عابئة: «هذا ما تقوله التوقعات. ولكن ربما يأخذ ذلك

بعض الوقت». يبدو أنه كان عليها أن تردد هاتين الجملتين مئات المرات بشكل يكفي لإحباط الجميع.

عدت إلى يوكي بالأخبار. رمقتني بشيء من الازدراء دون أن تنبس بكلمة.

قلت: «من يدري متى سنصعد الطائرة. لا داعي للتسجيل الآن. ربما تكون كارثة أن نحاول استعادة حقائبنا مرة ثانية».

مرة ثانية لم تنبس بكلمة، مهما كان ما أقوله.

- أظن أن ليس أمامنا غير الانتظار. ليس أمراً مسلياً أن نَعلَق في المطار لساعات.

ثم سألتها: «هل تناولتِ بعض الطعام؟».

أومأت برأسها.

- ما رأيك في الذهاب إلى المقهى؟ يمكننا أن نشتري شيئاً نشربه. أي شيء تريدينه.

نظرت إليَّ نظرة من لا يعرف عما أتكلم. كانت تمتلك مخزوناً كاملاً من تعبيرات الوجه.

قلت وأنا أنهض واقفاً: «حسناً لنذهب». ورحنا ندفع حقائبها السامسونايت أمامنا.

كان المقهى يغصّ برواده. فجميع الرحلات إلى سابورو متأخرة عن موعدها. بدوا جميعهم في حالة من الاستياء والغضب. طلبت ساندويتشاً وقهوة. أما يوكي فطلبت شوكولاتة ساخنة.

- كم المدة التي أمضيتِها بالفندق؟ يجب على المرء أن يحاول أن يكون متحضراً.

بعد برهة من التفكير، خرجت منها أخيراً إجابة مباشرة وحقيقية: «عشرة أيام».

- ومتى غادرت أمك؟

نظرت خارج النافذة نحو الثلوج قليلاً ثم قالت: «قبل ثلاثة أيام».

شعرت كما لو أننا بدأنا تدريباً على تعلم الإنجليزية للمبتدئين.

- إذن هل مدرستك كانت في إجازة طول هذا الوقت؟

كان ذلك السؤال هو الخدعة. لكنها قالت بحدة: «لا لم تكن مدرستي في إجازة كل هذا الوقت. لا تحاول استدراجي». ثم أخرجت الوُكمان من جيبها ووضعت السمّاعات في أذنيها.

انتهيت من القهوة ورحت أتصفح الجريدة. هل كل أنثى في هذا العالم خلقت لتكون سبباً في شقائي؟ هل هو مجرد حظ أم أنه خطأ في شخصيتي؟

لو كان لي أن أختار، لاخترت أن يكون ذلك مجرد حظ. طويت الجريدة وأخرجت كتاب The Sound and the Fury. وكذلك رواية لويليام فولكنر وفيليب كي ديك أيضاً.

حينما أجدني محاصراً بإرهاق غير مبرر فإنني دائماً ما أجد فيهم شيئاً يربطني بهم. لذلك السبب فإنني دائماً أحمل رواية لمثل هذه الأوقات.

ذهبت يوكي إلى الحمام، وبعد أن عادت استبدلت البطارية في جهاز الوُكمان. وبعد ثلاثين دقيقة جاء الإعلان عن الرحلة. تم تأجيل الرحلة المتجهة إلى طوكيو أربع ساعات بسبب استمرار حالة عدم وضوح الرؤية. أمر عظيم، عظيم. إذن مزيدا من معاناة الجلوس هنا.

انظر إلى الجانب المبهج للأشياء. قلت في نفسي محاولا أن أشجع نفسي. استخدم قوة التفكير الإيجابي. امنح نفسك خمس دقائق للتفكير في كيف يمكنك أن تحوّل موقفاً تعيساً لمصلحتك

وسوف يضيء ذلك المصباح الصغير. ربما سوف يضيء وربما لا يضيء مرة أخرى. ولكن لا بد من شيء يهزم الجلوس ويقتل الوقت في خضم هذه الضوضاء وهذه القاعة المعبأة بالدخان. طلبت من يوكي أن تظل مكانها فيما ذهبت أنا إلى غرفة الانتظار. ذهبت إلى مكتب تأجير سيارات وقامت الموظفة خلف الطاولة باستكمال الأوراق الخاصة باستئجار سيارة تويوتا كورولا مزودة بنظام ستريو. وأوصلتني حافلة صغيرة إلى باحة السيارات حيث تسلمت مفتاح سيارة ذات إطارات جديدة مجهزة للسير وسط الثلوج. عدت إلى المطار في السيارة وذهبت لإحضار يوكي من المقهى. «دعينا نذهب في جولة بالسيارة لمدة ثلاث ساعات».

- وسط عاصفة ثلجية مثل هذه؟ ما الذي يمكننا رؤيته؟ وأين سنذهب على أية حال؟

قلت: «لن نذهب إلى أي مكان. فقط جولة. والسيارة فيها ستريو ويمكنك أن تشغلي الموسيقى بأعلى صوت تريدينه. هذا أفضل لأذنيك بدلاً من الاستماع لهذا الوُكمان».

هزت رأسها كما لو كانت تقول لي إنني أمزح. لكنها ومع ذلك، وحينما هممت بالقيام، قامت هي أيضاً.

وضعت حقائبها في صندوق السيارة ثم قدت السيارة وسط الثلوج لا ألوي على وجهة معينة. تناولت يوكي شريط كاسيت من جيبها ووضعته في الاستريو حيث كان دافيد باوي يغني. وتلاه فيل كولينز، جيفرسزم ستار شيب، توماس دولبي، توم بيتي، تومسون توينز، أيجي بوب، بانانا راما. كلها أغنيات تلائم ذوق فتاة مراهقة.

ثم جاء بول ماكارتني ومايكل جاكسون.

كانت مسّاحتا السيارة تعملان بأقصى قدرة لإزاحة ندف الثلج

المتساقطة فوق زجاج السيارة. كان الطريق خالياً إلا من عدد قليل من السيارات، بل تقريباً لم يكن هناك سيارات في الحقيقة. كنا نشعر بالدفء داخل السيارة ونحن نستمع لموسيقى الروك. انخرطنا في ذلك على مدى تسعين دقيقة. ما إن لاحظتُ شريط الكاسيت الذي استعرته من مكتب تأجير السيارات حتى ابتدرتني سائلة: «ما هذا؟».

قلت: «أغنية قديمة».

- ضعه في الاستريو.

- لا أضمن لك أنك ستحبينه.

- حسناً، لقد كنت أستمع للشرائط نفسها طوال العشرة أيام الماضية.

لم أكد أضغط على زر التشغيل حتى صدح سام كوك بأغنية «عالم رائع». لا أعرف كثيراً عن التاريخ، لكن سام قُتل حينما كنت في الصف التاسع. ثم جاء بعده بادي هولي، ومات في تحطم طائرة، ثم كان بوبي دارين، ورحل أيضاً، ثم جاء ألفيس بريسلي. كلهم ماتوا ورحلوا وكنت أغني مع كل منهم كل أغانيهم.

وقالت يوكي مندهشة: «إنك تحفظ كلمات الأغاني حقّاً!».

قلت: «ومن لا يحفظها؟ كنت مهووساً بموسيقى الروك تماماً مثلما أنت الآن. كنت معتاداً على التسمر بجوار الراديو كل يوم. كنت أنفق كل مخصصاتي المالية على شراء التسجيلات. وكنت أعتقد أن الروك أند رول هي أفضل شيء خلق في هذا العالم».

- والآن؟

- ما زلت أستمع أحياناً. أحب الاستماع للبعض منها. ولكني لا أستمع بإنصات، ولم أعد أحفظ أياً من كلمات هذه الأغاني. لم تعد تؤثر فيّ كما كانت من قبل.

- كيف ذلك؟ كيف ذلك، أخبرني.

قلت: «بعد كل ذلك الوقت ربما أصبحت أعتقد أن من الصعب إيجاد أغنيات جيدة حقاً أو حتى أي أشياء جيدة. فقد تستمعين للراديو على مدى ساعة كاملة، ولا تجدين سوى أغنية واحدة جيدة، فيما باقي الأغنيات عبارة عن تسجيلات هابطة مصيرها للزوال. ولكن في ذلك الوقت لم أكن أفكر فيها، وكان مجرد الاستماع لها يولّد إحساساً عظيماً. لم يكن يهمني ما هي. كنت صغيراً. كنت أعيش حالة حب. وحينما تكونين صغيرة يمكنك أن ترتبطي بأي شيء، حتى لو كان سخيفا. هل تفهمين ما أقصد؟».

- نوعاً ما.

وتوالت الأغنيات وكنت أردد مع الجوقة.

سألتُ يوكي: «هل تشعرين بالملل؟».

أجابت: «ليس كثيراً».

قلت: «ليس كثيراً على الإطلاق».

سألتْ: «والآن بعدما لم تعد صغيراً، أما زلت تقع في الحب؟».

كان السؤال يحتاج مني إلى تفكير. قلت في نهاية الأمر: «سؤال صعب. هل لديك فتى تحبينه؟».

قالت بحسم: «لا. ولكن من المؤكد أن هناك كثيرين يتزلفون إليّ».

قلت: «أعرف ما تقصدين».

- أفضل الاستماع إلى الموسيقى فقط.

- أعرف ما تقصدين.

قالت مندهشة: «تعرف؟».

قلت: «نعم أعرف. بعض الناس يسمّون ذلك هروباً. أنا أعيش

حياتي. وأنت تعيشين حياتك. إذا كنت صريحة بخصوص ما تريدين، حينئذ يمكنك أن تعيشي بأي طريقة تفضّلينها. لا آبه لِما يقول الناس. هذه هي الطريقة التي كنت أنظر بها إلى الأشياء حينما كنت في سنك وأعتقد أن هذه هي الطريقة التي أنظر بها إلى الأشياء الآن. هل يعني ذلك أنني توقفت عن التطور؟ أم أنني كنتُ على صواب كل هذه السنوات؟ ما زلت في انتظار الإجابة عن ذلك السؤال».

واصلت الدندنة مع مقاطع الأغنيات. كانت كميات هائلة من الثلوج قد تراكمت على الجانب الأيسر من الطريق.

علّقت يوكي: «هل أخبرك أحد من قبل أنك مختلف؟».

كان جوابي: «ربما».

- هل أنت متزوج؟

- كنت متزوجاً.

- إذاً أنت غير متزوج الآن؟

- هذا صحيح.

- لماذا؟

- زوجتي تركتني.

- حقاً ما تقول؟

- نعم حقاً. ذهبت لتعيش مع شخص آخر.

- لكن أظن أنني بإمكاني تفهّم ما كانت عليه مشاعر زوجتك.

- ماذا تقصدين؟

هزت كتفيها دون أن تقول أي شيء. ولم أحاول أن أستفسر عن المزيد.

سألت بعد برهة: «هل ترغب في علكة؟».

- لا شكراً.

كنا نحن الاثنين الآن ندندن مع فرقة «بيتش بويز».

كانت حدة تساقط الثلوج قد بدأت تخف. توجهنا نحو المطار، سلمنا مفاتيح السيارة إلى مكتب تأجير السيارات. سجلنا التذاكر والحقائب، وبعد ثلاثين دقيقة كنا عند البوابة.

وأخيراً أقلعت الطائرة بعد تأخير خمس ساعات. راحت يوكي في نوم عميق بمجرد إقلاع الطائرة. كانت جميلة وهي تنام بجانبي. تبدو مميزة وبها رقة وهشاشة. جاءت المضيفة الجوية بالمشروبات ونظرت نحو يوكي ثم ابتسمت ابتسامة عريضة نحوي. كان عليّ أن أبتسم أيضاً. طلبت «جين وتونيك». وأثناء شربي، فكّرت في كيكي. ظل المشهد يلوح أمامي المرة تلو المرة. كيكي وجوتاندا في الفراش يمارسان الحب. الكاميرا تدور حولهما. وهي هناك تقول: «ما الذي يحدث هنا؟».

حقاً ما الذي يحدث هنا؟

(16)

بعد أن تسلمنا حقائبنا في مطار هنيدا أخبرتني يوكي عن مكان إقامتها. هاكوني.

قلت: «هذه مسافة طويلة للغاية من هنا». كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة مساء وحتى إذا وجدتُ سيارة أجرة لتقلها فسيكون الإرهاق قد نال منها وقت وصولها هناك. «هل تعرفين أي شخص في طوكيو؟ صديق أو قريب؟».

- لا أحد من هؤلاء، ولكن لدينا شقة في أكازاكا. إنها شقة صغيرة ولكن أمي تستخدمها حينما تأتي للمدنية. يمكنني الإقامة هناك. لا أحد يشغلها الآن.

- أليس لديك أي أفراد عائلة، بالإضافة إلى أمك؟

أجابت يوكي: «لا، أمي وأنا فقط».

قلت: «مممم» عائلة غير عادية. ولكن أي شأن لي أنا بهكذا أمر. «ما رأيك لو ذهبنا إلى بيتي أولاً؟ حينئذ يمكننا تناول العشاء في مكان ما. ثم بعد ذلك سأقوم بتوصيلك إلى شقتك في أكازاكا. هل هذا يناسبك؟».

- كما تشاء.

أخذنا سيارة أجرة إلى شقتي في شيبويا حيث غيرت ملابسي التي

جئت بها من هوكايدو. ثم ركبنا سيارتي السوبارو وسرنا بها خمس عشرة دقيقة إلى مطعم إيطالي كنت أحياناً أذهب إليه. يمكنك أن تسمّيها مهارة مهنية. إنني أعرف كيف أجد الأماكن التي تقدم طعاماً جيداً.

أخبرتها: «إنه مثل تلك الخنازيز في فرنسا يتم تدريبها لكي تَنْخُر حينما تعثر على الفطريات».

– ألا تحب عملك؟

– لا. وما الذي يجعلني أحبه؟ إنه عمل غير ذي معنى. أبحث عن مطعم جيد. أكتب عنه مقالة لمجلة. أذهب هنا، أجرب هذا. ما أهمية ذلك؟ لماذا لا يترك الناس يذهبون حيث يشاؤون ويطلبون ما يرغبون؟ لماذا يحتاجون إلى شخص يخبرهم بذلك؟ ما هي قائمة الأطباق؟ ثم بعد أن أكتب ويكتسب المطعم الشهرة، يتوقف الاهتمام بكيفية طهو الطعام أو الخدمة. إن ذلك هو ما يحدث دائماً. معادلة العرض والطلب تم التلاعب بها. إنه أنا الذي فعل ذلك. إنني أقوم بذلك المرة تلو الأخرى وبشكل أنيق ولطيف. وأعثر على ما هو نقي ونظيف ثم أراه بعد ذلك وقد علاه الروث. ولكن ذلك هو ما يسمّيه الناس المعلومات. وحينما تنزاح كل ذرة من الروث من كل ركن في البيئة المحيطة فهذا ما تسميه معلومات محسّنة. صحيح أنها محاولة للتأثير عليك، ولكن ذلك هو ما أقوم به.

نظرت إليّ عبر المائدة كما لو كانت تنظر إلى كائن من فصيلة نادرة في حديقة الحيوان.

قالت: «ولكنك ما زلت تقوم بهذا العمل».

أجبت: «إنها وظيفتي». عندئذ تنبهت فجأة أنني مع طفلة في الثالثة عشرة. عظيم. ما الذي كنت أفعله الآن؟ أتحدث بمثل هذه

الحماقات إلى فتاة لم تبلغ نصف عمري. ثم قلت: «دعينا نذهب. إن الوقت يتأخر بنا. سأقلّك إلى شقتك».

ركبنا السوبارو. أمسكت يوكي بأحد أشرطة الكاسيت وقامت بتشغيله. كانت الشوارع خالية ولذا وصلنا إلى أكازاكا في وقت قياسي.

قلت: «حسناً، هل يمكنك أن تدلّيني على الطريق».

أجابت: «لا لن أدلك».

قلت: «ماذا؟».

قالت: «لن أدلك. لا أود الذهاب للبيت الآن».

حاولت أن أقنعها: «أفيقي. الوقت تجاوز العاشرة. لقد كان يوماً طويلاً وشاقاً. وأنا متعب للغاية».

بدا أن ذلك قد أثر عليها قليلاً. كانت عنيدة. اكتفت بالجلوس في مقعدها والتحديق فيّ، فيما كنت أحاول أن أجعل عيني على الطريق. لم يكن ثمة عاطفة على الإطلاق في نظرتها. ولكنها مع ذلك جعلتني أشعر بالذنب. بعد برهة استدارت لتنظر من نافذة السيارة.

بدأت: «لا أشعر بالرغبة في النوم. على أية حال أينما ستوصلني فسوف أكون وحيدة تماماً. لذا أود أن تظل تقود وأنا أسمع الموسيقى».

قلّبت الأمر في رأسي. «حسناً. سوف نتجول بالسيارة لساعة واحدة. بعدها سوف تذهبين إلى البيت لتنامي. اتفقنا؟».

قالت يوكي: «اتفقنا».

جُلنا بالسيارة حول طوكيو، والموسيقى تصدح من الاستريو. بسبب أننا نترك أنفسنا لمثل هذه الأشياء فإن الهواء يتلوث وطبقة

الأوزون تخرق ومستويات الضوضاء تزداد، والناس يصبحون سريعي الغضب، كما أن مواردنا الطبيعية تنضب بشكل مطّرد.

سألتها: «هل أمك في كاتماندو الآن؟».

أجابت دون اهتمام: «نعم».

– إذن ستظلين بمفردك حتى عودتها؟

– لدينا خادمة في هاكون.

– آه. هل هذا الموقف يتكرر دائماً؟

– تقصد أنها تسافر وتتركني؟ نعم وبشكل دائم. العمل هو الشيء الوحيد الذي تفكر فيه أمي. لكن هذا لا يعني أنها تتعمد أن تكون وضيعة أو شيئاً من هذا. هذه هي طبيعتها. إنها لا تفكر إلا في نفسها. أحياناً تنسى أنني موجودة في المكان الذي أنا فيه. مثلما تنسى مظلتها. إنني فقط أسقط منها سهواً. فإذا خطر لها السفر إلى كاتماندو فإنها تسافر على الفور. ثم تعتذر لاحقاً. ولكن بعد ذلك يتكرر الشيء نفسه في المرّة التالية. أخذتني فجأة إلى هوكايدو وقد سرني ذلك في البداية. لكنها تركتني طوال الوقت وحيدة في غرفتي. كانت نادراً ما تعود للفندق وكنت عادة أتناول طعامي بمفردي. لكنني اعتدت على ذلك. أظن أنني لا أنتظر منها أكثر من ذلك. تقول إنها سوف تعود خلال أسبوع. ولكن ربما تسافر من كاتماندو إلى مكان آخر.

سألتُ: «ما هو اسم أمك؟».

لم أسمع عنها قبل ذلك.

قالت: «اسم شهرتها هو آمي. أمطار. لذلك أنا يوكي. ثلوج. غباء، أليس كذلك؟ ولكن تلك هي فكرتها عن روح المرح».

– بالطبع سمعت عن آمي. ومن لم يسمع؟ إنها ربما أشهر مصورة سينمائية في الدولة. كانت مشهورة ولكنها هي نفسها لم تظهر

في الإعلام أبداً. إنها حريصة على عدم الظهور في وسائل الإعلام وعدم لفت الانتباه. كانت لا تقبل إلا العمل الذي تحبه. معروفة بغرائبيتها. صورها معروفة بأنها تدهشك وترسخ في ذهنك.

قلت: «إذاً والدك هو الروائي هيراكو ماكيمورا؟».

هزت يوكي كتفها: «إنه ليس ذلك الشخص السيئ. ولكنه غير موهوب».

قبل سنوات قرأت له روايتين من بواكير رواياته ومجموعة من قصصه القصيرة. كانت جيدة للغاية. كتابته مبدعة ووجهة نظره جديدة. وهو الأمر الذي جعلها الأفضل مبيعاً. كان معشوق المجتمع الأدبي. كان يظهر في التلفزيون وفي وكل المجلات، ويعبّر عن رأيه في المشهد الاجتماعي بكامله. ثم تزوج من مصورة واعدة عرفت باسم آمي. تلك كانت قمة مجده. بعد ذلك كان الهبوط. فلم يكتب أي شيء ذي قيمة. كان كتاباه اللاحقان أو الثلاثة نكتة. لقد انتقدها النقاد بشدة ولم تحقق أي مبيعات.

إذاً ماكيمورا قد مر بتحول. من روائي ساذج إلى رائد طليعي فجأة. لقد أقام ماكيمورا أسلوبه على النموذج الفرنسي المعروف باسم «الموجة الجديدة»، البلاغيات من أجل البلاغيات. رعب حقيقي. تمكن من كسب عدد قليل من النقاد الحمقى الذين لديهم ضعف أمام مثل هذه الادعاءات. ولكن بعد عامين من تكراره لنفسه، سئم منه حتى هؤلاء. موهبته تلاشت، ولكنه أصر مثل كلب كان فحلاً ذات يوم، وما زال يشم ذيل كل كلبة في المنطقة. في تلك الأثناء وقع الطلاق بينه وبين آمي. أو حتى أكون أكثر دقة آمي هي التي خلعته. هكذا كانت على الأقل الكيفية التي تناولت بها وسائل الإعلام الحدث.

ولكن مع ذلك لم تكن هذه هي نهاية هيراكو ماكيمورا. في

مطلع السبعينيات اقتحم مجالاً جديداً هو الكتابة في أدب الرحلات كمغامر من نمط خاص. وداعاً للرائد الطليعي. الوقت هو وقت العمل والمغامرة. زار الأماكن الغريبة والمحظورة في أركان الأرض الأربعة. أكل اللحم النيئ مع الاسكيمو، وعاش مع الأقزام، واخترق معسكرات العصابات في جبال الأنديز. أثار الشكوك حول أدباء معتزلين وشخصيات مرموقة أغلقت على نفسها المكتبات. وهو الأمر الذي لم يكن سيئاً في البداية، ولكن بعد عشر سنوات بدأت كتاباته تضعف. على أي حال لم نعد نعيش في عصر الرحالة بريطاني ليفنجستون وأموندسون. لم تعد المغامرات تمثّل ذلك النوع من الشغف الذي ألفه الناس، ولكن أسلوب ماكيمورا ظل كما كان مليئاً بالغرور.

وأهم شيء أن هذه المغامرات لم تعد مغامرات حقيقية. وأصبح يصحب معه حاشية من المُعِدِّين والمحررين والمصورين. وأحياناً كان التلفزيون يشارك ويصبح هناك العشرات من رُعاة البرامج يتقاطرون عليه. وقبل أن يمر وقت طويل كان كل شخص لديه رقم هاتفه.

ربما لم يكن شخصاً سيئاً. ولكن ومثلما قالت ابنته لم يكن موهوباً.

لم نقل المزيد عن والد يوكي. كان واضحاً أنها لم تكن تريد الحديث عنه. اعتذرت لها عن جعله مادة لحديثنا.

ظللنا صامتين واستمعنا للموسيقى. كنت أمسِك المقود وعيناي على أضواء سيارة البي إم دبليو الزرقاء التي أمامي. وكانت يوكي تدق بحذائها مع أغنية سولومون بيرك وهي تشاهد المناظر التي تمر.

نطقت يوكي بعد فترة: «إنني أحب هذه السيارة. ما هو نوعها؟».

قلت: «سوبارو. اشتريتها مستعملة من صديق. لا ينظر إليها الكثير من الناس مرتين».

- لا أعرف الكثير عن السيارات ولكني أحب الطريقة التي تبدو عليها.

- إن ذلك ربما لأنني أغدق عليها الدفء والعاطفة.

- وهذا هو ما يجعلها جميلة ومليئة بالود؟

شرحت لها: «تناغم بين كلينا».

- ماذا؟

- السيارة وأنا صديقان. كل منا يساعد الآخر. أنا أدخل فضاءها وأقوم باهتزازات جيدة. وهو ما يخلق أجواء جيدة. والسيارة تدرك ذلك. وهو ما يشعرني بالارتياح، كما يُشعِر السيارة.

- هل يمكن لآلة أن تشعر بالارتياح؟

- ألا تعرفين ذلك؟ لا تسأليني كيف. الآلات يمكنها أن تفرح كما يمكنها أن تغضب. ليس لدي تفسير منطقي لذلك. لكني أعرف ذلك من خلال الخبرة.

- هل تعني أن الآلات مثل البشر؟

هززت رأسي. «لا ليس مثل البشر. مع الآلات يكون الشعور أكثر تحديداً. لا يذهب إلى أبعد من ذلك. مع البشر الأمر يختلف. الشعور دائم التغير. مثلما هي الحال حينما تحبين شخصاً ما، فإن الحب دائماً ما يعتريه تحولات أو تذبذبات. إنه دائماً محل سؤال، فيتضخم أو يتلاشى أو يُجحَد أو يُجرَح. والأمر المهم هنا هو أنه لا يمكنكِ أن تفعلي أي شيء حياله، لا يمكنكِ التحكم فيه. لكن مع سيارتي السوبارو الأمر غير معقد كثيراً».

أطرقت يوكي تفكر في ذلك بعض الوقت. وسألت: «ولكن ألم يصل ذلك إلى زوجتك؟ ألم تعرف كيف كان شعورها؟».

قلت: «لا أظن. أو ربما كانت لها وجهة نظر مغايرة حول الأمر. لذا كانت النتيجة أن انفصلنا. ربما كان ذهابها للعيش مع شخص آخر أهون عليها من تغيير تصوراتها».

– إذن فأنت لم تنجح في الحفاظ على علاقة ودية معها مثلما نجحت مع سيارتك السوبارو؟

– بالضبط.

سألتني فجأة: «وماذا عني أنا؟».

– ماذا عنك؟ أنا بالكاد أعرفك.

كنت أشعر بأنها تحدق فيّ مرة ثانية. مزيداً من ذلك وسوف تطبع قبلة على خدّي الأيسر. استسلمتُ. «من بين جميع النساء اللائي خرجت معهن ربما أنت ألطفهن». قلت وعيناي مركزتان على الطريق. «لا ليس ربما بل دون شك وبشكل مطلق أنت ألطفهن. لو أنني كنتُ في الخامسة عشرة لوقعت في حبك. ولكني في الرابعة والثلاثين ولا أقع في الحب بسهولة كبيرة الآن. لا أريد أن أتعرض لمزيد من الجراح. لذلك فإن الأمر أكثر أماناً مع السوبارو. اتفقنا؟».

نظرت يوكي إليّ نظرة ذاهلة. «يا لك من شخص غريب»، كان هذا كل ما استطاعت قوله. وهو ما جعلني أشعر كما لو كنت حثالة البشرية. ربما لم تكن الفتاة تقصد أي شيء بما قالت، ولكنها سددت لي ضربة قوية.

عند الساعة الحادية عشرة والربع عدنا إلى أكازاكا.

التزمت يوكي بالجزء الخاص بها من الاتفاق وقالت لي كيف أصل إلى الشقة. كانت شقة صغيرة مبنية بالطوب الأحمر وتقع في

شارع خلفي هادئ بالقرب من ضريح نوجي. اتجهت صوب البناية.

قالت قبل أن تفتح باب السيارة: «ماذا عن النقود وكل شيء آخر، الطائرة والعشاء وكل شيء...».

– أجرة الطائرة يمكن أن تنتظر لحين عودة أمك. أما الباقي فهو على حسابي. لا تقلقي بشأنه. أنا لست إنجليزياً.

هزت يوكي كتفيها ولم تقل أي شيء، ثم خرجت وألقت بقطعة من العلكة في زهرية تقليدية للنباتات.

إلى اللقاء. أخرجت بطاقة تعريف من حافظتي.

– قدمي هذه إلى أمك لدى عودتها وفي الوقت نفسه يمكنك الاتصال على هذا الرقم إذا احتجت إلى أي شيء. دعيني أعرف إن كان بإمكاني أن أساعدك.

انتزعت البطاقة التعريفية وحدقت فيها لبرهة ثم دستها في جيب معطفها.

أخرجتُ حقائبها الثقيلة من السيارة. وأخذنا المصعد إلى الطابق الرابع. فتحت يوكي الباب وأدخلت أنا الحقائب. كان ستديو مكونا من غرفة نوم ومطبخ وحمام. كانت شقة جديدة ونظيفة وأنيقة مثل صالة عرض، مزودة بكل الأثاث والأجهزة. كلها تنم عن ذوق وغالية الثمن ولا تبدو عليها علامات الاستخدام.

وقالت يوكي حينما رأتني أتفحص المكان: «أمي لا تستخدم هذا المكان إلا نادراً. لديها ستديو قريب وعادة ما تقيم هناك حينما تأتي إلى طوكيو. تنام هناك وتأكل هناك. إنها تأتي إلى هنا حينما لا يكون لديها عمل».

قلت: «أفهم ذلك». سيدة مشغولة.

علقت يوكي معطفها ذا الفراء وقامت بتشغيل المدفأة. ثم

أخرجت سيجارة من علبة سجائر فيرجينا سليمز وأشعلتها بحركة ماهرة من أصابعها. لا يمكنني القول إني توقفت كثيراً أمام فتاة في الثالثة عشرة تدخّن. ولكن مع ذلك كان ثمة شيء يجذب في الفيلتر الرفيع الذي تمسكه بين شفتيها المتناسقتين ورموشها الكثيفة. إنها صورة متقنة الجمال. لقد عثرت على تحفة فنية. لو كنت في الخامسة عشرة الآن، لكنت حتماً وقعت في حبها. صورتها تأخذني للوراء سنوات.

– هل ترغب في بعض القهوة؟

هززت رأسي. «شكراً، لكن الوقت متأخر. عليّ أن أذهب إلى شقتي».

وضعت يوكي سيجارتها في المنفضة وصحبتني إلى الباب.

– خذي حذرك من السيجارة والمدفأة قبل أن تنامي.

أجابت: «حاضر يا أبي».

ما إن وصلتُ أخيراً إلى شقتي حتى ارتميت فوق الأريكة ومعي قنينة من البيرة. نظرت في رسائل بريدي. لم يكن بها سوى رسائل عمل وفواتير. كنت أشعر بأني شبه ميت ولم أكن أرغب في عمل أي شيء. فقد كنت متوتّراً ومتخماً بالأدرينالين إلى حدّ يمنعني من النوم. يا له من يوم!

كم يوماً أمضيتها في سابورو؟ كانت الصور تختلط وتتداخل داخل رأسي وتتزاحم عليّ أثناء نومي. كانت السماء رمادية ومدلهمّة. تنذر بأحداث ولقاءات. لقاء مع موظفة الاستقبال ذات النظارة. مكالمة هاتفية مع شريكي السابق لتكوين خلفية عن فندق الدولفين. حديث مع الرجل المُقنّع. فيلم سينمائي يعرض جوتاندا وكيكي. فرقة البيتش بويز وفتاة ذات الأعوام الثلاثة عشر وأنا.

إذن ما مجموع كل ذلك من الأيام؟

ذهبت إلى المطبخ وأعددت لنفسي كأساً من الويسكي بالإضافة إلى بعض البسكويت.

ما الذي يحدث هنا؟ تردد صدى سؤال كيكي في رأسي. كانت الكاميرا تدور، وأصابع جوتاندا الماهرة تمسد ظهرها بلطف. بحثا عن الممر البحري المفقود منذ زمن طويل.

ما الذي يحدث هنا؟ كنت أشعر بارتباك تام. تبادل الحب وسيارات السوبارو المستعملة كانا شيئين مختلفين. أليس كذلك؟ كنت أشعر بالغيرة من أصابع جوتاندا. ترى هل أطفأت يوكي سيجارتها؟ هل أطفأت المدفأة؟ حاضر يا أبي. أنت قلتها. لا ثقة على الإطلاق. هل حُكم عليّ بأن أتعفن وأن أظل أهذي لنفسي على هذه الشاكلة في مقبرة المجتمع الرأسمالي المتقدم؟

دع ذلك للغد. كل شيء.

قمت بتنظيف أسناني، ولبست بيجامتي ثم احتسيت ما كان قد تبقى من ويسكي في الكأس. ما إن أويت إلى فراشي حتى رن جرس الهاتف. في أول الأمر حدقت فقط في ذلك الشيء الذي يرن في وسط الغرفة قبل أن أرفع السماعة في نهاية الأمر.

كانت يوكي على الطرف الآخر: «أطفأت المدفأة. وأطفأت سيجارتي. كل شيء على ما يرام. هل ستنام بسهولة الآن؟».

أجبت: «نعم، شكراً لك».

قالت: «تصبح على خير إذاً».

قلت: «تصبحين على خير».

قالت: «مهلاً، لقد رأيت ذلك الرجل صاحب قناع صوف الخروف في فندق سابورو، أليس كذلك؟».

جسلت على السرير ممسكاً بالهاتف نحو صدري كما لو كنت أدفئ بيضة نعامة متشققة.

- لا يمكنك أن تخدعني. أعرف أنك رأيته. عرفت ذلك الآن.

سألتها: «هل رأيت الرجل المُقنّع؟».

تجنبت يوكي السؤال قائلة: «يمكننا التحدث عن ذلك لاحقاً. في المرة القادمة، اتفقنا؟ لقد تحدثنا كثيراً. أشعر بتعب شديد الآن».

ثم وضعت السماعة مباشرة.

كنت أشعر بألم في جانبي رأسي. ذهبت إلى المطبخ وصببت لنفسي كأساً أخرى من الويسكي. سرت ارتعاشة في كل أنحاء جسمي. كان كل شيء يهتز من تحتي. إن كل شيء متصل، هكذا قال الرجل المُقنّع.

متصل.

كانت كل أنواع الاتصال الغريبة قد راحت تتلاقى معاً.

(17)

اتكأت على الحوض في المطبخ وازدردت الويسكي. ماذا عليّ أن أفعل؟ كيف عرفت يوكي عن الرجل المُقنّع؟ هل يجب أن أعيد الاتصال بها؟ ولكني كنت مرهقاً للغاية. كان يوماً طويلاً. ربما يجب عليّ الانتظار حتى تتصل هي. هل أعرف رقم هاتفها؟

صعدت إلى السرير ورحت أحدق في الهاتف. يساورني شعور بأن يوكي سوف تتصل. إن لم تكن يوكي، فسوف يكون شخصاً آخر. في أوقات مثل هذه، يصبح الهاتف قنبلة موقوتة. لا أحد يعلم متى سوف تنفجر. ولكنها تدق محملة بكل الإمكانيات. إذا نظرت إلى الهاتف باعتباره شيئاً، فسوف تجد له ذلك الشكل الغريب حقاً. في الظروف العادية لا يمكنك أن تلاحظ ذلك أبداً ولكن إن حدقت فيه وقتاً كافياً فسوف تلاحظ غرابة شكله الشديدة. إن الهاتف إما أن يبدو كما لو كان يتحرق ليقول شيئاً أو أنه يشعر بالغضب كونه محبوساً داخل شكله. فكرة نقية لكنها محبوسة داخل جسم غبي. ذلك هو الهاتف.

والآن الشركة المشغلة للهاتف. كل هذه الخطوط تتجمع معاً. الخطوط تنتشر من هذه الغرفة لتصل إلى كل مكان. تصلني بكل شخص وبأي شخص. بإمكاني حتى الاتصال بألاسكا إن شئت. أو

فندق الدولفين أو زوجتي السابقة. إمكانات لا محدودة. وكلها مرتبطة معاً من خلال لوحة شركة الهاتف. يتم عمل ذلك من خلال الكمبيوتر هذه الأيام بالطبع. يتم تحويلها إلى سلاسل من الأرقام ثم يتم بثها عبر أسلاك الهاتف إلى كابلات تحت الأرض أو أنفاق تحت البحار أو أقمار صناعية للاتصال لتجد طريقها إلينا في نهاية الأمر.

ولكن بصرف النظر عن مدى تقدم النظام، وبصرف النظر عن دقته، فإنه وما لم تكن لدينا إرادة التواصل فلن يكون هناك اتصال. بل وحتى لو افترضنا وجود الإرادة فإن هناك أوقاتاً مثل الوقت الحالي حينما لا نعرف رقم الطرف الآخر. أو حتى لو عرفنا الرقم فسوف نتصل برقم خطأ. إننا كائنات غير معصومة ولا نتوب عن الأخطاء. ولكن افترض أننا أزلنا هذه العقبات، افترض أنني تمكنت من الوصول إلى يوكي، يمكنها أن تتذرّع دائماً بقولها: «لا أشعر برغبة في الحديث الآن، إلى اللقاء». ثم تضع الهاتف. نهاية المحادثة قبل أن تبدأ. أتحدث عن تواصل من طرف واحد.

في الواقع كان الهاتف يبدو مستثاراً.

إنه، أو دعنا نشير إليه بالضمير المؤنث: هي. إنها تبدو غاضبة من الأسباب غير اليقينية وغير الكاملة التي من الضروري أن يرتكز عليها الاتصال الإرادي. إنها غير متقنة بالمرة، وغاية في التعسف والسلبية.

اتكأت على وسادتي وأنا أشاهد غضب الهاتف. تمرين بلا طائل تماماً. إنه ليس خطئي، كان ذلك على ما يبدو هو ما يقوله لي الهاتف. حسناً هذا تواصل. تواصل غير متقن، ومتعسف وسلبي. الأسف من أجل الفكرة غير النقية تماماً. ولكنني لا ألام على ذلك أيضاً. ربما يقول الهاتف ذلك لكل الأشخاص. إن مجرد أن تكون جزءاً من هذه الأجواء التي أعيش فيها هو ما يجعله سريع الغضب.

وهو الأمر الذي يجعلني أشعر بالمسؤولية. كما لو أنني أساعد وأشجع كل هذه النواقص.

ولنأخذ زوجتي السابقة مثلاً. كانت تكتفي بالجلوس هناك ومن دون أن تنبس بكلمة تجعلني هنا في مكاني. كنت أحبها. أمضينا أوقاتاً سعيدة معاً حقاً. سافرنا معاً. تبادلنا الحب مئات المرات. ضحكنا كثيراً. ولكنها كانت تعاملني بازدراء. أثناء الليل عادة ما تكون رقيقة ولكنها عنيدة. كما لو كانت تعاقبني على نقصي وسلبيتي وتمسّكي بأفكاري.

عرفت ما الذي يتآكلها. كنا متفاهمين بشكل جيد، ولكن الفكرة الذهنية التي كانت تلاحقها كانت في مكان آخر غير ذلك الذي أنا فيه. كانت تريد نوعاً من الاستقلالية في التواصل. مشهد يقود فيه البطل الذي يحمل اسم «تواصل» الحشود نحو ثورة بيضاء بلا دماء وحيث ترفرف الأعلام البيضاء. وذلك حتى يبتلع الكمال النواقص ويصبحوا شيئاً واحداً. بالنسبة لي فإن الحب هو فكرة طاهرة تمّت صياغتها في الجسد، ربما بشكل قلق، ولكن عليها أن تتصل بمكان ما على الرغم من الطيات والانعطافات في الكابلات تحت الأرض. إنه شيء غير متقن بالمرة. أحياناً تتداخل الخطوط. أو تحصل على رقم خطأ. ولكن ذلك ليس بجريرة أحد. إنه دائماً مثل ذلك، ما دمنا في هذا الشكل الجسدي. إنه مسألة مبدأ.

شرحت لها ذلك المرة تلو المرة.

لكنها خرجت في يوم من الأيام.

وإلا فإنني ضخمت النواقص والعيوب وساعدتها على الخروج.

نظرت نحو الهاتف وأنا أستعيد تلك المشاهد التي كنت أنام فيها مع زوجتي. على مدى الأشهر الثلاثة التي سبقت رحيلها لم ترغب

أبداً في النوم معي ولو لمرة واحدة. لأنها كانت تنام مع الرجل الآخر. في ذلك الوقت لم يكن لديّ أدنى فكرة عن ذلك.

وقالت: «معذرة عزيزي، ولكن لماذا لا تذهب وتنام مع امرأة أخرى؟ لن أُجن إذا حدث ذلك». كنت أعتقد أنها تمزح. ولكنها كانت جادة. أخبرتها أني لا أرغب في النوم مع امرأة سواها وكنت صادقاً. لكنها كانت تريد مني أن أفعل. وحينئذ يمكننا إعادة التفكير في الأمور من هذه الزاوية.

في النهاية لم أنم مع أي امرأة. لست مفرطاً في الالتزام، ولكني لا أذهب للنوم مع النساء فقط كي أفكر بعمق في الأشياء. إذا نمت مع امرأة فإني أفعل ذلك لأني أرغب في ذلك.

لم يمر وقت طويل بعد ذلك حتى رحلت عني. ولكن لنفترض أني ذهبت ونمت مع امرأة مثلما أرادت لي، هل كان ذلك سيثنيها عن الرحيل؟ هل كانت تؤمن حقاً بأن ذلك سوف يضع تواصلنا على أرضيات أكثر استقلالية بعض الشيء؟ أمر مثير للسخرية.

كان الليل قد انتصف ولكن الضجيج القادم من الطريق السريع لم يهدأ بأي شكل. بين الحين والآخر كانت دراجة بخارية تحدث ضجيجاً أثناء مرورها. كان الزجاج المضاد للصوت يقلل من حدة الضوضاء ولكن ليس بشكل كبير. كان الوضع على ما يرام هناك بالخارج، ضد حياتي، ويقمعني. يحصرني ضمن هذه القطعة من الأرض.

شعرت بالسأم من النظر نحو الهاتف فأغمضت عيني. وبمجرد أن فعلت ذلك كان الاستسلام الذي كنت أنتظره قد ملأ الفراغ في صمت. بمهارة فائقة وبسرعة كبيرة. غلبني النوم.

بعد أن تناولت الفطور قلبت في دليل الهاتف بحثاً عن رقم

شخص كنت ألجأ إليه حينما أحتاج إلى إجراء مقابلات مع النجوم الشباب. كانت الساعة العاشرة صباحاً حينما اتصلت به، لذا كان طبيعياً أن يكون نائماً. هذه هي طبيعة الوسط السينمائي وصناعة الترفيه. اعتذرت له أولاً ثم أخبرته بأني أريد العثور على جوتاندا. تبرّم وتذمّر لكنه في النهاية جاءني بالمطلوب. جاءني برقم مؤسسة جوتاندا، شركة إنتاج متوسطة الحجم تعمل في مجال الترفيه.

اتصلت بالرقم ووصلت إلى مديره على الهاتف. قلت له إنني كاتب في مجلة وأريد الحديث مع جوتاندا. سألني إن كنت أريد كتابة مقالة عنه؟ قلت لا. إنه أمر شخصي. ليس بالضبط. الأمر شخصي. شخصي بأي شكل؟ حسنا لقد صُودف أنني كنت زميله في المدرسة الثانوية وأرغب في مقابلته لأمر عاجل. حسناً سوف يقوم بإيصال الرسالة. قلت له لا. يجب أن أتحدث إلى جوتاندا مباشرة.

أصررت قائلاً: «لكن هذا أمر هام للغاية. لذا أرجو أن تكون عطوفاً بما يكفي وأن توصلني به. إنني متأكد أنه يمكنني رد الجميل على المستوى المهني».

فكر المدير في اقتراحي. بالطبع كانت كذبة. لم يكن لدي أي خيوط يمكنني شدها. كل علاقتي بالصحافة هي إجراء المقابلات التي أكلَّف بها وحسب. مراسل عظيم. لكن المدير لم يكن يعرف ذلك.

قال: «هل أنت متأكد أن ذلك ليس بهدف التغطية الصحفية؟ لأن كل ما يتعلق بوسائل الإعلام يجب أن يمر من خلالي».

– لا، هذا الأمر شخصي مئة بالمئة.

طلب مني الرجل رقمي، وقال «زميل دراسة الثانوية؟» وهو يخرج تنهيدة. «سوف يتصل بك اليوم أو غداً، إن كانت له رغبة في ذلك».

قلت: «بالطبع».

تثاءب الرجل ووضع السماعة. لا يمكنني أن ألومه. لقد كانت الساعة العاشرة ونصف صباحاً.

اتجهت بسيارتي إلى أوياما للتسوق في سوبر ماركت Fancy Schmancy. حينما أوقفت سيارتي السوبارو بين سيارات ساب ومرسيدس في المرآب شعرت كما لو كنت أعرّض نفسي لفضيحة. لا شك أنني أستمتع بالتسوق في كينوكونيا. ربما لا تصدق ذلك، ولكن الخس الذي تشتريه من هناك يدوم أطول من ذلك الذي تشتريه من أي مكان آخر. لا تسألني لماذا. ربما يقومون بلف الخس بعدما يغلقون أبوابهم في نهاية اليوم ويقومون بإجراء تدريبات خاصة له. هذا لن يدهشني. فهذه رأسمالية متقدمة على أية حال.

حينما عدت إلى البيت لم يكن هناك أي رسائل على الآلة. لم يتصل بي أحد. وضعت الخضروات التي اشتريتها. هبت لمشاهدة فيلم «حب من طرف واحد» مرة أخرى. كانت هذه هي المرة الرابعة. لا يمكنني مشاهدته. كنت أركز فقط على المشهد الهام محاولاً الإمساك بكل التفاصيل.

لم يتغير أي شيء. إنه صباح الأحد. كل شيء كان يسبح في ضوء يوم الأحد الهادئ. كانت ستائر النافذة مرفوعة. ظهر امرأة عارٍ. أصابع رجل مداعبة. لوحة زيتية على الحائط للرسم لوكوربيزير. زجاجة من الويسكي الاسكوتلاندي على المائدة جوار الفراش. كوبان، منفضة سجائر وجهاز استريو. زهرية ورد. ملابس تم خلعها على الأرض. باقة من زهرة الربيع. الكاميرا تدور. إنها كيكي. أغمضت عيني بشكل لا إرادي. ثم فتحتهما. جوتاند يعانقها. بشكل لطيف وناعم. قلت وبصوت عال: «مستحيل». رمقني طفل يجلس على بعد أربعة مقاعد مني. دخلت الفتاة البطلة في كادر الكاميرا.

شعرها مصفف على شكل ذيل الحصان. ترتدي بنطالاً من الجينز وتنتعل حذاء رياضياً أحمر من نوع «أديداس». تحمل بين يديها وعاء فيه بعض الكعك. دخلت إلى الغرفة مباشرة ثم خرجت مسرعة. جوتاندا يبدو عليه الذهول. يجلس في الفراش ويحدق بعينين نصف مغمضتين في الضوء وهو يتابع الفتاة بنظراته. كيكي تضع يدها على كتفه، كلماتها مفعمة بكل تعب الدنيا. «ما الذي يحدث هنا؟».

بعدما غادرت دار السينما، تجولت في شوارع شيبويا.

كنت أشق طريقي وسط أعداد هائلة من أطفال المدارس بينما كان خاطري معلق بأصابع جوتاندا الرفيعة المهذبة وهي تداعب ظهر كيكي. سرت باتجاه هاراجوكو. ثم بعد ذلك إلى سنداجايا وراء الاستاد الرياضي وعبر أوياما بولفارد سرت باتجاه المقابر ومن ثم إلى متحف نزيو. مررت بمقهى فيجارو ثم إلى كينوكونيا ثم إلى بناية جنتان عودة إلى محطة شيبويا. كان الوقت قد تأخر. من أعلى التل كان بإمكاني أن أرى. حينما عدت إلى شقتي كان المصباح الأحمر في آلة الرد الخاصة بي يومض. أشعلت نور الغرفة وخلعت معطفي وسحبت زجاجة من البيرة من الثلاجة. جلست على السرير وارتشفت رشفة ثم ضغطت على زر تشغيل آلة الرد.

- آه، منذ زمن طويل لم نلتقِ.

كان الصوت لجوتاندا.

(18)

«آه منذ زمن طويل».

جاء صوت جوتاندا واضحاً وقوياً. لا هو بالسريع ولا بالبطيء. لا هو بالجهوري ولا هو بالهامس. ليس متوتراً ولا هو مسترخٍ بشكل مبالغ فيه. إنه صوت مثالي. أدركتُ أنه جوتاندا في ثانية. إنه ليس من الأصوات التي تنساها بمجرد سماعها. ولم يكن هناك أوضح من وجهه الباسم إلا أسنانه البيضاء المتلألئة وأنفه المنحوت بدقة. في الواقع لم يسبق لي أن أعرت صوت جوتاندا أدنى اهتمام من قبل، بل لا يمكنني حتى أن أتذكره، ولكنه في هذه المرة ارتطم بشكل لاإرادي في داخل جمجمتي ثم ارتد إليّ مباشرة حياً مثل دقات الجرس في ليلة هادئة. أمر مدهش.

قال: «سأكون في البيت الليلة، لذا يمكنك الاتصال. وعلى أية حال أنا لا أذهب للنوم قبل طلوع الصباح». ثم كرر رقم هاتفه في البيت مرتين.

دوّنتُ الرقم ثم اتصلتُ به. عند الرنة السادسة، بدأت آلة الرد تعمل. كان صوت امرأة يقول: «إنني بالخارج الآن. يمكنك إن شئت أن تترك رسالة». تركتُ اسمي وقلت إنني سوف أكون موجوداً في البيت طول المساء. كم هو معقّد العالم الذي نعيش فيه.. وضعتُ السماعة ودلفت إلى المطبخ حينما رن الهاتف.

كانت يوكي. سألتها: «من أين تتصلين؟».

قالت: «أكازاكا. ما رأيك في الخروج في جولة في المدينة بالسيارة؟».

قلت: «معذرة، لا يمكنني ذلك اليوم. إنني في انتظار مكالمة عمل هامة. ما رأيك في أن تحددي وقتاً آخر؟ ولكن قبل ذلك لديّ سؤال. حينما تحدثنا أمس قلتِ إنك رأيتِ رجلاً في بدلة مصنوعة من صوف الأغنام. هل يمكنك أن تحدثيني أكثر عن ذلك؟ أرغب في معرفة ذلك».

قالت: «ما رأيك في أن تحدد وقتاً آخر؟» ثم وضعت السماعة وأغلقت الخط.

كنت أمضغ بعض الكرفس وأنا أفكر في ما سأتناول على العشاء. فكرت في إعداد طبق من السباغيتي. كان لدي كتاب في تعليم الطهي. قرأت الطريقة وبدأت في الإعداد.

كان الماء الخاص بالسباغيتي على وشك الغليان حينما رن الهاتف. أطفأت الغاز وأسرعت للرد على الهاتف.

كان جوتاندا. «مرحى مرحى. منذ زمن. كيف حالك؟».

قلت: «على ما يرام. بحسب ما أظن».

قال ضاحكاً: «إذاً ما الخبر؟ أخبرني مديري أن لديك أمراً عاجلاً. آمل ألا يكون علينا أن نقوم بتشريح ضفدع مرة ثانية».

«لا، لا شيء من ذلك. أعرف أن هذه المكالمة مفاجئة. ولكني فقط أردت أن أطلب منك شيئاً. اعذرني أعرف أنك مشغول. على أية حال ربما يبدو ذلك غريباً بعض الشيء. ولكن -»

قاطعني جوتاندا قائلاً: «اسمع، هل أنت مشغول الآن؟».

- لا، مطلقاً. كنت على وشك تجهيز العشاء.

– حسناً، ماذا عن العشاء بالخارج؟ كنت لتوّي أفكر في البحث عن شخص يشاركني العشاء. لعلك تعرف ذلك، لا شيء يحلو مذاقه حينما تأكله وحيداً.

– بالتأكيد، لكنني لم أكن أقصد ذلك. قصدت أن أقول إنني اتصلت بشكل مفاجئ.

– لا عليك. إننا جميعاً نجوع سواء أحببنا ذلك أو لم نحب وعلى المرء أن يتناول الطعام. أنا لا أفرض نفسي عليك للأكل على حسابك. إذاً دعنا نخرج لتناول وجبة جيدة والحديث عن أيّام زمان. لم أرك منذ وقت طويل. إنني حقاً أريد أن أراك. آمل ألا أكون أقحم نفسي. أم تراني أفعل ذلك؟

– كيف تقول ذلك؟ أنا الذي اتّصل بك ويريد أن يتحدث معك.

– حسناً، سوف أمر عليك لأصحبك. أين تقيم؟

أخبرته عن مكان شقتي.

– ليست بعيدة عن هنا. ربما أصل إليك بعد عشرين دقيقة. استعد. لا أعرف ماذا عنك، لكنني جائع جداً.

قلت: «سأكون في انتظارك». وضعت السماعة.

ما هي أيّام زمان التي يمكن لجوتاندا أن يتحدث عنها؟ لم نكن قريبين في تلك الفترة. لقد كان فتى الفصل المدلل اللامع، أما أنا فلم أكن شيئاً مذكوراً. إنها حتى معجزة أنه تذكر من أكون.

حلقت ذقني وارتديت أكثر الملابس أناقة لدي في خزانة الملابس: قميص مخطط باللون البرتقالي، وسترة كلفن كلاين وربطة عنق أرماني (كانت هدية من إحدى خليلاتي) وبنطال من الجينز وحذاء رياضي جديد من ياماها. لم أتناول الطعام أبداً قبل ذلك مع نجم سينمائي. ماذا يفترض أن يلبس المرء على أية حال؟

بعد عشرين دقيقة، رن جرس الباب. كان سائق جوتاندا الذي أخبرني بكل أدب أن جوتاندا موجود في الأسفل. كان يركب سيارة مرسيدس فضية اللون في شكل وحجم مركب آلي. كان الزجاج فضياً أيضاً بحيث لا يمكنك أن ترى ما بالداخل. فتح السائق الباب بشكل محترف وذكي، فدخلت السيارة فإذا بجوتاندا في الداخل.

استقبلني بابتسامة وقال: «منذ زمن طويل. لقد كانت أيام». لم يصافحني، ولكني كنت سعيداً.

قلت: «نعم كانت أيام. أليس كذلك؟».

كان يرتدي ملابس عادية ولكن الطريقة التي كان يرتديها بها كانت متقنة. نظر إلى طقم ملابسي وعلق قائلاً: «منتهى الأناقة».

قلت: «أشكرك».

– تماماً مثل نجم سينمائي. لست أسخر، إنني فقط أمزح». ضحكنا معاً وهو الأمر الذي أثار جواً من الاسترخاء.

نظرت نظرة متفحصة في داخل السيارة.

قال: «ليست سيئة، أليس كذلك؟ الوكالة تسمح لي باستخدامها كلما شئت ذلك. ومعها السائق. بهذه الطريقة لا توجد حوادث أو سياقة تحت تأثير الشراب. الأمان أولاً. إنهم سعداء وأنا كذلك».

قلت: «أمر مفهوم».

– ولكن لو كان الأمر لي فإنني لن أقود مثل هذه السيارة. لا أحب السيارات التي بهذا الحجم الكبير. مثل البورش أو مازيراتي.

– إنني أحب السيارات الأصغر مثل سيفيك، سوبارو.

قال: «سوبارو، هل تعلم أن أول سيارة اقتنيتها كانت سوبارو. اشتريتها بأجري عن أول فيلم، كانت مستعملة. أحببتها. كنت معتاداً على قيادتها إلى الاستديو حينما حصلت على فرصة دور مساند. لكن

شخصاً ما أفهمني شيئاً على الفور. أخبرني أنه إذا كنت أريد أن أكون نجماً، فيجب عليّ ألا أقود سوبارو. يا له من وسط. لذلك قررت بيعها. لكنها كانت سيارة رائعة. يمكن الاعتماد عليها. ورخيصة».

- نعم إنني أحب سيارتي أيضاً.

- إذاً لماذا أقود مازيراتي بحسب رأيك؟

- لست أدري.

قال: «لدي حساب مصروفات وينبغي عليّ أن أستنفده. إن مدير أعمالي يستحثني دائماً على أن أنفق أكثر فأكثر. لكنني لا أنفق بهذه السرعة. لذا ذهبت واشتريت سيارة فاخرة وغالية الثمن. سيارة واحدة باهظة الثمن يمكن أن تقطتع جزءاً كبيراً مما أكسبه من أموال. إن ذلك يجعل الجميع سعداء».

يا إلهي. ألا يوجد شخص لا تسيطر عليه فكرة الحسم من حساب المصروفات؟

- «إنني جائع حقاً»، قال وهو يمرر يديه خلال شعره. «أشتهي قطعة من اللحم المشوي. هل لديك شهية لشيء مثل ذلك؟».

- كل ما تشتهي.

أعطى التوجيهات للسائق ووصلنا. نظر إليّ جوتاندا وهو يبتسم. «لا أقصد التدخل في شؤونك الشخصية ولكن كونك كنت تعد وجبة لنفسك فقد فهمت أنك تعيش بمفردك».

قلت: «حقاً. كنت متزوجاً والآن أنا مطلق».

قال: «تماماً مثل حالتي. كنت متزوجا والآن أنا مطلق. لكن هل تدفع نفقة؟».

- لا.

- لا تدفع أي شيء؟

- لا شيء، إنها لم تكن تريد شيئاً.

- «يا لك من محظوظ»، قالها وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة. «أنا لا أدفع نفقة أيضاً، لكن الزواج كسرني. ربما سمعت بخبر طلاقي؟».

- سمعت بعض الأشياء.

لقد نُشر في كل المجلات. زواجه قبل أربع أو خمس سنوات من ممثلة مشهورة. ثم وقع الطلاق بعد سنتين. ولكن من عرف بالقصة الحقيقية؟ كانت الشائعة تقول إن عائلتها لم تتقبله. وكان لديها حلقة من الأقارب الذين أقحموا أنفسهم في كل تحرك تقوم به سواء كان شأناً عاماً أو خاصاً. في حين كان جوتاندا نفسه الفتى المدلل والثري والذي اعتاد على الحياة الرغيدة. ولذلك كان وقوع المشكلات أمراً محتماً.

قال وهو يبتسم ابتسامة مفتعلة: «أمر مضحك أليس كذلك؟ نوشك أن ندخل في إجراء تجربة علمية معاً، الشيء التالي هو أن كلاً منا مطلّق. أمر مضحك»، ثم مسح على عينيه بشكل خفيف. «لكن أخبرني كيف كان انفصالك؟».

- أمر بسيط. في يوم من الأيام استيقظت الزوجة وهجرتني.

- بهذه البساطة؟

- نعم بدون سابق إنذار. دون كلمة. لم أعثر على تفسير واحد. ظننت أنها خرجت للتسوق أو شيء من هذا القبيل. لكنها لم تعد ثانية. أعددت العشاء وظللت أنتظرها. طلع الصبح ولم يظهر لها أثر. انقضى أسبوع، انقضى شهر. ثم وصلتني ورقة الطلاق.

أصغى لكل ما قلت ثم تنهد. «آمل ألا يكون لديك اعتراض على ما أقول، لكني أعتقد أنك قد حصلت على صفقة أفضل من التي حصلت أنا عليها».

- كيف ذلك؟

- «في حالتي لم تهجرني زوجتي. لقد أُلقي بي في الشارع. بكل معنى الكلمة. في يوم من الأيام أُلقيت في الخارج على أذني»، قال وهو يحدق في الزجاج الفضي. «وكان أسوأ ما في الأمر هو أنها كانت قد خططت للأمر كله. بكل تفاصيله. حينما كنت خارج المنزل، قامت بتغيير تسجيل كل شيء نمتلكه. لم ألحظ أي شيء أبداً. كانت محل ثقتي. كنت قد سلمت كل شيء لمحاسبها. ختمي الرسمي، أوراقي الثبوتية، شهادات الأسهم، دفاتر شيكاتي، كل شيء. قالوا إنهم يريدون هذا لدفع الضرائب. رائع، كنت أتضايق كثيراً من إنهاء هذه المعاملات، ولذلك سررت لكونهم سيقومون بذلك نيابة عني. لكن الرجل كان يعمل لحساب أقاربها. وقبل أن أعرف بذلك الأمر، لم يكن قد بقي أي شيء يحمل اسمي. جرّدوني من كل شيء حتى النخاع. ثم بعد ذلك طردوني. كانت تجربة تَعلُّم حقيقية، دعني أقول لك». قال ذلك وهو يبتسم ابتسامة مصطنعة مرة ثانية. «ذلك الأمر جعل علامات الزمن تظهر عليّ بشكل أسرع».

- كل شخص يجب عليه أن يكبر.

قال جوتاندا وهو يتفحص وجهي: «معك حق. كنت أظن أن السنوات ستمر بشكل طبيعي وأنك ستكبر سنة بعد سنة في كل مرة. لكن ما حدث لم يكن كذلك. إنه أمر يحدث بين عشية وضحاها».

كان المكان الذي ذهبنا إليه مطعماً يقدم شرائح اللحم المشوي في ركن بعيد من روبونجي. كان مظهره يوحي بأن أسعاره عالية. حينما وصلت المرسيدس إلى المدخل، جاء البواب ليفتح باب السيارة والحاجب ليقودنا للمقعد وبعض الموظفين ليحيونا. تم اصطحابنا إلى طاولة في ركن معزولة في آخر المطعم. كان كل مرتادي المطعم شديدي التأنق في ملابسهم بما يساير الموضة، لكن جوتاندا بحذائه

المصنوع من القطيفة كان هو الأكثر حدة. لكن رزانته كانت قد سادت في المكان. بمجرد أن دخلنا كانت كل العيون مسلطة عليه. حدقوا فيه على مدى ثانيتين، لا أكثر كما لو كان ذلك قانوناً ضمنياً لفن الاتيكيت.

جلسنا وطلبنا كأسين من الويسكس والماء. اقترح جوتاندا أن يكون الشراب في نخب: «زوجتينا السابقتين».

قال: «أعلم أن ذلك سوف يبدو حمقاً. ولكني ما زلت أحبها. عاملتني مثل بقعة من القذارة وما زلت أحبها. لا أستطيع أن أزيحها من بالي، لم يعد بإمكاني أن أبدي اهتماماً بأي امرأة أخرى».

كنت أحدق في مكعبات الثلج الدقيقة في الكأسين الكريستال.

سأل: «وماذا عنك؟».

- تقصد كيف أشعر تجاه زوجتي السابقة؟ لا أعرف. لم أكن أريدها أن تذهب. ولكنها غادرت على أية حال. من هو المخطئ؟ لست أدري. بالتأكيد لم يعد يهم الآن. لقد ألفت الأمر، وأظن أن «ألفتي للأمر» هي أفضل ما يمكنني أن أقوم به.

- آمل ألا أكون قد نكأت جرحاً لديك؟

قلت: «لا، ليس بالضبط. الواقع هو الواقع. لا يمكن أن تهرب منه. لا يمكنك أن تقول حقاً إنه مؤلم، ولا تعرف حقاً ماذا تسمّيه».

قال: «هذا صحيح. لا يمكنك حقاً أن تضع يدك عليه. إنه يتغير مثل تغير الجاذبية. لا يمكنك حتى أن تقول ما الذي يسبب لك الألم».

جاء النادل وأخذ طلباتنا. ستيك مشوي وسلطة وكأسان أخريان من الويسكي.

- آه، ألم يكن ثمة شيء تريد أن تتحدث إليّ بشأنه؟ دعنا ننتهي من ذلك الشيء أولاً قبل أن نثقل في الشراب.

بدأت: «إنها قصة غريبة».

قال وهو يبتسم ابتسامة لطيفة: «إنني أحب القصص الغريبة».

- حسناً من هنا نبدأ. في ذلك اليوم الذي ذهبت فيه لمشاهدة آخر أفلامك.

قال ممتعضاً وهو يخفض صوته حتى أصبح أقرب للهمس: ««حب من طرف واحد؟» إنه فيلم فظيع. مخرج فظيع. سيناريو فظيع. كل شخص اشترك فيه يتمنى لو أمكنه نسيانه».

قلت: «لقد شاهدته أربع مرات».

اتسعت حدقتا عينيه، كما لو كان يحدق في فضاء كوني. «إنني أراهن أنه لا يوجد شخص في هذه المجرة قد جلس لمشاهدة هذا الفيلم حتى نهايته».

قلت: «ثمة شخص كنت أعرفه كان مشاركاً معك في الفيلم».

وضع جوتاندا سبابته في جانب رأسه وتساءل: «من؟».

- الفتاة التي كنت تنام معها صباح الأحد.

ارتشف رشفة من الويسكي. «آه نعم، تقصد كيكي».

قلت مكرراً: «كيكي، كيكي، كيكي».

- هذا هو الاسم الذي كنت أعرفها به على أية حال. في التعريف كان اسمها كيكي. غير متبوع باسم ثان لها.

سألته: «هل ما زلت على اتصال بها؟».

- للأسف لا.

- لماذا لا؟

- دعنا نتناول الأمر من السطح. أولاً كيكي لم تكن ممثلة محترفة. الممثلون سواء كانوا مشهورين أو لا، جميعهم يتبعون لشركة

إنتاج. لذا فإن اتصالك بهم يكون من خلال وكلائهم. معظمهم يعيشون بالقرب من هواتفهم بانتظار مكالمة. ولكن كيكي ليست كذلك. لم تكن تتبع أي شركة إنتاج سمعت عنها. لم تظهر إلا في تلك المرة.

- إذاً كيف حصلتُ على ذلك الدور؟

قال متململاً: «أنا زكيتها. سألتها إن كانت ترغب في الظهور في فيلم، وقدمتها للمخرج».

- مقابل ماذا؟

ارتشف رشفة من الويسكي. «لم تكن الفتاة بالضبط تمتلك موهبة. ولكن كان لديها نوع من الحضور. كان لديها شيء ما. لم تكن جميلة حقاً. لم تكن ممثلة بورنو. ولكن يخامرك الشعور بأنها لو شاركت في فيلم، لأمكنها أن تسرق التركيز كله نحوها. وهذه هي الموهبة. ولذا فقد طلبت من المخرج أن يضمها لفريق الفيلم. وكان أن ظهرت في هذا المشهد. كل شخص رأى أنها كانت رائعة. لا أقصد أن أفاخر ولكن ذلك المشهد كان أفضل شيء في الفيلم. كان واقعياً. ألا تعتقد ذلك؟».

قلت: «نعم. واقعياً للغاية».

قال: «لذا اعتقدت أنها سوف تواصل العمل في السينما. كان يمكنها أن تكون ذات شأن كبير. ولكنها اختفت بعد ذلك. تلاشت. مثل دخان. مثل قطرات ندى الصباح».

- تلاشت؟

- ذلك ما حدث بالضبط. ربما قبل شهر من ذلك، كنت أقول لكل شخص إنها هي ما نحتاج إليه بالضبط لهذا الدور الجديد، وهي كانت مستعدة. كل ما كان عليها أن تفعله هو أن تظهر بإطلالتها. لقد

اتصلت بها قبل ذلك بيوم لتذكيرها، ولكنها لم تظهر أبداً. كانت هذه هي آخر مرة نتكلم فيها.

رفع إصبعه لينادي النادل ويطلب كأسين من الويسكي.

قال جوتاندا: «لدي سؤال واحد، وإن كان ليس شأني. هل سبق أن نمت معها؟».

- أوه، ماذا؟

- حسناً، لنفترض أنني نمت معها، هل يضايقك ذلك في شيء؟

قلت: «ليس أنت بالتحديد».

قال جوتاندا وقد ظهرت عليه علامات الراحة: «حسناً. إنني فاشل في الكذب. لذلك سوف أصارحك بكل شيء. نمنا معاً مرات قليلة. كانت فتاة جيدة. ربما مرتبكة بعض الشيء ولكنها إنسانة جيدة حقاً. كان ينبغي أن تصبح ممثلة. كان بإمكانها أن تحقق أشياء جيدة. أمر مؤسف للغاية».

- ولا تعرف حقاً أين يمكنك الاتصال بها؟ أو ما هو اسمها الحقيقي؟

- للأسف لا. لا أعرف أي طريقة يمكنني من خلالها العثور عليها. لا أحد يعرف.

سألت: «ألم يكن هناك أي إيصالات أجور في قسم المحاسبة بالشركة المنتجة للفيلم. يجب عليهم أن يدوّنوا الاسم الحقيقي والعنوان على مثل هذه الأشياء».

- هل تظن أنني لم أبحث في كل ذلك؟ لم أعثر على أثر. لم تهتم بالحصول على أجرها. لم تحصل على أي أموال. ومن ثم لا توجد سجلات.

- لم تحصل على أجرها؟

قال جوتاندا وهو يشرب كأسه الثالثة: «لا تسألني لماذا؟ إن الفتاة لغز. ربما كانت تريد أن يظل اسمها وعنوانها سراً. من يدري؟ ولكن أياً كان الأمر، فإننا لدينا ثلاثة أشياء مشتركة. معمل حصة العلوم في المدرسة الثانوية. الطلاق. وكيكي».

في ذلك الوقت، كانت شرائح اللحم المشوي والسلطة قد وصلت.

سألته وأنا أقطع شريحتي: «لكن أخبرني، أين التقيت كيكي؟».

فكر بصوت عال قائلاً: «دعني أرى أين كان ذلك؟ آه نعم، طلبتُ فتاة فكانت هي. لعلك تعرف ماذا أقصد. هناك هذه الأرقام التي يمكنك الاتصال بها».

- آه، فهمت.

- بعد طلاقي ظللت فترة أتصل، فتأتيني تلك الفتايات فيمضين الليلة معي. بدون ضجة وبدون أن تحدث اضطراباً أو إزعاجاً. لم أكن مستعداً للنوم مع فتاة هاوية، ولو أنني نمت مع زميلة في الوسط الفني لكان الأمر قد شاع في كل المجلات والصحف. لذلك كانت هذه هي الصحبة التي قررتها. لم يكنّ رخيصات، ولكنهن كن يكتمن الأمر. ليصبح سراً مطلقاً. شخص ما في الوكالة عرفني بهذا النادي، وكانت كل الفتيات جميلات وحلوات المعشر ومحترفات. إنهن يتمتعن أيضاً.

تناول قطعة من شريحة اللحم وابتلعها ببطء.

قال: «إممم، ليست سيئة».

أردفت: «ليست سيئة على الإطلاق. إنه مكان رائع».

- رائع ولكنك تسأمه إن جئت إليه ست مرات في الشهر.

- هل تأتي إلى هنا ست مرات في الشهر؟

– نعم، إنني معتاد على المكان. يمكنني الدخول إلى هنا دون أن يطرف لأحد جفن. الموظفون هنا لا يهمسون. إنهم معتادون على المشاهير، لذا لا يحدقون. لن يأتيك أحد يطلب توقيعك حينما يكون فمك ملآن بالطعام. من الصعب أن تسترخي وتأكل في أماكن أخرى.

قلتُ مازحاً: «يا لها من حياة شاقة. وفوق ذلك فإنه لا يمكنك تخفيض حساب مصروفات».

– أنت قلتها. إذاً أين كنا؟

– وصلنا عند نقطة بائعات الهوى.

قال جوتاندا وهو يمسح على فمه بمنديله: «نعم، في إحدى المرات اتصلت بالفتاة المعتادة، لكنها لم تكن متاحة. أرسلوا بدلاً منها فتاتين أخريين. كان عليّ أن أختار، لأنني عميل مميز جداً. كانت إحداهما هي كيكي. كان من الصعب أن أختار، لذا فقد نمت مع كلتيهما».

قلت: «هممم».

– هل يضايقك ذلك؟

– لو أنني كنت ما زلت في المدرسة الثانوية، لربما تضايقت. أما الآن فلا أتضايق.

ابتدرني جوتاندا: «لم أفعل مثل ذلك حينما كنت في المدرسة الثانوية. أؤكد لك ذلك. ولكن على أية حال فقد نمت معهما. لقد كان مزيجاً ممتعاً. أقصد أن واحدة منهما كانت مثيرة في الفراش للغاية. كانت مدهشة. لقد تم إنفاق الكثير على جسمها دعني أقول لك. كل مليمتر مربع من جسمها كان يقطر مالاً. إن مجال عملي يتيح لي مقابلة الكثير من الجميلات وهذه الفتاة لم تكن كسولة. كانت لديها شخصية لطيفة وذكية أيضاً. أما الفتاة الثانية فكانت هي كيكي.

لم يكن لديها ذلك الجمال الساحر. كانت جميلة بقدر كاف، لكنها تفتقر إلى الحيوية، لم تكن مثل فتاة نادٍ. كانت شيئاً أكثر من ذلك. . .».

سألته: «هل تعني عادية؟».

– نعم، عادية. ملابس عادية، تكاد لا تضع أي زينة. كما لم تكن تجيد الكلام. لم يكن يبدو عليها أنها تهتم كثيراً برأي الناس فيها. لم تكن ذلك الشخص الذي ستعطيه نظرة ثانية. لكن الشيء الغريب فيها أنها كانت بشكل من الأشكال أكثر جاذبية، ولفتت انتباهي أكثر من الأولى. بعدما انتهى ثلاثتنا جلسنا على الأرض نشرب ونستمع للموسيقى ونتبادل أطراف الحديث. لم أستمتع في حياتي مثلما استمتعت في تلك الليلة. شعرت براحة غامرة معهما لدرجة أن ثلاثتنا التقينا عدة مرات بعد ذلك.

– لكن متى كان ذلك؟

قال: «كان ذلك بعد طلاقي بستة أشهر، إذاً فقد مر على ذلك سنة ونصف الآن. التقى ثلاثتنا لخمس أو ست مرات. لم أنم مع كيكي بمفردها أبداً. لا أعرف لماذا. كان ينبغي عليّ أن أفعل».

– حقاً، لماذا لم تفعل؟

وضع شوكته وسكينه على الطبق ثم ضغط بأصابعه على جانبي رأسه. بدا أن ذلك عادة لديه. لكنها عادة ساحرة أيضاً.

قال جوتاندا: «ربما كنت خائفاً».

– ماذا تقصد بذلك؟

قال وهو يلتقط أدوات المائدة: «أخاف أن أكون بمفردي معها. كان ثمة شيء فيها يتحداك، بل تقريباً يمثل تهديداً لك. على الأقل كان ذلك هو الشعور الذي انتابني. لا ليس تهديداً بالضبط».

قلت: «تقصد يوحي بذلك؟ أو يقود إلى ذلك؟».

- نعم، ربما. لا يمكنني أن أحدد ماهية ذلك الشيء. لكنّ أياً كان ذلك الشيء، فقد حصلت على لمحة عنه. لم أشعر أبداً بتأثيرها الكلي. لذلك لم أشعر أبداً بالرغبة في النوم معها بمفردها. لكن مع ذلك كانت تستهويني أكثر مما تستهويني الأخرى. هل يمكنك أن تفهم شيئاً من ذلك؟

- أظن ذلك.

- بشكل ما، لو أنني كنت نمت مع كيكي أنا وهي فقط، فلربما لم أكن لأصل إلى حالة الاكتفاء والراحة. ولرغبت ربما في الذهاب معها لأعمق من ذلك. لا تسألني لماذا؟ ولكن ذلك (ضمن ما أنا بصدده في ذلك الوقت) لم يكن من بين مآربي. كنت فقط أرغب في مضاجعة الفتيات كنوع من التنفيس. لكن مع ذلك أحببت كيكي حقاً.

تناولنا الطعام في صمت على مدى دقيقة أو دقيقتين.

تابع جوتاندا الكلام كما لو كان قد تذكّر ذلك لتوه: «حينما لم تحضر كيكي البروفة، اتصلت بالنادي الذي تعمل معه. سألت عنها تحديداً، لكنها لم تكن هناك. أبلغوني أنهم لا يعرفون أين هي. ربما أبلغتهم أن يقولوا ذلك حينما أتصل. من يدري؟ ولكن على أية حال فقد تبخرت وتلاشت».

حضر النادل ورفع ما على المائدة وسأل إن كنا نرغب في قهوة.

قال جوتاندا: «لا، ولكني أرغب في كأس أخرى. ماذا عنك؟».

- لا مانع كما تحب.

كانت هذه هي الجولة الرابعة من الشراب.

بدون مقدمات سألني جوتاندا: «ماذا تظن أني فعلت اليوم؟».

أخبرته أن ليس لدي فكرة عن ذلك.

- لقد عملت مساعداً لطبيب أسنان طوال فترة الظهيرة. كنت

أحاول الحصول على خبرة حول دور. أنا الآن أمثل دور طبيب أسنان في المسلسل. ريوكو ناكانو هو اختصاصي عيون. وتوجد عياداتنا في الحي نفسه. يعرف أحدنا الآخر منذ الطفولة، ولكن ثمة شيء كان يحاك دائماً ليفصل كل منا عن الآخر. إنه مسلسل جميل ولا ضرر منه. ولكن على أية حال فإن المسلسلات التلفزيونية تتشابه. هل شاهدته؟

قلت: «لا، لا يمكنني القول إني شاهدتها. لا أشاهد في التلفزيون سوى الأخبار. وأشاهدها فقط مرتين في الأسبوع».

قال جوتاندا: «حسناً، إنه مسلسل غبي على أية حال. لو أنني لم أشارك فيه، لما شاهدته أنا نفسي. ولكنه يحظى بشعبية واسعة. إن معدلات المشاهدة عالية. تعرف مدى حب الجمهور لمثل هذه الأشياء. ولن تصدق الكم الهائل الذي أتلقاه من الرسائل البريدية كل أسبوع. كما أن أطباء الأسنان يكتبون إليّ للشكوى حول كيف أن هذا الامر أو ذاك لم يتم أداؤه على الوجه الصحيح أو أن العلاج الذي استخدم لألم الأسنان كان ينبغي أن يكون شيئاً آخر. وكان آخرون يرسلون انتقادات ويقولون إنهم لم يروا أسوأ من ذلك المسلسل. حسناً، إذا لم تحبه، فلا تشاهده».

- لا أحد يرغمهم على ذلك؟

- الشيء المضحك هو أنني كثيراً ما أتورط في أداء أدوار مثل طبيب أو مدرس أو شخصية حظي بالاحترام مثل ذلك. لقد أديت أدوار أطباء أكثر مما يمكنني أن أحصيها. لكن الشيء الوحيد الذي لم أؤديه هو اختصاصي أمراض الشرج والمستقيم! تخيل كم سيكون ذلك مثيراً للضحك. لكني لعبت دور طبيب بيطري. بالطبع لعبت دور معلّم لكل المناهج الدراسية. لقد تعلمت الاقتصاد. ماذا يمكنك أن تفهم من كل ذلك؟

قلت ضاحكاً: «حسناً، إنك تشع بالثقة».

ضحك جوتاندا قائلاً: «نعم، إنه خطأ قاتل. مرة لعبت فيها دور بائع سيارات مستعملة غير أمين. شخص يحترف الخداع بنظارة واحدة. لقد استمتعت بذلك الدور. كان للدور مذاق خاص، كما أنني لم أكن سيئاً. ولكن الرسائل انهمرت عليّ. كان دوراً من الخسة بما يجعله لا يليق بشخص نبيل مثلي. بعض الأشخاص هددوا بمقاطعة راعي المسلسل. كانت شركة معجون أسنان إذا لم تخني الذاكرة. وباستثناء ذلك كانت كل أدواري ما بين طبيب ومعلم».

- يا لها من حياة معقدة.

عاد يضحك من جديد: «أو لتقل حياة بسيطة حقاً. على أية حال كنت أمضي الوقت في العمل كمساعد طبيب أسنان، أدرس التقنيات. إنني أفعل ذلك منذ فترة الآن. لقد أثنى طبيب الأسنان الحقيقي على طريقة تعاملي مع الأدوات. كنت أضع الكمامة على فمي، ولم يستطع أحد من المرضى التعرف عليّ. ولكنهم كانوا جميعهم يشعرون بالارتياح حينما أتحدث إليهم».

- لا يمكنك أن تتوقف عن الإشعاع بالثقة، هل يمكنك؟

- نعم، هذا ما بدأت أفكر فيه. هل تعرف أنني بت أشعر بالارتياح مع مثل هذه الأدوار. وأتعجب من أنني لم أُخلَق طبيب أسنان أو مدرساً أو شيئاً من هذا القبيل. هل تعرف، كان بإمكاني عمل ذلك. ربما كنت سأكون أكثر سعادة لو فعلت مثل ذلك الشيء.

- ألست سعيداً الآن؟

قال جوتاندا وإصبعه في وسط جبهته هذه المرة: «لست أدري. إنها هذه الثقة التي أجيدها. لكني لا أعرف إن كنت أثق بنفسي أم لا. كل شخص آخر يثق بي، ولكن في الواقع فأنا لست شيئاً سوى هذه الصورة. مجرد ضغطة زر، وتجدني اختفيت. حسناً؟».

- هممم.

- لو أنني كنت طبيباً أو معلماً حقيقياً لما استطاع أحد أن يزيحني بضغطة زر. كنت سأظل هناك.

- صحيح، ولكنك حتى بالتمثيل يجب أن تظل هناك.

قال جوتاندا: «أحياناً أشعر بالإرهاق. أشعر بالصداع وأفقد القدرة على التمييز بين من أنا وما هو الدور؟ أين هو الخط الفاصل بيني وبين ظلي؟».

- إن كل شخص يشعر بذلك ولست وحدك في ذلك.

قال: «أعرف ذلك. كل شخص يفقد القدرة على تمييز نفسه. ولكن في حالتي فإن الأمر يبدو أكثر حدة. بل قاتل. كنت كذلك منذ زمن لا أعرف متى بدأ. حتى أكون أميناً معك، كنت دائماً أشعر بالحسد إزاءك».

قلت: «تحسدني أنا؟ على أي شيء كنت تحسدني بحق الجحيم؟».

- لست أدري، لكنك كنت دائماً تبدو متأقلماً مع ما تقوم به. لم تكن تأبه لما يفكر فيه الآخرون بشأنك. لم تكن تبالي حقاً. كنت تفعل ما تشاء وكيفما تشاء. كنت صلباً.

رفع كأسه ونظر خلالها: «أما أنا فكنت الفتى الذهبي الخالد. لم أخطئ أبداً. كنت أحصل على أفضل الدرجات، كنت أفوز بالانتخابات، كنت رياضياً مشهوراً. البنات كانت تحبني. كما كان المعلمون وأولياء الأمور يضعون ثقتهم بي. كيف يمكن لمثل هذه الأشياء أن تحدث؟ لم أفهم أبدا ماذا كان يحدث، إلا أنه كان شيئاً من الوقوع في أسر التكرار. ربما لا يمكنك أن تتخيل عماذا أتحدث».

قلت له لا، لست أعرف حقاً.

– بعد المدرسة الإعدادية التحقت بهذه المدرسة التي كانت متفوقة في كرة القدم. حافظت على مستواي. كانت لدي صديقة. كانت مثيرة جنسية. اعتادت أن تأتيني متهللة في مباريات كرة القدم. كانت هذه هي الطريقة التي التقينا من خلاها. ولكننا لم نذهب في الطريق حتى آخره، كما اعتدنا أن نقول. كنا فقط نتسكع. كنا نذهب إلى بيتها حينما لا تكون أسرتها هناك ونمضي بعض الوقت. كنا أيضاً نتواعد في المكتبة.

ارتشف جوتاندا رشفة من الويسكي.

– تغيرت الأشياء قليلاً في الكلية. كانت هناك جبهة الطلاب المتحدة. حيث اضطلعت بدور قيادي فيها. ولعبت الدور بشكل جيد. فعلت كل شيء. وضعت المتاريس. وضاجعت الكثيرات ودخنت الحشيش واستمعت إلى دبي بيربل. لكن داهمتنا شرطة مكافحة الشغب وجرجرتنا إلى السجون. بعد ذلك لم يتبق لنا الكثير لعمله.

كان ذلك حينما أقنعتني الفتاة التي أعيش معها بالعمل في المسرح السري، لذا حاولت أن أجرب ذلك، في البداية بشكل غير جاد، ثم وتدريجياً أصبحت أكثر اهتماماً. كنت هاوياً وكان من حظي أن أقوم بدورين محترمين. وعلى الفور أدركت أنني أمتلك موهبة لهذا العمل. بعد سنتين راح الناس يعرفون من أنا. حتى لو كنت واقعاً تحت حالة من الفوضى في تلك الأيام. شربت كثيراً، ونمت مع الكثير من البنات طوال ذلك الوقت.

في يوم من الأيام جاءني شخص يعمل في السينما وسألني إن كنت أفكر في الوقوف أمام الكاميرا. بالطبع أبديت اهتماماً بذلك العرض وحصلت على دور صغير. لم يكن دوراً سيئاً. كان ذلك الشاب المرهف الحس. وهذا قادني إلى أشياء أخرى. كان هناك أيضاً

حديث عن التلفزيون. أصبحت مهامي أكبر، وكان عليّ أن أترك فرقة المسرح. كنت أشعر بالأسف على ذلك لكن لم يكن هناك مناص إلا أن تتحرك في ذلك العالم الكبير. الكبير حقاً.

تنهد جوتاندا. تنهيدة ساحرة، ولكنها تنهيدة على أية حال.

– ألا ترى أن الحياة ما هي إلا لوحة زيتية؟

قلت: «لكنها ليست لوحة سيئة على أية حال».

– معك حق. ولكن حينما أفكر في حياتي الماضية أجد أنني لم أقم باختيار واحد طوال هذه الحياة. أحياناً أستيقظ في منتصف الليل ويخيفني ذلك. أين أنا؟ أين اللحوم؟ حياتي كلها أدوار وراء أدوار. من هو البطل في حياتي؟

لم أتفوه بكلمة.

– يبدو أنني أهذي بما لا ينبغي قوله.

أخبرته: «ذلك لا يضايقني في شيء. إذا كنت تريد أن تتحدث، فلتتحدث. لن أفشي شيئاً مما تقوله».

قال جوتاندا وهو يحدق فيّ: «لست قلقاً من ذلك. لست قلقاً على الأقل. هناك شيء فيك، لا أعرف ما هو، لكنه يجعلني بطريقة ما أثق بك. ولكن من الصعب أن تكون منفتحاً مع الناس. نعم ربما يمكنني الحديث مع زوجتي السابقة. لفترة من الزمن وقبل أن يفسد الناس ما بيننا كنت أنا وهي متفاهمين ويحب كل منا الآخر. لو أن الأمر اقتصر علينا فقط لربما استطعنا تسوية تلك الأمور. لكنها كانت تفتقر إلى الشعور بالأمان تماماً. كانت تشعر باحتياج مُبالغ فيه لعائلتها، لم تكن تستطيع الخروج من تحت سيطرتهم عليها».

بعد ذلك تحدث عن وحدة معمل العلوم الخاصة بنا. كيف أنه كان دائم العصبية لأنه كان مكلفاً بالإشراف على التجربة حتى تخرج

ناجحة، ولأنه كان عليه مساعدة الفتيات البطيئات. وكيف أنه كان يحسدني على طريقة عملي للأشياء وفق إيقاعي الخاص. لكني كنت بالكاد أتذكر ما كنا نفعل في حصة العلوم. لذلك أخفقت تماماً في فهم دافعه للحسد. كل ما أتذكره هو أن جوتاندا كان يجيد التعامل بيديه. ضبط الميكروسكوب وأشياء من هذا القبيل. وفي أثناء ذلك كان بإمكاني أن أرتاح لأنه كان يقوم بكل المهمات الصعبة. لم أقل له ذلك الشيء. كنت أنصت فقط.

أثناء حديثنا، وصل شخص ما حسن المظهر ويبدو في الأربعينات من عمره إلى مائدتنا ووضع يديه على كتف جوتاندا. تبادلا التحية، وتحدثا عن العمل. رمقني الرجل ثم تجاهلني وواصل حديثه. كنت غير ظاهر.

حينما غادر ذلك الشخص بعد وعدٍ بالغداء والغولف، رفع جوتاندا أحد حاجبيه بضعة مليمترات ورفع إصبعين للإشارة إلى النادل وطلب فاتورة الحساب. قام بالتوقيع عليها دون أي نقاش.

- إنها كلها مصروفات. إنها ليست نقوداً، إنها مصروفات.

(19)

استقللنا المرسيدس إلى بار في منطقة فقيرة في أزابوا. اتخذنا مقعدين في أحد أطراف البار واحتسينا بعض الشراب. كان جوتاندا قادراً على احتمال الشراب، فلم تظهر عليه علامة واحدة تشير إلى أنه ثمل، لا في صوته ولا في لونه. واصل الكلام. حول عبثية محطات التليفزيون. وحول المخرجين ذوي العقول العقيمة. وحول هؤلاء الممثلين الذين يفتقرون إلى الموهبة ويجعلونك ترغب في التقيؤ. وحول من يسمّون أنفسهم نقاداً. كان يجيد رواية الحكايات. كان ذا روح مرحة وكان مباشراً في أسلوبه.

أراد أن يعرف أحوالي. ما هي المنعطفات التي أخذتها حياتي. رحت أقص عليه مقتطفات من مسيرة حياتي. عن المكتب الذي أسسته مع صديق ثم تركته، عن الحياة الشخصية، عن عملي الحر بعد ذلك، عن المال، عن الزمن. بشكل عام كانت حياة هادئة، تقريباً صامتة. لا يكاد يبدو لي أنها حياتي.

بدأ البار يغصّ بالرواد، وهو ما جعل مواصلة الحديث أمراً صعباً. راح بعض الأشخاص يحدقون في وجه جوتاندا لشهرته. فقال لي وهو يهمّ بالوقوف: «دعنا نغادر هذا المكان. تعال إلى بيتي. إنه على مقربة من هنا. وليس به أحد. وهناك الشراب».

كانت شقته قريبة فعلاً من البار. منح سائقه باقي الليلة راحة، ودلفنا للداخل. بيت رائع، له مصعدان.

قال: «اشترته لي الوكالة حينما تم طردي من بيتي. لا يمكنهم أن يدعوا نجم أعمالهم السينمائية مكسوراً ويعيش في سلة مهملات. بالطبع أقوم بدفع الإيجار. على المستوى الرسمي أنا مستأجر المكان من المكتب. ويتم حسم الإيجار من المصروفات. تناغم تام».

كان منزلاً بغرفة معيشة واسعة وغرفتي نوم وشرفة تطل على برج طوكيو. العديد من السجاد الفارسي على الأرضية الخشبية. أرائك كافية. نباتات زينة كبيرة، مصابيح إيطالية. القليل من أطباق خاصة بأسرة منج على اللوحات. لم تكن هناك ذرة واحدة من التراب. كان واضحاً أيضاً أن لديه خادمة.

قلت: «مكان جميل».

- ليس عليك إلا أن تدع الأشياء لمصمم داخلي وسوف ينتهي الأمر لتصبح مثل ذلك. شيء ترغب أن تصوره لا أن تعيش فيه. إنه معقم.

- حسناً، يجب عليك أن تنشر عطرك في المكان.

وضع تسجيلاً موسيقياً وخفض الصوت، وسألني: «ماذا ستشرب؟».

قلت: «سوف أشرب ما تشربه».

ذهب إلى المطبخ وعاد بفودكا وصودا وثلج وأنصاف ليمون.

كان المكان يبعث على الراحة. تمددت على الأريكة والشراب في يدي وشعرت باسترخاء تام.

قال جوتاندا مخاطباً السقف: «كان يمكن أن أكون طبيباً. حصلت على مؤهلات التدريس في الكلية. ولكن هذا ما انتهت إليه

حالي وبهذا النمط من الحياة. كانت بطاقات لعبة الشدة توضع أمامي وأنا أختار أياً منها. كان بإمكاني أن أقوم بأي دور أختاره».

قلت بكل صدق: «لكني لم يتح لي أن أرى البطاقات أبداً». وهو ما استدعى ضحكة من جوتاندا. ربما ظن أنني أمزح.

أعاد ملء كأسينا، وعصر ليمونة وألقى بالقشر في سلة المهملات. «حتى زواجي كان بالتزكية تقريباً. كنا في الفيلم نفسه وذهبنا إلى موقع التصوير معاً. أصبحنا صديقين. ثم بعد نهاية تصوير الفيلم تواعدنا لعدد من المرات. كان كل شخص ينظر إلينا باعتبارنا شخصين متناغمين، لذا فكرنا نحن أيضاً في أنه يمكننا أن نكون زوجين مثاليين. لذا فكرنا في الزواج. لا أعرف إن كنت تدرك ذلك الآن أم لا. لكن الوسط الفني صغير جداً. إنه أشبه ببيت في نهاية حارة فقيرة. لا يمكنك أن ترى الغسيل الوسخ لكل شخص، ولكن ما إن تبدأ الشائعات، لا يمكنك إيقافها. بالرغم من كل ذلك، كنت أحبها بصدق. كانت أفضل شيء وضعت يدي عليه في حياتي. هذا ما أدركته بعد زواجنا. حاولت أن أجعل ذلك يستمر، لكن لم يكن من سبيل لذلك».

لم أعلّق بأي شيء.

قال: «إنني لا أنظر إلى الجانب المظلم من الحياة. ما زلت أحبها. ربما كانت تلك هي المشكلة. ما زلت أفكر فيها. كيف كان سيكون الأمر لو أن كلانا قد اعتزل التمثيل وعاش حياة هادئة. لم أكن لأحتاج إلى منزل مثل ذلك. لم أكن لأحتاج إلى سيارة مازيراتي. لا شيء من كل ذلك. كل ما كنت أحتاج إليه هو وظيفة محترمة وشقة صغيرة. وأطفال. بعد انتهاء العمل كنت سأتوقف في مكان ما لاحتساء البيرة والتخلص من الهموم. ثم إلى البيت حيث الزوجة في الانتظار. سيارة هوندا سيفيك أو سوبارو بالتقسيط كانت تكفي. هذه

هي الحياة. كان ذلك هو كل ما أحتاج إليه لو أنها كانت موجودة. بيد أن ذلك لم يكن ليحدث. كانت تريد شيئاً مغايراً. وعائلتها لم تكن تريدني. أعتقد أن بعض الأشياء لم تعمل في الاتجاه الصحيح. ولكن هل تعرف؟ لقد ضاجعتها الشهر الماضي».

- من؟ زوجتك السابقة؟

- نعم. هل تعتقد أن ذلك أمر عادي؟

قلت: «لا أعتقد أن في ذلك شيئاً غير عادي؟».

- جاءت إلى هنا. لم أفهم ما الذي جاء بها. اتصلت بي وقالت إنها ترغب في زيارتي. قلت لها بالطبع. شربنا كما كنا نشرب في الماضي وانتهى بنا الأمر في الفراش معاً. كانت ليلة رائعة. أخبرتني أنها ما زالت تحبني وأخبرتها كيف أنني أتمنى لو نستطيع أن نبدأ معاً من جديد. لكنها لم تجب بشيء على ذلك. اكتفت بالاستماع لما قلت وابتسمت. لكنها في واقع الأمر لم تكن تصغي إليّ. لم تسمع كلمة واحدة مما قلت. كنت كمن يتحدث إلى حائط. بلا طائل. كانت تشعر بالوحدة وكانت تريد أن تكون مع شخص ما. وصودف أني كنت متاحاً في ذلك الوقت. ليس لطيفاً أن تقول ذلك عن نفسك ولكن ذلك هو ما كان. إنها عالم منفصل عن شخص مثلك أو مثلي. بالنسبة لها، فإن الشعور بالوحدة هو أمر تبحث عن الآخرين حتى يخلصوها منه. وبمجرد أن ينتهي ذلك، يصبح كل شيء على ما يرام. ولا تذهب إلى أبعد من ذلك. لا يمكنني أن أعيش بتلك الطريقة.

نهض قائماً وهو يفكر في صمت لبرهة.

سألني: «ما رأيك في الاتصال بفتيات هوى؟».

قلت: «لا مانع لدي من وجهة نظري. كما تشاء».

سأل: «ألم تطلب خدمات امرأة أبداً؟».

قلت له أبداً.

- كيف ذلك؟

قلت بصدق: «لم يحدث أن خطر ذلك ببالي».

هز جوتاندا كتفيه. «حسناً الليلة، أعتقد أنك يجب أن تفعل. اتفقنا؟ سوف أطلب الفتاة التي جاءتني قبل ذلك بصحبة كيكي. ربما كانت تعرف شيئاً عنها».

قلت: «أترك ذلك لك. ولكن لا تقل لي إن بإمكانك أن تحسم ذلك كمصروفات».

ضحك وهو يعيد ملء الكأس. «لن يمكنك أن تصدق ذلك. ولكني أستطيع. إنه نظام متكامل. هذا المكان يتخذ من تقديم خدمات للحفلات كواجهة له. لذا يمكنهم إعداد فواتير قانونية جداً. أما الجنس فهو هدايا وترفيه عمل. أمر مدهش، أليس كذلك؟».

قلت: «رأسمالية تقدمية».

فيما كنا ننتظر قدوم الفتاتين، خطرت ببالي كيكي وأذناها الرائعتان. سألت جوتاندا إن كان قد سبق له أن رآهما.

قال مستغرباً: «أذنيها؟ لا، لا أظن ذلك. وإذا كنت قد رأيتهما فلست أتذكر ذلك. ما الذي في أذنيها؟».

قلت له: «آه، لا شيء».

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة حينما وصلت الفتاتان. إحداهما رفيقة جوتاندا التي كانت تصحب كيكي وذات جمال فائق. كان جمالها فائقاً حقاً. كانت امرأة من النوع الذي يظل عالقاً في ذاكرتك حتى لو لم تتحدث بكلمة واحدة إليك. تحت معطفها كانت ترتدي بلوزة من الكشمير الأخضر وتنورة من الصوف. كانت تضع حلقاً عادياً، من دون أي إضافات أخرى. فتاة جامعية مهذبة.

أما الفتاة الثانية فكانت تضع نظارة وترتديملابس هادئة اللون. لم تكن جميلة مثل رفيقتها. لكنها جذابة ونضيرة. لها ساقان طويلتان وذراعان نحيفتان، بَشَرَتها بنية اللون كما لو كانت قد أمضت الأسبوع السابق كله على الشاطئ في جوام. كان شعرها قصيراً ومرفوعاً وتضع سواراً في معصمها. كانت ممشوقة القوام.

خطرت ببالي ذكريات المدرسة الثانوية. هذان النوعان المختلفان يوجدان في كل فصل دراسي. ذات الجمال الأخاذ وصاحبة البديهة المتوقدة. كان يبدو أنه نام مع كل منهما قبل ذلك. خاصة أن جوتاندا مبتهج ومستجم للغاية.

قدمني جوتاندا لهما باعتباري زميل دراسة سابقاً وكاتباً حالياً. ابتسمت كل منهما ابتسامة دافئة.

جلسنا على الأرض ومعنا البراندي والصودا. كان صوت جو جاكسون وألان بارسونز في الخلفية. قام جوتاندا بتمثيل دوره كطبيب أسنان مع الفتاة صاحبة النظارة. ثم همس لها بشيء فضحكت. بعد لحظات كانت الجميلة تتكئ إلى كتفي وهي تمسك بيدي. كان عطرها جذاباً. إنها حلم كل رجل. ها هي الفتاة التي كنت دائماً أشتهيها، ها هي تعود بعد سنوات. كنت دائماً أحبك بالرغم من أنني لم أكن أعرف كيف أخبرك في ذلك الوقت. لماذا لم تحاولي الوصول إليّ؟

طوقت جسدها بذراعي، فأغمضت عينيها بلطف وهي تتلمس أذني بطرف أنفها. قبلتني بخفة على رقبتي وسط أنفاسها الناعمة. لاحظت عندئذ أن جوتاندا وفتاته ليسا بجوارنا. لماذا لم أخفض الإضاءة قليلاً؟ نهضتُ وأطفأت الأضواء التي في السقف وتركت مصباح طاولة صغيرة فقط. كان بوب ديلان يغني: «لقد انتهى كل شيء الآن، حبيبي».

همستْ في أذني: «جرّدني من ملابسي بلطف وهدوء». جرّدتها

من بلوزتها ثم تنورتها، ثم جوربها. بطريقة لاإرادية رحت أطوي ملابسها، ولكن عندئذ أدركت أنه في مثل هذا المقام لا داعي لذلك. وهي بدورها خلعت عني ملابسي.

وقفت أمامي بصدرية بالكاد تكفي نهديها وسروال داخلي. سألتني بابتسامة: «ما رأيك؟».

قلت: «رائعة». كانت ذات جسم جميل. كامل ويشع بالحياة، نظيف ومثير.

أرادت أن تعرف: «إلى أي مدى رائعة؟ إذا أخبرتني بشكل جيد، فسوف أقدم لك أفضل ما لديّ».

قلت: «إنك تأخذينني إلى الزمن القديم. تأخذينني إلى المدرسة الثانوية».

نظرت نحوي نظرة جانبية بفضول، ثم ابتسمت.

قالت: «شخص فريد. هذا ما يمكنني أن أقوله».

- هل قلت شيئاً خطأ؟

قالت: «لا أبداً». ثم اقتربت مني وفعلت أشياء لم يسبق أن فعلتها أي امرأة معي خلال أربعة وثلاثين عاماً. كانت حساسة ولكن جريئة، أشياء لن تخطر ببالك بسهولة. زال التوتر عني فيما كنت أغمض عيني وأسلم نفسي لدفقات الأحاسيس. كانت هذه المرة تختلف عن أي جنس عرفته في حياتي.

قالت هامسة: «ليس سيئاً، أليس كذلك؟ مقبول؟».

وافقتها: «ليس سيئاً».

دخلتُ في حالة من الاسترخاء التام، كما لو كنت أستمع لأفضل معزوفة من الموسيقى الهادئة، نفّست عن تجمعات التوتر التي بداخلي، جعلتني أفقد الإحساس بجوارحي المادية. بدلاً من ذلك

كانت هناك حميمية تامة، امتزج الزمان بالمكان، شكل من أشكال التواصل الذي لا تشوبه شائبة. وفوق ذلك كان معفياً من الضرائب. قلت ثانية: «ليس سيئاً». ما الذي كان ديلان يقوله الآن؟ «سوف تهطل أمطار غزيرة». ارتمت فوق ذارعي. يا له من عالم جميل، حيث يمكنك النوم مع نساء مثيرات على أنغام بوب ديلان ثم بعد ذلك تلغي كل الأعمال. أمر لا يمكن تخيله في الستينيات من القرن العشرين.

إنها كلها مجرد صور، وجدت نفسي غارقاً فيها. إضغط على المقبس وسوف تجدها كلها تزول. مشهد جنسي ثلاثي الأبعاد. مفعم بالعطر الفواح واللمسات الناعمة والأنفاس الساخنة.

اتبعتُ المنوال المتوقع: بعدما أشبعت حاجتي، أخذت دوشاً. عدنا لغرفة المعيشة ملفوفين بفوط كبيرة لنستمع لعزف لفرقة «داير ستريتس»[9] ونحتسي بعض البراندي.

سألتني عن عملي وعن نوعية الأشياء التي أكتبها. شرحت لها ذلك باختصار، ولم تر فيه شيئاً يبعث على التشويق. فقلت لها إن الأمر يختلف من شخص لآخر. إن ما كنت أقوم به هو جرف الثلوج الثقافية. أجابت إن عملها هو جرف ثلوج الشهوة. لم أستطع أن أكتم الضحكة. ولكن ألا يمكنني أن أجرف مزيداً من الثلوج الآن؟ فما كان منا إلا أن استلقينا على السجادة ومارسنا الحب مرة ثانية، في هذه المرة تم الأمر ببساطة شديدة وببطء أشد. صارت تعرف أكثر كيف ترضيني بالضبط.

*

بعد ذلك وفيما كنا متمددين في حوض حمام جوتاندا الفاخر، سألتها عن كيكي.

(9) فرقة تعزف موسيقى الروك وهي بريطانية.

قالت: «كيكي؟ لم أسمع هذا الاسم منذ فترة. هل تعرف كيكي؟».

ضمّت شفتيها كما لو كانت طفلة تحاول التفكير، وقالت فيما كانت تمرر أصابعها الطويلة الرقيقة على أنحاء جسمي: «لا أعرف مكانها الآن. اختفت بشكل فجائي. كانت تجمعنا علاقة وثيقة. كنا أحياناً نذهب للتسوق أو الشراب معاً. لكنها ومن دون سابق إنذار اختفت. قبل شهر أو ربما شهرين. ولكن ذلك ليس غير عادي إلى حدّ كبير. لا يتعين عليك أن تقدم استقالة رسمية في مثل هذه المهنة. إذا أردت أن تستقيل، يمكنك أن تستقيل. لا يتعين عليك أن تبلّغ أي شخص. يؤسفني أنها غادرت. كنا صديقتين ولكن هكذا تسير الأمور. لكن على أية حال لم نكن فتيات في الكشافة. لكن هل نمت مع كيكي؟».

– عشنا معاً لفترة. كان ذلك قبل أربع سنوات.

قالت مبتسمة: «قبل أربع سنوات. لقد انقضى زمن على ذلك. قبل أربع سنوات كنت أنا ما زلت في المدرسة الثانوية».

– هل تعرفين كيف يمكنني الوصول إلى كيكي؟

– أمر صعب للغاية، هذا ما يمكنني قوله. صدقاً ليس لدي أدنى فكرة عن المكان الذي ذهبت إليه. إن الأمر مثلما قلت لك تماماً لقد نهضت وغادرت. يمكنك أن تقول إنها تلاشت داخل حائط. «أليس لديك أي شيء يمكن أن يقودك لها؟ إذن ما زلت تحتفظ بشيء لها؟».

تمددتُ في الحوض ونظرتُ إلى السقف. هل ما زلتُ أحب كيكي؟

– لا أعرف. ولكن هذه ليست القضية الآن. إنني فقط أرغب في رؤيتها. ثمة شيء في داخلي يخبرني أن كيكي ترغب في رؤيتي. إنني دائماً أحلم بها».

قالت وهي تحدّق في عينيّ: «أمر غريب. أنا أيضاً أحلم بكيكي أحياناً».

- أي نوع من الأحلام؟

لم تحر جواباً. اكتفت بالابتسام وقالت إنها ترغب في مزيد من الشراب. اتكأت على صدري وأخذت بذراعي ووضعتها حول كتفها العارية. لم يظهر جوتاندا وفتاته من غرفة النوم. ربما خلدا إلى النوم.

قالت: «أعرف أنك لن تصدقني. ولكني أحب أن أكون معك كما نحن الآن. إنني أستمتع بذلك. لا عمل، لا تمثيل. هذه هي الحقيقة».

قلت: «أصدقك. إنني أستمتع أيضاً. أشعر باستجمام حقيقي. الأمر أشبه بتجمع زملاء فصل دراسي بعد سنين».

قالت ضاحكة: «شخص فريد مرة ثانية».

قلت لها مرة ثانية: «بخصوص كيكي، ألا تعرفين أي شخص يمكن أن يدلّني عليها؟ اسمها الحقيقي، عنوانها، مثل هذه الأشياء؟».

هزت رأسها ببطء. «تقريباً لم نتكلم في مثل هذه الأمور أبداً. وما الذي يضايق في هذه الأسماء؟ هي كيكي وأنا ماي، أما الفتاة الأخرى فهي مامي. كل اسم أربعة أحرف أو أقل. ذلك هو غطاؤنا. الحياة الشخصية ليست محل سؤال. لا نعرفها ولا نسأل عنها. هذه أخلاقياتنا. إننا جميعاً صديقات حقاً وأحيانا نخرج معاً. إننا لا نعرف بعضنا بعضاً في الحقيقة. ماي وكيكي ومامي هذه الأسماء ليست أسماء لأشخاص حقيقيين. إننا جميعنا صورة. علامات معلقة في الهواء الخالي. ولهذا السبب تحترم كل منا خيالات الأخرى. هل تفهم شيئاً من ذلك؟».

قلت: «نعم أفهم تماماً».

- بعض زبائننا يشفقون بحالنا. إننا لا نفعل ذلك لمجرد المال. أنا على سبيل المثال أفعل ذلك كنوع من المرح. ولأن النادي هو حصرياً لأعضائه فقط، فلا يساورنا القلق من مواجهة حالات من الهوس الجنسي. وكل شخص يرغب في المرح معنا. وعلى أية حال فنحن جميعنا في هذا العالم معاً.

قلت لها: «جرف الثلوج أمر يبعث على المرح».

قالت ضاحكة: «نعم، إنني أجرف الثلوج من أجل المرح». وراحت تلامس صدري بشفتيها.

قلت لها: «ماي، قابلت فتاة كان اسمها الحقيقي هو ماي، كانت تعمل موظفة استقبال في عيادة طبيب أسنان بجوار مكتبي. كانت تنحدر من أسرة ريفية في هوكايدو. كانت سوداء ونحيفة. كان كل شخص يطلق عليها، ماي الفتاة العنزة».

جذبتها نحوي وقبلتها. كانت قبلة على الرأس. قبلة مفعمة بالحنين للماضي. ثم شربنا البراندي والصودا واستلقينا معاً على أنغام فرقة بولز. لكن ماي سرعان ما راحت في نوم سريع، لم تعد تلك المرأة ذات الجمال الحالم. أصبحت فتاة شابة وعادية. تجمع زملاء فصل من جديد. دقت الساعة الرابعة وكان الصمت يخيم على كل شيء. يا له من يوم. كادت خيوط الاتصال أو الروابط أن تتجمع. اتبع الخيط حتى ينقطع. لقد التقيت بجوتاندا بعد كل هذه السنوات، بل حتى أحببته. من خلاله التقيت ماي الفتاة العنزة. مارسنا حباً كان رائعاً. جرفنا ثلوج الشهوة. لكن أياً من ذلك لم يقدنا لأي شيء.

أعددت بعض القهوة، وعند الساعة السادسة ونصف استيقظ الجميع. ارتدت ماي قميص حمّام طويلاً. أما مامي فخرجت ترتدي النصف العلوي من بيجامة فيما يرتدي جوتاندا النصف الأسفل. كنت

أرتدي بنطالاً من الجينز وتي شيرت. اتخذ كل منا مقعده إلى مائدة الطعام ومرّر بعضنا لبعض الخبز والمارمالاد على أنغام الموسيقى.

في السابعة والنصف اتصل جوتاندا بسيارة تاكسي لتقلّ الفتاتين. قبلتني ماي قبلة الوداع. قلت لها: «إن التقيت كيكي، فانقلي لها تحياتي». أعطيتها بطاقتي التعريفية وطلبت منها الاتصال إن علمت أي شيء.

غمزت بعينها قائلة: «آمل أن نلتقي ثانية. وأن نجرف مزيداً من الثلوج».

سأل جوتاندا: «تجرفان الثلوج؟».

جلست أنا وجوتاندا نحتسي فنجاناً من القهوة معاً. كان الأمر كما لو كنا نصور إعلاناً تجارياً. صباح هادئ، الشمس مشرقة، برج طوكيو يتوهج من بعيد. طوكيو تبدأ صباحها بالنسكافيه.

كان الوقت الذي يبدأ فيه الناس العاديون يومهم. لكن ليس بالنسبة لنا بطبيعة الحال. أحببت ذلك أو لم تحب، كان كل منا مستثنى من هذه القاعدة.

سأل جوتاندا: «هل عثرت على أي شيء بخصوص كيكي؟».

هززت رأسي: «فقط أنها اختفت. تماماً مثلما قلت. لا توجد أي خيوط. إن ماي لا تعرف اسمها الحقيقي حتى».

قال: «سوف أسأل في شركة الإنتاج. ربما يكون ثمة من يعرف شيئاً».

ضم شفتيه للأمام وضغط على جنبي رأسه بيده التي يمسك بها ملعقة القهوة.

سأل: «ولكن قل لي ما الذي تنوي عمله في حال عثورك عليها؟ هل ستحاول استعادتها؟ أم أن الأمر لا يعدو أن يكون حنيناً إلى الماضي؟».

قلت له لست أدري. لم أذهب إلى هذا الحد في التفكير.

أقلّني جوتاندا بسيارته الفارهة مازيراتي.

قال: «هل لديك مانع في أن أزورك مرة أخرى قريباً؟ لقد كان لقاءً رائعاً. ألا تعرف شخصاً آخر يمكنني الحديث معه مثلما تحدثنا. هذا إن كانت لا تضايقك زيارتي؟».

قلت: « بالطبع لا تضايقني».

شكرته مرة ثانية على شرائح اللحم وعلى الشراب والفتاتين. . .

أومأ برأسه إيماءة هادئة. ومن دون أن ينبس بكلمة فهمت كل شيء أراد أن يقوله.

(20)

مرت الأيام القليلة التالية ثقيلة بلا أحداث. كان الهاتف يرن ولكني شغّلت آلة الرد طوال الوقت ولم أرفع السماعة مرة واحدة. بيد أنه كان أمراً جيداً أن أعرف أن خدماتي ما زالت محل طلب. كنت أجهّز وجباتي من الطعام، وذهبت إلى شيبويا وكنت أشاهد فيلم «حب من طرف واحد» كل يوم. كان الوقت هو عطلة الربيع لذلك كانت قاعة السينما تغص بالطلاب. كان المكان أشبه ببيت حيوانات. وددت لو أمكنني أن أُشعِل به حريقاً.

والآن وبعد أن عرفت ما الذي يجب أن أبحث عنه، عثرت على اسم كيكي في مقدمة الفيلم.

وكنت، بعدما ينتهي المشهد الوحيد الذي تظهر فيه، أغادر المكان وأسير المسار المعتاد نفسه. من هاراجوكو إلى ستاد جينجو وضريح أوياما ثم إلى أومتساندو عبر بناية جينتان ثم العودة إلى شيبويا. أحياناً كنت أتوقف في الطريق لاحتساء فنجان من القهوة. لقد حلّ الربيع بلا شك، جالباً معه الروائح المعتادة. ما زالت الأرض تدور في مداراتها نفسها حول الشمس. كنت أعده دائماً لغزاً كونياً أن الربيع يعرف متى يعقب الشتاء. لكن كيف أن الربيع دائماً يجلب معه الروائح نفسها؟ عاماً بعد عام، وبالرغم من دقة ذلك، فإن الروائح متماثلة تماماً.

كانت المدينة مغطاة بلافتات الانتخابات. منظر قبيح ومقزز. كانت السيارات تجول المدينة وهي تذيع أحاديث السياسيين. أصوات وضجيج عال لا يمكنك معه أن تفهم ماذا يقولون. ضجيج.

سرت وأنا أفكر في كيكي. وقبل أن يمر وقت طويل لاحظت أنني استعدت حيويتي أثناء السير. أصبح إدراكي لما يجري حولي أكثر حدة. كنت أسير للأمام خطوة خطوة. أصبح لدي هدف وغاية. وهو ما أضاء لي خطواتي بشكل طبيعي واكتسبت تقريباً مهارات الرقص على القدمين. كانت هذه علامة جيدة. ارقص. واصل الخطى، بخفة ولكن بثبات. انتعش وحافظ على الإيقاع واجعل الأشياء تستمر. كان عليّ أن أبدي اهتماماً كبيراً بما سوف يقودني ذلك إليه لاحقاً. كان عليّ أن أتأكد أنني أقيم في هذا العالم.

مرت الأيام الأربعة أو الخمسة الأخيرة من مارس على هذا النحو. على السطح لم يكن يبدو أن ثمة تقدماً يحرز على الإطلاق. كنت أتسوّق، أُعِدّ الوجبات في المطبخ، أشاهد «حب من طرف واحد»، أمشي لمسافات طويلة. وحينما أعود للبيت كنت أُشغّل آلة الرد، كلها مكالمات حول العمل. فإذا حل الليل أَنخَرِطُ في القراءة والشراب بمفردي. كل يوم كان تكراراً لسابقه.

ولأنني كنت أشرب بمفردي في الليل، كان كل تركيزي منصبّاً على الجنس مع ماي الفتاة العنزة. جرف الثلوج. ذكرى معزولة بشكل غريب وغير متصلة بأي شيء. لا بجوتاندا ولا كيكي. ولكنها مع ذلك حقيقية جداً. حتى في أدقّ تفاصيلها، بل بمعنى من المعاني إنها أكثر حيوية من الواقع الحي، وعلى الرغم من أنها تظل في نهاية الأمر غير متصلة. أحببتها على هذا النحو. لقاء أرواح متآلفة. شخصان اتحدا معاً في خيالاتهما وصورهما. الزوج المخدوع.

حاولت أن أتخيل كيكي وجوتاندا وهما نائمان معاً. هل كانت

تقدم له أفضل ما عندها كما فعلت ماي معي؟ هل كل فتيات النادي لديهن المهارات نفسها؟ لم يكن لدي فكرة ولم يكن بإمكاني أن أسأل جوتاندا. كانت كيكي تعيش كل الوقت معي. لم تكن متحمّسة للجنس. نعم كانت تتجاوب معي ولكنها لم تكن تأخذ بزمام المبادرة أبدا، ولم يكن لها أي طلبات خاصة. ليس معنى ذلك أنني كانت لي شكاوى. كانت رائعة حينما تسترخي. جسمها الناعم المثير، وأنفاسها الهادئة الناعمة، وأعضاؤها المثيرة. لا لم يكن لدي أي شكوى. إنني فقط لا يمكنني أن أتصورها وهي تؤدي خدمات خاصة لأي شخص آخر، إلى جوتاندا مثلاً. ربما أفتقر إلى الخيال.

كيف تستطيع العاهرات أن يفصلن بين حياتهنّ الجنسية الخاصة وحياتهنّ الجنسية المهنية؟ قبل ماي، لم يسبق لي أن نمت مع فتاة ليل بائعة هوى. نمت مع كيكي. وكيكي كانت فتاة ليل. ولكني لم أنم مع كيكي فتاة الليل، وإنما نمت مع كيكي. وفي المقابل نمت مع ماي فتاة الليل، لكني لم أنم مع ماي. ربما لا يوجد ما يمكن كسبه من الربط بين الحدثين. فذلك لن يزيد الأمور إلا تعقيداً. وعلى أي حال أين يتوقف الجنس عن أن يكون شأناً من شؤون العقل؟ أين يبدأ الفن؟ ما هو مقدار الواقع وما هو مقدار التمثيل فيه؟ هل المداعبة الكافية يمكن أن تكون شأناً هاجساً روحياً؟ هل استمتعت كيكي بالجنس معي؟ هل كانت حقاً تمثّل في الفيلم؟ هل كانت أصابع جوتاندا الأنيقة التي يمسّد بها ظهرها تصل بها للذروة؟

وقعت أسيراً في خضم ما هو واقع وما هو خيال.

خذ جوتاندا على سبيل المثال. كل أدواره كطبيب هي مجرد صور. لكنه مع ذلك يبدو طبيباً حقيقياً أكثر من أي طبيب آخر عرفته. كان يعكس كل الصدق والثقة.

ترى ما هي الصورة الخاصة بي؟ هل سبق أن كانت لي صورة؟

قال الرجل المقنَّع، ارقص. ارقص. ارقص كأحسن ما يكون. ارقص حتى يظل كل شيء يدور.

هل كان ذلك يعني أنني سوف يكون لي صورة؟ وإذا فعلت، هل سيحوز ذلك إعجاب الناس؟ على الأقل سيعجبون بها أكثر مما أعجبوا بشخصيتي الحقيقية، أراهن.

حينما استيقظتُ في الصباح التالي، كان الأول من أبريل.

ذهبتُ إلى كينوكونيانا حيث محلات البقالة ذات الأسعار العالية والخضراوات الجيدة. اشتريت دزينة من البيرة وثلاث قنينات من الخمر.

حينما عدت للمنزل كانت هناك رسالة من يوكي، كان صوتها غير عابئ تماماً. قالت إنها سوف تتصل ثانية حوالى الثانية عشرة. ثم وضعت السماعة بعنف. شيء شائع في تعبيراتها الجسدية.

صببت بعض القهوة، ثم جلست ومعي كأس وأحدث الروايات البوليسية وهو شيء لم أفلح في الإقلاع عنه على مدى عشر سنوات.

بعد الظهيرة بقليل رن الهاتف.

- «كيف الحال؟» كانت يوكي.

- على ما يرام؟

سألتُ: «ماذا تفعل الآن؟».

- أفكر في الغداء. سلمون مدخن، مع خس وشرائح البصل المنقوعة في ماء مثلج، ومدهونة بالخردل والجرجير، وتقدم على خبز فرنسي تم خبزه في الأفران الساخنة في كينوكونيانا. ساندوتش صُنِعَ في السماء!

- يبدو جيداً.

- لا ليس جيداً. إنه ليس أقل من رائع. وإذا لم تصدقيني يمكنك أن تسألي نحلتك المحلية. يمكنك أيضاً أن تسألي نبات الشبندر صديقك. سوف يخبرونك أنه رائع.

- ما هذا الذي تقول، أي نحل وأي شبندر؟ عمَّ تتكلم؟

- تلك استعارات ومجازات.

قالت يوكي: «هل تعرف أن عليك أن تنضج. أنا ما زلت في الثالثة عشرة ومع ذلك أظنك أحيانا شخصا أبلها».

- هل تقصدين أنه ينبغي لي أن أصبح أكثر تقليدية؟ هل ذلك هو ما تريدين قوله؟ هل ذلك هو ما يعنيه النضج؟

تجاهلت سؤالي: «أريدك أن تأخذني في جولة بالسيارة؟ ما رأيك في هذه الليلة؟».

قلت: «أعتقد أن لدي وقتاً».

- حسناً، إذاً كن هنا في أكازاكا في الخامسة. لعلك تذكر كيف تصل إلى هنا، أليس كذلك.

- نعم، لكن لا تقولي لي إنك كنت بمفردك طوال هذا الوقت؟

- تعرف أن لا شيء يحدث في هاكوني. أعني أن المكان في أعلى الجبل. من يريد أن يذهب إلى هناك ويكون وحيداً؟ المدينة فيها الكثير من وسائل التسلية.

- ماذا عن أمك؟ ألم تعد بعد؟

- حتى ذلك لا أعرف عنه شيئاً. ليس باستطاعتي أن أحتفظ بسجل لتحركاتها. أنا لست أمها كما تعلم. لم تتصل أو تفعل أي شيء، لذا ربما تكون ما زالت في كاتماندو.

- ومن أين تأتين بالنقود؟

- ليس لدي مشكلة مع النقود. لدي بطاقة صرف أخذتها خلسة من حقيبتها اليدوية. نقصان بطاقة واحدة مما بحوزتها شيء لن يمكنها ملاحظته. أقصد أنني إذا لم أعتني بنفسي فسأموت. أمي أشبه برائدة فضاء تتدرب كما تعلم.

- هل كنت تأكلين بشكل جيد؟

- نعم آكل. ماذا كنت تتوقع؟ سوف أموت إن لم آكل.

- ليس هذا ما سألتك عنه. أنا أسألك هل تأكلين بشكل جيد؟

قالت وهي تسعل: «دعنا نرى. في البداية أكلت كنتاكي، ثم ماكدونالد ثم ديري كوين . . . وماذا أيضاً؟».

قلت: «سوف أكون هناك في الخامسة. سوف نذهب إلى مكان جيد لتناول الطعام. لا يمكنك أن تعيشي على هذه الأطعمة السيئة التي تزدردينها. فتاة مراهقة تحتاج إلى تغذية صحية. إنك تمرّين بمرحلة عمرية حسّاسة للغاية، هل تعرفين ذلك؟ غذاء سيّئ يعني دورات شهرية سيئة».

قالت هامسة: «إنك أحمق».

- والآن إذا كان من حقي أن أطلب ذلك، هل يمكنك أن تعطيني رقم هاتفك؟

- لماذا؟

- لأنه ليس عدلاً أن يكون التواصل من طرف واحد. أنت تعرفين رقم هاتفي، لكني لا أعرف رقمك. يمكنك الاتصال بي وقت ما ترغبين، لكني لا أستطيع ذلك. ذلك أمر أحادي الجانب. وفوق ذلك، افترضي أن ثمة طارئاً قد وقع، فلن أكون قادراً على الوصول إليك.

توقفت برهة، وتمتمت ببعض الكلمات ثم أعطتني رقمها.

قالت يوكي: «لكن لا تظن أن بإمكانك أن تغير البرنامج في أي وقت تشاء. أمي تجيد ذلك. لن أعطيك أي فرصة».

- أعِدُك. لن أغير البرنامج. لا يوجد إنسان على وجه الأرض يفي بالوعود أفضل مما أفعل. ولكن في بعض الأحيان يقع ما هو غير متوقع. إنه عالم كبير ومعقد، لعلك تعرفين. وإذا حدث ذلك ألا تعتقدين أنه سوف يكون جيداً أن أصل إليك؟ هل فهمت ما أقصد؟

قالت: «أحداث غير متوقعة».

- من السماء الصافية الزرقاء.

قالت يوكي: «سيكون جميلاً إن لم تحدث».

رددتُ وراءها: «سيكون جميلاً إن لم تحدث».

ولكنها بالطبع حدثت.

(21)

وصلا معاً بعيد الثالثة ظهراً بقليل. كنت آنذاك آخذ دوشاً حينما دق جرس الباب. مع وصولي إلى الباب كان الجرس في دقته الثامنة. فتحت الباب فإذا برجلين أمامي.

أحدهما كان في الأربعينات، أما الثاني ففي الثلاثينات من عمره. كان الشخص الأكبر سناً طويل القامة ولديه ندبة على أنفه. كانت بشرته أغمق مما يحتمله هذا التوقيت من فصول السنة، فقد كان لون بشرته برونزياً غامقاً كبشرة صياد (فيشرمان)، ليس ذلك اللون الجميل الذي تكتسبه من المكوث على شاطئ البحر أو التزلج على الثلج. كان شعره متصلباً، ويداه كبيرتي الحجم بشكل مخيف ويرتدي معطفا رماديا. أما الشخص الأصغر سناً فكان قصيراً وشعره طويلاً وعيناه ضيقتين وحادتين. قبل جيل مضى كان يمكن أن يسمى بوكيش (مولع بالكتب). كان يرتدي معطفاً غامق الزرقة. كل من الرجلَين كان ينتعل حذاء أسود رسمياً ورخيصاً ومهترئاً. من نوع ربما لن تنظر إليه مرتين إذا ما رأيته ملقى على جانب الطريق. كما لم يكن الرجلان من النوع الذي يمكن أن يجعلك ترغب في صداقتهما.

من دون أي مقدمات، أظهر لي بوكيش بطاقة الشرطة. تماماً كما يحدث في الأفلام. لم يسبق لي أن رأيت بطاقة رجل شرطة، ولكن

نظرة واحدة كانت كافية لإقناعي بأنها بطاقة حقيقية. كانت تتماشى مع الحذاء المهترئ.

قال بوكيش: حي أكازاكا، وسألني إن كنت أنا هو أنا.

كان فيشرمان يقف متأهباً في صمت وهو يضع كلتا يديه في جيبي معطفه رابط الجأش واضعاً قدمه أمام الباب لإبقائه مفتوحاً تماماً كما يحدث في أفلام السينما. عظيم!

أعاد بوكيش بطاقة هويته إلى جيبه، وهو يرمقني بنظرة فاحصة. وأنا في رداء الحمام وشعري مبلل.

قال بوكيش: «إننا بحاجة لأن تاتي معنا إلى مركز الشرطة للاستجواب».

– استجواب: وعن ماذا؟

قال: «ستعرف كل شيء في وقته. لدينا إجراءات رسمية يجب أن نطبقها في مثل هذه الأمور، لذا دعنا نذهب على الفور».

– ماذا؟ حسناً، لكن هل تمانع أن أرتدي بعض الملابس؟

قال بوكيش بشكل واضح ومن دون أن يطرأ أدنى تغيير على ملامحه: «بكل تأكيد».

لو أن جوتاندا لعب دور رجل شرطة لأداه بشكل أفضل.

انتظر الرجلان في مدخل الغرفة فيما كنت أرتدي بعض الملابس وأطفئ الأنوار قبل أن أنتعل حذائي منخفض الكعب من نوع توبسايدرز، وهو ما جعل كلا الشرطيين يحملقان فيّ كما لو كانا أكثر الناس مسايرة للموضة في السوق.

كانت سيارة الدورية تقف بجوار مدخل البناية وفيها شرطي في ذي عسكري يجلس خلف المقود. صعد فيشرمان للمقعد الخلفي ومن بعده أنا ثم بوكيش. مرة أخرى تماماً مثلما يحدث في السينما. أغلق بوكيش الباب وانطلقت السيارة.

كانت الشوارع مزدحمة، ولكن هل استعملا آلة التنبيه؟ لا، كنا كمن خرج في نزهة بالتاكسي. من دون عداد. عَلِقنا في الإشارات المرورية وقتاً أطول من ذلك الذي أمضيناه في السير وهو الأمر الذي منح كل من بداخل السيارات وفي الشوارع فرصاً كثيرة للتحديق فيّ. لم ينبس أحد بكلمة. كان فيشرمان ينظر أمامه بصرامة وذراعاه مضمومتان. فيما كان بوكيش ينظر من نافذة السيارة وتبدو عليه علامات التبرّم كما لو كان منهمكاً في تمرين أدبي. مدرسة الاستعارة السوداء والعاصفة. (ثار الربيع في دواخلنا كفكرة. تيار كئيب من الاشتياق. أثار حلوله حماسة هذه الحشود المغمورة الواقعة في شقوق المدينة تنظفها بلا ضجيج وهي تتجه نحو مستنقع اللاجدوى.)

أردت أن أمحو الفقرة برمتها من رأسي. ماذا بحق الجحيم تعني «الربيع كفكرة؟» وأين كانت مستنقعات اللاجدوى؟ شعرت بالأسف أني بدأت هذا الحبل السخيف من الأفكار.

كانت مدينة شيبويا تغص بطلاب المدرسة الثانوية غير العابثين والذين يلبسون زياً يشبه زي المهرّجين، كما هو دائماً. لا حماسة ولا مستنقعات.

في مركز الشرطة، تم اقتيادي لغرفة الاستجواب في الطابق الأعلى. كانت بالكاد تبلغ ثلاثة أمتار مربعة وفيها نافذة وحيدة صغيرة. طاولة، وكرسيان من الحديد، ومقعدان بلا مسند ظهر من البلاستيك وساعة حائط. على الطاولة يوجد هاتف وقلم ومنفضة سجائر ومجموعة من الملفات. لم تكن هناك أي زهريات. دخل الشرطي السري الغرفة وقدم لي واحداً من كرسيي المكتب الحديديين. جلس فيشرمان في مواجهتي، فيما وقف بوكيش في جانب من الغرفة ولديه مذكرة مفتوحة. الكثير من التواصل الصامت.

أخيراً وبعد طول انتظار ابتدرني فيشرمان قائلاً: «إذاً ماذا فعلت

الليلة الماضية؟» كانت هذه أول كلمات أسمعها تخرج من فمه.

الليلة الماضية؟ ماذا كنت أفعل؟ أكاد لا أستطيع أن أميز الليلة الماضية عن باقي الليالي. أمر محزن ولكنه حقيقي. أخبرتهم أنه يتعين عليّ أن أحاول تذكر ذلك.

قال فيشرمان وهو يسعل: «اسمع، أي إجراءات قانونية تستغرق وقتاً. إننا نسألك سؤالاً بسيطاً: منذ مساء أمس حتى صباح اليوم ماذا فعلت؟ أظنه ليس بالسؤال الصعب جداً، أليس كذلك؟ وليس ثمة أذى في أن تجيب، أليس كذلك؟».

قلت: «أخبرتك أنه عليّ أن أحاول التذكر؟».

قال فيشرمان ساخراً: «ألا يمكنك تذكر ذلك من دون تفكير. أنا أسألك عن شيء كان بالأمس. إننا لا نسأل عن شهر أغسطس الماضي الذي ربما لا تتذكره أيضاً».

مثلما أخبرتك من قبل، كنت على وشك أن أقول، لكنني تراجعت. شككت أنهما ربما يفهمان أنني أعاني من فقدان ذاكرة مؤقت. ربما يظنان أن لدي بعض البراغي المفكوكة.

قال فيشرمان: «حسناً نحن بالانتظار. خذ ما يكفيك من الوقت». سحب علبة سجائر من جيب سترته وأشعل سيجارة. «هل ترغب في سيجارة؟».

قلت: «لا، شكراً». بحسب مجلة بروتوس فإن «سكان المدن اليوم» لا يدخنون. يبدو أن هذين الشخصين ليس لديهما علم بذلك.

قال بوكيش: «سوف نمنحك خمس دقائق. بعد ذلك سوف تخبرنا أشياء بسيطة مثل أين كنت ليلة أمس، وماذا كنت تفعل هناك».

قال فيشرمان: «لا تتعجل الرجل. إنه مفكر. بحسب ملفه ليست هذه هي المرة الأولى التي يتحدث فيها للقانون. ناشط جامعي، إعاقة

عمل المؤسسات العامة. لدينا بصماته. تم إرسال الملفات إلى مكتب النيابة. إنه معتاد على استجواباتنا اللطيفة. لديه إرادة حديدية. هكذا يقول الملف هنا. لا يبدو أنه يحب الشرطة كثيراً. هل تعرف أنني أراهن أنه يعرف كل حقوقه بحسب ما ينص عليها الدستور. هل تظن أنه سيتصل بمحاميه لاحقاً؟».

قال بوكيش لفيشرمان: «لكنه جاء معنا طائعاً ونحن لم نفعل أكثر من سؤاله سؤالاً بسيطاً. لم أسمع أي كلام عن إلقاء قبض. لا أعتقد أن ثمة سبباً لاستدعائه محاميه. لن يكون لذلك جدوى».

واصل فيشرمان: «حسناً إذا سألتني، أعتقد أن القضية أكبر من مجرد قضية كراهية الشرطة. يبدو أن السيد لديه رد فعل نفسي سلبي إزاء أي شيء له علاقة بالسلطة. سوف يفضّل تجشّم المعاناة على أن يتعاون».

– ولكن ماذا لو لم يجب عن أسئلتنا، ما الذي يمكننا فعله سوى انتظاره حتى يجيب. بمجرد أن يجيب سوف يمكنه العودة لبيته. لن يأتي أي محام مهرولاً إلى هنا لمجرد أننا سألناه عما كان يفعله ليلة أمس. المحامون مشغولون. والمفكر لا بد أنه يفهم ذلك.

قال فيشرمان: «حسناً، إذا كان السيد يستوعب هذا المبدأ فسوف يوفر كل منا على الآخر وقتاً كثيراً. نحن مشغولون وهو أيضاً مشغول. لا طائل من وراء تضييع الوقت الثمين حينما يكون بوسعنا أن نفكر بشكل أعمق. لا نريد أن ننهك أنفسنا بلا داع».

واصل الثنائي تبادل هذه المقاطع المعتادة المضحكة على مدى الدقائق الخمس التي منحاها لي.

ابتسم فيشرمان: «حسناً، يبدو أن الوقت قد انتهى. هل تذكرت أي شيء؟».

لم أتذكر. حقيقة لم أكن أحاول بجدية كافية. ليس باستطاعتي تذكر أي شيء. قلت: «أولاً أود أن أعرف ما الذي يجري حولي؟ ما لم تقل لي ما الذي يجري، فلن أنطق بشيء. لا أريد أن أقول أي شيء قد يثبت أنه غير ملائم. وفوق ذلك فإنه من الذوق العام أن تشرح الملابسات أولاً قبل توجيه الأسئلة. إن ذلك خرق للأخلاق الحميدة».

هزأ بوكيش مني معلّقاً: «إنه لا يريد أن يقول أي شيء قد يثبت أنه غير ملائم. أين ذوقنا العام؟ لا يتعين علينا أن نقوم بـ.... ماذا أسماها؟ خرق للأخلاق الحميدة».

قال فيشرمان: «قلت لك إن الرجل مفكر. إنه ينظر إلى كل شيء من زاوية مائلة. إنه يكره الشرطة. إنه مشترك في جريدة «أساهي شيمبون» ويقرأ «سيكاي»».

قاطعتهما: «أنا لا أشترك في الصحف ولا أقرأ سيكاي. وما دمتما لم تخبراني بالسبب الذي أنا هنا لأجله، فلن أشعر بالرغبة في الكلام. إذا كنتما تريدان مواصلة إهانتي فواصلا ذلك».

نظر كل منهما إلى الآخر.

قال فيشرمان: «هل تريد القول إننا إذا كنا مؤدبين وشرحنا لك الملابسات، فسوف تتعاون وتقدم لنا بعض الإجابات؟».

قلت: «ربما».

قال بوكيش وهو يضم ذراعيه محدقاً في أعلى الحائط: «إن الرجل لديه روح المرح».

حك فيشرمان الندبة الأفقية التي على أنفه. ربما كانت بسبب ضربة سكين عميقة، يبدو ذلك من كيفية التئامها مع جلد الأنف المحيط. قال وقد بدت عليه علامات الجدية: «اسمع، إننا

مشغولان. وهذه ليست لعبة. إننا جميعاً نريد الانتهاء من ذلك والعودة للبيت في الوقت المناسب لتناول العشاء مع الأسرة. ليس لدينا أي شيء ضدك، وليس لدينا أي فأس لاستخدامها في الحفر. إن أخبرتنا بما فعلت ليلة أمس فقط، فلن يكون لنا مطالب أخرى. إذا كان لديك ضمير نقي، ما الضير في أن تخبرنا؟ أم لعلك تحمل مشاعر ذنب إزاء شيء ما؟».

حدقت في منفضة السجائر.

أغلق بوكيش مفكرته الصغيرة ودسّها في جيبه. على مدى ثلاثين ثانية لم ينبس أحد بكلمة. وخلال تلك الفترة كان فيشرمان قد أشعل سيجارة سفن ستارز مرة أخرى.

قال فيشرمان: «إرادة حديدية».

سأل بوكيش: «هل تريد الاتصال بلجنة حقوق الإنسان؟».

عاد فيشرمان وشريكه يقولان لي: «من فضلك، هذه ليست قضية حقوق إنسان. هذا واجب المواطن. إنه مكتوب هنا في القانون أن المواطنين يتعين عليهم التعاون مع تحقيقات الشرطة إلى أقصى حد. إذاً ما الذي لديك ضدنا نحن منفذي القانون؟ إننا نكون جيدين حينما نرشدك إذا ضللت الطريق، ونكون جيدين حينما تتصل بنا إذا ما سطا على بيتك لص، ولكننا لا نكون جيدين بما يكفي حينما نريد منك أن تبدي قليلاً من التعاون معنا. لذا دعنا نحاول ذلك مرة ثانية. أين كنت ليلة أمس وماذا كنت تفعل؟».

كررت: «أريد أن أعرف ما الذي يجري؟».

نفخ بوكيش أنفه وأخرج منه صوتاً عالياً. أخرج فيشرمان مسطرة بلاستيكية من جارور المكتب وضرب بها على كفه.

ثم قال وهو يرمي بمنديل مستعمل في سلة القمامة: «اسمع يا رجل، يجب أن تدرك أن موقفك يسوء شيئاً فشيئاً؟».

وقال فيشرمان: «هذه ليست حقبة الستينات التي عرفتها. لا يمكنك مواصلة هذه الاتجاهات المناوئة للقيم والنظام الاجتماعي. لقد ولت هذه الأيام. أنت وأنا وجميعنا محاصرون في هذا المجتمع. لم يعد هناك ما يسمى بالنظام الاجتماعي أو مناوأة النظام الاجتماعي. لقد بليَ كل ذلك. لقد احتكر النظام كل شيء وسيطر عليه. إذا لم تحب ذلك فبإمكانك الجلوس مسلوب الإرادة في انتظار زلزال. أو يمكنك أن تذهب وتحفر حفرة. ولكن أن تكون وقحاً معنا فلن يوصلك أو يوصلنا إلى أي مكان. هذا أمر لا طائل منه. هل تفهم ذلك؟».

استدار بوكيش وفتح مفكرته وقال: «حسناً، إننا نقر بفشلنا معك. وربما لم نبد نحوك الاحترام اللازم. إذا كانت هذه هي القضية، فنحن نتأسف لك. أنا أعتذر. لقد كنا نعمل في قضية أخرى ولم نذق طعم النوم منذ يوم أمس. لم أر أطفالي منذ خمسة أيام. ورغم أنك لا تبدي نحوي أي احترام، فإنني موظف عام. أسعى لجعل المجتمع آمناً. لذا فعندما ترفض الإجابة عن سؤال بسيط، يمكن الرهان على أنك تستثير غضبنا. وحينما أقول إن الأمور تبدو أسوأ بالنسبة لك، فإن ذلك سببه هو أنه كلما نال منا التعب، ساء مزاجنا. بالطبع إن لك حقوقاً، كما أن القانون في صفك، ولكن أحياناً يحتاج القانون إلى وقت طويل حتى يأخذ مجراه، ولذا يصبح في أيدينا نحن الحمقى المساكين. هل فهمت ما أعني؟».

تدخّل فيشرمان قائلاً: «لا تظن خطأ أننا نهددك. إنه فقط يوجه لك إنذاراً ودياً. إنه لا يريد أن يلحق بك أي سوء».

واصلت إغلاق فمي وأنا أنظر إلى منفضة السجائر. كانت منفضة سجائر قديمة ومتسخة وخالية من أي علامات. ترى كم عقداً من الزمن ظلت على الطاولة؟

واصل فيشرمان يضرب على يديه بالمسطرة وقال: «حسناً، سوف أشرح لك الملابسات. إنها ليست الطريقة التي نتبعها حينما نستجوب الأشخاص. ولكن نظرا لأننا نريد أن نكسب احترامك فسوف نجرّب الأمر بالطريقة التي تريدها».

رفع مجلداً وفتح مظروفاً وأخرج ثلاث صور شخصية كبيرة. صور أبيض وأسود بدون أي زخارف. كان ذلك واضحاً من أول وهلة. الصورة الأولى كانت لامرأة عريانة منبطحة على بطنها على سرير. ساقان طويلتان، ومؤخرة مكتنزة والشعر منسدل على الرقبة. كان فخذاها منفرجين بما يكفي لكشف ما بينهما. ذراعاها كانتا مسدلتين بجانبها. لا بد أنها نائمة.

أما الصورة الثانية فقد كانت أكثر وضوحاً. كانت مستلقية على ظهرها، حيث تظهر منطقة العانة وصدرها ووجهها. كانت عيناها مفتوحتين، ولا حياة فيهما، وكان فمها ملتوياً. لم تكن المرأة نائمة إذاً. لقد كانت ميتة.

إنها ماي.

أما الصورة الثالثة فكانت أكثر تركيزاً على وجه ماي. ماي لم تعد جميلة. أصبحت متجمدة. كانت هناك تقرحات حول رقبتها.

جفّ ريقي، ولم أستطع أن أبلعه. وبدأت أشعر بالرغبة في حك راحة يدي. ماي. التي كانت ممتلئة بالحياة والجنس. إنها الآن ميتة وباردة.

توقفت عن هز رأسي، وعن إظهار أي ردود فعل. كنت أدرك أن الرجلين يراقبان كل حركة أقوم بها. صففت الصور الثلاث معاً وسلمتها إلى فيشرمان بهدوء. حاولت أن أبدو غير مكترث.

سأل فيشرمان: «هل تعرف هذه المرأة؟».

قلت: «لا». كان بوسعي أن أقول نعم بالطبع لكن ذلك سوف يعني أنه يتعين عليّ أن أخبرهم عن جوتاندا الذي كان حلقة الاتصال بيني وبين ماي وسوف يدمر حياته تسرّب مثل هذا الأمر لوسائل الإعلام. ولكن ربما يكون هو الشخص الذي ذكر اسمي في القضية. لكني لا يمكنني التأكد من ذلك.

قال فيشرمان بهدوء: «ألق نظرة أخرى. الأمر في غاية الأهمية. لذا انظر بعناية مرة أخرى قبل أن تجيب. هل سبق أن رأيت هذه المرأة؟ لا تحاول أن تكذب علينا. إننا لسنا أطفالاً في غابة. إذا ثبت لنا أنك تكذب فسوف تورّط نفسك في مشكلات حقيقية. هل تفهم ذلك؟».

ألقيت نظرة طويلة على الصور الثلاثة. لم أكن أرغب في النظر على الإطلاق، ولكن ذلك كان سوف يكشف أمري.

قلت: «لا أعرفها. ولكنها ميتة، أليس كذلك؟».

كرر بوكيش: «نعم ميتة. ميتة بشكل كامل. ميتة للغاية. كما يمكنك أن ترى بنفسك. هذه الفاتنة عارية وميتة. كانت ذات يوم شخصاً لطيفاً للغاية. لكن اليوم وبعد أن ماتت لم تعد ذات تأثير. إنها ميتة مثلما يموت الناس. إذا تركتها فسوف تهترئ وتبدأ بشرتها في التشقق والجفاف. ثم تنبعث منها الرائحة الكريهة. ثم الديدان. هل سبق أن رأيت ذلك؟».

قلت، لم أره أبداً.

- «حسناً، لقد رأينا ذلك كثيراً. إنه أمر يصل إلى حد لا يمكنك معه أن تقول بأنها كانت امرأة. إنها لحم ميت. وشرائح لحم متعفنة. وبمجرد أن تصل الرائحة إلى أنفك سوف تفقد كل شهية نحو الطعام. إنها رائحة لا يمكنك أن تنساها. نعم إذا تركت الأمور لوقت طويل،

فلن تجد في النهاية سوى عظام. بلا رائحة. بعد أن جف كل شيء. عظام بيضاء وجميلة ونظيفة. لكن بالطبع هذه السيدة لم تصل إلى ذلك الحد بعد. بل وحتى لم تتعفن بعد. إنها ميتة فحسب. متخشّبة فحسب. يمكنك أن تقول إنها كانت أشبه بتحفة جميلة حينما كانت حية. لكن حينما أراها كما هي عليه الآن، فلا يطرف لي جفن حتى.

ثمة شخص قتل هذه المرأة. كان من حقها أن تعيش. بالكاد كانت في العشرين من عمرها. شخص ما خنقها بجورب. يبدو أن ذلك لم يكن سريعاً. لقد كان الأمر مؤلماً واستغرق وقتاً. لعلك تعرف أنك سوف تموت. ولعلك تفكر لماذا ينبغي أن أموت هذه الموتة؟ إنك تريد أن تظل في هذه الحياة. ولكن بإمكانك أن تشعر بأن الأوكسجين ينفد. وأن عقلك يصبح مشوشاً. تفقد الشعور بساقيك. أن تموت ببطء ليس بطريقة لطيفة للموت. إننا نريد أن نلقي القبض على ذلك الوغد الذي قتل هذا الفتاة الجميلة. وأظنك سوف تساعدنا».

«ظهر أمس قامت بحجز غرفة مزدوجة في فندق فخم في أكازاكا. في الخامسة مساء دخلت للفندق وحدها». راح فيشرمان يروي الأحداث. «قالت لموظف الاستقبال إن زوجها سوف يلحق بها. اسم غير حقيقي ورقم هاتف غير حقيقي. في السادسة مساء اتصلت بخدمة الغرف وطلبت عشاء لفرد واحد. كانت بمفردها في ذلك الوقت. في السابعة مساء كانت الصينية الفارغة من الطعام قد وضعت في الممر، وتم تعليق علامة «رجاء عدم الإزعاج» على الباب. كان وقت خروجها من الفندق يحين في الثانية عشرة ظهراً. حينما لم تسجل السيدة خروجها من الفندق، اتصل موظّف الاستقبال بها في غرفتها عند الساعة الثانية عشرة ونصف. لكنها لم ترد. حينئذ فتح رجال الأمن الباب فإذا بها عريانة وميتة تماماً كما تراها في

الصورة الأولى هذه. لم ير أحد زوج السيدة. الفندق فيه مطعم في الطابق الأخير، لذا فهناك الكثير من الناس ممن يخرجون ويدخلون إلى الفندق. إنه مكان مشهور لعقد المواعيد الغرامية».

قال بوكيش: «لم يكن في حقيبتها أي أوراق لإثبات الهوية. لا رخصة قيادة ولا دليل عناوين ولا بطاقة ائتمان. ولا الحروف الأولى من اسمها على ملابسها. وباستثناء مستحضرات التجميل، وحبوب منع الحمل وثلاثين ألف ين، فإن الشيء الوحيد الذي كانت تحتفظ به في حافظتها بشكل مخفي تقريباً هو بطاقة تعريفية. إنها بطاقتك التعريفية».

قال فيشرمان مرة أخرى: «سوف تقول إنك لا تعرفها حقاً؟».

هززت رأسي، كنت أود لو تعاونت مع الرجلين قدر استطاعتي. كنت أرغب في ذلك فعلاً. كنت أرغب بشدة في أن يتم إلقاء القبض على قاتلها. ولكن كان لديّ الأحياء الذين أفكر فيهم.

قال بوكيش: «حسناً، الآن وقد عرفت الملابسات. لماذا لا تخبرنا أين كنت ليلة أمس وماذا كنت تفعل».

عادت ذاكرتي للوراء: «في السادسة مساء تناولت العشاء في البيت بمفردي، ثم قرأت لبعض الوقت، واحتسيت كأسين من الشراب، ثم قبل منتصف الليل، ذهبت إلى الفراش».

سأل فيشرمان: «ألم تر أي شخص؟».

– كلا، لم أر أي شخص، كنت بمفردي طوال الوقت.

– هل أجريت اتصالاً بأي شخص، أو اتصل بك أحد؟

أخبرتهما أنني لم أتلق أي اتصال. «قبل التاسعة بقليل، كان هناك اتصال تم تسجيله على آلة الرد. حينما أعدت تشغيلها كان أمراً يتعلق بالعمل».

– لماذا تشغل آلة الرد ما دمت داخل المنزل؟

– كنت في راحة، ولم أشأ أن أتحدث عن شؤون العمل.

طلبا اسم المتصل وأبلغتهما به.

– إذاً فقد تناولت العشاء بمفردك وأمضيت المساء كله في القراءة؟

– نعم، لكن بعد أن غسلت الأطباق.

– ما هو اسم الكتاب؟

– ربما لا تصدق، لكنه كان لكافكا. المحاكمة.

«كافكا، المحاكمة». دوّن بوكيش ذلك.

واصل بوكيش كلامه: «ثم واصلت القراءة حتى الثانية عشرة. وشربت».

– في البداية شربت بيرة ثم براندي.

– كم مقدار ما شربت؟

– علبتين من البيرة ثم على ما أظن ربع قنينة من البراندي. آه نعم لقد تناولت أيضاً بعض البيتشز.

كان فيشرمان يدوّن كل شيء. «هل فعلت أي شيء آخر؟».

حاولت ولكنها حقاً كانت ليلة بلا طعم. كنت أقرأ كتابي في هدأة الليل فيما كانت ماي تُخنَق بجورب. أخبرتهما أنه لا يوجد شيء آخر لدي.

قال بوكيش وهو يسعل: «نصيحتي لك أن تحاول أكثر من ذلك. يبدو أنك لا تدرك خطورة موقفك؟».

– اسمع أنا لم أقترف أي شيء، فكيف يمكن أن أكون في موقف خطير. إنني أعمل صحافياً بالقطعة، لذا تجد بطاقاتي التعريفية

منتشرة في كل مكان. لست أدري كيف حصلت هذه الفتاة على بطاقتي؟ هل مجرد كونها تحملها يعني أنني قتلتها؟

قال فيشرمان: «إن الناس لا يحملون بطاقات تعريفية لا تعني لهم أي شيء في جيب آمن داخل حافظاتهم. لدينا فرضيتان. الأولى أن السيدة كانت ترتب للقاء أحد شركائك في العمل في الفندق وأن هذا الشخص قتلها. ثم قام الرجل بالتخلص مما في حقيبتها حتى يشتت بحثنا. ما عدا تلك البطاقة التي كانت مخبأة بشكل جيد ولم يعثر عليها. أما الفرضية الثانية فهي أن السيدة كانت فتاة ليل. عاهرة. عاهرة من الدرجة العليا. من النوع الذي يؤدي خدماته في الفنادق الفاخرة. من النوع الذي لا يحمل معه أي أوراق ثبوتية. ولكن لسبب من الأسباب قتلها رفيقها في هذه الليلة. لم يأخذ أي أموال، لذا ربما كان شخصاً مريضاً نفسياً. هذه هي الزوايا التي نبحث فيها. ما رأيك؟».

ملت برأسي في ناحية ثم التزمت الصمت.

قال فيشرمان وهو يلقي بقلمه على سطح الطاولة: «إن بطاقتك التعريفية هي الدليل الرئيس في القضية».

قلت: «البطاقة التعريفية هي مجرد قطعة من الورق مطبوع عليها اسم شخص. إنها ليست دليلاً. إنها لا تثبت أي شيء».

قال فيشرمان وهو يواصل الضرب على الطاولة: «لا تمثل دليلاً. ولكن البحث الجنائي يبحث في الغرفة عن أي أثر. كما أن هناك عملية تشريح تجري الآن للجثة. غداً سوف نعرف الكثير. إذاً سوف تنتظر معنا هنا. وفي أثناء ذلك ربما تكون فكرة جيدة لو استطعت أن تتذكر المزيد من التفاصيل. ربما يستغرق ذلك طول الليل. أمامك وقت كاف، سوف تدهش مما يمكنك تذكره. لماذا لا نبدأ من أول اليوم؟ ماذا فعلت حينما استيقظت في الصباح؟».

نظرت في ساعة الحائط. كانت الخامسة وعشر دقائق. فجأة تذكرت موعدي مع يوكي.

قلت لفيشرمان: «عليّ أولاً أن أتصل بشخص ما. كان من المفترض أن أقابل شخصا ما في الخامسة. كانت مقابلة هامة».

سأل فيشرمان: «مع فتاة؟».

- نعم.

رفع السماعة وقدمها لي.

قالت يوكي مباشرة موجهة لي ضربة موجعة: «سوف تقول لي إن شيئاً طارئاً قد وقع لك وأنك لن تتمكن من الحضور».

شرحت لها: «شيء غير متوقع، صدقيني. معذرة إنه ليس خطئي. لقد تم اقتيادي إلى قسم شرطة أكازاكا للاستجواب. إنه أمر شرحه يطول الآن، ويبدو أنهم سوف يحتجزونني هنا لفترة».

- الشرطة، ماذا تفعل هناك؟

- لم أقترف أي شيء. هناك عملية قتل والشرطيان يريدان التحدث معي. ذلك هو كل ما في الأمر.

- لم تقتل أي أحد؟

- بالطبع لا، لم أقتل أي أحد. لست قاتلاً. إنهما فقط يسألان عن الملابسات. يؤسفني أنني لن أتمكن من القدوم. لكني سوف أعوّضها لك.

قالت يوكي: «يا له من حظ تعيس». ثم ألقت بالسماعة بطريقتها التي لا تُقَلَّد.

أعطيت الهاتف مرة ثانية لفيشرمان. كانا يرهفان السمع للاستماع إلى ما كان يدور، ولكن بدا أنهما لم يخرجا بكثير. لو أنهما عرفا أنها كانت فتاة في الثالثة عشرة من عمرها فلربما كان رأيهما فيّ قد تغير.

كانا يدوّنان كل ما أقول. أين ذهبت وماذا أكلت. قدمت لهم تقريراً مفصلاً حول شرائح اللحم التي تناولتها على العشاء. شرحت لهم كيف حلقت ذقني. لم يعتقدا أن ما أقوله يبعث على المرح. كانا فقط يدوّنان كل ما أقول. كان عدد الصفحات آخذاً في الازدياد بسرعة.

بعد السادسة والنصف أرسلا في طلب الطعام. كان بلا طعم ومالحاً ومع ذلك التهمناه باستمتاع. ثم احتسينا بعض الشاي فيما كان كلاهما يدخّن. ثم عدنا للأسئلة والأجابات مرة أخرى.

«في أي وقت ارتديت ثياب النوم؟ وكم عدد الصفحات التي قرأتها من المحاكمة؟» حاولت أن أخبرهما عن أي شيء كان موضوع الكتاب، لكنهما لم يبديا اهتماماً.

في الثامنة مساء كان عليّ أن أقضي حاجتي وما أسعدني هو أنهما سمحا لي بأن أقوم بذلك بمفردي. تنفست نفساً عميقاً. رغم أنه ليس المكان الأمثل للتنفس بعمق، ولكن على الأقل يمكنني التنفس. كم أنت مسكينة يا ماي.

حينما عدت أراد بوكيش أن يعرف عن الشخص الوحيد الذي اتصل بي في ذلك المساء. من كان؟ وماذا كان يريد؟ وما هي علاقتي معه؟ ولماذا لم أعد للاتصال به؟ ولماذا كنت في عطلة من العمل؟ ألم يكن يتعين عليّ أن أعمل من أجل كسب العيش؟ وسألني إذا كنت أدفع ضرائبي؟

كان سؤالي الذي لم أسأله هو: هل يعتقدان بالفعل أن ذلك يمكن أن يكون مفيداً؟ ربما كلاهما قرأ كافكا. هل كانا يحاولان إنهاكي حتى أبوح بالحقيقة. حسناً لقد نجحا. كنت أشعر بإنهاك واكتئاب شديدين. كنت أجيب عن كل سؤال بوجه خال من الملامح. كنت أظن خطأً بأنني بهذه الطريقة سوف أخرج من هنا بشكل أسرع.

بلغت الساعة الحادية عشرة ومع ذلك لم يتوقفا. ولم يبديا أي علامات على نيّة التوقف. كانا يتناوبان عليّ، يغادر أحدهما الغرفة للحصول على راحة ويترك الآخر معي. لم تكن تلك الميزة متاحة لي. بدلاً من ذلك كانا يقدمان لي القهوة. قهوة فورية سريعة التجهيز.

في الحادية عشرة والنصف صرحت لهم بأن التعب قد نال مني وأنني لن أجيب عن أي أسئلة أخرى.

قال بوكيش وهو يضرب بأصابعه على الطاولة: «اسمع، إننا نسرع في التحقيق قدر الإمكان. لكن هذا التحقيق هام جداً. لدينا سيدة ميتة. لذا فإنني أخشى أنه سيتعين عليك أن تواصل اللية هكذا».

قلت: «لا يمكنني أن أصدق أن مثل هذه الأسئلة ذات أهمية على الإطلاق».

– التفاصيل التافهة تؤدي غرضها. سوف تدهش إذا علمت كم قضية تم حلها من خلال التفاصيل التافهة. ما يبدو تافهاً ليس دائماً تافهاً وخصوصاً حينما يتعلق الأمر بجرائم القتل. القتل ليس جميلا. معذرة ولكن لماذا لا تأخذ جولة في المكان. حتى أكون صريحاً تماماً معك، لو أننا أحببنا ذلك، لأمكننا أن نجعلك شاهداً رئيسياً وستظل عالقاً هنا. ولكن ذلك سيحتاج إلى الكثير من الأعمال الكتابية. إننا نتعامل معك بلطف ونطلب منك أن تجيب عن تلك الأسئلة بشكل لطيف ولين. إذا تعاونت معنا فلن يتعين علينا أن نكون غليظين معك.

قال فيشرمان: «إذا كنت تشعر بالرغبة في النوم، هناك سرير حديد في الأسفل. يمكنك أن تقتنص قليلاً من الساعات هناك تغمض فيها عينيك، فربما تذكرت شيئاً».

حسناً، قليل من الساعات في النوم سوف يكون أمراً جيداً. أي مكانٍ كان أفضل من تلك الحفرة المعبئة بالدخان.

اصطحبني فيشرمان إلى ممر معتم وعبر سلم دائري أكثر عتمة ثم إلى ممر آخر. لم يكن ذلك يبعث على التفاؤل. كانت غرفة السرير بالفعل مثل خزان المجاري بالسيارات المزودة بالحمامات.

- مكان لطيف ولكن هل يمكن الحصول على مكان تكون الرؤية فيه أفضل؟

قال فيشرمان بصرامة: «معذرة، ولكن إن ذلك هو الطراز الوحيد الذي لدينا».

- هذا مستحيل. سوف أذهب إلى البيت وأعود غداً.

قال فيشرمان: «لا تقلق. لن نغلق عليك الباب. إن الزنزانة هي مجرد غرفة ما دمت لم تغلق الباب».

كنت متعبا لدرجة لا تجعلني قادراً على الجدال. استسلمت. نمت سريعاً. كانت الفرشة مبللة والبطانية رخيصة والرائحة كريهة.

قال فيشرمان وهو يوصد الباب بصوت بارد: «لن أقفل الباب».

تنفستُ الصعداء وسحبت البطانية فوقي. شخص ما كان يشخر في مكان ما بصوت عال. بدا أن الصوت يأتي من مكان بعيد. ولكن يمكن أن يكون ذلك في زنزانة أخرى. كان صوتاً مزعجاً للغاية.

ولكن ماي، ماي! كنت في خاطري ليلة أمس. لم أكن أعلم ما إذا كنت لا تزالين على قيد الحياة آنذاك أم لا. لكنك كنت في خاطري. كنت أجرّدك ببطء من ملابسك ثم تبادلنا الحب. كان الأمر أشبه بتلاقي زملاء فصل بعد سنين. كنت أشعر باسترخاء تام معها حتى ظننت أن شخصاً ما قد فك البرغي الرئيسي لهذا العالم. ولكن ليس هناك الآن ما يمكنني فعله لأجلك يا ماي. أستميحك عذراً. إننا نخوض غمار هذه الحياة الشاقة. لا أود أن يقع جوتاندا في فضيحة.

لا أريد أن أدمّر اسمه. لن يحصل على عمل بعد ذلك. عمل تافه في عالم تافه من الصور التافهة. ولكنه خصّني بثقته كصديق. إذاً فهي مسألة شرف. ولكن ماي، فتاتي العنزة ماي، لقد أمضينا وقتاً سعيداً معاً. كان رائعاً للغاية. مثل حكايات الجنيات التي تروى للأطفال. أعلم أنه أمر غير مريح لك ماي، ولكنني لن أنساكِ. سوف نظل نجرف الثلوج حتى الفجر. سوف أضمك بشدة في عالم الصور، ونمارس الحب بمصروفات محسومة. الموت خنقاً هو طريقة شنيعة للموت. أعلم أنك لم تكوني ترغبين في الموت. لكن ليس ثمة ما يمكنني عمله لأجلك الآن. لست أدري ما هو الصواب وما هو الخطأ. إنني أفعل كل ما بوسعي. هكذا أعيش. إنه النظام. إنني أعض على شفتي وأفعل ما يتعين عليّ فعله. تصبحين على خير ماي يا فتاتي العنزة الصغيرة. على الأقل لن يتعين عليك الاستيقاظ مرة ثانية. ولا أن تموتي مرة ثانية.

ليلة هانئة، همست بهذه الكلمات.

ليلة هانئة، ردّد الصدى في عقلي.

(22)

لم يختلف اليوم التالي عن سابقه في كثير. في الصباح التام جمعنا ثلاثتنا في غرفة الاستجواب على إفطار صامت من القهوة والخبز. ثم أعارني بوكيش ماكينة حلاقة إلكترونية لم تكن حادة بما يكفي. ولأنني لم أخطط مسبقاً لإحضار فرشاة الأسنان، فقد استعضت عن ذلك بغرغرة الماء قدر استطاعتي.

ثم استؤنف الاستجواب. تعذيب غبي وتافه لكنه قانوني. استمر ذلك بإيقاع السلحفاة حتى الظهيرة.

قال فيشرمان وهو يضع قلمه على سطح المكتب: «أظن أن ذلك يكفي».

كما لو كان الأمر باتفاق مسبق، تنهد الاثنان معاً. لذا تنهدت أنا أيضا. كان واضحا أنهما يوقفان حركة الوقت، لكنهما أيضاً لا يستطيعان احتجازي هنا إلى الأبد. بطاقة تعريفية في محفظة امرأة فارقت الحياة ليست سبباً كافياً للاحتجاز. حتى إذا لم يكن لدي مكان آخر أثبت وجودي فيه أثناء وقوع الجريمة. يمكنهم احتجازي حتى تكشف نتيجة رفع البصمات وتشريح الجثة عن متهم أكثر وضوحاً.

قال فيشرمان: «حسناً، قاربنا على وقت الغداء».

قلت لهما: «لأنه يبدو أن أسئلتكما استنفدت، فسوف أذهب إلى البيت».

قال فيشرمان بتردد مفتعل: «يؤسفني أن ذلك غير ممكن».

سألت: «ولماذا؟».

- يجب عليك أن توقّع الشهادة التي أدليت بها.

- سوف أوقّع، سوف أوقّع.

- ولكن أولاً اقرأ الوثيقة لتتحقق أن المحتوى دقيق. كلمة بكلمة. من الأهمية بمكان أن تعلم ما الذي سوف توقّع عليه.

لذا اقرأ تلك الأوراق الأربعين من محضر الشرطة. لا يمكنني أن أغفل احتمالية أن تصبح هذه الأوراق، بعد مئتي عام من الآن، ذات قيمة في إعادة تشكيل عصرنا. كانت مُفصّلة بشكل مَرضي، ودقيقة بشكل متناه. يمكن أن تفيد كثيراً في عمل الأبحاث. العادات اليومية لرجل أعزب في أواسط عمره. ابن عصره. إن قراءة كل ذلك في غرفة الاستجواب هو أمر يبعث على الاكتئاب. ولكن اقرأها من أولها لآخرها. والآن يمكنني العودة للبيت. رتبت حزمة الأوراق وقلت إن كل شيء كما ينبغي أن يكون.

نظر فيشرمان وهو يداعب قلمه إلى بوكيش. استلّ بوكيش سيجارة من علبة سجائره، أشعلها ثم نظر نظرة عابسة في الدخان. كنت أشعر بالاستياء.

«ليس الأمر بتلك البساطة، إفادتك يجب أن تكتبها بخط يدك»، قال بوكيش بلهجة هادئة ومتمكنة.

- بيدي أنا؟

- نعم، يجب أن تنسخ كل ما فيها بخط يدك. وإلا فلن تكون قانونية.

نظرت إلى حزمة الصفحات. لم يكن لدي طاقة حتى لكي أغضب. كنت أريد أن أغضب وأثور. كنت أرغب في أن أضرب

بيدي فوق المكتب وأن أصرخ. أنتما أيها الأحمقان ليس لكما الحق في عمل ذلك! كنت أريد أن أقف وأغادر المكان. وإذا شئنا الدقة، كنت أعرف أن ليس لديهما الحق في توقيفي. نعم، ولكني كنت متعباً للغاية. متعباً لدرجة لا يمكنني معها أن أقول كلمة أو أن أحتجّ. إذا لم أكن سوف أحتج، فيحسن بي أن أفعل ما طُلب مني. إن ذلك أسرع وأسهل. إنني ضعيف، اعترفت أمام نفسي. أشعر بأني مهترئ وضعيف. سوف يكون عليهما أن يقيدا حريتي. ولكن حينئذ لن يصلني حتى طعامهم السيّئ أو دخان سجائرهم أو ماكينة الحلاقة. كنت أشعر بأن الضعف ينال مني.

– «هذا غير ممكن»، فاجأت نفسي بذلك القول. «إني ذاهب إلى البيت. من حقي أن أذهب إلى بيتي. لا يمكنكما توقيفي».

أَزْبَدَ بوكيش وتمتم بشيء لم أفهمه. حدق فيشرمان في السقف وضرب بقلمه على الأرض.

قال فيشرمان: «إنك تصّعب الأمور. ولكن حسناً إذا كانت هذه هي الطريقة التي ستكون عليها الأمور فسوف نستصدر لك مذكّرة استدعاء. وسوف نحتجزك هنا بالقوة للاستجواب. في المرة القادمة لن يكون الأمر نزهة. لعلك تعرف أننا لا نبالي بذلك. سوف يكون من الأسهل لنا أن نؤدي وظيفتنا على هذا النحو أيضاً. أليس ذلك صحيحاً؟».

قال بوكيش: «نعم سيدي، سيكون أسهل على المدى الطويل. ذلك ما كان ينبغي أن نفعله من البداية. دعنا نحصل على مذكّرة».

قلت: «كما تشاء. ولكني حر حتى تصدر المذكّرة. إذاً حينما تصدر المذكّرة فأنتما تعرفان أين تجداني. أما غير ذلك فلا أبالي. يجب أن أخرج من هنا».

– يمكننا أن نضع تحفظاً مؤقتاً عليك لحين صدور المذكّرة.

كنت على وشك أن أسألهم أن يبيّنا لي أين يقول القانون ذلك، ولكن لم يكن لدي الطاقة لذلك. كنت أعرف أنهما يخدعانني، ولكن هذا لا يهم.

– سوف أستسلم. سوف أكتب إفادتي. ولكن يجب أن أجري اتصالاً أولاً.

مرر لي فيشرمان الهاتف. اتصلت برقم يوكي.

قلت لها: «إنني ما زلت في قسم الشرطة. يبدو أن ذلك سوف يستغرق الليلة كلها. لا أظن أنه سيمكنني الوصول إليك اليوم أيضاً. اعذريني».

– هل ما زلت في السجن؟

– إنه أمر في غاية الإجهاد.

قالت: «هذا ليس عدلاً».

– ماذا كنت تفعلين؟

قالت: «لا شيء. أقتل الوقت ما بين الاستماع للموسيقى وقراءة المجلات وأكل الكعك».

كان كلاهما يحاول استراق السمع.

– سوف أتصل بكِ فور خروجي من هنا.

أعلن فيشرمان أن وقت الغداء قد حان.

كان الطعام أشبه بطعام المستشفيات. طعام حمية غذائية. تحيط به هالة من الأمراض المعضلة. ولكن مع ذلك التهما الطعام التهاماً. ثم أحضر بوكيش شايه المشهور.

مر وقت ما بعد الظهيرة ببطء كما لو كان نهراً من الطمي. كان صوت عقارب الساعة هو الصوت الوحيد المسموع في الغرفة. رن

جرس الهاتف في غرفة مجاورة. لم أكن أفعل شيئاً سوى الكتابة. أثناء ذلك كان المخبران يتناوبان في أخذ قسط من الراحة.

مع حلول المساء كنت قد نسخت عشرين صفحة. الإمساك بقلم لساعات هو عمل مضنٍ. لا ينصح به بكل تأكيد. يبدأ إصبعك الأوسط في التورم. إذا أخذك التفكير لثانية سوف تخطئ. عندئذ يجب أن تشطب على الخطأ. أمر يمكن أن يصيب بالجنون. وكاد يصيبني بالجنون.

في العشاء، كان أمامنا الطعام نفسه. لم أتناول منه شيئاً. كان الشاي ما زال يتقلب في أحشائي. شعرت بالإعياء. فقدت الإحساس بمن أكون. ذهبت إلى الحمام ونظرت في المرآة. كنت بالكاد أستطيع التعرف على نفسي.

سألت فيشرمان: «هل وصلت إلى أي اكتشافات؟ بصمات أو آثار أو نتائج تشريح الجثة؟».

قال: «ليس بعد. هذه الأشياء تستغرق وقتاً».

واصلت الكتابة حتى العاشرة. كان قد بقي لي خمس صفحات، ولكني كنت استنفدت قدرتي. لم يكن باستطاعتي كتابة كلمة واحدة أخرى، وأخبرتهما بذلك. اقتادني فيشرمان إلى الزنزانة وغرقت في النوم على الفور.

في الصباح كانت ماكينة الحلاقة الإلكترونية نفسها والقهوة. استغرقت الصفحات الخمس مني ساعتين. ثم وقّعت وبَصَمْتُ على كل ورقة. ثم فحص بوكيش كل ذلك.

سألت والأمل يراودني: «هل يمكنني الذهاب الآن؟».

– إذا أجبت عن عدد قليل آخر من الأسئلة، فحينئذ نعم يمكنك الذهاب.

أطلقت تنهيدة: «إذاً تريد مني أن أقوم بمزيد من الأعمال الكتابية؟».

قال بوكيش: «نعم. هذه أمور رسمية. الأعمال الكتابية هي كل شيء. من دون الأوراق ومن دون بصماتك فلا قيمة لما قمنا به».

ضغطت بأصابعي على جانبي رأسي. شعرت كما لو أن شيئاً مخلخلاً قد أُدخل في رأسي. كما لو أن شيئاً قد دخل رأسي وانتفخ في مكان أصبح من المستحيل إزالته منه.

– لن يستغرق ذلك وقتاً طويلاً.

مزيد من الإجابات غير المعقولة عن أسئلة غير معقولة. ثم استدعى فيشرمان بوكيش إلى الخارج في الممر. ظل الاثنان يتهامسان لوقت لا أعرف مداه. اتكأت في مقعدي ورحت أتأمل في السقف. كانت البقع السوداء يمكن أن تشكل صوراً لمنطقة العانة في الأجساد الميتة. جهد منتظم لتقويض معتقدات الشخص وكرامته وإحساسه بالصواب والخطأ. الإكراه النفسي الذي يعتاش على شعور الإنسان بعدم الاستقرار من دون أن يترك ندبات مرئية. في مكان بعيد عن ضوء النهار ومليء بالطعام السيّئ. يتعرق جسمك بشكل لا يمكنك التحكم فيه.

فطر متعفن.

وضعت يدي على المكتب وأغمضت عينيّ فيما راح عقلي يفكر في الثلوج الساقطة في سابورو. فندق الدولفين وصديقتي موظفة الاستقبال ذات النظارة. كيف هي الآن؟ ترى هل تكون الآن واقفة خلف الكاونتر وترسم على وجهها تلك الابتسامة المصطنعة؟ كنت أريد الاتصال بها في هذه اللحظة؟ لأقول لها نكتة سخيفة. لكني لم أكن حتى أعرف اسمها.

لا شك أنها كانت تبدو جذابة، خصوصاً حينما تكون منهكمة في عملها ومشحونة بروح الفندق غير القابلة للتحديد. كانت تحب عملها. وليست مثلي. لم أستمتع بعملي ولو مرة واحدة. إنني أقوم بعمل جيد. لكن لم يسبق لي أن أحببته. حينما تكون خارج عملها تكون سهلة التأثر وقلقة وهشّة. كان بإمكاني النوم معها، لو أنني رغبت في ذلك. ولكني لم أفعل.

أريد أن أتحدث إليها مرة ثانية.

قبل أن يقتلها شخص ما هي الأخرى.

قبل أن تختفي.

(23)

عاد المحققان إلى الغرفة ليجداني ما زلت تائهاً في تأمل الفطر.

أخبرني فيشرمان بوجه صارم: «يمكنك الذهاب إلى البيت الآن. شكراً على تعاونك».

وأضاف بوكيش معلقاً: «لا مزيد من الأسئلة. لقد انتهت الأسئلة».

قال فيشرمان: «ثمة تغير حدث في الملابسات. لا يمكننا احتجازك هنا لأطول من ذلك. يمكنك الذهاب الآن. شكراً لك مرة ثانية».

نهضت عن مقعدي وارتديت سترتي التي كانت قد تشبعت بدخان السجائر. لم أفهم ما الذي حدث، ولكن كان أمراً ساراً في حد ذاته أن أتمكن من الخروج من المكان. اصطحبني بوكيش إلى المدخل.

وقال: «اسمع، لقد تبيّن لنا أنك بريء من الاتهام ليلة أمس. حصلنا على النتائج من المعمل الجنائي وتشريح الجثة. تبين أنك بريء. بريء تماماً. ولكنك تخفي شيئاً ما. إنك تمسك لسانك. ليس من الصعب أن نقرأ ما بداخلك. لذلك فكرنا في احتجازك حتى تبوح بما في داخلك. أنت تعرف من تكون هذه المرأة. لكنك لا تريد أن تخبرنا. لسبب من الأسباب. لعلك تعرف أن الأمر ليس هزلاً. سوف لن ننسى ذلك».

قلت: «معذرة، ولكني لا أفهم عما تتحدث».

قال وهو ينظف أسنانه بعود ثقاب: «ربما نزورك ثانية. وإذا فعلنا، كن على يقين أننا سنكون شرسين معك. سوف نكون قد وضعنا أيدينا على أشياء لن يستطيع محاميك أن يفعل إزائها أي شيء يذكر».

سألت بكل براءة: «أي محامٍ؟».

ولكنه كان قد اختفى حينذاك داخل البناية. أخذت تاكسي ورجعت إلى البيت.

أخذت حمّاماً وغمرت نفسي بالماء طويلاً. نظفت أسناني بالفرشاة وغسلت وجهي وحلقت ذقني.

لم أستطع التخلص من الدخان الذي علق بي. يا له من مكان قذر!

بعدما أحسست ببعض الانتعاش. قمت بسلق بعض القنبيط وتناولته مع بعض البيرة. ثم قمت بتشغيل أسطونة لآرثر برايسوك مدعوماً بأوركسترا كونت بيزي. كان تسجيلاً مثيراً. اشتريته قبل ستة عشر عاماً. ذات مرة.

بعد ذلك نمت. فقط بما يكفي لأن أقول إنني ذهبت إلى مكان ما وعدت منه، ربما ثلاثين دقيقة. حينما استيقظت كانت الساعة الواحدة ظهرا. ما زال في النهار متسع من الوقت. أخذت سيارتي السوبارو وتوجهت إلى حمّام سباحة سنداجايا. بعد ساعة من السباحة شعرت من جديد بأنني إنسان. وكنت جائعاً.

هاتفت يوكي. حينما أبلغتها أنهم قد أطلقوا سراحي، قالت ببرود: «أمر لطيف». وإنها التزاماً بنظامها الغذائي الذي يعتمد على الوجبات السريعة لم تتناول غير بعض الحلوى طوال اليوم. وإذا مررت عليها الآن فسوف تكون جاهزة وربما مسرورة.

سرت بالسوبارو بين الحدائق الخارجية لضريح ميجي وعبر الشارع المحاط بالأشجار المؤدي إلى متحف الفن واستدرت لدى أوياما باتجاه ضريح نوجي. كان الطقس يتحسن يوماً بعد يوم مع قدوم الربيع. خلال اليومين اللذين أمضيتهما في قسم شرطة أكازاكا، كان النسيم قد أصبح أكثر وداعة وأوراق الشجر أكثر اخضراراً والشمس أكثر سطوعاً ونعومة. بل حتى ضجيج المدينة كان قد بدا ممتعاً مثل معزوفة موسيقية. كل شيء كان على ما يرام وكنت جائعاً. الضغط الذي كنت أشعر به في جانبَيْ رأسي كان قد تلاشى.

كانت يوكي ترتدي كنزة دافيد بوي تحت سترة بنية من الجلد. كانت تعلق في كتفها حقيبة من القماش من ماركة «القطط الضالة». مزيج غريب ولكن من أنا حتى أقول ذلك؟

سألتني يوكي: «هل أمضيت وقتاً لطيفاً مع المحققين؟».

قلت: «بل قولي كئيباً». تزامن ذلك مع بوي جورج وهو يغني.

- ذكريني أن أشتري لك علامة ألفيس بريسلي لمجموعتك.

قلت وأنا أشير إلى حقيبتها.

- يا لك من أحمق!

ذهبنا إلى مطعم حيث تناول كل منا ساندويتشاً من اللحم المقلي مع السَّلَطة وخبزاً كامل الحبوب. جعلتها تشرب كوباً من الحليب كامل الدسم أيضاً. وأخذتُ قهوة بدلاً عن الحليب لنفسي. كان اللحم طرياً وطيباً. مُرْضياً تماماً. هذا هو الطعام.

سألتُ يوكي: «حسناً، إلى أين سوف نذهب من هنا؟».

قالت بلا تردد: «تسوجيدو».

قلت لها: «حسناً. إلى تسوجيدو سوف نذهب. لكن ماذا هناك في تسوجيدو؟».

قالت يوكي: «أبي يعيش هناك. إنه يقول إنه يود أن يلتقيك».

- يلتقيني أنا؟

- نعم، لا تقلق. إنه ليس شخصاً سيئاً.

ارتشفت الفنجان الثاني من القهوة. «لم أقل يوماً إنه شخص سيئ. لكن على أية حال لماذا يريد أن يلتقيني؟ هل تحدثتِ معه عني؟».

- بكل تأكيد. اتصلت به وأخبرته كيف أنك ساعدتني في العودة من هوكايدو وكيف أن المحققين ألقوا القبض عليك وأنك ربما لا تخرج من تحت أيديهم. لذا فقد كلف والدي أحد محاميه بالسؤال عنك. إنه يملك جميع أنواع العلاقات والاتصالات.

قلت لها: «فهمت، إذاً هذا هو ما حدث».

- إنه مفيد في بعض الأحيان. والدي يقول إن الشرطة لم يكن يحق لها أن تحتجزك كل ذلك الوقت. لو أنك لم تكن راغباً في البقاء هناك، فكان بإمكانك أن تغادر. بحسب القانون.

قلت: «كنت أعرف ذلك بنفسي».

- لماذا إذاً لم تذهب إلى بيتك؟ فقط انهض وقل لهم إني ذاهب.

قلت بعد لحظات من التفكير: «ذلك سؤال صعب. ربما كنت أعاقب نفسي».

قالت وهي ترفع ذقنها: «أنت لست طبيعياً».

كان الوقت آخر ساعات الظهيرة والطريق إلى تسوجيدو خالية. كانت يوكي قد أحضرت معها حقيبة مليئة بشرائط الكاسيت. مجموعة منتقاة كاملة بدءاً من بوب مارلي في أغنيته «الخروج» إلى ستايكس في

أغنيته «مستر روبوتو». بعضها كان ممتعاً وبعضها لم يكن كذلك. غرقت يوكي في مقعدها وهي تستمع بصمت للموسيقى. جرّبَتْ أن ترتدي نظارتي الشمسية التي كنت قد وضعتها على لوحة عدادات السيارة الأمامية وفي نقطة من النقاط أشعلت سيجارة من نوع «فيرجينيا سليم». كان كل تركيزي منصباً على القيادة، أقوم بتغيير السّرعات بشكل منهجي، وأركّز على الطريق وأراقب كل الإشارات الضوئية بعناية.

كنت أشعر بالغيرة من يوكي. كانت ما زالت في الثالثة عشرة من عمرها، وكل شيء بالنسبة لها يبدو بما في ذلك المآسي رائعا، أو على الأقل جديداً. الموسيقى والأماكن والأشخاص. وهي لذلك كانت تختلف عني. نعم ذات يوم كنت في مكانها، ولكن العالم كان أبسط مما هو عليه الآن. كان المرء يحصل على ما يعمل من أجله، الكلمات كانت ذات معنى، والأشياء كانت ذات جمال. ولكني لم أكن سعيداً. كنت طفلاً مستحيلاً في زمن مستحيل. كنت أميل للوحدة، وأشعر بأن حالتي أفضل حينما أكون وحيداً، ولكن لم أنل هذه الفرصة أبداً. كنت حبيس إطارين اثنين هما البيت والمدرسة. أحببت ذات مرة فتاة، لكني لم أعرف ماذا أفعل حيال ذلك. لم أكن أعرف ماذا يعني الحب. كنت أخرق ومنطوياً. كانت تتملكني رغبة في الثورة على أساتذتي ووالدي، ولكني لم أكن أعرف كيف. كل شيء فعلته، فشلت فيه. كنت النقيض التام لجوتاندا.

ومع كل ذلك، كانت تمر عليّ أوقات أشعر فيها بالجمال والانتعاش وأستطيع أن أتنسّم الهواء وأحببت موسيقى الروك إند رول. كانت الدموع دافئة والفتيات جميلات مثل الأحلام. أحببت دور السينما، الظلام والحميمية وأحببت ليالي الصيف العميقة والحزينة.

قلت ليوكي: «هل تستطيعين التحدث عن ذلك الرجل صاحب

الثوب المصنوع من جلد الغنم؟ أين قابلتِه؟ وكيف عرفت أنني قابلتُه أيضاً؟».

نظرت إليّ وهي تعيد النظارة لمكانها على اللوحة الأمامية للسيارة ثم هزت كتفيها. «حسناً، ولكن هل يمكنك أولاً أن تجيب عن سؤالي؟».

وافقت: «أظن ذلك».

ظلت يوكي تدندن بأغنية «فيل كولينز» للحظات، ثم التقطت النظارة مرة ثانية ولعبت بها. «هل تتذكر ما قلته بعد أن عدنا من هوكايدو؟ وهو أنني أجمل فتاة واعدتها».

– آه، ههه.

– هل كنت تعني ما تقول؟ أم كنت تحاول أن تجعلني أحبك فحسب؟ قل بصراحة.

قلت: «بصراحة، تلك هي الحقيقة».

– كم عدد الفتيات اللواتي واعدتهنّ حتى الآن؟

– لا أستطيع أن أحصيهن.

– مئتين؟

ضحكتُ: «مهلاً، لست من ذلك النوع من الرجال. ربما أواعد أكثر من فتاة، لكني لا أواعد مثل هذا العدد. يمكنني أن أقول خمسة عشر كحد أقصى».

– هل هذا قليل؟

أومأت. وهذا منحها شيئاً ملغزاً تفكر فيه.

– خمسة عشر. ههه؟

قلت: «تقريباً. وربما عشرين».

تنهدت يوكي بنبرة إحباط: «عشرين، ههه؟ ولكن أنا أجملهن جيمعاً».

قلت: «نعم أنت أجملهن».

سألت وهي تشعل سيجارتها الثانية: «ألم تحب أبداً الجميلات؟».

لمحتُ رجل شرطة في التقاطع الذي أمامي. سحبتُ السيجارة من يدها، ورميتها من نافذة السيارة.

قلت: «واعدت بعض الفتيات الجميلات. ولكن لم تكن أياً منهن في مثل جمالك. إنني أعني ما أقول. ربما تفهمين ذلك بشكل خاطئ، ولكنك جميلة بطريقة مختلفة. لا تشبهين بقية الفتيات في شيء. لكن رجاء لا تدخّني داخل السيارة، اتفقنا؟ سوف تنشرين رائحة الدخان الكريهة فيها. ولا أريد أن يضع أي شرطي أنفه فيها. وفوق ذلك، ألا تعرفين أن الفتيات اللائي يدخنّ بشراهة وهنّ صغيرات سوف يحدث لهنّ عدم انتظام في الدورة الشهرية؟».

بكت: «دعني وشأني».

قلت: «والآن أخبريني عن الرجل صاحب الثوب المصنوع من جلد الغنم».

– الرجل المقنَّع؟

– كيف عرفت أن ذلك هو اسمه؟

– أنت قلته على الهاتف.

– أنا؟

– آه، ههه.

توقفنا في أحد التقاطعات بانتظار أن تفتح الإشارة. كانت الحركة المرورية قد تكثفت على الطريق مع اقترابنا من تسوجيدو وكان علينا أن ننتظر تغيّر الإشارة مرتين قبل أن نتمكن من مواصلة السير.

– إذاً بخصوص الرجل المقنَّع، أين رأيتِه؟

هزت يوكي كتفيها وقالت: «لم أره مطلقاً. لقد خطر ببالي حينما رأيتك». وراحت تلف خصلة من خصلات شعرها حول إصبعها. «انتابني هذا الشعور. حول رجل يلبس ثوباً مصنوعاً من جلد الغنم. أمر أشبه بالحدس. حينما قابلتك في الفندق، انتابني هذا الشعور. ولذا احتفظت به. هذا كل ما في الأمر».

كان عليّ أن أستكنه ذلك. كان عليّ أن أفكر، وأن أقدح زناد عقلي.

ألححت عليها: «ماذا تقصدين بأنه أشبه بالحدس؟ هل تقصدين أنك لم تريه حقاً. أم أنك لمحتِ أثره؟».

قالت: «لا أعرف كيف أعبّر عن ذلك. لم يكن الأمر كأنني رأيته بعيني. كان شعوراً بأن شخصاً ما رآه بالرغم من أنه لا تدركه الأبصار. لم أستطع أن أرى أي شيء. ولكن في الداخل، فإن الشعور الذي كان ينتابني كان يأخذ شكلاً ما. ليس شكلاً محدداً. شيئاً يشبه الشكل. لو كان عليّ أن أوضح ذلك لأحد، فلربما لن أعرف ما هو. ما يمكنني فقط هو أن أفهمه بنفسي. أعرف أني لا أوضح ذلك بشكل جيد. لكن هل نجحت في ذلك بأي شكل؟».

- بشكل غامض.

رفعت يوكي حاجبيها وراحت تعض على إطار نظارتي الشمسية.

قلت لها: «اسمحي لي أن أتكلم معك في ذلك ثانية. تقولين إنك استشعرت شيئاً فيّ، نوعاً من أنواع الشعور أو تداعي الأفكار».

- تداعي الأفكار؟

- فكرة قوية جداً. وكانت مرتبطة بي واستطعتِ أن تستبصريها. كما تفعلين في الحلم. هل تعنين شيئاً يشبه ذلك؟

- نعم، شيئاً شبيهاً بذلك. فكرة قوية ولكن ليس ذلك فحسب. ثمة شيء كان وراء ذلك. شيء قوي. مثل الطاقة التي تولّد التفكير. كان بإمكاني أن أشعر بأنه هناك. كان ذلك أشبه بالاهتزازات التي يمكنني رؤيتها. ولكن ليس مثل حلم. وإنما مثل حلم خال من الأحداث. هذا هو، حلم خال من الأحداث. ليس فيه أحد، لذا فإنك لا ترى أحداً. هل تعلم، مثلما تجعل درجة السطوع في التلفزيون أقل ما تكون فلا يظهر شيء من الصورة. لا يمكنك أن ترى شيئاً. ولكن هناك صورة على الشاشة. ولكن إذا أغمضت عينيك، يمكنك أن تستشعر كيف تكون الصورة. هل تفهم ما أقصد؟

- آهه.

- على أي حال، كان بإمكاني أن أرى هذا الرجل في ثوب مصنوع من جلد الغنم. لم يكن يبدو أنه شرير أو شيء من ذلك. ربما لم يكن حتى رجلاً. ولكن المهم أنه لم يكن سيئاً. لا أعرف كيف أقول ذلك. لا يمكنك أن تراه، ولكنه أشبه بحرارة تلمس جسمك. هل تعرف إنه شيء أشبه بقوام بلا شكل. اعذرني على شرحي السيّئ.

- لا، شرحُكِ جيد.

- حقاً؟

أردفت: «حقاً».

واصلنا طريقنا بمحاذاة البحر. بجوار بستان من شجر الصنوبر أوقفت السيارة واقترحت أن نمشي بعض الوقت. كان الطقس جميلا بعد الظهيرة، لا رياح، وكانت أمواج البحر تتكسر بهدوء. فقط سلسلة من التموّجات الصغيرة تقترب من الشاطئ. نظام هادئ ومثالي. كان ممارسو رياضة ركوب الأمواج قد استسلموا للتعب

فجلسوا على الشاطئ بملابسهم المبللة وهم يدخّنون. كان الدخان الأبيض يتصاعد في خيوط إلى أعلى مثل السراب ثم يتجه يساراً حيث جزيرة إينوشيما. وكان هناك كلب أسود يجري بين الموجات الكبيرة من اليمين إلى اليسار. وفي البعيد كانت مراكب الصيد تمخر المياه الأعمق فيما كانت مجموعات من النورس الأبيض تحلق فوقهم في هدوء. لقد حل الربيع حتى في البحر.

تمشيت أنا ويوكي على الشاطئ ومررنا بالمتريّضين وتلامذة المدارس الذين يركبون الدراجات يسيرون في الاتجاه الآخر. أبطأنا الخطو في اتجاه فوجيساوا ثم جلسنا على الرمال ونحن ننظر إلى البحر.

سألتها: «هل عايشت تجارب مثل هذه قبل ذلك؟».

قالت يوكي: «أحياناً، أو نادراً في واقع الأمر. تنتابني هذه المشاعر مع عدد قليل من الأشخاص. وأحاول أن أتجنبهم قدر الإمكان. إذا شعرت بشعور كهذا أحاول ألا أفكر فيه، أحاول أن أزيحه بعيداً. بهذه الطريقة أضمن ألا أشعر به بشكل عميق جداً. الأمر أشبه بإغماض الشخص لعينيه حينما لا يريد أن يرى ما هو أمامه. مثلما يكون هناك مشهد مرعب في فيلم ولا تريد أن تراه فتغمض عينيك حتى ينقضي المشهد».

– ولكن لماذا تغمضين عينيك؟

– لأنه أمر شنيع أن تراه. حينما كنت صغيرة لم أكن أغمض عينيّ. في المدرسة، كنت إذا ما شعرت بشيء أخبر كل شخص بالأمر بشكل مباشر. ولكن عندئذ، بدأ الجميع يشمئزون مني. إذا كان شخص ما سوف يلحق به أذى، فسوف أقول فلان سوف يلحق به أذى وأنا متأكدة أن ذلك سوف يقع. لقد تكرر ذلك المرة تلو المرة،

حتى بدأ كل شخص يعاملني كما لو كنت شبحاً غريباً. وهذا هو الاسم الذي كانوا يطلقونه عليّ. تلك كانت السمعة التي حظيت بها. كان أمراً فظيعاً. لذا ومنذ ذلك الوقت قررت ألا أقول أي شيء. والآن إذا كنت لا أرغب في الشعور بأي شيء، فإنني ببساطة أغمض عيني.

– ولكن معي، لم تغمضي عينيك.

هزت كتفيها. «كان ذلك مصادفة. لم يكن ثمة إنذار. حقيقة، فوجئت بالصورة تنبثق أمامي. في أول مرة رأيتك فيها. كنت أستمع لموسيقى دوران دوران[10] أو دافيد بوي أو مطرب آخر ولم أكن مستعدة. كنت في حالة استرخاء. فأنا أحب الموسيقى».

سألتها: «إذاً فأنت تملكين القدرة على استبصار الغيب. كأن تعرفي مسبقاً أن زميلك في الصف الدراسي سوف يصيبه أذى».

– ربما، ولكن بشكل مختلف. حينما يوشك شيء أن يقع، تكون هناك أجواء يتسرب إليّ من خلالها الشعور بأن ذلك الشيء سوف يقع. أعرف أنه يبدو غريباً على سبيل المثال مع الشخص الذي سوف يصاب فوق العارضة العليا، حيث يكون هناك اللامبالاة أو الثقة الزائدة التي تغشى الأجواء، تقريباً مثل أمواج الأثير. الأشخاص ذوو الحس يمكنهم التقاط هذه الموجات. إنها أشبه بالجيوب في الهواء، بل ربما حتى جيوب محسوسة في الهواء. يمكنك أن تتنبأ بأن ثمة خطراً. وذلك حينما تنبثق هذه الأحلام الخاوية. لكنها ليست مثل إنذار مبكر. إنها أقل تحديداً. لكنها تظهر ويمكنني رؤيتها، ولكني لا أتحدث عنها أبداً. لا أريد أن يسمّيني الناس شبحاً. لذا أغلق فمي. ربما أرى أن ذلك الشخص الذي هناك سوف يحترق. وربما يحترق.

---

(10) مطرب أغاني بوب إنكليزي.

ولكن لا يمكنه أن يلومني. أليس ذلك شيئاً فظيعاً؟ إني أكره نفسي بسبب ذلك. لذا أغمض عيني. إذا أغمضت عيني، فهذا يعني أني أغلقت نفسي، ولن أكره نفسي.

راحت تقبض على الرمل بيديها ثم تتركه ينزلق من بين أصابعها.

سألتني: «هل هناك حقاً ذلك الرجل المقنَّع؟».

قلت: «نعم هناك حقاً. يعيش في مكان ما في ذلك الفندق. فندق آخر تماماً داخل الفندق. لا يمكنك رؤيته في معظم الأوقات. ولكنه هناك. ذلك هو المكان الذي يعيش فيه الرجل المقنَّع حيث تلتقي كل الأشياء التي تتصل بي من خلاله. الرجل المقنَّع هو أشبه بخادم لدي، وأشبه بمُشغِّل لوحة المفاتيح. إذا لم يكن موجوداً فلن أتمكن من الاتصال على الإطلاق».

– ماذا؟ الاتصال؟

– نعم، حينما أكون بصدد البحث عن شيء، وحينما أريد أن أتصل، إنه الشخص الذي يفعل ذلك.

– لم أفهم.

بدأت أمسك الرمل بيدي ثم أتركه ينزلق من بين أصابعي أنا أيضاً.

– أنا نفسي ما زلت لا أفهم ذلك. ولكن هكذا شرح لي الرجل المقنَّع الأمر.

– هل تعني أن الرجل المقنَّع كان هناك منذ زمن؟

– آه، ماذا، منذ زمن؟ منذ أن كنت طفلا. ولكني لم أدرك أن له شكل الرجل المقنَّع إلا قبل فترة غير طويلة. لماذا هو موجود في ذلك المكان؟ لست أدري. ربما كنت أحتاج إليه. وربما لأنه مع تقدم المرء في العمر، تأخذ الأشياء في التفكك، لذا تكون هناك حاجة إلى

شيء يساعد في تجميعها. ولكن كيف تعرف؟ كلما فكرت في ذلك، بدا لي الأمر أكثر غرابة. بل أكثر حماقة.

– هل سبق أن حدّثت أحداً بذلك الشأن؟

– لا، لو أني فعلت، من سيصدقني؟ من سيفهم عن أي شيء أتحدث؟ وعلى أي حال فإنني لا أستطيع أن أشرح بشكل جيد. أنت أول شخص أخبره بذلك.

– أنا أيضاً لم أتحدث لأحد عن ذلك الشيء الذي أخبرتك به. أمي وأبي يعرفون عن ذلك قليلاً. ولكننا لم نناقشه أبداً. بعد أن حدث في المدرسة قررت أن أغلق فمي.

قلت: «حسناً، إنني سعيد أننا تبادلنا الكلام حول ذلك الأمر».

قالت يوكي: «نادي الأشباح يرحّب بكم».

«لم أذهب إلى المدرسة منذ الإجازة الصيفية الماضية»، قالت لي يوكي ونحن نتمشى في طريق عودتنا للسيارة. «ليس لأنني لا أحب الدراسة. بل مجرد أنني أكره المكان. لا يمكنني احتماله. أشعر أنه يمرضني، مرضاً جسمانياً. كنت أتقيأ كل يوم، وفي كل مرة أتقيأ فيها، كانوا يتآمرون ضدي بشكل أكبر. بل حتى المدرّسون كانوا يتعمّدون الإساءة لي».

– لماذا يمكن لأي شخص أن يتعمد الإساءة لفتاة في جمالك؟

– الأطفال يحبون الإساءة للأطفال الآخرين. وإذا كان والداك من المشاهير فسوف تصبح الأمور أسوأ. أحياناً يعاملونك معاملة خاصة، ولكن معي فهم يعاملونني كشيء تافه. على أي حال إنني أواجه صعوبة في التأقلم مع الناس للبدء من جديد. إنني دائماً متوترة لأنني ربما يتعين عليّ أن أغلق نفسي في أي لحظة. ولذلك ظهرت لدي تلك الحركة العصبية التي تجعلني مثل البطة وهم يعيّروني

بذلك. الأطفال يمكن أن يكونوا دنيئين حقاً. لن تصدق كيف أنهم بهذه الوضاعة.

قلت لها وأنا أسحب يدها وأمسك بها: «حسناً، تناسيهم. إذا لم تكوني تشعرين بالرغبة في الذهاب إلى المدرسة فلا تذهبي. لا تجبري نفسك. المدرسة يمكن أن تكون كابوساً حقيقياً. أعرف ذلك. يمكن أن يكون لديك هؤلاء الحمقى من الزملاء والمدرّسين الذين يتصرفون كما لو كانوا يملكون العالم. ثمانون في المئة منهم إما كسالى وبلا هدف أو مرضى نفسيون يتلذذون بتعذيب الآخرين، أو كلاهما. ناهيك عن القواعد الغبية. إن النظام بكامله تم تصميمه لسحقك ولذا يحصل هؤلاء الأطفال الذين ينعدم لديهم الخيال على درجات عالية. أراهن أن ذلك لم يتغير ولو قليلاً عما كان».

- هل كانت المدرسة كذلك بالنسبة لك أيضاً؟

- بالطبع، يمكنني أن أتحدث طويلاً عن كيف كانت المدرسة حمقاً.

- ولكن المدرسة الإعدادية إلزامية.

- هذا ما يمكن أن يقلق بشأنه الآخرون. ولكن ليس أنتِ. ليس إلزامياً أن يذهب الشخص إلى مكان يشعر فيه بأنه بائس. على الإطلاق. لديك حقوق أيضاً، هل تعرفين؟

- ثم ماذا بعد ذلك؟ هل ستظل الأمور كما هي الآن؟

قلت لها: «حينما كنت في الثالثة عشرة، كانت الأشياء تبدو كذلك. المشكلات يمكن أن تحل. وإذا لم تحل، يمكنك التعامل معها حينما يحين الوقت. حينما تكبرين بعض الشيء سوف تقعين في الحب. سوف تشترين صدرية. سوف تتغير نظرتك للعالم بشكل كلي».

استدارت نحوي وهزت رأسها غير مصدقة وقالت: «ولد، هل أنت أحمق! لمعلوماتك الفتيات اللائي بلغن الثالثة عشرة يلبسون صدرية بالفعل. إنك متأخر نصف قرن، أقسم على ذلك!».

ذكّرتها: «إنني في الرابعة والثلاثين فقط».

قالت يوكي: «خمسين عاما. الزمن يطير بينما أنت أحمق».

عند ذلك، تقدمتني في سيرنا نحو السيارة.

(24)

كان الوقت غسقاً حينما وصلنا إلى منزل والد يوكي القريب من الشاطئ. كان المنزل كبيراً وعتيقاً وتحيط به أشجار كثيفة. كانت المنطقة تشع بالسحر القديم لفيلا منتجع شونان. في حضرة الربيع كان السكون يخيم على كل شيء. كانت أشجار الكرز قد بدأت تُخْرِجُ براعمها. سيمفونية رائعة من الألوان والروائح يعكس تغيرها من يوم إلى يوم تحول الفصول ويجعلك تتساءل هل ما زالت هناك أماكن مثل هذه.

كانت فيلا ماكيمورا محاطة بسور خشبي عالٍ، والبوابة مغطاة بسقف تقليدي صغير. لم يكن فيها شيء جديد سوى اللوحة التي تحمل الاسم. ضربنا الجرس فخرج لنا على الفور شاب يافع في أواسط العشرين وسمح لنا بالدخول. كان واضحاً أن يوكي التقته مرات عديدة قبل ذلك. قدم نفسه لنا باعتباره مساعد ماكيمورا.

- أعمل كسائق له، أقوم بتوصيل مخطوطاته وأبحاثه، وأصحبه في سفره للخارج وأي شيء آخر. إنني ما كان يعرف في الأزمان الماضية الخادم الخاص للسيد.

كنت أشعر أن يوكي توشك أن تخرج بعبارة غير مهذبة، لكنها لم تقل أي شيء وهو ما أثار دهشتي. يبدو أنها يمكن أن تكون مهذبة إذا أرادت ذلك.

كان ماكيمورا يمارس الغولف في الحديقة الخلفية للمنزل. كان الكاتب الشهير يحاول أن يصيب الهدف في الوسط بكرات بيضاء صغيرة. كنت أسمع صوت العصا بعد كل ضربة للكرة. كان ذلك أحد الأصوات القليلة المفضلة لديّ. ومع ذلك كنت أكره الغولف.

وضع ماكيمورا عصاه ومسح جبهته بفوطة وقال ليوكي: «جميل أن أراكِ». لكن يوكي تظاهرت بأنها لم تسمع. أشاحت بوجهها وأخرجت قطعة من العلكة من جيب سترتها وراحت تمضغها بصوت عالٍ. ثم لفّت الغلاف الورقي للعلكة وألقت به في إحدى الزهريات.

حاول ماكيمورا من جديد: «ما رأيك في مرحباً يا أبي على الأقل؟».

قالت يوكي ساخرة وهي تُدخل يدها في جيب السترة باحثة عن شيء: «مرحباً».

نادى ماكيمورا الخادم بطريقة جافة: «اذهب وأحضر لنا بعض البيرة».

«حاضر سيدي». أجاب الخادم بصوت واضح مسرعاً نحو المنزل. سعل ماكيمورا وتفل ثم مسح جبهته مرة ثانية. ثم بعد ذلك راح يفحص الهدف على الشبكة الخضراء متجاهلاً وجودي. كنت قد شغلت نفسي بالصخور المغطاة بالطحالب.

كان المشهد برمّته يبدو مصطنعاً وفيه القليل من العبثية. لم يكن هناك شيء بعينه بدا غريباً. شعرت كما لو كنت أشاهد محاكاة تهكمية. مسرحية المؤلف وخادمه، فيما عدا أن جوتاندا كان بإمكانه أن يلعب كلا الدورين بشكل يجعلهما أكثر جاذبية وإتقاناً.

قال الرجل المشهور: «أخبرتني يوكي أنك كنت تعتني بها».

قلت: «لم أفعل شيئاً. فقط اصطحبتها على الطائرة القادمة من

هوكايدو. والأهم من ذلك اسمح لي بأن أشكرك على مساعدتك لي مع الشرطة».

– لا شكر على واجب. يسعدني أن أرد لك حسن صنيعك مع يوكي. من النادر جداً أن تطلب مني ابنتي شيئاً. كنت أشعر بسعادة غامرة وأنا أساعدك. إنني أمقت الشرطة. كانت لي مواجهة معهم عند البرلمان في الستينات حينما قتل ميتشيكو كانبا. في تلك الأوقات.

انحنى للأمام وأمسك بعصا الغولف وهو يضرب برأس العصا على قدمه. استدار وهو يحدق في وجهي ثم أنزل عينيه ناظراً إلى قدمي ثم نظر إلى وجهي مرة ثانية.

سألني: «هل تلعب الغولف؟».

قلت: «لا، يؤسفني ذلك».

– هل تكره الغولف؟

– لا أحبها أو أكرهها. لكني لم أمارسها أبداً.

ضحك. «لا يوجد شيء اسمه لا تحبها ولا تكرهها مع الغولف. كل من لم يلعب الغولف يكرهها. هذه هي حقيقة الأمر. لذلك كن صادقاً معي».

قلت: «حسناً، إنني لا أحب الغولف».

– ولماذا لا تحبها؟

– أظن أنها سخيفة. الأعلام والملابس والأحذية المبالغ فيها. النظرات التي تظهر في العيون والطريقة التي يرهف بها الناس الآذان حينما تنحني لقراءة الأرضية. أشياء قليلة مثل ذلك تثير امتعاضي.

– الطريقة التي يرهف بها الناس الآذان؟

أجبت ملخصاً الموضوع: «مجرد ملاحظة. لا أقصد بها أي شيء. ولكن ثمة شيء يتعلق بلعبة الغولف لا ينسجم معي».

حدّق ماكيمورا في وجهي في صمت.

– هل تشكو من شيء يا بني؟

قلت: «لا، أبداً. إنني طبيعي للغاية. أظن أن نكاتي ليست مرحة بما يكفي».

قبل أن يمر وقت طويل، حضر الخادم حاملاً البيرة مع كأسين على صينية. وضع الصينية وقام بصب الشراب لنا ثم اختفى سريعاً.

قال ماكيمورا رافعاً كأسه: «نخبك».

قلت رافعاً كأسي: «نخبك».

لم يكن باستطاعتي أن أحدد عمر ماكيمورا ولكنه على الأقل كان في أواسط الأربعينات من عمره. لم يكن طويلاً ولكن قوامه الصلب جعله يبدو أشبه برجل ضخم الجسم. كان واسع الصدر وذا ذراعين ورقبة متينتين. كانت رقبته بدينة. لو كانت أقل بدانة، لأمكن أن يكون رياضيا وعلى النقيض تماماً من رجل بددت السنون حياته. تذكرت صوراً لماكيمورا النحيف صاحب النظرات الثاقبة. لم يكن وسيماً بشكل واضح ولكن كان يتميز بحضوره الذي ما زال يملكه. كم عدد السنين التي انقضت منذ ذلك الحين؟ خمس عشرة؟ ست عشرة؟ اليوم شعره قصير وقد خطه الشيب. كان لون بشرته بنّياً ويرتدي قميصاً من نوع لاكوست لم يكن بإمكانه أن يجمع عراه عند الرقبة.

قال ماكيمورا: «سمعت أنك كاتب».

قلت: «لست كاتباً بمعنى الكلمة. إنني فقط أكتب عند الطلب. كتابات تافهة بناء على عدد الكلمات التي يحتاجون إليها. كتابات يتعين على شخص أن يقوم بها وأظن أنه ربما أكون أنا ذلك الشخص. سوف أعفيك من سماع كلامي وإسهابي عن جرف الثلوج».

قال ماكيمورا ضاحكاً وهو يضع عصاه جانباً: «جرف الثلوج، هيه؟ فكرة ذكية».

قلت: «يسرني أن تفكر بهذه الطريقة».

- حسناً، هل تحب الكتابة؟

- لا يمكنني أن أقول إنني أحبها أو أكرهها. إنني بارع فيها أو ربما يجب عليّ أن أقول كفء. إنني أملك المهارة والكيفية والأدوات والموقف، كل ذلك. لا أهتم بهذا الجانب.

- آهه.

- لو أن مستوى الوظيفة أدنى من ذلك، لكانت أكثر بساطة على أية حال.

«إمممم». استغرق في التفكير لبرهة. «هل هذه العبارة من اشتقاقك «جرف الثلوج»؟».

قلت: «نعم».

- هل تمانع إذا استخدمتها في مكان ما؟ إنها تعبير مثير.

- لا، يمكنك استخدامها بدءاً من هذه اللحظة. لم أسجل حقوق مكلية فكرية عليها.

قال ماكيمورا وهو يداعب شحمة أذنه: «إن ذلك هو تماماً ما أشعر به أحياناً. لم يكن الأمر كذلك. كان العالم أصغر، وكان بإمكانك التحكم في الأشياء، وكنت تعرف أو تظن أنك تعرف الذي كنت تفعله. كنت تعرف ما الذي يريده الناس. لم تكن وسائل الإعلام بهذا الحجم والاتساع».

أفرغ كأسه، ثم صبّ كأسين أخريين لكلينا. رفضت قائلاً إنني سأقود السيارة، لكنه تجاهل كلامي.

قال وهو ينظر إلى الشبكة الخضراء الممتدة بين جذوع الأشجار: «ولكن ليس الآن. ليس هناك عدل. لا أحد يهتم. الناس يفعلون ما يتعيّن عليهم فعله من أجل البقاء. جرف ثلوج. تماماً كما تقول».

كانت توجد حوالى ثلاثين إلى أربعين كرة غولف على الحشيش.

بدا ماكيمورا وكأنه يفكر في ما سيقول لاحقاً. استغرق ذلك وقتاً. ليس لأن ذلك يقلقه، وإنما لأنه اعتاد أن ينتظر الناس كل كلمة يقولها. قررت أن أفعل الشيء نفسه. ظل يشد شحمة أذنه.

وأخيراً استأنف ماكيمورا الكلام ثانية: «ابنتي تعلقت بك. وهي لا تتعلق بأي شخص. أو بالأحرى هي لا تتعلق بأحد تقريباً. نادراً ما تتكلم إليّ. كما لا تقول الكثير لأمها أيضاً. ولكن على الأقل تحترمها. أما أنا فلا تكن لي أي احترام. ولا ذرة من الاحترام. تظن أنني أحمق. ليس لديها أي أصدقاء. لا تذهب إلى المدرسة، تظل دائماً في غرفتها بمفردها، تسمع ذلك الضجيج الذي تسمّيه موسيقى. لديها مشكلات مع الناس. ولكن لسبب ما تعلقت بك أنت. لست أدري لماذا».

- ولا أنا.

- ربما لأن لديك روح طفل؟

- ربما.

- قل لي ما رأيك في يوكي؟

بدأ الأمر يشبه مقابلة شخصية للحصول على وظيفة. «يوكي في الثالثة عشرة وهذه مرحلة عمرية خطيرة»، أجبته مباشرة. «ومن خلال ما يمكنني فهمه، فإن بيئتها المنزلية بيئة كارثية. لا أحد يعتني بها. لا أحد يتحمل مسؤوليتها. لا أحد يتحدث إليها. إنها تشعر بالوحدة وذلك يؤذيها. لديها والدان شهيران. وهي في غاية الجمال. لديها حساسية شديدة إزاء كل شيء حولها. وهذا عبء ثقيل للغاية يصعب على أي فتاة في الثالثة عشرة حمله».

- ولا أحد يعيرها اهتماماً مناسباً.

- ذلك ما أظنه.

تنهد تنهيدة طويلة. ترك أذنه وحدق في أصابعه. «أعتقد أنك على صواب، على صواب تام. ولكن ليس بإمكاني أن أفعل شيئاً حيال ذلك. حينما وقع الطلاق بيني وبين والدتها، وقّعتُ أوراقاً تقول إنني سوف أتخلى عن يوكي. لا يمكنني التحايل على ذلك. لم أكن الزوج المخلص في ذلك الوقت، لذا لم أكن في وضعية تؤهلني للمطالبة بحضانتها. وفي الواقع عليّ أن أحصل على إذن من آمي قبل أن أرى يوكي كما هو الآن. والشيء الآخر كما قلت آنفاً، فإن يوكي لا تكنّ لي كثيراً من الاحترام. ولذا فإنني في مأزق. ولكني سوف أفعل كل ما أستطيع من أجلها».

عاد يحدق في الشبكة الخضراء ثانية. كان المساء قد بدأ يرخي سدوله على المكان بشكل أعمق وأظلم.

قلت: «لكن الأشياء لا يمكن أن تستمر على الشاكلة التي كانت تسير عليها. هل تعرف أن والدتها طارت إلى كاتماندو ولم تتذكر أن يوكي ما زالت في الفندق في هوكايدو إلا بعد مرور ثلاثة أيام؟ ثلاثة أيام! وبعدما أحضرتُ يوكي إلى طوكيو ظلت حبيسة تلك الشقة ولم تذهب إلى أي مكان على مدى أيام. على حد علمي كل ما كانت تفعله هو الاستماع إلى موسيقى الروك وتناول الوجبات السريعة. أكره أن أكون واعظاً من الطبقة الوسطى، ولكن ما يحدث لها ليس أمراً صحياً».

قال ماكيمورا: «أنا لا أجادل. ما تقوله صحيح مئة بالمئة. لا، بل مئتين بالمئة. ولهذا السبب أردت التحدث إليك. وإلا ما السبب الذي دفعني لأن أجعلك تقطع كل هذه المسافة».

انتابتني بعض مشاعر التشاؤم. الجياد ماتت. والهنود توقفوا عن قرع طبولهم. كان الجو ساكناً تماماً. حككت جانبي رأسي بيدي.

بدأ كلامه حذرا: «كنت أتساءل لو أنك لا تمانع في أن تعتني بيوكي. ليس بشكل رسمي أو شيء من هذا القبيل. فقط ساعتين أو ثلاث ساعات كل يوم. امض معها بعض الوقت، تأكد أنها بخير وتأكل طعاماً جيداً. هذا هو كل شيء. سوف أدفع لك مقابل وقتك. يمكنك أن تعتبر ذلك تدريساً خصوصياً دون أن تُدرّس. لا أعرف كم مقدار المال الذي تكسبه لكني أضمن لك أنه سيكون قريباً من ذلك. وباقي الوقت يمكنك أن تفعل ما تشاء. ليست هذه الصفقة بالخاسرة، أليس كذلك؟ لقد تحدثت بالفعل مع والدتها بهذا الشأن. إنها في هاواي الآن وقد وافقتني على أن تلك فكرة جيدة. إن أمها، حتى لو لم يبدُ عليها ذلك، تضع مصلحة يوكي في قلبها. إنها فقط مختلفة. إنها ذكية ولكن أحياناً يطير عقلها إلى طبقة الستراتوسفير. إنها تنسى وجود الناس والأشياء من حولها. بل حتى كانت تواجه صعوبات في الرياضيات والأرقام».

قلت مبتسماً ومن دون اقتناع كبير: «حسناً، ولكن ما تحتاج إليه يوكي أكثر من أي شيء آخر هو حب أحد والديها، حب غير مشروط. وأنا لست والدها ولا يمكنني أن أمنحها ذلك. إنها أيضاً تحتاج إلى أصدقاء في مثل سنّها. وأنا رجل كبير جدا بالنسبة لها. فتاة في الثالثة عشرة هي امرأة بشكل من الأشكال. إن يوكي جميلة للغاية وغير مستقرة عاطفياً. هل تعهد بفتاة بهذه المواصفات إلى رعاية شخص لا تعرف من أين أتى؟ ماذا تعرف عني؟ لقد كنت موقوفاً للتوّ من قبل الشرطة بسبب جريمة قتل. ماذا لو أنني كنت القاتل؟».

- هل أنت القاتل؟

- بالطبع لا.

- إذاً ما هي المشكلة؟ إنني أثق بك. ما دمت تقول إنك لست القاتل، فلست القاتل.

– ولكن لماذا تثق بي؟

قال ماكيمورا: «لا يبدو أنك من النوع الذي يمكن أن يقتل. كما أنك لا تبدو من النمط الذي يمكن أن يغتصب. هذه الأشياء واضحة للغاية. وفوق ذلك فإن يوكي هي الأهم هنا، وأنا أثق بفطرتها. أحياناً تكون فطرتها حادة الذكاء لدرجة الإزعاج. إنها مثل وسيط. مرت أوقات كان بإمكاني أن أجزم أنها ترى شيئاً لا أراه. هل تعرف ما أقصد؟».

قلت: «إلى حد ما».

– إنها تستمد ذلك من والدتها. إنه الجانب الشاذ فيها. والدتها وجّهت الجانب الشاذّ كله إلى فنها. لذلك فإن الناس يعتبرونها موهوبة. ولكن يوكي لم تجد أي مجال أو طريق تصرّف فيه ما لديها من موهبة. إنه فقط يفيض منها من دون أن يوجد مكان يُصرف إليه. مثل ماء يفيض من دلو. لكنني لست مثل أي منهما. لست شخصاً غرائبياً. وهذا هو السبب الذي من أجله لم تكن أي منهما تأبه لي. حينما كنا نعيش معاً، حدث ذلك، ولذا لم أكن أريد أن أرى وجه امرأة أخرى. لا أعرف إن كان بإمكانك أن تتخيل كيف كانت عليه الحال، أن أعيش مع آمي ويوكي. أمطار وثلوج. لقد أنهكتاني تماماً. بالطبع أنا أحبهما. ما زلت أتحدث إلى آمي بين فينة وأخرى. كان ذلك جحيماً. ربما كانت لدي مواهب ذات مرة، ولكن العيش بهذه الطريقة أضعفني تماماً. هذه هي الحقيقة. ولكن مع كل ذلك، لم أتصرف بشكل سيّئ، يجب عليّ أن أقول. جرف الثلوج، هههه؟ عبارة جميلة. ولكننا خرجنا عن الموضوع. عن أي شيء كنا نتكلم؟

– عما إذا كان يجب عليك أن تثق بي.

قال وهو يتفل مرة ثانية: «نعم. إنني أثق بحدس يوكي. ويوكي تثق بك. إذاً أنا أثق بك. ويمكنك أن تثق بي. إنني لست ذلك

الشخص السيّئ لهذه الدرجة. إن ما أكتبه هراء ولكن يمكن أن أكون موضع ثقة. إذاً ما رأيك في الأمر؟ هل ستعتني بيوكي؟ لست غافلاً عما قلته عن دور الوالدين. أوافقك الرأي تماماً. ولكن يوكي فتاة استثنائية. وكما ترى فإنها نادراً ما تتحدث إليّ. وأنت الشخص الوحيد الذي يمكنني الاعتماد عليه».

حدقت في رغوة البيرة في كأسي. ماذا يتعين عليّ أن أفعل؟ عائلة غريبة. ثلاثة أشخاص غريبين وفرايداي خادم سيده.

قلت: «لا أمانع أن أرى يوكي أكثر من مرة. ولكني لا أستطيع، ولن أفعل ذلك كل يوم. لدي حياتي وشؤوني الخاصة، كما لا أحب أن أرى الناس بناء على التزام. سوف أراها حينما أرغب في ذلك. ولا أحتاج إلى أموالك ولا أريدها. ولست معوزاً، كما أن النقود التي أنفقها مع يوكي لن تختلف عن تلك التي أنفقها مع أصدقائي. إنني أحب يوكي كثيراً وأرتاح لرؤيتها، ولكني لا أريد تحمّل المسؤولية. هل تفهمني؟ لأنه إذا ألمّ بيوكي أي شيء فإن المسؤولية في نهاية الأمر سوف تقع عليّ».

أومأ ماكيمورا عدة مرات. اعترت حركة من الرعشة لفات اللحم التي أسفل أذنيه. لا يمكن للعبة الغولف أن تزيل هذه الدهون. إن ذلك يستدعي تغييراً شاملاً للحياة. ولكن ذلك كان فوق قدراته. لو أن ذلك كان بمقدوره لكان تغير منذ زمن طويل.

قال: «أتفهّم ما تقوله يا بني وهو واضح تماماً. لكني لا أحاول أن ألقي بأي مسؤولية على كاهلك. لا حاجة لأن تتحمل مسؤولية على الإطلاق. ليس أمامي أي خيارات أخرى، ولذا فإني سوف أخضع لحكمك. الأمر لا يتعلق بالمسؤولية. أما المال فيمكنني التحدث عنه حينما يحين وقته. إنني دائماً أسدد ديوني. فقط تذكّر ذلك. إنني أترك الأمر لك. افعل كما تشاء. إذا احتجت إلى مال

فاتصل بي أو بآمي. لن يقصّر أي منا في هذه الجزئية. لذا لا تشعر بأنك غريب».

لم أتفوه بكلمة.

أضاف ماكيمورا: «يبدو أنك شاب عنيد».

– أنا لست عنيداً. إنني فقط أعمل بما يمليه عليّ نظامي.

قال: «نظامك»، وراح يمسك بشحمة أذنه مرة أخرى. «ربما يكون نظامك غير دقيق هذه الأيام. يبدو أنه قد أصبح خارج الخدمة ولحق بالمكبرات الصوتية للأنبوب المفرغ المصنوع يدوياً. فبدلاً من أن تضيع كل وقتك في محاولتك لبناء واحد خاص بك، يمكنك أن تشتري نظام استقبال جديداً. إنه أرخص وصوته أفضل. وإذا ما أصابه عطل فإنهم يأتون لإصلاحه على نحو سريع. وحينما يتقادم يمكنك استبداله. ربما يكون نظامك يا ولدي ليس مضاداً للمياه. ربما كان يساوي شيئاً قبل ذلك. ولكن ليس الآن. في هذه الأيام النقود تتحدث. أي شيء يمكنك أن تشتريه بالمال. يمكنك أن تشتريه جاهزاً ثم تقوم بتجميعه. إنه بسيط. وليس سيئاً. إذا حدث خلل بنظامك فسوف تتخلف كثيراً. لا يمكنك أن تقوم بانعطافات حادة وتعوق طريق الآخرين».

– مجتمع رأسمالي متقدم.

قال ماكيمورا: «لقد فهمت ما أقصد». ثم صمت.

كان ثمة كلب قريب يعوي بشكل مجنون. ثمة شخص كان يتلعثم في سوناتا لموزار تعزف على البيانو. جلس ماكيمورا على المنصة المسقوفة في الحديقة الخلفية ومعه البيرة وهو يفكر.

كان الظلام يبتلع المشهد بكامله. الأشياء كانت تفقد أشكالها وتنصهر بعضها مع بعض. فجأة كان جوتاندا بأصابعه الرقيقة يمسد

ظهر كيكي العريان، وكانت شوارع سابورو بعدما كسحت عنها الثلوج، وصوت الوقواق من ماي الفتاة العنزة، والشخص صاحب القدم المسحاء وهو يضرب بالمسطرة اليدوية على راحة يده، والرجل صاحب الثوب المصنوع من جلد الغنم في نهاية الردهة المعتمة. . .

كان كل ذلك ينصهر ويمتزج. لا بد أنني متعب، قلت في نفسي. لكنني لم أكن متعباً. إنه فقط جوهر الأشياء التي تتآكل، ثم بعد ذلك تدخل في دوامة من الفوضى. وكنت أنظر إليها كما لو كانت جزءاً من طبقة من طبقات الغلاف الكوني. عزف على بيانو وكلب يعوي وشخص ما يقول شيئاً. ثمة شخص كان يتحدث إليّ.

«ماذا دهاك يا ولدي»، جاءني صوت ماكيمورا.

نظرت إليه.

كان يقول: «أنت تعرف شيئاً عن تلك المرأة المقتولة، أليس كذلك؟ الصحف تقول إنهم لم يعرفوا بعد من تكون وإن المفتاح الوحيد هو بطاقة تعريفية وجدت في حافظتها. يبدو أنهم كانوا يستجوبون صاحب البطاقة، لكن اسمك لم يظهر. بحسب محاميّ فقد حجبت عنهم المعلومات. قلت لهم إنك لا تعرف أي شيء بالرغم من أنك تعرف، أليس كذلك؟».

– ما الذي يجعلك تظن ذلك؟

«إنه مجرد ظن»، قال ذلك، والتقط عصا الغولف وأمسك بها كما لو كان يمسك بسيف. «كلما استمعت إليك أكثر، نما ذلك الظن بداخلي. إنك تثير الكثير من الضجيج حول تفاصيل تافهة، ولكنك كريم للغاية فيما يتعلق بالأمور الكبرى. ثمة خط لديك تتبعه. أظن أنك تعرف أكثر مما تقول، ربما تحاول أن تتستر على شخص ما. إنك شخصية مثيرة للاهتمام. تقريباً مثل يوكي في هذه النقطة. تواجه صعوبات جمة في مجرد البقاء. هذه المرة مرت بسلام، لكن ربما لا

تكون محظوظاً في المرة القادمة. تذكر أن رجال الشرطة يسوا أناساً لطفاء. ليس لدي شكوى ضد نظامك. إنني أحترمه بالفعل، ولكن ربما تلحق الأذى بنفسك إذا ما تمسكت بقناعاتك مثل ذلك. لقد تغير الزمن. وعليك أن تتأقلم».

قلت: «أنا لست متمسكاً بقناعات. الأمر أشبه برقصة. شيء يتذكره الجسم. إنها عادة. ما إن تُعزف الموسيقى حتى يرقص الجسد. ولا يهم تقريباً ما الذي يحدث غير ذلك. لو أن أشياء كثيرة أتخمت رأسي، فلربما زلّت قدماي. إنني عديم الكياسة ولست مسايراً».

حدق هيراكو ماكيمورا في عصا الغولف في صمت.

قال: «أنت غريب، هل تعرف ذلك. إنك تذكرني بشيء ما».

قلت: «الغرابة نفسها موجودة هنا في هذا البيت».

– أنا أحبك يا ولدي. وأثق بشخصك. يؤسفني أن أطلب منك أن تعتني بيوكي. لكني سوف أرد ذلك الجميل لك في يوم من الأيام. إنني دائماً أرد المعروف. مثلما قلت لك سابقاً.

«كنت أنصت لما يقول».

(25)

في الساعة السابعة عادت يوكي تمشي على مهلٍ. كانت تتمشى على الشاطئ. هل كانت تحب تناول العشاء في ذلك الوقت؟ لم تكن جائعة، كما قالت. كانت تريد العودة للبيت.

قال والدها: «زوريني كلما راق لك ذلك. سوف أظل في اليابان طوال الشهر». ثم استدار ناحيتي وشكرني على قطع كل هذه المسافة، واعتذر عن عدم تمكّنه من أن يحسن ضيافتي أكثر من ذلك.

رآنا الولد فرايداي ونحن خارجان. أثناء خروجنا من الحديقة الخلفية رأيت سيارة جيب شيروكي ذات دفع رباعي وأخرى هوندا 755 سي سي وكذلك دراجة للطرق الجبلية واقفة في إحدى الزوايا.

قلت لفرايداي: «سيارات ذات أعباء ثقيلة؟».

أجاب فرايداي بعد برهة: «حسناً، إنه ليس شخصاً رخواً. السيد ماكيمورا لا يعيش في برج عاجي. إنه في قلب الحياة ويعيش من أجل المغامرات».

«أحمق»، غمغمت يوكي.

تظاهرت وكذلك فرايداي بأننا لم نسمعها.

لم نكد نستقل السوبارو حتى قالت يوكي إنها تتضور جوعاً. مررت بمطعم على الطريق الساحلي وطلبنا بعض اللحم المشوي.

«عم كنتما تتحدثان أنت وأبي؟» سألتني ونحن نتناول طبق الحلو.

لم يكن ثمة ما يدعو لإخفاء أي شيء، لذا أطلعتها على ملخص ما دار بيني وبين والدها.

قالت ساخرة: «المال. هذا هو كل ما يحلم به. وماذا قلت له؟».

– قلت إنني لم أخلق للدخول في اتفاق كهذا . ليس أمراً سيئاً أن نلتقي ونخرج معاً نتنزه حينما نرغب في ذلك. إنه أمر يمكن أن يكون ممتعاً، ولكن بدون اتفاق رسمي. هل تعرفين، ربما أكون رجلاً عجوزاً بالنسبة لك، ولكن ما زال لدينا الكثير الذي يمكننا التحدث بشأنه، ألا تعتقدين ذلك؟

هزت كتفها.

– إذا لم تكوني ترغبين في رؤيتي، يمكنك فقط أن تقولي ذلك. يجب ألا يكون لزاماً على الناس أن يرى بعضهم بعضاً. يمكنك رؤيتي حينما ترغبين في ذلك. يمكن أن يبوح كل منا للآخر بأشياء لا يستطيع أن يفشيها لأي شخص آخر وأن نتبادل الأسرار. أم أنك لا تريدين؟

بدت مترددة، ثم أومأت من دون أن توضح ماذا تقول.

– لا ينبغي لك أن تدعي الأمور تتراكم داخلك. ستصل إلى نقطة لا يمكنك عندها أن تتحكمي بها. يجب أن تسمحي للضغوط بالخروج وإلا سوف تنفجر. وتحدث (بووووم). هل تعرفين ما أقصد؟ الحياة صعبة بما يكفي. حمايتك للقلعة بمفردك أمر صعب. وهو صعب عليّ أيضاً. ولكن نحن الاثنين، أعتقد، وربما، يمكن أن يفهم كل منا الآخر. يمكننا أن نتحدث بدرجة كبيرة من الصراحة.

أومأت.

– لا يمكنني أن أرغمك. ولكن إن أردت الحديث، فقط اتصلي بي. ليس لهذا علاقة بما ناقشه والدك معي. وحاولي أن تتجنبي أن تفكري فيّ باعتباري الأخ الكبير أو شيئاً من هذا القبيل. إننا صديقين. أعتقد أن كلاً منا يمكن أن يفيد الآخر.

لم تحر يوكي جواباً. انتهت من طبق الحلو الخاص بها وشربت كوباً من الماء. ثم نظرت خلسة إلى الأسرة التي كانت على المائدة المجاورة. الأم والأب وبنت وأخوها الرضيع. كانوا جميعهم يعانون من السمنة.

اتكأت بكوعي على المائدة وأنا أحتسي قهوتي وأشاهد يوكي وهي تنظر إليهم. كانت فتاة جميلة بحق. أكاد أشعر بحجر صغير ناصع يغرق في مياه الظلمات في قلبي. رغم كل تلك القنوات والممرات الملتوية إلا أنها تمكنت من رمي حصاتها مباشرة في قاع كل ذلك. لو أنني كنت لم أزل في الخامسة عشرة لكنت من البائسين بحبها بكل تأكيد، فكرت للمرة العشرين.

كم كان زملاؤها في الصف غلاظاً؟ هل كان فوق طاقتهم أن يروا جمالها الطاغي حولهم كل يوم؟ أم لأنها كانت حادة للغاية؟ أم لتوترها الزائد؟ أم لأنها كانت منطوية؟ هل جعلتهم يخاوفونها؟

حسناً، بكل تأكيد لم تكن في هدوء جوتاندا. جوتاندا كان على وعي تام بما له من تأثير على الآخرين، وكان يحتفظ بذلك حسب الطلب. كان يتحكم فيه. لم يفرضه على الناس أبداً، ولم يُخفْهم أبداً. وحتى حينما وصل إلى مستوى النجومية يمكنه الابتسامة وإصدار النكات حول نجوميته. تلك كانت طبيعته. بهذه الطريقة كان كل شخص حوله يبتسم له ويقول هذا شخص لطيف. وكان جوتاندا حقاً شخصاً لطيفاً. لكن يوكي مختلفة. يوكي لم تكن لطيفة.

لم يكن من طبيعتها أن تراقب مشاعر الآخرين وأن توائم بين تلك المشاعر وبين مشاعرها هي من دون أن تصطدم بالناس. كان كل ما تستطيع فعله هو أن تظل في كامل وعيها بنفسها. ونتيجة لذلك تلحق الأذى بالآخرين وهو ما يلحق بها الأذى. كم هي حياة صعبة. صعبة كثيرا لفتاة في الثالثة عشرة. بل حتى صعبة بالنسبة لشخص بالغ.

لم أستطع التنبؤ بالكيفية التي سوف تتصرف بها تلك الفتاة. ربما تجد طريقة تعبّر بها عن نفسها مثل والدتها وتدخل إلى عالم الفن. وربما توجّه قواها إلى شيء إيجابي. لا يمكنني الجزم بشيء، ولكن مثل والدها، يمكنني أن أستشعر بهالة حولها، بموهبة فيها. إنها فتاة فوق العادة.

ولكن ربما تصبح فتاة طبيعية في الثامنة عشرة. لن تكون هذه هي المرة الأولى التي يحدث فيها ذلك.

إن البشر يصلون إلى الذروة بطرق مختلفة. ولكن مهما كنت، بمجرد أن يعتلي الشخص القمة يبدأ طريقه إلى الهبوط. لا شيء ولا شخص يمكنه أن يفعل شيئاً حيال ذلك. وأسوأ ما في الأمر أنك لن تعرف أبداً أين توجد تلك القمة. ستظن أنك ما زلت قوياً، حينما ستجد فجأة أنك عبرت الأخدود العظيم. لا أحد يمكنه التنبؤ. بعض الأشخاص يصلون إلى الذروة في الثانية عشرة، ثم يعيشون حياة خالية من الأحداث بدءاً من هذه النقطة وحتى النهاية. فيما البعض الآخر يواصل البقاء على القمة حتى الموت، وآخرون يموتون وهم في أوجهم. الشعراء والملحنون يعيشون بكل طاقتهم ويدفعون أنفسهم حتى يصلوا إلى النقطة التي بلغوها في الثلاثينات من أعمارهم. لكن هناك من هم مثل بيكاسو الذي يظل يبدع حتى بعد الثمانين.

وماذا عني؟

ذروتي؟

وهل لي ذروة؟ إنني بالكاد لدي شيء يمكنك أن تسمّيه حياة. بضعة تموجات. بعض النجاحات والإخفاقات. هذا هو كل شيء. تقريباً لا شيء. لا شيء تولّد عن لا شيء. أحببت وكنت موضع حب، ولكن لم يعد لدي شيء أثبت به ذلك. لقد كان مشهداً فردياً بسيطاً وبلا ملامح. كنت أشعر كما لو أني في لعبة فيديو. أمشي من دون وعي خلال متاهة من الخطوط المنقّطة. موتي كان هو اليقين الوحيد.

ليس هناك وعود بأنك ستكون سعيداً، هكذا قال لي الرجل المقنَّع. وعليك أن ترقص. ارقص حتى يظل كل شيء يدور.

توقفت عن الكلام وأغمضت عينيّ.

حينما فتحتهما ثانية، كانت يوكي تجلس على الجانب الآخر من المائدة.

قالت بقلق: «هل أنت على ما يرام؟ يبدو كأن خللاً أصابك. هل قلت شيئاً خطأ؟».

ابتسمت: «لا، ليس للأمر علاقة بأي شيء قلتِهِ».

- يبدو أنك تذكرت شيئاً سيئاً لتوّك؟

- لا، لقد تذكرت فقط أنك رائعة الجمال.

نظرت إليّ يوكي بنظرة والدها غير المعبرة. ثم هزت رأسها في صمت.

دفعت يوكي حساب العشاء. كان والدها قد أعطاها الكثير من المال كما ما قالت لي. أخرجت ورقة نقدية قيمتها عشرة آلاف ين من بين خمس أو ست ورقات وقدمتها لموظف الصندوق في المطعم، ثم أخذت الباقي دون أن تنظر إليه.

قالت باستياء: «أبي يظن أن كل ما ينبغي عليه فعله هو أن يدفع

المال، وبعد ذلك لا شيء. إنه أحمق بحق. ولكن لهذا السبب يمكنني أن أدفع الحساب اليوم. ذلك يجعلنا متعادلَيْن بعض الشيء، أليس كذلك؟ إنك دائماً تدفع عني، لذا العدل عدل».

قلت: «شكراً لك. ولكن هل تعرفين أن ذلك ضد آداب التعارف الكلاسيكية للقاءات».

- ماذا؟

- على موعد عشاء، وحتى إن كانت الفتاة هي التي ستدفع الحساب، فيجب ألا تذهب إلى الصندوق للحصول على الفاتورة. وإنما تدع الفتى يفعل ذلك ثم تدفع له بعد ذلك، أو قد تعطيه المال مسبقاً. الرجال لديهم حساسية شديدة نحو ذلك. بالطبع أنا لست ذلك الرجل القوي الحازم، لذا فإنني لا أهتم بالأمر. ولكن ينبغي لك أن تعرفي أن هناك الكثير من الأشخاص شديدو الحساسية إزاء تلك الأمور.

قالت: «سلوك غريب. لن أخرج مع أشخاص من هذا النوع أبداً».

- «حسنا، أردت فقط أن أطلعك على هذا الأمر»، قلت وأنا أخفض من سرعة السوبارورو. «إن الأشخاص يقعون في الحب من دون سبب ومن دون حتى أن يرغبوا في ذلك. لا يمكنك التنبؤ به. ذلك هو الحب. حينما تبلغين السن الذي ترتدين فيه صدرية سوف تفهمين».

صرخت وهي تضربني على كتفي: «أخبرتك يا أبله أنني أرتدي واحدة بالفعل».

كنت على وشك الوصول للمرآب وكان عليّ أن أتوقف.

قلت: «كنت أمزح. كانت مزحة سخيفة. ولكن ينبغي أن تمنحي عضلات الضحك لديك فرصة للممارسة على أية حال».

قالت: «مزحة سخيفة، هذا لا شك فيه».

قلت: «كانت سخيفة بكل تأكيد».

صرختُ: «أوقف السيارة».

كنت على وشك أن أتوقف. لكنني غيرت رأيي وحرّكت السيارة مرة ثانية من مكانها.

قلت: «يوكي، ثمة شيء انتبهي، هذه ليست مزحة. لا تهاجمي شخصاً وهو يقود السيارة. يمكن أن تتسببي في مقتلنا. إذاً الدرس الثاني في آداب المواعدات الغرامية هي: لا تموتي. وواصلي الحياة».

في طريق العودة، لم تتفوه يوكي بكلمة. غاصت في مقعدها وبدت مستغرقة في التفكير. على الرغم من أنه كان من الصعب الجزم بما إذا كانت نائمة أم مستيقظة. لم تكن تستمع لشرائطها. لذلك وضعت «مواويل» كولترين التي كنت قد أحضرتها معي. لم تنبس بكلمة وبدا أنها غائبة عن كل شيء تقريباً. غمغمت مع مقاطع الأغنية. كان الطريق يبعث على الضجر. كنت أركز على الأنوار الخلفية للسيارات التي أمامي. حينما وصلنا إلى الطريق السريع، اعتدلت يوكي في جلستها وراحت تمضغ العلكة. ثم أشعلت سيجارة. نفخت ثلاث أو أربع نفخات من السيجارة قبل أن تلقي بها من نافذة السيارة. كنت أنوي أن أقول شيئاً لو أنها أشعلت الثانية، لكنها لم تفعل. يبدو أنها استشفّت ما كنت أنوي قوله.

بينما كنت على وشك التوقف أمام شقة أكازاكا، رفعت صوتي قائلاً: «ها قد وصلنا يا أميرة».

حينئذ أخرجت العلكة من فمها وكوّرتها ووضعتها على اللوحة

الأمامية للسيارة. ثم فتحت باب السيارة متكاسلة وخرجت وراحت تمشي. لم تقل حتى إلى اللقاء، ولم تغلق الباب أو تنظر وراءها. قلت في نفسي، حسناً إنها في مرحلة عمرية حساسة. كانت تبدو مثل شخصية في فيلم من أفلام جوتاندا. الفتاة مرهفة الحس المعقدة. لا شك أن جوتاندا كان باستطاعته أن يلعب دوري بشكل أفضل مما فعلت. وربما كانت يوكي سوف تهيم به حباً. يا إلهي! لا يمكنني أن أكف عن التفكير في جوتاندا! مددت ذراعي من فوق مقعدها وأغلقت الباب بقوة. ثم استمعت إلى أغنية «الطمي الأحمر» لفريدي هابارد في طريق العودة للبيت.

بعدما استيقظتُ في الصباح التالي ذهبتُ إلى محطة القطار. قبل التاسعة كانت محطة شيبويا تغصّ بالناس. لكن وبالرغم من نسمات الربيع، كان بإمكانك أن تحصي الابتسامات على إصبع اليد الواحدة. اشتريت صحيفتين من بائع الجرائد، ثم ذهبت إلى دانكن دوناتس وهناك طالعت الأخبار وأنا أحتسي القهوة. مراسم افتتاح ديزني لاند طوكيو، معارك بين فيتنام وكمبوديا، انتخابات عمدة طوكيو، العنف في المدارس. لم يكن هناك سطر واحد عن فتاة جميلة وُجدت مخنوقة في فندق بأكازاكا. ماذا يكون مقتل شخص مقابل افتتاح ديزني لاند؟ مجرد شخص قتل وسوف يُنسى.

فحصت قائمة الأفلام ولاحظت أن فيلم «حب من طرف واحد» قد تم رفعه من القائمة. وهو الأمر الذي ذكرني بجوتاندا مرة ثانية. كان يجب عليّ أن أبلغه بما حدث لماي.

حاولت الاتصال به من الهاتف في دانكن دوناتس. بالطبع كان بالخارج، تركت له رسالة. ثم ألقيت بالصحف في سلة المهملات وتوجهت نحو المنزل. في طريق عودتي حاولت أن أصل إلى السبب

الذي يجعل فيتنام وكمبوديا وهما دولتان شيوعيتان تقتتلان. يا له من عالم معقّد.

لقد كان يوم إنهاء الأعمال المتأخرة.

كان هناك الكثير من الأشياء التي يتعيّن عليّ إنجازها. أمور في غاية الأهمية. ارتديت عقلي العملي كأحسن ما يكون وبدأت أنجز الأشياء مباشرة.

أخذت القمصان إلى المغسلة. مررت بالبنك وحصلت على بعض المال من ماكينة الصراف الآلي. دفعت فواتير الغاز والهاتف ودفعت الإيجار. اشتريت كعبين جديدين لحذائي. اشتريت بطاريات جديدة لساعة المنبه. عدت إلى المنزل ورتبته من الداخل. غسلت حوض البانيو. نظفت الثلاجة والموقد والمروحة والأرضيات والنوافذ. وضعت القمامة في كيس. غيّرت ملاءات السرير. قمت بتشغيل المكنسة الكهربائية. نظفت الستائر وأنا أدندن مع ستايكس «مستر ربوتو».

حينما رنّ جرس الهاتف في الثانية بعد الظهر. كان جوتاندا.

قلت: «هل يمكنك مقابلتي؟ لا يمكنني التحدث عبر الهاتف».

- بكل تأكيد. ولكن إلى أي مدى الأمر عاجل؟ إنني أصوّر فيلماً الآن. هل يمكن الانتظار ليومين أو ثلاثة؟

قلت: «لا أعتقد أن ذلك ممكن. ثمة شخص قُتِل. شخص يعرفه كل منا والمحققون يقتفون أثر القاتل».

ساد الصمت عبر الخط. صمت بليغ لا يمكن أن يقوم به إلا جوتاندا. صمت ذكي وهادئ. كان بإمكاني أن أسمع عجلة ذهنه وهي تدور بأقصى سرعتها. «حسناً، ماذا عن الليلة؟ لكن ذلك سيكون في وقت متأخر جداً. هل يناسبك هذا؟».

- حسناً.

- سوف أتصل بك حوالى الواحدة أو الثانية. معذرة ولكن لن أكون متفرغاً ولو دقيقة واحدة قبل ذلك.

- لا تقلق. سوف أكون جاهزاً.

أنهينا المكالمة، وقمت باستعادة المحادثة التي دارت بيننا بالكامل في ذهني.

هناك شخص قُتل. شخص يعرفه كلانا والمحققون يقتفون أثر القاتل.

فيلم عصابات معتاد. أَشرِكْ جوتاندا وسوف يصبح كل شيء مشهداً سينمائياً. شيئاً فشيئاً كانت الحقيقة تنحسر عن المشهد. وهو ما جعلني أشعر كما لو كنت ألعب دورا في سيناريو مكتوب. جوتاندا يضع نظارته السوداء، وياقة معطفه الطويل منتصبة، ويتكئ على سيارته المازيراتي. مشهد ساحر. يصلح إعلاناً تجارياً لإطارات السيارات. طردت هذه الصور من ذهني وعدت لتنظيف الستائر.

في الخامسة، سرت نحو هارجوكو ومشيت بين محلات بيع أشرطة موسيقى البوب عبر شارع تاكيشيتا. هناك الكثير من أغنيات فرقة كيس أند أيرون ميدن وموتورهد، ومايكل جاكسون وفرقة برنس باستثناء إلفيس. وفي النهاية بعدما زرت العديد من المحلات وجدت ما كنت أبحث عنه وهو شارة تقول: «إلفيس الملك».

ثم توجهت إلى تسوروكا من أجل طبق تمبورا[11] وبعض البيرة. كانت الشمس قد غابت ومرت الساعات. كنت ما زلت أتحرك بصعوبة في متاهة الخطوط المنقطة. لم أكن أحرز أي تقدم. كنت أقترب من لا شيء. وبدا أن الخيوط تتكاثر. لكن الخيوط المؤدية إلى

---

(11) طبق ياباني من الخضراوات والروبيان.

كيكي كانت معدومة. لقد أرسلت عبر طريق ملتوية. استنفدت طاقاتي في مشاهد ثانوية، وليس أبداً على الحدث الرئيسي. أين هو بحق الجحيم ذلك الحدث الرئيسي؟ وهل هناك حدث رئيسي؟

لأنه لم يكن لدي ما أفعله حتى منتصف الليل، ذهبت لمشاهدة بول نيومان في فيلم «الحُكْم». ليس فيلماً سيئاً. ولكني دأبت على الشرود حتى أفقد متابعة القصة. كنت أتوقع أن تظهر كيكي بظهرها العاري على الشاشة في أي لحظة. كيكي، كيكي، ماذا كنت تريدين مني؟

انتهى الفيلم وغادرتُ السينما وأنا أكاد لا أفهم شيئاً من القصة. سرت حتى قادتني خطواتي إلى بار فاحتسيت كأسين من الفودكا. عدت إلى المنزل في العاشرة ورحت أقرأ في انتظار مكالمة جوتاندا.

في النهاية وضعت الكتاب جانباً ثم استلقيت على السرير. رحت أفكر في القط كيبر. مات ودُفن، هادئاً تحت ثرى هادئ.

كان الشيء التالي الذي أتذكره هو أن الغرفة غرقت في الصمت. وغشتني موجات من الشعور بالعجز. كنت أريد أن أستثير نفسي. قمت بالعد من واحد حتى عشرة باللغة الأسبانية، وانتهيت بكلمة «فينيتو» بصوت عال وبصفقة من يدي. كانت هذه هي طقوسي الخاصة لقهر شعوري بالعجز. وهي إحدى المهارات الكثيرة التي اكتسبتها من عيشي بمفردي. من دون هذه الحيل، ربما لم يكن باستطاعتي مواصلة الحياة.

(26)

كانت الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل عندما اتصل جوتاندا.

- الأمور كانت مضطربة كثيراً. آسف على الاتصال في وقت متأخر، ولكن هل يمكن أن أطلب منك أن تأتي إليّ أنت هذه المرة بسيارتك؟

قلت له لا مشكلة في ذلك. وأخذت طريقي إليه.

نزل إليّ على الفور حينما ضربت على جرس بابه. ما أثار دهشتي هو أنه كان يرتدي معطف مطر طويلاً (يشبه ذلك الذي يرتديه المخبرون السريون). وكان يناسبه. لكنه لم يكن يضع نظارة سوداء. كان يضع نظارة عادية تعطي الانطباع بأنه مفكر.

قال جوتاندا ونحن نتبادل التحية: «آسف مرة ثانية. كان لا بدّ من تأخير ذلك. كان يوماً متخماً بالعمل بشكل لا يصدق. ويجب أن أذهب إلى يوكوهاما بعد ذلك. هناك تصوير مع أول خيوط النهار، لذا فقد حجزوا لي غرفة هناك».

عرضت عليه: «لماذا لا أوصلك إلى هناك؟ سوف يكون لدينا وقت أطول للتحدث. وسوف يوفّر لك ذلك بعض الوقت أيضاً».

- اقتراح رائع، إذا كنت فعلاً لا تمانع.

«لا مطلقاً»، طمأنته، فأسرع ليقوم بتجميع أشيائه.

قال بعد أن صعدنا السيارة: «يا لها من سيارة جميلة. بصدق إنها تعطي إحساساً جيداً أيضاً».

- ثمة تفاهم بيني وبينها.

هزّ رأسه كمن فهم ما أقول.

وضعت شريط بيتش بويز في الجهاز وبدأنا طريقنا. بمجرد أن وصلنا إلى الطريق السريع نحو يوكوهاما، كان رذاذ المطر قد بدأ يتساقط. شغلت المسّاحتين ثم أوقفتهما، ثم شغلتهما ثانية. كان مطراً ربيعياً لطيفاً جداً.

ابتدرني جوتاندا بالسؤال من دون مقدمات: «ماذا تذكر عن أيام الدراسة الثانوية؟».

أجبت: «أذكر أنني كنت شخصاً ميئوساً منه».

- وماذا غير ذلك؟

أطرقت لبرهة. «سوف تظن أنني أحمق، ولكني أتذكرك حينما كنت تشعل أنبوب اللهب في حصة العلوم».

- ماذا؟

- لقد كنت تفعل ذلك بإتقان منقطع النظير. كنت تجعل إيقادك للشعلة يبدو كما لو كانت لحظة عظيمة في تاريخ البشرية.

ضحك قائلاً: «نعم، كان الأمر كذلك. ولكني فهمت ما ترمي إليه. صدقني لم تكن نيتي أبداً أن ألفت الأنظار. بالرغم من أني كنت أبدو شخصاً مغروراً آنذاك. لكن الناس ومنذ كنت طفلاً كانوا دائماً يراقبونني. لماذا؟ لست أدري. بالطبع كنت أعرف أن ذلك يحدث

وهو ما جعلني أبدو ممثلاً صغيراً. لقد التصق ذلك بي. كنت دائماً أمثّل. لذا حينما أصبحت ممثلاً بالفعل، لمست في ذلك راحة. لم أعد أشعر بالحرج من ذلك».

ثم وضع يداً على يد في حجره وراح يحدّق فيهما وقال: «أرجو أنني لم أكن حقيراً، أم تراني كنت كذلك؟».

قلت: «ولكني لم أقصد ذلك على الإطلاق. أردت فقط أن أقول إنك كنت تشعل أنبوب اللهب بأناقة. كنت أريد أن أراك وأنت تشعلها مرة ثانية بين الحين والحين».

ضحك وراح يمسح نظارته. طبعاً بأناقة.

قال: «في أي وقت سوف أكون منتظراً بأنبوب اللهب وأعواد الثقاب».

أضفت: «سوف أحضر وسادة في حال ما إذا أُغشي عليّ من النشوة».

انخرطنا في مزيد من الضحك. ثم وضع جوتاندا نظارته مرة ثانية وقام بخفض صوت الاستريو قليلاً. «هل يمكن أن نستأنف كلامنا حول ذلك الشخص الميت؟».

قلت مباشرة وأنا أنظر إلى مسّاحات الزجاج: «إنها ماي. لقد وُجِدت مقتولة. جثتها وجدت في أحد فنادق أكازاكا مخنوقة بجورب. القاتل مجهول».

حدق جوتاندا في وجهي فجأة. لقد استغرق الأمر منه ثلاث أو أربع ثوان حتى يفهم ما قلته قبل أن تتقلص ملامح وجهه كعلامة على الإدراك. مثل إطار نافذة يلتوي من أثر زلزال قوي. حدقت في وجهه بطرف عيني. بدا أنه مصدوم.

وأخيراً سأل: «متى قُتلت؟».

أخبرته بالتفاصيل، فلاذ بالصمت ثانية، كما لو كان يعيد ترتيب مشاعره.

وأخيراً قال وهو يهز رأسه: «ذلك أمر شنيع. شنيع. لماذا؟ لماذا يقدم أي شخص على قتل ماي؟ كانت إنسانة طيبة. إنها مجرد. . .». ثم راح يهز رأسه ثانية.

قلت: «نعم، إنسانة طيبة. خرجت لتوّها من حكاية من حكايات الجنيات».

تنهد تنهيدة عميقة، وبدا التعب فجأة يظهر على ملامح وجهه. حتى هذه اللحظة كان قد تمكن من احتواء توتر لا يحتمل بداخله. لكن حتى التعب حينما يأتيه يضفي على حياته ملمحاً مميزاً. يؤسفني أن أقول إنني تمنيت لو جرحت وتألّمت مثله. إن كل ما يلمسه، حتى لو كان الألم، يكتسب ملمحاً جيداً.

قال جوتاندا: «لقد اعتدنا ثلاثتنا أن نواصل الحديث حتى مطلع الفجر». كان صوته أشبه بالهمس. «أنا وماي وكيكي. ربما كان ذلك جزءاً من حكاية من حكايات الجنيات. ولكن أين يمكنك أن تجد حكاية من حكايات الجنيات في هذه الأيام. عزيزي، لقد كانت تلك الأيام رائعة».

حدقت في الطريق أمامي، فيما كان جوتاندا يحدق في اللوحة الأمامية للسيارة. قمت بتشغيل المساحات وإيقافها. كان الاستريو يعمل ولكن بصوت خفيض بفرقة «بيتش بويز».

سأل جوتاندا: «وكيف عرفت أنها قُتلت؟».

شرحت له: «استُدعيت من قبل الشرطة. كنت قد أعطيت ماي بطاقتي التعريفية وكانت تخفيها بعناية في حافظتها. في الواقع كانت البطاقة الشيء الوحيد الذي وُجد بحوزتها يحمل أي اسم من الأسماء.

لذا ألقوا القبض عليّ للاستجواب. كانوا يريدون مني أن أخبرهم كيف تعرّفت إليها. محققان غليظان وأحمقان. ولكني كذبت عليهما. أخبرتهما أنني لم أرها مطلقاً».

– ولماذا كذبت؟

– لماذا؟ لأنك أنت الشخص الذي عرّفنا ببعض واشتريت هاتين الفتاتين تلك الليلة، أليس كذلك؟ ماذا تظن سيحصل لو أني أفصحت لهما عن ذلك؟ هل فقدت عقلك؟

قال: «سامحني. إنني مرتبك بعض الشيء. كم أنا أحمق!».

«المحققان لم يصدقاني على الإطلاق. استطاعا أن يشتمّا رائحة الكذب. لقد احتجزاني ثلاثة أيام. كانا حريصين على عدم تجاوز القانون. لم يمس أي منهما جسدي بأذى. ولكنه كان استجواباً عسيراً. إنني أكبر في العمر. ولم أعد كما كنت عليه. ادّعيا أنهما لا يجدان مكاناً لأنام فيه فألقيا بي في غرفة المجاري. فعلياً لم أكن في الغرفة لأنهما لم يغلقا الباب. لكن دعني أقول لك، لم تكن نزهة. إنها تجربة تجعلك تظن أنك فقدت صوابك؟».

قال وهو يحدق في أظافر أصابع يديه: «أعرف ما تقصد. لقد احتجزت على مدى أسبوعين ذات مرة. كنت أظن أنني لن أخرج من هناك أبداً. تدرك أنهم يتحكمون بك. يعرفون كيف يجعلونك تنهار. ولكن ثلاثة أيام دون أن تقول شيئاً؟».

– ماذا تظن؟ بالطبع لم أقل شيئاً. إذا بدأت جملة بعبارة «حسناً، في الواقع...». فسوف تكون هي النهاية. بمجرد أن تأخذ خطأ، عليك أن تواصله حتى النهاية.

تقلص وجه جوتاندا مرة ثانية. «اغفر لي أنني عرّفتك بماي وكنت سبباً في توريطك بهذه المشكلة».

قلت: «لا داعي للاعتذار. لقد استمتعت معها حقاً. كما أنه ليس خطأك أنها ماتت».

– لا، إنه ليس خطئي. لكنك كذبت على المحققين من أجلي. لقد ورّطتك في خضمّ الجريمة. ذلك هو خطئي. كنت مشتركاً.

التفتّ نحوه لأنظر إليه نظرة جيدة ثم بعد ذلك دخلت في صلب الموضوع. «ليست هذه هي المشكلة. لا تقلق بشأنها. لا داعي للاعتذار. لقد حصلت على نصيبك وأنا أحترم ذلك تماماً. إن المشكلة الكبرى هي أنهما غير قادرين على التحقق من هويتها. لقد كان لها أقارب، أليس كذلك؟ يجب علينا أن نلقي القبض على المهووس الذي قتلها، أليس كذلك؟ تمنيت لو أخبرتهما بكل شيء أعرفه. ذلك هو ما يؤلمني. ماي لم تكن تستحق أن تموت تلك الميتة. على الأقل كان ينبغي أن يكون لها اسم».

أغمض جوتاندا عينيه لمدة طويلة حتى إنني ظننت أنه ذهب في النوم. كانت فرقة «بيتش بويز» قد انتهت من معزوفتها. ضغطت على زر إخراج الشريط. فغرق كل شيء في صمت مطبق. لم يكن هناك سوى احتكاك إطارات السيارات بالأسفلت المبلل.

غمغم جوتاندا وهو يفتح عينيه قائلاً: «سوف أتصل بالشرطة. مكالمة من مجهول. وسوف أذكر اسم النادي الذي كانت تعمل فيه. بتلك الطريقة يمكنهم مواصلة تحقيقهم في الحادث».

قلت: «عبقري. إن كتفيك تحملان رأساً جيداً. لماذا لم تخطر لي تلك الفكرة؟ ولكن لنفترض أن الشرطة قد أرغمت النادي على الكلام، ألن يكتشفوا أنه قبل أيام قليلة من مقتلها أرسلت أنت في طلبها إلى منزلك. وسوف يصلون إليك في الحال. وماذا إذاً كانت الفائدة من أن أغلق فمي على مدى ثلاثة أيام؟».

– معك حق. لقد تفوقت عليّ في ذلك. أشعر بالارتباك.

قلت: «حينما تشعر بالارتباك، فإن أفضل ما تفعله هو أن تجلس صامتاً بانتظار أن ينجلي الموقف. إنها فقط مسألة وقت. امرأة وُجِدت مخنوقة في فندق. أمر وارد الحدوث. والناس يتناسون الأمر. لا داعي لأن يخالجك الشعور بالذنب. ما عليك سوى أن تهدأ وأن تظل صامتاً. إذا بدأت تمثّل بذكاء الآن، فلن تزيد الأمور إلا سوءاً».

ربما كنت قاسياً عليه. كانت نبرة كلامي باردة بعض الشيء، وكلماتي حادة جداً، ولكن لا يهم، لقد غرقت في تلك الورطة أيضاً. اعتذرت له وقلت: «آسف، لم أكن أقصد أن أكون حاداً. لم أستطع أن أحرّك إصبعاً لمساعدة الفتاة. ذلك هو كل ما في الأمر، وهذا ليس ذنبك».

لكنه أصر قائلاً: «لكنه خطئي».

كان الصمت يتعاظم بشكل ثقيل، لذا وضعت شريطاً آخر. شريط «هارلم الاسباني» لـ بن إي. كينجز. لم نقل أي شيء حتى وصلنا إلى يوكوهاما. أردت أن أربّت على ظهره وأهدّئ من روعه وأقول له، لقد انتهى الأمر على أي حال. لكن شخصاً قد مات. كانت تشعر بالوحدة وكانت مجهولة الهوية. إن تلك الحقيقة هي أثقل مما أحتمل.

– «من تعتقد أنه قتلها؟» قال جوتاندا بعد صمت طويل.

قلت: «من يدري؟ في مثل هذه المهن، يتعين عليها أن تلتقي كافة أنواع البشر. وبالتالي كل شيء جائز».

– ولكن النادي كان شديد الحرص على انتقاء الزبائن. إنه ناد منظم للغاية، وينبغي أن يعثروا على القاتل بسهولة.

قلت: «إنك تظن ذلك، لكن ربما يكون أي شخص آخر. مهما يكن فقد ارتكبتُ خطأ تبين أنه كان قاتلاً. إن ذلك يحدث بحسب ظني. كانت تعيش في عالم الصور الذي كان آمناً ونقياً. ولكن ثمة قواعد حتى في ذلك العالم. ما إن يخرق شخص القواعد، حتى تنهار الصورة الخيالية».

قال جوتاندا: «لا يمكنني أن أفهم ما الذي يدفع فتاة على هذه الدرجة من الجمال والذكاء لأن تعمل بائعة هوى؟ لماذا؟ كان بإمكانها أن تعيش حياة جيدة وأن تحصل على وظيفة محترمة. كان يمكن أن تعمل كموديل، وأن تتزوج شاباً ثرياً. كيف أصبحت بائعة هوى؟ نعم إن المال مرغوب، ولكنها لم تكن تبدو مهتمة لهذه الدرجة بالحصول عليه. هل تظن أنها كانت تريد حقاً أن تعيش حكاية الجنيات هذه؟».

أجبت: «ربما. مثلي، مثلك. مثل كل شخص. لكن كل شخص ينحو منحىً مختلفاً حولها. ذلك هو السبب الذي يجعلك لا تعرف ما الذي سيقع أبداً».

حينما صعدنا إلى فندق نيو جراند في يوكوهاما، اقترح جوتاندا أن أنزل بالفندق معه. «أنا متأكد أن بإمكاننا أن نجد لك غرفة. سوف نتصل بخدمة الغرف ونحتسي بعض الشراب معاً. لا أظن أن النوم سيأتيني في الحال».

هززت رأسي، «لا. سوف أقبل دعوتك على الشراب في وقت لاحق. إنني منهك تماماً. كل ما أريده هو العودة للبيت والخلود للنوم».

قال: «هل أنت متأكد؟ على أي حال أشكرك على توصيلي إلى هنا».

قلت: «إنك متعب أيضاً. ولكن اسمع، حينما يتعلق الأمر بشخص مات، ليس هناك داع للعجلة في التكفير عن الأخطاء. إنها سوف تموت حتى أمد طويل. دعنا نعيد التفكير في الأمور حينما نكون بحالة أفضل. هل تسمعني؟ لقد ماتت. ماتت تماماً وبلا رجعة. اشعر بالذنب، أو اشعر بما تشاء، فإنها لن تعود».

أومأ جوتاندا: «أفهمك».

قلت: «ليلة هانئة».

قال: «أشكرك مرة ثانية».

- أشعلْ أنبوب لهب في المرة القادمة وسوف نسمّيها كما تشاء.

ابتسم وهو يخرج من السيارة. «غريب ما تقول، لكنك الصديق الوحيد الذي يقول ذلك. ليس هناك سواك. نلتقي بعد فراق دام عشرين عاماً ولا تختار غير هذا لتذكره!».

قال ذلك وانصرف. رفع ياقة معطفه الطويل المضاد للمطر ودلف تحت رذاذ الربيع إلى فندق نيو جراند. تقريباً مثل كازابلانكا[12]. بداية صداقة جميلة....

ظل المطر يهطل بشكل مستمر. كان مطراً ناعماً وهادئاً، يرسم لوحات بديعة في ليالي الربيع. صحتُ بصوت عال، «ماتت تماماً وبلا رجعة».

خطر ببالي أنه كان عليّ أن أمضي الليلة في الفندق مع جوتاندا في الشراب. هناك أربعة أشياء مشتركة تجمعني مع جوتاندا. الشيء الأول أننا كنا في معمل العلوم نفسه. ثانياً كل منا مطلّق. ثالثاً، نام كل منا مع كيكي. ورابعاً، نام كل منا مع ماي. والآن ماتت ماي. تماماً وبلا رجعة. كل هذا كان يستحق أن نحتسي شراباً معاً. لماذا لم

---

(12) فيلم أمريكي رومانسي أنتج عام 1942.

أمكث وأنعم بصحبته في هذه الليلة؟ لدي وقت متاح وليس لدي ما أعمله غداً. ما الذي منعني؟ ربما لم أرغب في أن يبدو الأمر مثل مشهد من فيلم سينمائي. كم أنا شخص تعيس. لقد كان آسراً بدرجة لا تحتمل. ولم يكن خطأه. ربما.

حينما عدت إلى شقتي في شيبويا، صببت لنفسي بعض الويسكي ورحت أتابع السيارات على الطريق السريع من خلال الستائر.

(27)

انقضى أسبوع كامل. كان الربيع يخطو خطوات حثيثة من دون أن يتوقف أو يتراجع. وكانت أشجار الكرز قد أزهرت وانتشرت رائحة الزهور في أمطار المساء. الانتخابات جاءت وولّت، سنة دراسية جديدة بدأت، بيورن بورغ تقاعد. مايكل جاكسون يتصدر لائحة أفضل الأغنيات طول الوقت. الميت ظل ميتاً.

كانت الأيام تتوالى بشكل عبثي. ذهبت للسباحة مرتين. ذهبت إلى الحلاق. اشتريت الصحف، لكن لم أر خبراً واحداً عن ماي. ربما لم يتمكنوا من التعرف إليها.

في أيام الثلاثاء والأربعاء كنت أنا ويوكي نخرج لتناول الطعام. وفي الاثنين أُقلها بسيارتي ونسير على أنغام الموسيقى. كنت أستمتع بهذه الأوقات. كنا نشترك في شيء واحد. أن كلاً منا لديه وقت يضيعه.

حينما لم أكن أراها، كانت يوكي تظل حبيسة البيت طوال النهار خوفاً من أن يمسك بها موظف الانضباط[13] المكلّف بملاحقة الطلاب المتغيبين عن مدارسهم. لم تكن والدتها قد عادت بعد.

---

(13) شخص يتم تعيينه من قبل المدارس الحكومية لمتابعة حالات التلاميذ كثيري التغيب عن الصف.

سألتها: «ما رأيك في الذهاب إلى ديزني لاند؟».

قالت ساخرة: «لا أريد أن أذهب. أكره تلك الأماكن».

- إنك تكرهين كل ما له علاقة بميكي ماوس، أليس كذلك؟

قالت: «نعم أكرهه».

قلت: «لكن ليس مفيداً لك أن تظلي حبيسة الشقة طوال الوقت».

قالت: «إذاً لماذا لا نذهب إلى هاواي؟».

- ماذا؟ هاواي؟

- أمي اتصلت بي وسألتني إن كنت أرغب في المجيء إلى هاواي حيث تتواجد هي الآن وتقوم بالتصوير. تتركني بمفردي طوال هذا الوقت وفجأة يساورها القلق بشأني. لا يمكنها العودة للبيت الآن. لذا فإنني لن أستطيع الذهاب إلى المدرسة. طلبت مني أن أركب طائرة وأن أذهب لرؤيتها. هاواي ليست بالمكان السيّئ، أليس كذلك؟ قالت لي إنها سوف تدفع لك ثمن التذكرة. أقصد أنه لا يمكنني الذهاب بمفردي. من فضلك دعنا نذهب. أسبوع واحد فقط. سوف تكون رحلة ممتعة.

ضحكت: «ما هو الفرق بالضبط بين ديزني لاند وهاواي؟».

- لا يوجد موظف انضباط لملاحقة طلاب المدارس في هاواي.

- نعم، في هذا معك حق.

- إذاً سوف تأتي معي؟

فكرت في الفكرة ملياً، وكلما أمعنت التفكير لمست لديّ ميلاً نحو القبول. الخروج من طوكيو فكرة جيدة. لقد وصلت إلى طريق مسدود هنا. تعطل رأسي عن العمل. كنت أشعر بالذعر. وماي قد ماتت تماماً وبلا رجعة.

ذهبت مرة إلى هاواي. ليوم واحد فقط. كنت ذاهباً إلى لوس

أنجلس في مهمة عمل وتعطل محرك الطائرة وهبطنا أثناء الليل في هاواي. اشتريت نظارة شمسية وسبحت وأمضيت اليوم ما بين حمام سباحة الفندق وبين الشاطئ. يوم رائع. لا، هاواي ليست بالفكرة السيئة.

سباحة، وشرب عصائر الفاكهة، والحمامات الشمسية والاستجمام. ربما أمضي وقتاً ممتعاً هناك. ثم بعد ذلك أقوم بإعادة ضبط أموري ومواصلة ما يتعين عليّ فعله.

قلت: «حسنا، لنذهب».

صرخت يوكي: «كم أنت رائع. هيا بنا نذهب لشراء التذاكر».

ولكن قبل ذلك، أجريت اتصالاً بهيراكو ماكيمورا وشرحت له العرض الذي تلقّيته.

رحّب بالفكرة على الفور. وقال: «ربما تفيدك أيضاً يا ولدي. إنك بحاجة لأن تمدد ساقيك. خذ راحة من كل أعمال الجرف الذي تقوم به. هذا سيجعلك أيضاً بمنأى عن أذى الشرطة. فما زال ذلك المأزق لم ينجل بعد، أليس كذلك؟ من المرجح أن يدقوا بابك ثانية».

قلت: «ربما يحدث ذلك».

قال: «اذهب ولا تقلق بشأن المال». أي نقاش مع ذلك الشخص يقود دائماً إلى المال. «امض المدة التي تريدها هناك».

– إنني أفكر في أسبوع على الأكثر. ما زال لدي عمل مكدّس يجب أن أعود إليه.

قال ماكيمورا: «كما تشاء. متى ستذهبان؟ كلما عجلت كان ذلك أفضل. هكذا يكون الأمر مع الإجازات. اذهب حينما تلح عليك حالتك المزاجية. تلك هي المهارة. لست بحاجة لأن تأخذ أي شيء معك. ما رأيك في أن أحجز لكما التذكرتين بعد غد؟».

– حسناً، ولكني بإمكاني أن أشتري تذكرتي.

– دائماً أنت تدقق في التفاصيل. هذا جزء من عملي. أعرف كيف أحصل على أفضل المقاعد بأرخص الأسعار. اسمح لي أن أقوم بذلك. كل شخص يعمل بحسب قدراته. لا تقل أي شيء. لا أريد أن أسمع كلمات مثل هذا نظامك، هذا نظامك. سوف أعتني بأمر الفندق أيضاً. غرفتين. ما رأيك، هل تريد غرفة ملحق بها مطبخ؟

– نعم، أحب أن أطهو طعامي بنفسي أحياناً. ولكن. . .

– إنني ملمّ بالمكان. لقد أمضيت بعض الوقت هناك بمفردي ذات مرة. بالقرب من الشاطئ، كان الجو هادئاً ونقياً.

– ولكني . . .

– دع كل شيء لي، اتفقنا؟ سوف أتصل بآمي. ما عليك إلا التوجه مع يوكي إلى هونولولو، والاستلقاء على الشاطئ والاستمتاع بالوقت. والدتها سوف تكون مشغولة على أي حال. حينما يتعلق الأمر بعملها، فإنها لا تبالي بابنتها أو بأي شخص آخر. لذا لا تقلق. فقط تأكد أن يوكي تأكل طعاماً جيداً. آه، كدت أنسى، هل حصلت على تأشيرة؟

– نعم، ولكن. . .

– إذاً بعد غد يا ولدي. لا تنس جواز سفرك. وكل ما تحتاج إليه، يمكنك الحصول عليه من هناك. أنت لست ذاهباً إلى سيبيريا[14]. سيبيريا كانت مكاناً صعباً، دعني أقول لك. إنها مكان رهيب. وأفغانستان لم تكن أفضل حالاً. مقارنة بهما، فإن هاواي مثل

(14) يبدو أن موراكامي يشير إلى تجربة اليابان الاستعمارية في سيبيريا إبان الثورة البلشفية حيث تدخل الجيش الياباني لمساندة ما عُرف بالروس البيض ضد الجيش الروسي الأحمر.

ديزني لاند. وسوف تصل إلى هناك في وقت قصير. نم قرير العين وسوف تكون هناك في لمح البصر. بالمناسبة، هل تتكلّم الإنجليزية؟

– في المحادثات العادية يمكنني . . .

– حسناً، بل رائع. ليس هناك ما يمكن قوله بعد ذلك. سوف يلتقيك ناكامورا غداً ومعه التذاكر. سوف يحضر معه أيضاً المبلغ الذي أدين به لك ثمن تذكرة يوكي من هوكايدو إلى هنا.

– مَنْ ناكامورا هذا؟

– مساعدي. الشاب الذي يعيش معي.

الولد فرايداي.

سأل ماكيمورا: «هل عندك أي أسئلة أخرى؟ هل تعرف يا ولدي أنني أحبك. هاواي. مكان رائع. روائح رائعة. أرض فسيحة. الاستجمام. لا ثلوج يمكنك جرفها هناك. سوف أراك لدى عودتك».

حينئذ توقف عن الكلام.

الكاتب الشهير.

حينما أخبرت يوكي بأنني مستعد للسفر، صرخت مرحاً مرة ثانية.

– هل يمكنك أن تجهزي نفسك؟ احزمي ثوب السباحة الخاصة بك وأي شيء تحتاجين إليه».

قالت باستعلاء: «إنها فقط هاواي. إنها أشبه بالذهاب إلى شاطئ أويزو. لسنا ذاهبيْن إلى كاتماندو».

في اليوم التالي ذهبت إلى البنك للحصول على بعض المال، وإلى المكتبة لشراء بعض الكتب، وإلى مغسلة الملابس لإحضار

ملابسي. في الثالثة، قابلت الولد فرايداي في مقهى في شيبويا حيث سلّمني مظروفاً كبيرا فيه مال وتذكرتين مفتوحتين درجة أولى إلى هاواي، ورزمتين من الشيكات السياحية الأمريكية، وخريطة تؤدي إلى الفندق في هونولولو.

قال ناكامورا: «كل شيء رُتّب له. ما عليك إلا أن تقدم لهم اسمك حينما تصل إلى هناك. الحجز لمدة أسبوعين، ولكن يمكن تغييره لمدة أقصر أو أطول. لا تنس أن توقّع الشيكات السياحية حينما تعود إلى منزلك. استخدمهما كما تشاء. جميعها ضمن حساب المصروفات. هكذا قال السيد ماكيمورا».

أكاد لا أصدق: «كل شيء على حساب المصروفات؟».

ضحك بأريحية: «ربما ليس كل شيء، ولكن ما دمت تحصل على إيصالات دفع، فإن الأمر على ما يرام. تلك هي وظيفتي. من فضلك احصل على إيصالات لكل ما تنفقه».

– أعدك سوف أفعل.

قال: «اعتن بنفسك واستمتع بالرحلة».

قلت: «أشكرك».

حينما حل المساء، بحثت في الثلاجة وجهّزت عشاء.

بعد ذلك قمت سريعاً بتجميع بعض الأشياء من أجل الرحلة. هل نسيت أي شيء؟

لا شيء يمكنني تذكره.

الذهاب إلى هاواي ليس بالأمر الجلل. تحتاج إلى أخذ أشياء أكثر إذا كنت ذاهباً إلى هوكايدو.

فتحت حقيبة السفر على الأرض ووضعت ما سأرتديه في اليوم

التالي. ليس ثمة ما يمكنني عمله أكثر من ذلك. استحممت ثم احتسيت بعض البيرة أثناء مشاهدتي للأخبار. لم يكن هناك أية أخبار تلفت الانتباه باستثناء أخبار الطقس التي لم تكن مشجعة بما فيه الكفاية. عظيم، سوف نكون في هاواي. تمددت على السرير واحتسيت قدحاً آخر من البيرة. فكّرت في ماي. ماي التي ماتت تماماً وبلا رجعة. إنها في مكان بارد للغاية. مجهولة الاسم. بلا زبائن. غداً أنا ويوكي ذاهبان إلى هاواي على حساب مصروفات شخص آخر. هل يمكن لطريقة كهذه أن تدير العالم؟

حاولت أن أزيح صورة ماي عن رأسي.

حاولت التفكير في صديقتي موظفة الاستقبال في فندق الدولفين. الفتاة ذات النظارات. الفتاة التي لا أعرف لها اسماً. لسبب ما كنت أتمنى خلال اليومين الماضيين لو اتصلت بها. إنني حتى رأيتها في الحلم. ولكن كيف يمكنني الاتصال بها؟ ماذا يجب أن أقول؟ «مرحباً، هل يمكنني التحدث إلى الفتاة ذات النظارة التي تعمل في الاستقبال؟» ربما سيظنونني شخصاً يريد التسلية. إنشاء فندق هو عمل خطير.

هناك مخرج، ما دامت هناك إرادة، إلى آخر هذا الكلام.

اتصلت بيوكي وحددت معها موعد اللقاء في اليوم التالي. ثم سألتها إذا كانت قد عرفت مصادفة اسم موظفة الاستقبال في سابورو التي عهدت بها إليّ، والتي ترتدي النظارات.

قالت: «أظن ذلك، لأنه كان اسماً غريباً. أنا متأكدة أنني دوّنته في مفكرتي. ليس حاضراً في ذاكرتي الآن لكن يمكنني التفتيش عنه».

سألت: «هل يمكنك الآن؟».

- أنا أشاهد التلفزيون.

- أرجوكِ. الأمر عاجل. عاجل جداً.

تبرّمت، ولكنها أحضرت مفكرتها وقالت: «إنها الآنسة يوميوشي».

كررت: «يوميوشي؟».

- قلت لك إنه اسم غريب. يبدو أنها من أوكيناوا، أليس كذلك؟

- لا، ليس لديهم اسم كهذا في أوكيناوا.

قالت: «على أي حال هذا هو اسمها. يوم.يو.شي. هل يمكنني مشاهدة التلفزيون الآن؟».

- ماذا تشاهدين؟

وضعت السماعة من دون أن تجيب.

بعد ذلك اتصلتُ بفندق الدولفين وطلبت أن أتحدث إلى صديقتي موظفة الاستقبال صاحبة الاسم. لم أكن أعرف إلى أي مدى سيذهب ذلك، لكن عامل التحويلة أوصلني بها، ووجدت أن الآنسة يوميوشي تتذكرني. لم يتم محوي بشكل كامل.

قالت بصوت خفيض وهادئ وناعم: «لدي بعض الأعمال الآن. سوف أتصل بك في وقت لاحق».

قلت: «إذاً نتحدث في وقت لاحق».

فيما كنت أنتظرها حتى تعاود الاتصال، اتصلت بجوتاندا وتركت له رسالة أخبره بأني ذاهب إلى هاواي. لكن صودف أن حضر أثناء الرسالة.

قال: «رائع. أشعر بالغيرة. أتمنى لو استطعت الذهاب أيضاً».

سألته: «ولماذا لا تذهب؟ ما الذي يمنعك؟».

- ليس الأمر سهلاً كما تظن. قد يبدو أنني فاحش الثراء، لكن في الواقع أنا مثقل بالديون على نحو لن تصدقه.

- حقاً؟

- الطلاق، والقروض. هل تظن أنني أقوم بأداء كل هذه الإعلانات التجارية من فراغ؟ يمكنني أن ألغي المصروفات، بيد أنه لا يمكنني أن أسدد ديوني. أخبرني أنك لا ترى أن ذلك أمر غريب.

- هل أنت مدين لهذه الدرجة؟

قال: «مدين بالكثير. بل حتى لا أعرف كم تبلغ ديوني. إنني لست ذكياً كما يبدو عليه الأمر. إنني أبغض المال. إن الطريقة التي نشأت عليها، هي طريقة مبتذلة إذا أمعنت النظر فيها، لعلك تعرف ذلك. ألم تخبرك أمك أبداً بذلك؟ كل ما كان عليّ عمله هو أن أعمل بجد، وأن أعيش باستقامة، وأن أنظر إلى الصورة الكلية. كانت نصيحة جيدة في وقتها. لكن من يسمع عن العيش باستقامة هذه الأيام؟ من يسمع عن الصورة الكلية؟ لكن ما لم تخبرني به أمي أبداً هو إلى مَن ينتمي محاسب الضرائب. ربما لم تسمع عن الديون والاقتطاعات. من حسن حظي أن لدي الكثير منهما. وهو ما يعني أنه يتعين عليّ أن أعمل وأنه ليس بإمكاني الذهاب معك إلى هاواي. معذرة على هذا الإسهاب، لكن بمجرد أن ينكأ أحد هذا الجرح لا يمكنني أن أتوقف».

قلت: «لا عليك».

- على أي حال، هذه مشكلتي وليست مشكلتك. سوف نذهب معاً المرة القادمة، اتفقنا؟ سوف أفتقدك. اعتن بنسك.

ضحكت: «إنها مجرد هاواي. سوف أعود خلال أسبوع».

- مهما يكن، هاتفني حينما تعود، اتفقنا؟

قلت: «بكل تأكيد».

- وحينما تستلقي فوق شاطئ وايكيكي، تذكّرني. وأنا أقوم بدور طبيب الأسنان لسداد ديوني.

قبل العاشرة بقليل اتصلت الآنسة يوميوشي. كانت قد عادت إلى شقتها. بناية بسيطة، وسلم بسيط، وباب بسيط. ابتسامتها القلقة. لقد عاودني كل ذلك بحدة. أغمضت عينيّ، وراحت ندف الثلج تتراقص في صمت في وسط هدأة الليل. خالجني الشعور بأنني أكاد أقع في الحب.

كان أول ما ابتدرتني به هو: «كيف عرفت اسمي؟».

قلت لها: «لا تقلقي. لم أفعل أي شيء لا ينبغي فعله. لم أنتقم من أي شخص. لم أراقب هاتفك». شرحت لها أن يوكي أخبرتني به.

قالت: «أفهم ذلك. بالمناسبة، كيف تسير الأمور معها الآن؟ هل عدت بها إلى طوكيو آمنة وسليمة؟».

قلت: «آمنة وسليمة. أوصلتها حتى باب شقتها. وفي الواقع فإنني ما زلت أراها بين حين وآخر. إنها لطيفة. غريبة الطباع لكنها لطيفة».

قالت يوميوشي وكأنها تقرر حقيقة: «تشبهك بعض الشيء». كانت تتحدث وكأنها تقرر حقيقة معروفة وشائعة بين الناس في العالم: «القردة تحب الموز، الأمطار لا تهطل كثيراً في الصحراء».

سألتها: «هلا أخبرتني لماذا كنت تريدين إخفاء اسمك عني؟».

قالت: «لم أتعمد ذلك، صدقني. كنت أنوي أن أخبرك به في المرة التالية التي نلتقي فيها. حينما يكون لك اسم غير مألوف، فإنك تميل للحذر بشأنه».

- هل تعلمين، لقد فحصت دليل الهاتف ولم أعثر إلا على اثنتين تحملان اسم يوميوشي في كل أنحاء طوكيو؟

قالت: «أعلم ذلك. كنت أعيش في طوكيو قبل ذلك. كان من عادتي أن أفحص دليل الهاتف طوال الوقت. أينما حللت فحصت دليل الهاتف. هناك واحدة تحمل اسم يوميوشي في كيوتو. على أية حال، ماذا كنت تريد؟».

قلت: «ليس هناك شيء محدّد. إنني ذاهب في رحلة غداً. وأردت فقط أن أسمع صوتك قبل الذهاب. هذا كل ما في الأمر. أشعر بافتقاد صوتك أحياناً».

لم تجب بشيء، وخلال صمتها تناهى إلى مسمعي حديث هامس لامرأة كما لو كانت في نهاية الردهة. كان الصوت هادئاً ولكنه واضح، مشحون بشكل غريب، بما اعتبرته نبرة من المرارة.

رفعت يوميوشي صوتها وقالت: «هل تذكر ما أخبرتك به عن الطابق السادس عشر حيث الظلام الدامس؟».

قلت: «آه، نعم».

قالت: «لقد تكرر ذلك مرة ثانية بالفعل».

كان دوري في عدم الجواب قد حان.

سألَتْ: «هل ما زلتَ على الخط؟».

قلت: «نعم أنا هنا، استمري في الحديث».

- لكن يجب أن تخبرني الحقيقة أولاً. هل صدّقت بالفعل ما أخبرتك به تلك المرة؟ أم كنت تسايرني؟

قلت: «لقد صدّقتك فعلاً. لا توجد فرصة الآن لأقص عليك، لكن الشيء نفسه قد حدث معي. أخذت المصعد وخرجت منه فإذا

بظلام دامس يغلفني. لقد مررت بالتجربة نفسها. لذا فإنني أصدقك، أصدقك».

- هل ذهبت إلى هناك؟

- سوف أقص عليك القصة كلها حينما نلتقي في المرة القادمة. لكني ما زلت غير قادر على التعبير عنها بالكلمات. الكثير من الأشياء لا أفهمها. لذا فإنني بحاجة حقاً إلى التحدث إليك. ولكن لا عليك من كل ذلك، أخبريني ماذا حدث معك. ذلك أكثر أهمية.

لاذت بالصمت، وكان الكلام الهامس قد تلاشى أيضاً.

قالت يوميوشي: «حسناً، قبل عشرة أيام مضت، كنت أستقلّ المصعد متجهة إلى أسفل حيث مرآب السيارات. كانت الساعة حوالى الثامنة ليلاً. نزل المصعد، وفتح الباب، وفجأة وجدت نفسي في ذلك المكان مرة ثانية. تماماً مثل المرة السابقة. لم يكن الوقت منتصف الليل، ولم يكن المكان هو الطابق السادس عشر. ولكنه كان المشهد نفسه. ظلام حالك ورطوبة مزعجة ورائحة عفنة. كانت كل من الرائحة والهواء هما نفسهيما تماماً. في هذه المرة لم أتجول في المكان. وقفت لا أحرك ساكناً وانتظرت حتى يعود المصعد ثانية. لكن طال انتظاري لمدة لا أعرف إلى متى. حينما وصل المصعد في نهاية الأمر، دخلته وتركت المكان. ذلك هو ما حدث».

سألت: «هل أخبرتِ أحداً بالأمر؟».

قالت: «هل تظن أني مجنونة؟ بعد الطريقة التي تفاعلوا بها مع المرة الفائتة؟ لن يحدث ذلك أبداً».

- نعم، يستحسن ألا تخبري أي إنسان.

- ولكن ما الذي يتعيّن عليّ فعله الآن؟ كلما دخلت مصعداً، أشعر بالفزع من أن الأمر قد ينتهي بي إلى هوة من الظلام الحالك.

وفي فندق مثل هذا، يتعين عليك أن تستقل المصعد كثيراً. ماذا عليّ أن أفعل؟ لا يمكنني التحدث بذلك الأمر لأي شخص سواك.

سألتها: «إذاً لماذا لم تتصلي بي قبل ذلك؟».

تحوّل صوتها إلى ما يشبه الهمس: «حاولت مرات كثيرة، لكنك لم تكن داخل المنزل».

- ولكن آلة الرد كانت تعمل، أليس كذلك؟

- أمقت هذه الأشياء. إنها توترني.

- إذاً، دعيني أخبرك بما أعرفه حول ما يحدث. لا يوجد ما ينذر بالشر من هذا الظلام. إنه لا يضمر أي شر، لذا لا حاجة لأن تشعري بأنك مهددة. لكن ثمة شخص يعيش هناك. هذا الشخص كان يسمع خطى قدميك، لكنه شخص لن يُلْحِقَ بك أي أذى أبداً. لن يؤذي ذبابة أبداً. لذا أقترح عليك إن وجدت نفسك مرة أخرى في ذلك الظلام، أن تقومي فقط بإغماض عينيك وأن تعودي للمصعد وتغادري المكان. اتفقنا؟

مضغت يوميوشي كلماتي في صمت. «هل يمكن أن أقول ما أفكر فيه حقاً؟».

- بالطبع.

قالت: «لست أفهمك. لست أفهمك على الإطلاق. حينما أفكر فيك، يتبين لي أنني لا أعرف عنك شيئاً».

- لكني أخبرتك بالفعل كم عمري. وأظن أن شخصاً في سني لديه الكثير من المسائل المعلّقة. لقد تركت الكثير من النهايات المفتوحة معلّقة. لذا فأنا أحاول الآن أن أتعامل مع أكبر عدد ممكن من هذه النهايات المفككة. إذا تمكنت من فعل ذلك، وربما يمكنني

حينئذ أن أشرح لك الأشياء بشكل أكثر وضوحاً قليلاً. ربما يمكننا حينئذ أن نفهم بعضنا البعض بشكل أفضل.

قالت غير مكترثة: «ليس أمامنا إلا التعلق بالأمل». بدت مثل مذيعة أخبار تلفزيونية. ليس أمامنا إلا التعلق بالأمل. ونوافيكم بباقي الأخبار.

أخبرتها أنني ذاهب إلى هاواي.

قالت غير عابئة: «أحقاً؟» انتهت المحادثة. ووضع كل منا السماعة. احتسيت بعض الويسكي، وأطفأت الأنوار ثم رحت في النوم.

(28)

بعد سماع الأخبار، استلقيت على شاطئ فورت دي روسي وأنا أتأمل زرقة السماء وسعف النخيل وطيور النورس. كانت يوكي بجواري. كنت أستلقي على ظهري فوق حصيرة الشاطئ، فيما كانت يوكي منبطحة على بطنها مغمضة عينيها. بجانبها كان هناك شريط في جهاز راديو كبير الحجم من نوع سانيو يغني أحدث أغنيات إريك كلايتون. كانت يوكي ترتدي بيكيني أخضر زيتونياً، وكان جسمها من رأسها إلى إخمص قدميها مغطى بزيت جوز الهند. بدت رشيقة ولامعة مثل دلفين صغير. كان حارس الإنقاذ ينظر من برج المراقبة ليتابع ما يجري على الشاطئ، فيما سلسلته الذهبية تومض. المدينة كلها كانت تفوح برائحة الزهور والفاكهة والزيوت التي تقي من الشمس.

بدأ الناس بالظهور على الشاطئ، وتغير المشهد. قبل فترة غير طويلة كنت أتجول وأنا شبه مغمض العينين في سابورو. بعدها كنت أتمشى على الشاطئ في وايكيكي وأنا أحدق في الزرقة. شيء قاد إلى آخر. اربط النقاط. ارقص على الموسيقى وسوف توصلك إلى هنا. هل كنت أرقص كأفضل ما يكون؟ تفحصت آثار قدميَّ المنتظمة. ليس سيئاً. ليس رائعاً ولكنه ليس سيئاً. ضعني مرة أخرى في الوضعية

نفسها وسوف أقوم بالحركات نفسها. ذلك هو ما تسميه نظاماً. أو ميولاً. على أية حال، كانت قدماي تتحركان. وكنت أواصل الحركة. والآن أنا في هونولولو. وقت للاستجمام.

وقت للاستجمام. لم أقصد أن أقولها بصوت عال، ولكني فعلت على ما يبدو. تقلبت يوكي ونظرت شزراً نحوي متشككة. وقالت بصوت أجش: «فيمَ كنت تفكر؟».

قلت: «لا شيء».

- ليس لأنني أهتم، ولكن هل يمكنك ألا تتحدث لنفسك بصوت عال يجعلني أسمعك؟ ألا يمكنك فعل ذلك وأنت بمفردك؟

- آسف، لن أزعجك ثانية.

نظرت يوكي إليّ نظرة متململة.

قالت يوكي وهي تتقلب بعيداً عني: «إنك تتصرف مثل رجل عجوز غريب الأطوار لم يعتد أن يتواجد بين الناس».

أخذنا سيارة تاكسي من المطار إلى الفندق، وغيرنا ملابس السفر إلى تي شيرتات وشورتات، وكان أول ما فعلناه هو الذهاب لشراء ذلك المسجل الكبير. كان ذلك بناء على طلب يوكي. كان صوته ثاقباً، كما قالت يوكي للبائع.

باستثناء القليل من شرائط الكاسيت، لم تكن بحاجة إلى شيء آخر. فقط المسجل، الذي أخذته معها أينما ذهبنا على الشاطئ. أو بمعنى آخر كان ذلك هو دوري. حامل أمتعة من هاواي.

كان الفندق وكرم ماكيمورا على ما يرام. أثاث وديكورات غير مألوفة. لكن من يذهب إلى هاواي للبحث عن الأناقة. كان مكان إقامتنا مريحاً للغاية. هدوء الطابق العاشر وبإطلالة على الأفق. شرفة

تطل على البحر من أجل حمامات الشمس. مطبخ واسع ونظيف ومجهز بكل شيء بدءا من الميكروويف إلى غسالة الأطباق. كانت غرفة يوكي بجوار غرفتي، لكنها أصغر بعض الشيء من غرفتي.

كان لدينا مخزون وافر من البيرة والخمر وفاكهة وعصائر كاليفورنيا، فضلاً عن المواد اللازمة لإعداد الساندوتشات. وهي أشياء أخذناها معنا إلى الشاطئ.

أمضينا أياماً كاملة على الشاطئ، نكاد لا نتبادل الحديث. نقلب أجسامنا مرة على البطن ومرة على الظهر ونحن نستمتع بأشعة الشمس. كان نسيم البحر يحدث حفيفاً في أشجار النخيل. أكاد أنام لولا أصوات المارة التي جعلتني أتساءل أين أنا. في هاواي، كان الأمر يحتاج مني إلى لحظات قليلة حتى أدرك ذلك. هاواي. كان زيت الشمس والعرق يجريان على خديّ. كانت الأصوات تنخفض وتتدفق مع الموج فتختلط بدقات قلبي. كان قلبي قد أخذ مكانه بين الأعمال العظيمة لهذا العالم.

طرأ تغيير كبير على ملامح يوكي منذ أن وطأنا أرض هاواي وضربها ذلك الهواء العليل والدافئ. أغمضت عينيها وأخذت نفساً عميقاً ثم نظرت إليّ. بدا أن التوتر قد فارقها. لم تعد متوثبة كما كانت أو سريعة الغضب. إيماءتها، وطريقة وطريقة تمرير يديها خلال شعرها والطريقة التي كانت تمضغ بها علكتها، والطريقة التي تهز بها كتفها، كل ذلك خفّت حدته.

من خلال البكيني الصغير الذي ترتديه ونظارتها الشمسية السوداء وشعرها المعقوف فوق رأسها بشدة كان يصعب أن تقدّر سن يوكي. كان جسمها لا يزال جسم طفلة. لكن كان لديها قوام شخص أكبر من ذلك بسنين. كانت أطرافها النحيفة توحي بالقوة. بدا أنها دخلت أكثر مراحل نموها حيوية. كانت في طريقها للبلوغ.

دلّك كل منا الآخر بالزيت. كانت تلك هي المرة الأولى التي خبرني فيها أحد بأن لي «ظهراً كبيراً». أما يوكي فكانت تتأثر كثيراً الدغدغة ولا يمكنها أن تثبت. جعلني ذلك أبتسم. أذناها البيضاوان رقبتها، كم كانت رقبة فتاة. كانت تختلف عن رقبة امراة بالغة. لكن لا تسألني ماذا أقصد بذلك.

قالت لي يوكي: «من الأفضل أن تدهن الزيت ببطء في البداية. ولاً يجب أن تدهن في الظل، ثم تحت ضوء الشمس المباشر، ثم عود فتدهن في الظل ثانية. بتلك الطريقة تضمن ألا تتعرض لحروق لشمس. إذا حدث ذلك، فإنه يترك ندبات قبيحة».

«ظِلٌّ وشمسٌ وظِلٌّ» رحت أدندن مطيعاً وأنا أدهن ظهرها الزيت.

أمضيت أول ظهيرة لنا في هاواي وأنا متمدد الجسم تحت ظل شجرة نخيل وأستمع لمحطة إف إم. كنت أنزل إلى الماء من وقت لآخر، أو أذهب إلى البار على الشاطئ للحصول على بينا كولادا (شراب مسكر مصنوع من جوز الهند). لم تسبح يوكي ولو مرة واحدة. كانت ترغب في الاسترخاء، كما قالت. كان لديها الكثير من ساندوتشات النقانق وعصير جوز الهند.

بدت الشمس هائلة الحجم، وغابت في المحيط، فيما اكتست السماء بظلال رائعة من الأحمر والأصفر والبرتقالي. كان نادراً ما يمكنني أن أثني يوكي عن رأيها.

قلت لها: «هيا بنا نذهب. لقد غابت الشمس وأنا جائع. هيا بنا لنُحضر بعض العصير والهامبرغر المشوي على الفحم».

أومأت يوكي ولكنها لم تنهض من مكانها، كما لو كانت كارهة لأن تتنازل عن الوقت القليل المتبقي. طويت حصائر الشاطئ وحملت المسجل.

قلت: «لا تقلقي. ما زال أمامنا الغد. وبعد غد هناك يوم ما بعد الغد».

نظرت إليّ وعلى وجهها أثر ابتسامة. وحينما مددت للها يدي، أمسكتْ بها ونهضتْ من مكانها.

(29)

في الصباح التالي قالت يوكي إنها ترغب في رؤية والدتها. لم تكن تعرف مكانها ولكن لديها رقم هاتفها. لذا اتصلت بها وتبادلت التحية معها ودلتني على الطريق لمكان إقامتها. كانت آمي قد استأجرت بيتاً ريفياً صغيراً بالقرب من ماكاها التي تبعد حوالى 45 دقيقة عن هونولولو.

استأجرنا ميتسوبيشي لانسر وفتحنا الراديو بأعلى صوت وفتحنا النوافذ وبدأنا الطريق. كان كل مكان مررنا به يزخر بالضوء وتفوح منه روائح الزهور.

سألتُ يوكي: «هل والدتك تعيش بمفردها؟».

لوت يوكي شفتيها: «هل تمزح؟ مستحيل أن تستطيع السيدة العجوز أن تعيش في دولة أجنبية معتمدة على نفسها. إنها أكثر شخص غير عملي يمكنك مقابلته في حياتك. إذا لم يكن لديها شخص يعتني بها فسوف تضيع. على كم تراهن أن لديها صاحباً يعيش معها هناك؟ وربما يكون شاباً ووسيماً. تماماً مثل الشاب الذي يعيش مع أبي».

- ماذا؟

- هل تذكر ذلك الشاب المِثلي الجنس الذي كان في بيت أبي ويعيش معه؟ إنه نظيف للغاية.

- مثليّ الجنس؟

- ألم تكتشف ذلك؟

- لا، لم أكتشف أي شيء.

- أنت أبله، لعلك تعرف ذلك! يمكنك أن تكتشف ذلك بمجرد النظر إليه. لست أدري إن كان أبي مثليّ الجنس أيضاً، ولكن الولد مِثليّ بالتأكيد. بلا شك، مئتين بالمئة مِثليّ.

بدأت موسيقى فرقة «روكسي» في الراديو ورفعت يوكي من الصوت حتى أقصى حدّ.

- على أي حال، فإن أمي تضعف أمام الشعراء. الشعراء الشباب، الشعراء الفاشلون. أي نوع من الشعراء. إنها تجعلهم يقرأون عليها أشعارهم أثناء قيامها بالتصوير. تلك هي فكرتها عن الوقت الجميل. أبي كان ينبغي أن يكون شاعراً، لكنه لم يستطع أن يكتب قصيدة حتى لو انهمرت عليه الزهور من السماء الزرقاء.

يا لها من أسرة! أب كاتب وقاسي القلب ولديه مساعد مثلي الجنس بوي فرايداي، وأم مصوِّرة ذات عبقرية تصاحب الشُّعراء، وابنة تمتلك قوى روحانية. لحظة من فضلك. هل من المفترض أن يكون ثمة تلاؤم بيني وبين تلك الأسرة الممتدة المُصابة باضطراب ذهاني؟ تذكرت ابتسامة الولد فرايداي الودودة ذات الجاذبية. ربما، أقول ربما، كان يقول: «مرحباً بانضمامك للنادي». هذا العزف مع تلك الأسرة هو شيء مؤقت لا محالة. هل تفهم؟ دورة قصيرة في العلاقات العامة قبل أن أعود إلى جرف الثلوج. في أي نقطة أخرى لم يكن ممكناً أن يكون لدي وقت لمثل هذا الجنون.

بحسب تعليمات آمي، انعطفتُ بالسيارة يميناً بعيداً عن الطريق السريع قبل ماكاها وتوجهت صوب التلال. كانت المنازل تصطف على جانبي الطريق وهي شبه جاهزة لأن تنهار في الإعصار القادم وتقلّ كلما اقتربنا من مجمعات المنتجعات الخاصة. سمح لنا الحارس بالدخول حينما ذكرنا له اسم آمي.

كان يوجد مرج أخضر فسيح ويحظى بالعناية. كان البستانيون يتنقلون في عربات غولف صغيرة أثناء عنايتهم بالأشجار والعشب. كانت الطيور ذات اللون الأصفر ترفرف حول المكان. مكان إقامة والدة يوكي يقع خلف حمام سباحة ومزيد من التلال والمروج والأشجار.

كان البيت ذا طابع استوائي معاصر ومحاطاً بمجموعة من الأشجار المثمرة. ضربنا جرس الباب. بعد ثوان قليلة فُتح الباب ليقابلنا رجل أبيض طويل، سمّرته الشمس. كان صاحب بنيان قوي، له شارب ويرتدي قميصاً من ماركة ألوها وبنطالاً رياضياً، وينتعل صندلاً من المطاط. كان يبدو في عمري نفسه تقريباً، وذو ملامح مقبولة، إن لم يكن وسيماً تماماً. لكنه أكثر صرامة من أن يكون شاعراً بالرغم من أن العالم يجب أن يكون فيه شعراء صارمون. كانت أكثر ملامحه بروزا هي غياب ذراعه اليسرى من الكتف.

نظر إليّ ونظر إلى يوكي، ثم نظر إليّ مرة ثانية، ثم لوى فكه على نحو خفيف وابتسم. «مرحباً»، حيّانا بهدوء ثم انتقل للحديث باليابانية. «كونيتشيوا». صافحنا وطلب منا الدخول. كانت لغته اليابانية بلا أخطاء.

قال: «آمي تقوم ببعض التصوير الآن. سوف تكون هنا في غضون عشر دقائق. معذرة على الانتظار. اسمحا لي أن أقدم لكما نفسي. أنا ديك. ديك نورث. أعيش هنا مع آمي».

اصطحبنا ديك إلى غرفة المعيشة الواسعة. كانت في الغرفة نافذة واسعة ومروحة سقف مثل شيء من رواية لسومرست. حِرَفٌ شعبية بولينزية تزين الجدران. أجلسنا على الأريكة الكبيرة، ثم أحضر لنا اثنين بريمو وكوك. شربت أنا وديك البيرة الخاصة بنا، لكن يوكي لم تَقْرَب شرابها.

كانت تحدق من النافذة من دون أن تقول أي شيء. كان بإمكانك أن ترى البحر يومض من خلال أشجار الفاكهة. في الأفق كانت تظهر سحابة وحيدة تأخذ شكل جمجمة إنسان جاوه. كانت ثابتة بعناد في مكانها، مظهر دائم من مظاهر مشهد البحر. كانت شديدة البياض وذات حواف تختلف عن لون السماء. الطيور كانت تغرد وهي تنقضّ بعضها وراءبعض. كان ديك ماهراً جداً في استعمال ذراعه الوحيدة.

«كيف تسنى لك أن تتقن اليابانية بهذه الدرجة الممتازة؟» سألته ذلك حينما لم أجد شيئاً آخر أقوله.

رفع ديك حاجبيه وابتسم وقال ببطء: «عشت في اليابان عشر سنوات. في البدء ذهبت إلى هناك أثناء الحرب. حرب فيتنام. أحببتها، وحينما تركتها، التحقت بجامعة صوفيا. درست الشعر الياباني، هايكو تانتا الذي أترجمه الآن. ليس سهلاً بطبيعة الحال، ولكن نظرا لأني أنا نفسي شاعر، فإن الأمر كله في سبيل قضية نبيلة».

قلت بأدب: « أتخيل ذلك». ليس صغيراً، وليس وسيماً، ولكنه شاعر. واحد من ثلاثة.

تحدث وكأنه يستأنف حبل أفكاره: «أمر غريب، لعلك تعرف أن ليس هناك أي شعراء بذراع واحدة. ربما تسمع عن رسامين بذراع واحدة، عازفي بيانو بذراع واحدة. بل حتى بين لاعبي البيسبول هناك لاعبون بذراع واحدة. لكن لماذا لا يوجد شاعر بذراع واحدة؟».

وهذا حقيقي.

قال ديك: «أخبرني إن كنت قد سمعت عن واحد».

هززت رأسي. لم أكن متبحراً في عالم الشعراء بشكل عام، بما في ذلك هؤلاء من ذوي الذراعين.

واصل كلامه: «هناك عدد من الملاحين بذراع واحدة. إنهم يجدفون بأقدامهم. ويؤدون كل شيء بشكل جيد. إنني أجدّف قليلاً».

نهضت يوكي وراحت تتجول في الغرفة. سحبت التسجيلات من الرف ولكن على ما يبدو لم تعثر على شيء مما تحبه، فشابَ وجهها العبوس. من دون موسيقى كان المكان هادئاً بشكل يبعث على النوم. من وقت لآخر كانت أصوات ماكينات تشذيب العشب، أو أصوات تغريد الطيور أو صفير الرياح أو صوت شخص تتناهى لأسماعنا.

قلت: «الأجواء هادئة هنا».

كان ديك نورث يحملق بشدة في راحة يده.

- نعم. إنه الصمت. ذلك هو أهم شيء هنا. وخصوصاً للأشخاص الذين يعملون في سلك آمي. في عملي أنا أيضاً، يكون الصمت أمراً لازماً. لا يمكنني تحمّل الضجيج. ألم تجد أن في هونولولو الكثير من الضوضاء؟

لم أجد ذلك، ولكني وافقته فقط حتى أدفع بالمحادثة للأمام. كانت يوكي تنظر من النافذة مرة أخرى وعلى وجهها علامات الامتعاض.

- كنت أفضّل العيش في كاواي. إنه مكان رائع حقاً. أكثر هدوءاً وأقل أشخاصاً. أما أوهاو فليست المكان الذي أفضل العيش فيه. إنها مزدحمة بالسياح والسيارات وفيها الكثير من الجرائم. ولكن

آمي يتعين عليها أن تقيم هنا من أجل عملها. إنها تذهب إلى هونولولو مرتين أو ثلاثة في الأسبوع للحصول على المعدات والإمدادات. كما أن مزاولة الأعمال ومقابلة الناس هي أسهل هنا. كانت تصوِّر الصيادين وعمال البساتين والفلاحين والطهاة وعمال الطرق. إنها مصورة رائعة.

لم أدقق أبداً في أعمال آمي التي قامت بتصويرها، ولكن مرة ثانية ومن أجل مسايرته وافقته الرأي. نفخَتْ يوكي نفخة غير واضحة من أنفها.

سألني عن طبيعة العمل الذي أقوم به.

قلت له إني كاتب بالقطعة. أبدى اهتمامه، ربما ظن أنني توأم روحه. سألني عن نوعية كتاباتي.

قلت له وأنا أحاول أن أمسك بخيط الكلام: «كل شيء. أكتب بحسب الطلب. أحب جرف الثلوج».

«جرف الثلوج»، كرر باهتمام. بدا أنه لم يفهم. كنت على وشك أن أشرح له حينما دخلت آمي إلى الغرفة.

كانت آمي ترتدي قميصاً من الجينز وسروالاً قصيراً. لم تكن تضع زينة على وجهها وكانت شعثاء الشعر، تماماً كما لو أنها استيقظت لتوها من النوم. لكنها مع ذلك كانت ذات جاذبية شديدة، تفيض بالنبل والحضور الذي أثار إعجابي بها حينما رأيتها في فندق الدولفين. ما إن دلفت إلى الغرفة، حتى جذبت انتباه الجميع. بشكل فوري ومن دون شرح ومن دون قصد منها.

ومن دون أن تلقي بأي تحية، ذهبت نحو يوكي ومررت يدها خلال شعرها بلطف، ثم ضغطت بطرف أنفها على جانب رأس

الفتاة. بدا واضحاً أن يوكي لم تستمتع بذلك، بيد أنها احتملته. هزت رأسها بقوة لتعيد شعرها كما كان، ثم ألقت نظرة باردة على زهرية على الرف. لم يكن ذلك يعادل الازدراء الكامل الذي كانت تبديه إزاء والدها رغم ذلك. هنا كانت تظهر عدم شعورها بالراحة، ولكنها تهدّئ من نفسها.

كان هنالك ما يشبه الحوار الصامت يدور بين الأم والابنة. لم يكن هناك: «كيف حالك؟» أو «هل أنت على ما يرام؟» فقط تمرير اليد في الشعر ولمسة الأنف. ثم اقتربت آمي وجلست بجواري، وسحبت علبة من سجائر سليم وأشعلت سيجارة. أحضر الشاعر منفضة سجائر ووضعها بشكل طقوسي على الطاولة. وضعت آمي عود الثقاب فيها وهي تخرج نفخة من الدخان وتُغمِّض أنفها ثم تريح سيجارتها.

استهلت كلامها: «آسفة، لم أستطع الانتهاء من عملي قبل ذلك. تعرف كيف تكون الأمور مع التصوير. من المستحيل أن تتوقف في منتصف الطريق».

أحضر الشاعر لآمي قنينة بيرة وقدحاً وصبَّ لها.

استدارت آمي نحوي وسألت: «كم ستمكث في هاواي؟».

قلت: «أسبوع تقريباً. ليس لدينا برنامج ثابت. إنني في إجازة من عملي الآن، ولكن سوف يتعين عليّ أن أعود للعمل في يوم من هذه الأيام».

- يجب أن تمكث هنا أطول فترة ممكنة. إن الجو هنا جميل.

أجبتها: «نعم، أنا على يقين من أن الجو هنا جميل»، فيما كان عقلها في واقع الأمر في واد آخر.

ثم سألتني: «هل تناولت طعاماً؟».

أجبت: «تناولت ساندويتشاً في الطريق، لكن يوكي لم تأكل».

قالت موجهة سؤالها نحو الشاعر: «ماذا لدينا للغداء اليوم؟».

قال ببطء متعمد: «أظن أننا جهزنا سباغيتي معاً منذ ساعة. منذ ساعة يعني أن ذلك كان في الثانية عشرة ونصف، ولذا فإن هذا هو ما يصلح للغداء».

علقت بغموض: «هل ذلك صحيح؟».

قال الشاعر وهو يبتسم ناحيتي: «نعم، بالفعل. حينما تستغرق آمي في عملها تفقد صلتها بكل شيء. تنسى إن كانت قد تناولت الطعام أم لا، وماذا كانت تفعل وأين. إن عقلها يصبح خاوياً بسبب تركيزها الحاد».

ابتسمت بشكل مهذب. ولكن التركيز الحاد؟ هذا يبدو أكثر ارتباطاً بعالم الأمراض النفسية؟

نظرت آمي إلى قدح البيرة وهي شاردة لبرهة قبل أن تمسك به. وقالت: «ربما ذلك. ولكني ما زلت جائعة. على أية حال، إننا لم نتناول أي شيء على الإفطار. أم أننا أفطرنا؟».

قال ديك: «دعيني أقصّ عليك الوقائع كما أتذكرها. في السابعة ونصف صباحاً تناولتِ إفطاراً مكوناً من الغريب فروت والخبز المقدد والزبادي. في الواقع كنت متحمسة له. وقلتِ إن الإفطار الجيد هو أحد ملذات الحياة».

قالت آمي وهي تحك أحد جانبي أنفها: «هل قلت ذلك؟» حدّقت في الفراغ وهي تفكر في الأمر وكأنما تشاهد مشهداً من أفلام الرعب لهيتشكوك. إن الحقيقة تتراجع حتى لا يمكنك أن تقول من المجنون ومن العاقل.

قالت: «حسناً، لا يهم. إنني جائعة جداً. لعلك لا تمانع حتى إن كنت قد أكلت بالفعل؟».

ضحك شاعرها المحبّ وقال: «لا، لا أمانع. إنها معدتك لا معدتي. وإذا كنت تريدين أن تأكلي فإنني أقول إنه يجب عليك أن تأكلي كما تشائين. الشهية شيء جيد. إنها هكذا دائماً معك. حينما يسير عملك بشكل جيد، تكون لديك شهية للطعام. هل أعد لك ساندويتشاً؟».

- أشكرك. هل يمكنك أن تحضر لي أيضاً قدحاً آخر من البيرة؟

قال: «بكل تأكيد»، ودخل إلى المطبخ.

استدارت نحوي وسألتني: «وأنت، هل تغديت؟».

كررت: «تناولت ساندويتشاً في الطريق».

- وأنت يا يوكي؟

- «لا»، كانت إجابة يوكي المقتضبة.

- «التقيت ديك في طوكيو»، بدأت آمي حديثها إليّ وهي تضع ساقاً على ساق. ولكن كان يبدو أنها تشرح الموقف أيضا ليوكي. «إنه الشخص الذي اقترح عليّ الذهاب إلى كاتماندو. قال إنها ستلهمني. كاتماندو كانت رائعة حقاً. ديك فقد ذراعه في فيتنام. بسبب لغم أرضي. ذلك اللغم الذي يطير في الهواء ثم ينفجر. بوووم. كان الشخص الذي معه هو الذي داس عليه ففقد ديك ذراعه. إنه شاعر. يجيد اليابانية أيضاً، أليس كذلك؟ مكثنا في كاتماندو بعض الوقت ثم أتينا إلى هاواي. بعد كاتماندو كنا نريد مكاناً دافئاً. ذلك حينما وجد ديك هذا البيت الريفي. إنه ملك لأحد أصدقائه. إنني أستخدم حمّام الضيوف كغرفة سوداء. مكان لطيف، أليس كذلك؟».

حينئذ تنهدت بعمق كما لو كانت قد قالت كل ما كان يجب أن تقوله. مددت جسمها وسكتت. تعمق الصمت وقت الظهيرة، ظهر

وميض من الضوء مثل التراب وهو يتسرب في كل الاتجاهات بحرّية. ما زالت السحابة البيضاء التي تشبه جمجمة إنسان جاوة رابضة فوق الأفق. كانت سيجارة سليم التي أشعلتها آمي ما تزال تحترق في المنفضة لم تمسسها تقريباً.

كيف يتسنى لِديك أن يعد الساندوتشات بذراع واحدة؟ وجدتني أتساءل. كيف يشطر الخبز؟ كيف يثبت الخبز في مكانه؟ هل هذه مسألة أوزان وقوافٍ؟

حينما ظهر الشاعر يحمل صينية من ساندويتشات الهام الجميلة، مقطعة ومعدّة بشكل جيد، لم يكن هناك نهاية لإعجابي. ثم فتح قنينة بيرة وصبّ لآمي.

«أشكرك ديك»، قالت ثم استدارت نحوي، «إن ديك طاه عظيم».

قال وهو يغمز بعينه: «لو أن هناك مسابقة في الطهي للشعراء من ذوي الذراع الواحدة، لفزتُ من دون جهد». ثم غاب ثانية في المطبخ لإعداد القهوة. بالرغم من غياب ذراعه، إلا أن ديك كان أبعد ما يكون عن العجز.

عرضت عليّ آمي ساندوتشاً. كان لذيذاً، وبطريقة ما، شاعرياً في تركيبه. كانت قهوة ديك جيدة أيضاً.

بدأت آمي المحادثة مرة ثانية: «ليس هناك مشكلة، أنت مع يوكي. كلاكما».

– ماذا؟

– إنني أتحدث عن الموسيقى بالطبع. أغاني اروك. ألا تسبب لكما صداعاً؟

قلت: «لا، ليس بشكل خاص».

قالت: «لا يمكنني الاستماع لهذا النوع لأكثر من ثلاثين ثانية من دون أن يصيبني صداع حاد. أن أكون مع يوكي أمر جميل، لكن الموسيقى لا تحتمل. إن أنواع الموسيقى التي أحتملها محدودة جداً. بعض الباروك، أنواع معينة من الجاز. الموسيقى الشعبية. الموسيقى الهادئة. هذا ما أحبه من الموسيقى. وأحب أيضاً الشعر. التناغم والهدوء».

أشعلت سيجارة أخرى، وأخذت نفساً ثم وضعتها في منفضة السجائر. كنت متأكداً أنها ستنساها هي الأخرى وهو ما حصل بالفعل. مما يثير الدهشة أنها لم تشعل النيران في المنزل حتى الآن. كنت قد بدأت أفهم ماذا كان هيراكو ماكيمورا يقصد بقوله إن آمي قد أرهقته. إن آمي لا تعطي مطلقاً. إنها فقط تأخذ. كانت تستنفد مَنْ حولها حتى تمد نفسها بأسباب الحياة. ودائماً ما يكون المحيطون بها يعطون. موهبتها تجلت في قدرتها الفائقة على الجذب. كانت تعتقد أن ذلك هو امتياز وحق لها. التناغم والهدوء. وحتى يمكنها بلوغ ذلك، فإنها تجعل من كل شخص خادماً لها.

كنت أريد أن أصرخ، ليس لأن ذلك يمثل لي أي فرق. كنت هنا في إجازة. لديّ حياتي الخاصة. دع كل هذه الأشياء الغريبة تصل إلى مستواها الطبيعي. ولكن ربما لم يكن ما أفكر فيه ذات أهمية؟ كنت عضواً في الفريق المساند لها.

انتهت آمي من ساندويتشها ومشت نحو يوكي، وراحت تمرر أصابعها خلال شعر الفتاة ببطء مرة ثانية. كانت يوكي تحدق في فناجين القهوة التي على الطاولة وهي شاردة. وقالت آمي: «شعر جميل. الشعر الذي كنت أريده دائماً. لامع جداً، وحريري ناعم. إن شعري يصعب تصفيفه، أليس كذلك يا أميرتي؟» وقامت مرة ثانية بلمس جانب رأس يوكي بطرف أنفها.

رفع ديك الأطباق. ثم شغّل موسيقى الحجرة لموتسارت. سألني إن كنت أرغب في قدح آخر من البيرة، فأخبرته أنني احتسيت ما يكفي.

وقالت آمي بصوت حاد: «ديك، أود أن أناقش بعض الأمور العائلية مع يوكي. حديث بين أم وابنتها. ما رأيك في أن تصحب هذا السيد إلى الشاطئ. سوف ننتهي في غضون ساعة».

«بكل تأكيد»، أجاب الشاعر وهو ينهض واقفاً على قدميه. طبع قبلة خفيفة على جبهة آمي، واعتمر قبعة من القماش ونظارة شمس راي بان. «أراك بعد ساعة. أتمنى لكما حديثاً ممتعاً». ثم اصطحبني من ذراعي وقادني إلى الخارج، وقال: «لدينا شاطئ رائع هنا».

هزت يوكي كتفها ونظرت إليّ نظرة غير مفهومة. كانت آمي على وشك أن تشعل سيجارة سليم ثالثة. تركنا المرأتين معا لحديثهما وخرجنا نتمشى تحت شمس ما بعد الظهيرة.

فيما كنت أقود اللانسر باتجاه الشاطئ، قال ديك إن القيادة يمكن ألا تمثل له مشكلة إن هو قام بتركيب ذراع صناعية. لكنه يفضل ألا يفعل ذلك. وشرح: «إنه غير طبيعي. لن أشعر بالراحة. ربما يكون أكثر ملاءمة لي أن تكون لدي واحدة، ولكني سأكون واعياً بها. لن تكون جزءاً مني. أحاول تدريب نفسي على أن أعيش بذراع واحدة. إنني مقيد في ما يمكنني القيام به، لكنني أقوم به على ما يرام».

– كيف يمكنك أن تشطر الخبز إلى شطائر؟

– «الخبز؟» أطرق لبرهة يفكر كما لو كان لم يعرف عما كنت أتحدث. «آه، شطر الخبز؟ ذلك سؤال معقول. ليست ثمة صعوبة كبيرة فيه. أستخدم يد واحدة بالطبع، لكني لا أمسك السكين بالطريقة

المعتادة. سيكون الأمر غير مفيد إن فعلت ذلك. إن المهارة هنا أن تثبت الخبز في مكانه بأصابعك وأنت تحرك نصل السكين هكذا».

أوضح ديك لي ذلك بيده، بيد أنني لو ظللت أحاول طوال حياتي أن أتخيل كيف يمكن لهذه الطريقة أن تنجح على أرض الواقع لما استطعت. ولكني رأيت نتائج عمله اليدوي. الشطائر التي قطعها كانت أفضل بكثير من تلك التي يقوم بها معظم من لديهم ذراعان.

وقال مبتسماً: «يمكنني عمل معظم الأشياء بيد واحدة. لا أستطيع أن أصفق. لكن أستطيع أن أقوم بتمرين الضغط بذراع واحدة وأنا منبطح على الأرض. يحتاج الأمر إلى ممارسة، ولكنه ليس مستحيلا. كيف تظن أنني شطرت الخبز؟».

– لست أدري، ربما استخدمت قدميك.

استدعى ذلك ضحكة منه. وقال: «فكرة ذكية. يجب عليّ أن أنظم قصيدة شعر حول ذلك. الشاعر ذو الذراع الواحدة يعد الساندويتشات مستخدماً قدميه. فكرة ذكية جداً».

لم أعرف إن كان عليّ أن أوافقه أم لا.

توقفنا بالسيارة في الطريق إلى الشاطئ واشترينا بعض البيرة، ثم مشينا إلى منطقة مهجورة من الشاطئ. رقدنا على الأرض واحتسينا الكثير من البيرة، ولكن الطقس كان حاراً جداً، لذا بدا أن البيرة لم تؤثر في دماغي.

لم يكن الشاطئ يحمل أياً من صفات شواطئ هاواي. أشجار شيلة، رمال غير مستوية، أحياناً صخرية، ولكنها على الأقل كانت بعيدة عن مسارات السياح. القليل من سيارات النقل كانت متوقفة بالقرب من المكان، بعض العائلات المحلية تتجوّل، المصطافون

منهمكون في أنشطتهم. كانت السحابة التي تشبه جمجمة إنسان جاوة ما زالت في مكانها، طيور النورس كانت تحوم فوق المكان مثل رغوة متطايرة من غسّالة ملابس.

كنا نتحدث بشكل مرتجل. لم يكن ديك يحمل لآمي إلا الاحترام والرهبة. حسب مرات عديدة أنها فنانة حقيقية. حينما كان يتحدث عنها كانت يابانيته تتراجع أمام الإنجليزية. قال إنه لا يستطيع أن يعبر عن مشاعره باليابانية.

– منذ أن قابلتها، تغير تفكيري في الشعر. صورها تعرّي الشعر. أعني أننا هنا ننتقي كلماتنا، ونجدل الخيوط حتى نصنع مجازاً. ولكن مع صورها يكون التجسيد الفوري. من الهواء الخفيف والضوء وفي الفجوات التي بين اللحظات، تقبض على الأشياء. إنها تمنح الوجود المادي لأعماق النفس الإنسانية. هل تعرف ما أقصد؟

قلت متجاوزاً: «تقريباً».

– أحيانا ينتابني الخوف إن نظرت إلى صورها. أشعر بأن وجودي كله يصبح موضع شك. إن صورها طاغية. إنها عبقرية. ليست مثلي أو مثلك. سامحني، هذه وقاحة مني. إنني حتى لا أعرف أي شيء عنك.

هززت رأسي. «لا عليك. أفهم ما تريد أن تقول».

– «يندر أن تجد عباقرة. إنني لا أتحدث عن موهبة أو حتى موهبة من الدرجة الأولى. مع العبقرية أنت محظوظ لمجرد أن تقابلها وتراها أمام عينيك. ولكن...». توقف برهة وراح يفتح يده في إشارة إلى عجزه. «ولكن بمعنى من المعاني فإن التجربة قد تكون مثار ضيق شديد. أحياناً تكون مثل إبرة تخترق ذاتي مباشرة».

كنت أحدق في المحيط وأنا أستمع له. كان ركوب الموج في

ذلك الوقت صعباً، وكان الموج يتكسر بشدة. دسست أصابعي في الرمال الساخنة وقبضت على بعض الرمل ثم تركته ينزلق من بين أصابعي. المرة تلو المرة. وفي أثناء ذلك كان راكبو الموج قد تمكنوا من ركوب الموجة التي انتظروها حتى تُخرجهم من الماء.

واستطرد ديك: «ولكن هل تعرف، حتى مع تضحيتي بذاتي، فإن موهبتها تجتذبني. تجعلني أحبها أكثر. أحياناً أعتقد أنني قد اجتُذِبت نحو دوامة. لديّ زوجة بالفعل. إنها يابانية أيضاً. ولدينا طفل. إنني أحبهما. أحبهما كثيراً جداً. حتى في هذه اللحظة أحبهما. ولكن منذ أن التقيت آمي لأول مرة، شعرت بجاذبية نحوها مباشرة. لم أستطع مقاومتها. وكنت أعرف أن ذلك يحدث. كنت أعرف أن ذلك لن يحصل مرّة ثانية في هذه الحياة. كان ذلك حينما قررت – إذا ذهبت معها فسوف يأتي وقت أندم فيه على ذلك. ولكن إن أنا لم أذهب فسوف أفقد مفتاح وجودي. هل سبق أن انتابتك مشاعر مماثلة حول شيء ما؟».

أخبرته أن ذلك لم يحدث معي أبداً.

واستطرد ديك: «أمر غريب. لقد جاهدت كثيراً حتى أعيش حياة هادئة ومستقرة. زوجة وطفل ومسكن صغير ووظيفة. لم أكن أكسب الكثير من المال، ولكن العمل كان جديراً بأن أقوم به. كنت أكتب وأترجم وكانت الحياة جيدة بحسب ما أظن. فقدت ذراعي خلال الحرب وكان ذلك أمراً صادماً لي، ولكني عملت بجد حتى أستجمع نفسي ووجدت بعض السلام الداخلي وكانت الأمور تسير على ما يرام. وحينئذ وفي لحظة واحدة، ضاع كل شيء. لم يعد لديّ مكان أذهب إليه. لم يعد لديّ بيت في اليابان ولم يعد لي بيت في أمريكا. ابتعدت بي المسافات كثيراً».

أردت أن أقدم له بعض كلمات المواساة ولكن لم أعرف ماذا

أقول. واصلت القبض على الرمال وتركها تنزلق من بين أصابعي. نهض ديك وسار نحو بعض الأشجار حيث بال ثم عاد يسير ببطء.

قال مبتسماً: «إنه وقت الاعتراف. كنت أرغب في أن أخبر شخصاً ما. كيف ترى ذلك؟».

كيف يفترض أن يكون رأيي؟ لم نكن أطفالاً. إنك تختار مع من تنام، فإذا بدوامة أو إعصار أو عاصفة رملية تعصف بما اخترت.

لقد ترك ديك انطباعاً جيداً لدي. إنني أحترمه بسبب كل الصعوبات التي تغلب عليها بذراع واحدة. لكن ربما أن هذه الصعوبات قد تركت أثراً عميقاً لديه.

قلت: «يؤسفني أنني لست فناناً. لذا لا أستطيع أن أفهم حقاً ماذا يعني أن يكون للمرء علاقة ملهمة من الناحية الفنية. إن ذلك فوق قدراتي. اعذرني على ذلك».

بدا أن إجابتي قد أحزنت ديك، فراح ينظر نحو البحر. أغمضت عينيّ. فرحت في نوم خفيف. ربما بسبب البيرة. كانت الحرارة قد جعلتني أشعر بخفّة رأسي. كانت الساعة الثانية والنصف. هززت رأسي من جانب إلى جانب وجلست. كان ديك يلعب على حافة الشاطئ. شعرت باستياء. تمنيت لو أنني لم أجرح مشاعره.

ولكن ماذا كان ينبغي أن أقول؟

هل كنت متبلد المشاعر معه؟ بالطبع كان بإمكاني أن أبدي تقديراً لمشاعره. ذراع واحدة أو اثنتان، شاعر أو غير شاعر، إنه عالم قاس يجب علينا جميعاً أن نتعايش مع مشاكلنا. ولكن ألسنا كباراً؟ ألم نفعل كل ذلك بالفعل؟ على الأقل يجب ألا توجه أسئلة مستحيلة لشخص قابلته للتوّ. ذلك لم يكن لباقة منه.

دق ديك جرس الباب حينما عدنا وفتحت لنا يوكي الباب وعلى وجهها نظرة عابسة تماماً. كانت آمي جالسة على الأريكة والسيجارة بين شفتيها وهي تنظر في الفراغ كما لو كانت في جلسة تأمل بوذية. مشى ديك نحوها وطبع قبلة على جبينها.

سأل: «هل انتهيتما من الكلام؟».

قالت والسيجارة في فمها: «نعم».

قال ديك: «أمضينا وقتاً ممتعاً على الشاطئ، وذهبنا حتى حافة الكرة الأرضية وأمسكنا ببعض الأشعة».

قالت يوكي بصرامة: «يجب أن نذهب».

كان ذلك هو رأيي أيضاً. حان الوقت لأن نعود إلى عالم السيّاح الحقيقي في مدينة هونولولو.

نهضت آمي واقفة. «حسناً، زرنا مرة ثانية. أريد أن أراك». قالت وهي تقرص ابنتها قرصة خفيفة على وجنتها.

شكرتُ ديك على كرمه وساعدت يوكي على الصعود للسيارة فيما كانت آمي تمسك بذراعي وتقول: «لدي ما أقوله لك». وضعت سيجارة أخرى في فمها وهي تتكئ على مبنى التمارين الرياضية وبدا أنها مستاءة كونها يجب أن توقد عوداً من الثقاب حتى تشعلها.

بدأت تقول بجدية: «إنك شخص مهذب. يمكنني أن أقول لك ذلك. لذا سوف أطلب منك معروفاً. أريدك أن تحضر الطفلة إلى هنا قدر ما تستطيع من المرات. ليس لزاماً عليّ أن أخبرك أني أحبها. إنها طفلتي. أريد أن أراها أكثر من ذلك. هل تفهم؟ أريد أن أتحدث إليها. أريد أن أصادقها. أظن أن بإمكاننا أن نكون صديقتين، صديقتين جيدتين، حتى قبل أن أكون أنا الأم وهي البنت. لذا أريد أن أتحدث معها كثيراً خلال المدة التي ستمضيانها هنا».

نظرت إليّ آمي نظرة ذات مغزى.

لم أستطع التفكير في إجابة ملائمة. بيد أنه كان يتعين عليّ أن أقول شيئاً. «ذلك بينك وبينها».

قالت: «بالطبع».

قلت: «إذاً إن هي أرادت أن تراك فسوف يسعدني أن أحضرها إلى هنا، أو إن أردت أنت كوالدتها أن أحضرها إلى هنا فسوف أفعل. سواء بهذه الطريقة أو تلك. ولكن غير ذلك، فليس لي رأي. الأصدقاء لا يحتاجون إلى تدخّل طرف ثالث. الصداقة شيء طوعي. على الأقل هذه هي الطريقة التي أعرّف الصداقة بها».

فكّرت آمي في ما قلت.

استطردتُ: «أنت تقولين إنك تريدين أن تكوني صديقتها. ذلك أمر جيد. ولكن قبل أن تكوني صديقة يوكي، فأنت والدتها أحببتِ ذلك أم لم تحبي. إن يوكي في الثالثة عشرة. إنها تحتاج إلى أمّ. إنها تحتاج إلى شخص يحبها، ويضمّها ويمكث معها. أعرف أنه ليس من حقي أن أقول مثل ذلك الكلام. لكن يوكي لا تحتاج إلى صديقة بعض الوقت. إنها تحتاج إلى مَنْ يقبلها مئة بالمئة. ذلك هو ما تريده أولاً».

قالت آمي: «إنك لا تفهم».

قلت: «بالتأكيد إنني لا أفهم. ولكن دعينا نستوضح الأمر. إن يوكي ما زالت طفلة وقد لحق بها الأذى. يجب أن يكون هناك شخص يحميها. إنها مثيرة للمتاعب ولكن ثمة شخص عليه أن يفعل ذلك. تلك هي المسؤولية. ألا تستطيعين فهم ذلك؟».

قالت: «إنني لا أطلب منك أن تحضرها إلى هنا كل يوم. فقط حينما تريد هي أن تأتي. سوف أتصل بكما بشكل منتظم. لأنني لا

أريد أن أفقد تلك الطفلة. بهذه الطريقة التي تسير بها الأمور فإنها سوف تبتعد عني حينما تكبر. أفهم ذلك، لذا ما أسعى إليه هو الحفاظ على روابط نفسية. أريد رباطاً يجمعنا. أعرف أنني ربما لم أكن أماً عظيمة. ولكن يتعين عليّ أن أقوم بالكثير قبل أن أكون أماً. ليس بالإمكان فعل شيء إزاء ذلك. إنها تدرك ذلك. لهذا السبب فإن ما أريده هو علاقة تتجاوز علاقة أم وابنتها. ربما يمكنك أن تسميها صداقة دم».

في طريق عودتنا، كنا نستمع للراديو في السيارة. لم نتحدث. كنت أصفّر من حين لآخر، ولكن ما عدا ذلك كان الصمت هو سيد الموقف. كانت يوكي تحدق بنظرتها إلى خارج نافذة السيارة، مشيحة بوجهها عني. ظل ذلك على مدى خمس عشرة دقيقة. بيد أني كنت أعرف أن ثمة شيئاً سيحدث. قلت لنفسي بكل وضوح: يستحسن أن توقف السيارة في مكان ما.

لذا كان ذلك هو ما فعلته. أوقفت السيارة داخل مرآب خاص بالشاطئ. سألت يوكي عن مشاعرها. سألتها إن كانت تريد أن تشرب شيئاً. فقالت لا شيء.

كانت هناك فتاتان ترتديان بذلتي سباحة متماثلتين تمشيان ببطء أسفل أشجار النخيل. كانتا تمشيان بخطوات أشبه بقطتين تسيران فوق سور.

نظرت إلى السماء. أمّ تريد أن تصادق ابنتها. والبنت تريد أمّاً أكثر مما تريد صديقة. السفن تمرّ في وضح النهار. الأم تعيش مع صاحبها. شاعر متشرد بذراع واحدة. الأب أيضاً يعيش مع صاحب. بوي فرايداي المثلي الجنس. ماذا بقي للبنت؟

بعد عشر دقائق بدأَتْ. في البداية انتحَبَتْ انتحاباً ناعماً، ولكن بعد ذلك انهار السد. وضعت يديها في حجرها وغمرت أنفها في كتفي، وراح جسمها النحيف يرتجف. ابكي، اتركي لدموعك أن تخفّف عنك. لو كنت في مكانك لبكيت أيضاً.

وضعتُ ذراعيَّ حولها. راحت تبكي. ظلت تبكي حتى ابتل كمّ قميصي. بكت وبكت وبكت.

عبر شرطيان مرآب السيارات وهما يحملان مسدّسين. كانت أشجار النخيل تتمايل. مرّ كلب ألماني وهو يلهث من أثر الحر. خرج رجل من سيارة نقل ومشى برفقة صاحبته إلى الشاطئ. كان الراديو يعزف.

قالت وما زالت تسند رأسها إلى كتفي: «لا تناديني أميرة مرة ثانية».

سألتها: «وهل أنا فعلت ذلك؟».

- نعم، فعلت.

- لا أتذكر.

- حينما كنا عائدين من تسوجيدو تلك الليلة. لا تقلها مرة ثانية.

- لن أفعل. أعدك أني لن أفعل. أقسم ببوبي جورج ودوران دوران. لن أكرر ذلك أبداً.

- ذلك ما تناديني به أمي دائماً. أميرة.

- لن أناديك بهذا مرة ثانية.

- أمي تجرحني دائماً. ليس لديها أدنى فكرة عن ذلك. ولكنها تحبني.

- نعم إنها تحبك.

- إذاً ما الذي يجب أن أفعله؟

- الشيء الوحيد الذي يمكنك فعله هو أن تكبري.

- لا أريد ذلك.

قلت لها: «ليس ثمة طريق آخر. كل شخص يكبر شاء أم أبى. الناس يكبرون. تلك هي الطريقة التي يتعاملون بها مع الحياة. إنهم يتعاملون معها حتى يحين يوم موتهم. الحياة كانت دائماً هكذا. ودائماً ستظل هكذا. ولست أنت وحدك».

نظرت إليّ ووجهها مغطّى بالدموع. «ألا تؤمن بمواساة الناس؟».

- أنا أواسيك.

أزالت يدي عن كتفها وأخذت منديلاً من حقيبتها. «لديك شيء غير سويّ، هل تعرف ذلك؟».

عدنا إلى الفندق. سبحنا. وأخذنا دوشاً. ذهبنا إلى السوبرماركت واشترينا مواد غذائية لتجهيز العشاء. قمنا بشواء لحم مع البصل وصلصة الصويا، وعملنا سلطة وأعددنا شوربة ميسو بالتوفو والكراث. عشاء لذيذ. حتى إن يوكي احتست نصف قدح من خمر كاليفورنيا.

قالت يوكي: «لستَ ذلك الطاهي السيّئ».

- لا ليس حقيقياً. إنني فقط أضع قلبي في الطعام. ذلك هو الفرق. إنها مسألة شعور. إذا كنت تعملين في شيء فإنه يمكنك عمله حتى نقطة معينة. أما إذا كنت تعملين لأنك سعيدة، فإنه يمكنك أن تقومي بذلك حتى نقطة أبعد.

- وفوق ذلك، لا شيء تستطيع عمله؟

قلت: «أي شيء أكثر من ذلك هو مجرد حظ».

- إنك تعرف كيف تصيب الناس بالاكتئاب حقا، أليس كذلك؟ هل ذلك هو ما تسمّيه أن يكون الشخص بالغاً؟

غسلنا الأطباق ثم خرجنا نتمشى في شارع كالاكاوا حيث كانت الأنوار ساطعة. تفقدنا البضائع التي لدى بعض المتاجر غير التقليدية وطالعنا ملابس المارة وأخذنا قسطاً من الراحة في حديقة فندق هاواي الملكي. طلبت شراباً (بينا كولادا) فيما طلبت يوكي عصيراً. تذكرت ديك نورث وكيف أنه يكره الضجيج الذي يصاحب ليالي المدن. لكني لا أبالي بذلك كثيراً.

سألتني حينما وصل الشراب: «ما رأيك في والدتي؟».

قلت بعد برهة: «بأمانة لا أعرف. الأمر يحتاج مني إلى وقت حتى أضع كل شيء في الاعتبار وأصدر حكماً. يؤسفني أنني لست ذكياً جداً».

- ولكنها كادت تصيبك بالجنون، أليس كذلك؟

- آه، نعم.

قالت يوكي: «كل شيء كان ظاهراً على وجهك».

قلت وأنا أرتشف رشفة وأنظر إلى البحر في الليل: «ربما ذلك. أظن أنها قد ضايقتني قليلاً».

- تضايقت! من أي شيء؟

- من عدم الإحساس بالمسؤولية لدى الأشخاص الذي يتعيّن عليهم أن يوفروا لك الرعاية. ولكن ما الفائدة؟ من أنا لأعبّر عن انزعاجي؟ وكأن ذلك سوف يغيّر من الأمر شيئاً.

- أظن أن أحداً لا يعرف ماذا ينبغي عليه أن يعمل. إنهم يريدون أن يفعلوا شيئا، ولكنهم لا يعرفون كيف.

- لا أحد يعرف كيف.

- أنتَ، هل تعرف؟

- إنني في انتظار أن تتشكل إشارات، وحينئذ سوف أعرف ما الإجراء الذي عليّ اتخاذه.

قالت وهي تضبط رقبة الـ«تي شيرت» الذي تلبسه. «لا أفهم ما تقول».

شرحت لها: «كل ما عليك عمله هو الانتظار. اجلسي صامتة وانتظري اللحظة المناسبة. لا تحاولي أن تغيري شيئاً بالقوة. اكتفي بمشاهدة توالي الأشياء. ابذلي جهداً وراقبي كل شيء. إذا فعلت ذلك، فسوف تعرفين تلقائياً ما الذي يجب عليك عمله. لكن كل شخص يبدو مشغولاً للغاية. إنهم موهوبون للغاية، وجداول أعمالهم متخمة للغاية».

وضعت يوكي كوعها على المائدة، وراحت تمسح كسرات الخبز من على المفرش. جذبَتْ شرابي من بينا كولادا وأخذت رشفة سريعة.

وصاحت: «لذيذة».

- صوتان يُجمعان على أنها لذيذة. إذاً أقر الحُكم.

حدقت يوكي في وجهي وقالت: «ماذا بك؟ لا أستطيع فهمك. في لحظة تكون مثالاً للعقل وفي اللحظة التالية تكون مجنوناً من رأسك حتى أخمص قدميك».

أجبتُ: «إذا كنت عاقلة فهذا يعني أنك مجنونة. لذا لا تقلقي بشأن هذا الموضوع». ثم طلبت قدحاً آخر من البينا من النادلة التي كانت في غاية الابتهاج. ذهبت وعادت بالشراب ثم تلاشت وتركت وراءها ابتسامة عريضة.

- ليس سهلاً أن نكون صديقين».

قلت: «أوافقك في ذلك. الحصول على صوتين ليس سهلاً أيضاً».

بعدما اتكأت بكوعيها على المائدة، رمقتني بنظرة متشككة.

- وما هو رأيك في طريقة تفكير أمي؟

- رأيي لا يهم. السؤال هو: ما رأيك أنت؟ ربما ترين أنه تفكير بالتمني من جانبها. أو ربما ترين أن موقفها إيجابي ويستحق النظر فيه. الأمر كله يتوقف عليك. ولكن لا تتخذي قررات متعجلة. يجب أن تأخذي وقتاً كافياً للتفكير في الموضوع.

أسندت يوكي ذقنها إلى يدها. وقالت: «إننا لا نعمل بشكل جيد الآن. قبل الانتقال إلى سابورو كان الوضع أسوأ. كانت إلى جانبي بشأن عدم الذهاب إلى المدرسة. كانت الحالة فوضى حقيقية. بالكاد كنا نتكلم معاً. ولكن مع ذلك لم تكن أمي تفكر كما يفكر الأشخاص الطبيعيون. إنها تقول كل ما يرد بخاطرها ثم تنساه مباشرة بعد قوله. تكون جادة وهي تقوله، ولكن بعد ذلك تبدو وكأنها لم تقل أي شيء. ثم بعد ذلك ومن دون مقدمات تجدها تريد أن تلعب دور الأم مرة أخرى. ذلك هو ما يضايقني حقاً».

حاولت أن أقاطعها: «ولكن...».

- «ولكنها مثيرة للاهتمام. إنها لا تشبه أي شخص آخر في العالم. ربما تكون أسوأ أم، وقد دمرتني حقاً، لكنها مع ذلك تظل مثيرة للاهتمام. ليست مثل أبي. لا أعرف ماذا أقول. إن لها حضوراً طاغياً وشخصيتها قوية. وأنا مجرد طفلة. والكل يمكنه أن يرى ذلك، إلا هي. أمي تقول إنها تريد أن تكون صديقتي، وكلما حاولَتْ، جرح ذلك مشاعري. كانت تلك هي الوتيرة التي سارت عليها الأمور في سابورو. كانت تحاول التقرّب مني، حاولَتْ بالفعل. لذا بدأتُ أتقرب

منها أيضاً. صدقني حاولت. ولكن رأسها دائماً متخم بالأشياء. ثم يكون الشيء التالي الذي أعرفه هو أنها ذهبت». قالت يوكي ذلك وألقت بكسرات الخبز التي جمعتها بيدها على الرمل.

«والآن إذا لم يكن ذلك حمقاً، ماذا يكون إذاً؟ أنا أحب أمي. أظن أني أحبها. وأظن أنني لن أمانع في أن نكون صديقتين. إنني فقط لا أحب أن يتم فرض كل شيء عليّ. أكره ذلك.

قلت: «كل ما تقولينه صحيح. ومفهوم تماما».

- لكنه ليس مفهوماً لأمي. لن تفهم ذلك إذا حاولت أن تشرح لها كل ذلك.

- لا، لا أظن ذلك.

بزغ فجر اليوم التالي بإشراقة شمس رائعة في هاواي. تناولنا الإفطار ثم ذهبنا إلى الشاطئ أمام الشيراتون. استأجرنا زلاجات وحاولنا أن نركب الموج. استمتعت يوكي كثيراً حتى إننا ذهبنا بعد ذلك إلى متجر واشترينا زلاجتين مستعملتين. سألنا البائع إن كنا أخاً وأخته. فقلت له نعم. ابتهجت بأننا لم نكن نشبه أباً وابنته.

في الساعة الثانية عدنا إلى الشاطئ. استمتعنا بالشمس، وسبحنا، واستمعنا للراديو، وشاهدنا الناس واستمعنا إلى صوت الرياح حينما تحف بأشجار النخيل. أخذت الشمس مسارها المعهود ببطء. حينما غابت الشمس، عدنا إلى غرفتينا حيث أخذنا دوشاً وتناولنا بعض المعكرونة والسلطة ثم ذهبنا بعد ذلك لمشاهدة فيلم لسبيلبيرغ. بعد الفيلم تمشينا إلى أن وصلنا إلى بار بجوار حمام سباحة هاليكولاني حيث احتسيت شراب البينا كولادا مرة أخرى، فيما تناولت يوكي عصيرها المعتاد.

قالت يوكي: «أشعر بالرغبة في النوم مرة ثانية». ولكن في هذه المرة عادت بمفردها إلى غرفتها. ثمة تقدم أُحرز.

عندما عدت إلى غرفتي فتحت قنينة خمر وشاهدت فيلم «علّقهم إلى أعلى» لكلينت إستوود. حينما وصلت إلى الكأس الثالثة شعرت برغبة شديدة في النوم فتوقفت عن كل شيء وتهيّأت للنوم. يوم رائع آخر في هاواي.

بعد خمس دقائق من التمدد على السرير، دق جرس الباب. كان الليل يوشك أن ينتصف. أمر مفزع. ماذا كانت يوكي تريد الآن؟ ارتديت ملابسي واتجهت صوب الباب فيما كان الجرس يدق مرة أخرى. فتحت الباب فإذا بها ليست يوكي على الإطلاق. بل كانت فتاة شابة جذابة.

قالت الفتاة: «مرحباً».

قلت: «مرحباً».

قالت بلهجة خفيفة: «اسمي جوون». بدا أنها من جنوب شرق آسيا، ربما من تايلاند أو الفلبين أو فيتنام. ضئيلة الجسم وذات عينين سوداوين واسعتين. كانت ترتدي ملابس أنيقة قرنفلية اللون وذات لمعان. كانت حقيبتها وحذاؤها أيضاً بلون قرنفلي أيضاً. كانت تربط حول معصمها الأيسر وشاحاً قرنفلي اللون. وضعت يداً على الباب وهي تبتسم.

قلت: «مرحباً جوون».

قالت وهي تشير بإصبعها خلفي: «هل يمكنني أن أدخل؟».

– لحظة من فضلك. لا بد أنك أخطأت في العنوان. أي غرفة تريدين؟

أجابت وهي تسحب قطعة من الورق من حقيبتها اليدوية: «ثانية واحدة. السيد. . . » أظهرت لي الورقة.

– ذلك هو أنا.

– إذاً لا يوجد خطأ؟

– لا يوجد خطأ. ولكن مهلاً. أنا الشخص الذي تريدين، ولكني لا أعلم من تكونين، وما الذي يجري؟

– اسمح لي بالدخول أولاً. الناس يسمعوننا هنا. سوف يظن الناس أشياء غريبة. لا مشكلة. كل شيء على ما يرام. لا مسدسات. ولا اختطاف. هل اطمأننت؟

سوف نوقظ يوكي فعلاً إذا واصلنا كلامنا هذا في الردهة. تركتُ جوون تدخل.

سألتها إن كانت ترغب في شراب شيء. قالت إنها سوف تشرب ما أشرب. مزجت التونيك مع الجن ووضعت الشراب على الطاولة التي بيننا. وضعت ساقاً على ساق بجرأة وهي تقرب الشراب من شفتيها. يا لهما من ساقين جميلتين.

– حسناً، جوون، لماذا أنتِ هنا وماذا تريدين؟

قالت بتلقائية: «جئت لأسعدك».

– ومن طلب منك المجيء؟

هزت كتفيها وقالت: «صديق لك ولا يريد الكشف عن اسمه. لقد دفع بالفعل. دفع من اليابان. دفع لحسابك. هل فهمت؟».

ماكيمورا. لا بد أنه ماكيمورا. أي عالم هذا؟ كل الناس يريدون أن يشتروا لي نساء.

قالت يوكي وهي ترفع ساقها لتخلع حذاءها القرنفلي ذا الكعب

العالي: «دفع لليلة كاملة. حتى يمكننا الاستمتاع». ثم بعد ذلك رقدت على الأرض بطريقة مثيرة للغاية.

قاطعتها: «معذرة، لا يمكنني الدخول في ذلك».

- لماذا؟ هل أنت مثليّ الجنس؟

- لا، لست مثلياً. إنه اختلاف في الرأي بيني وبين السيد الذي دفع لك. يؤسفني جوون. لا يمكنني قبول ذلك.

- ولكني حصلت على المال. ولا أستطيع أن أرده ثانية. هل يهمه إذا كنا سنتضاجع معاً أم لا؟ لن أتصل عبر البحار لأقول له «نعم سيدي، تضاجعنا ثلاث مرات».

تنهّدتُ.

قالت ببساطة: «دعنا نقوم بذلك. سوف تستمتع».

لم أكن أعرف ماذا أقول. قدم واحدة في أرض الأحلام بعد يوم طويل، ثم فجأة تظهر واحدة لا تعرفها تقول لك «هيا بنا نتضاجع». ما هذا الذي يجري؟

- سنأخذ كأساً أخرى من الشراب، اتفقنا؟

وافقتها. جهزت الشراب وقامت بتشغيل الراديو. راحت تتلفظ ببعض الكلمات اليابانية للتأثير عليّ. تمددت وكأنها في بيتها. ثم أخذت ترتشف الشراب وهي تتكئ عليّ. قالت: «لا تفكر أكثر من اللازم». وكأنها تقرأ ما يدور في ذهني. «أنا مثيرة للغاية. أعرف الكثير. لا تفعل أي شيء من جانبك. سوف أقوم أنا بكل شيء. السيد الياباني ليس معنا الآن. لا يوجد سوى أنا وأنت».

مررت جوون أصابعها فوق صدري. كانت ممانعتي تضعف بشكل متواصل. أخذ الأمر يبدو وكأنه سهل تماماً. لو أستطيع فقط أن أتقبل فكرة أن ماكيمورا قد اشترى لي بائعة هوى. ولكنه فقط جنس. انتصاب، فإدخال، فقذف. هذا هو كل ما في الأمر.

قلت: «حسناً. هيا بنا نفعلها».

صاحت جوون مستغربة: «هكذا يكون الرجال!» وراحت تزدرد شرابها.

- لكنّي اليوم متعب جداً ولا داعي لأي حركات من نوع خاص.

- سوف أقوم بكل شيء. أما أنت فعليك فقط شيئان.

- ما هما؟

- أطفئ الأنوار. وفك الوشاح القرمزي.

فعلت ذلك. دلفنا إلى غرفة النوم. خلعت جوون ملابسها في لمح البصر، ثم راحت تنزع عني ملابسي. ربما لا تشبه ماي، لكنها كانت ماهرة في وظيفتها وتفخر بما لديها من مهارات. كانت تمرر لسانها وأصابعها على كل أنحاء جسمي. أوصلتني للانتصاب ثم جعلتني أصل للذروة على إيقاع أغنية «فورينر» على الراديو. لقد بدأت الليلة لتوها.

- هل كان ذلك جيداً؟

تمتمتُ: «جداً».

أخذنا جولة أخرى من الشراب.

فجأة خطرت لي فكرة. «جوون، الشهر الماضي ألم تري ماي هنا؟».

انفجرت جوون ضاحكة[15]: «يا لك من رجل مضحك. إنني أحب النكات. الشهر القادم ستكون يوليو، أليس كذلك؟».

---

(15) السبب وراء انفجار جوون من الضحك هو أن اسمها جوون ويكتب في الإنكليزية تماماً مثلما يكتب شهر يونيو، كما أنه يبدو أن نطقه لاسم «ماي» فتاة الهوى التي نام معها في منزل جوتاندا يشبه نطق شهر مايو/أيار أو May، فهي اسمها June بينما الفتاة السابقة كانت Mei وهو وإن كان اسماً يابانياً، لكن يبدو أنه ينطق بطريقة مشابهة لاسم الشهر الخامس من السنة الشمسية.

حاولت أن أخبرها أنها لم تكن نكتة، ولكن ذلك لم يفد في شيء. لذا لذت بالصمت. وحينما صمتّ راحت جوون تؤدي عملها بشكل احترافي. لم يكن يتعين عليّ فعل أي شيء، تماماً مثلما قالت. فقط كنت أتمدد هناك.

كانت سريعة وماهرة مهارة عاملة في محطة خدمة سيارات. ما عليك سوى الذهاب بالسيارة وتسليم المفاتيح. إنها تعتني بكل شيء: ملء الخزان، والغسيل، والتزييت، وفحص الزيت، وتفريغ الترسّبات. هل يمكنك أن تسمي ذلك جنساً؟ على أية حال، واصلنا ذلك حتى الثانية ونصف حينما نفد الغاز ونمنا. كان النهار قد طلع حينما استيقظنا. تركنا الراديو مفتوحاً. كانت جوون ترقد متكومة وعارية بجواري فيما كانت ملابسها القرنفليّة وحذاؤها ووشاحها على الأرض.

قلت لها: «هيّا، استيقظي. يجب أن تغادري المكان. هناك طفلة قادمة لتناول الإفطار».

تمتمت: «حسناً، حسناً». سحبت حقيبتها ومشت إلى الحمام عارية لتغسل أسنانها وتصفف شعرها.

حينما كانت جاهزة للرحيل، وضعت أحمر الشفاه في حقيبتها وأغلقتها بصوت مسموع. «إذاً، متي سآتي المرة التالية؟».

– مرة تالية؟

– لقد حصلت على مال مقابل ثلاث ليال. تضاجعنا الليلة الماضية وما زال أمامنا ليلتان. هل تريد فتاة غيري؟ ليس لدي مانع. الرجال يحبون النوم مع أكثر من فتاة.

– لا، إنك أنت ما أريد بالطبع». قلت بعدما لم أجد شيئاً آخر أقوله. ثلاث ليال؟ هل يريد ماكيمورا أن يستنفدني تماماً.

– أنت شخص لطيف. لن تندم. سوف أكون شرسة المرة القادمة. اتفقنا؟ يمكنك الاعتماد عليّ. الليلة بعد الغد، اتفقنا؟

قلت لها وأنا أسلمها عشرة دولارات للمواصلات: «اتفقنا».

– شكراً لك. إنك لطيف جداً. إلى اللقاء.

.

قمت بتنظيف المكان قبل وصول يوكي وتخلصت من كل العلامات التي قد تشي بما فعلت، ومن ضمنها الوشاح. ولكن ما إن دخلت يوكي إلى الغرفة حتى فاضت على وجهها علامات التجهم. عرفت مباشرة بما كان. تظاهرت بأني لم ألاحظ تصرفها ورحت أصفُر وأنا أعد القهوة والخبز وأضعهما على المائدة.

لم تنبس بكلمة أثناء الإفطار ورفضت الاستجابة لمحاولات جرّها للكلام.

وأخيراً وضعت كلتا يديها على المائدة وحملقت فيَّ وقالت:

– كانت لديك امرأة هنا الليلة 'الماضية، أليس كذلك؟

حاولت التهوين من شأن الموقف: «إن لديك القدرة حقاً على ملاحظة الأشياء؟».

– من هي؟ فتاة اصطحبتها من هنا أو هناك؟

– مهلاً. لست بهذا القدر من المهارة. لقد جاءت من تلقاء نفسها.

– لا تكذب عليّ. لا شيء يحدث من تلقاء نفسه هكذا.

قلت: «أنا لا أكذب. أقسم لك. لقد جاءت المرأة إلى هنا من تلقاء نفسها». حاولت أن أشرح لها: «ظهرت فجأة وتبَيَّن أنها هدية من والدك. ربما قصد من ذلك أن يجعلني أمضي وقتاً ممتعاً هنا، أو ربما ساوره بعض القلق وفكَّر أن جعلي مشبَعاً جنسياً سوف يجعلني بعيداً عن فراش ابنته».

قالت يوكي وهي غاضبة: «ذلك بالضبط هي الطريقة المريضة التي يفكر بها. لماذا يفكر دائما بهذا المستوى من الدناءة؟ إنه لا يفهم أبداً أي شيء. أمي مجنونة لكن رأس أبي في مؤخرته».

– نعم إنه لا يحالفه الصواب أبداً.

– إذاً لماذا سمحت لها بالدخول إلى هنا؟ تلك المرأة.

– لم أكن أعرف ما سيؤول إليه الموقف. لكن كان عليّ أن أتكلم معها.

– لكن لا تخبرني أنك . . .

– لم أكن بسيطاً جداً، أنا . . .

نفخت يوكي: «أنت لم . . !» ولمّا لم تسعفها الكلمات احمرّت خجلاً.

– إنها قصة طويلة. ولكن في واقع الأمر لم يكن أمامي خيار أن أقول لا.

أغمضت عينيها وضغطت بيديها على وجنتيها.

صرخت وصوتها يتقطع: «لا أصدق ذلك. لا أكاد أصدق أنك تفعل مثل هذا الشيء!».

حاولت الدفاع عن نفسي: «بالطبع رفضت في بادئ الأمر. ولكن في النهاية ماذا كان بإمكاني أن أقول؟ استسلمت. لم تكن مجرد امرأة بالرغم من أنها امرأة. كانت أباك وأمك والنفوذ الذي يمارسانه على كل شخص يلتقيان به. فضلاً عن أن المرأة لم تكن بالصفقة الخاسرة».

بكت يوكي: «لا أكاد أصدق أنك تقول ذلك. هل تسمح لأبي أن يشتري لك امرأة؟ ولا ترى في ذلك شيئاً؟ إن ذلك مخز جداً، ذلك خطأ. كيف يمكنك ذلك؟».

كانت محقّة.

قلت: «إنّكِ محقّة».

– ذلك أمر مخز جداً جداً.

– أعترف بذلك. إنه مخز جداً جداً.

ذهبنا إلى الشاطئ ومارسنا رياضة ركوب الأمواج حتى الظهيرة. خلال ذلك الوقت كله لم تتكلم يوكي بكلمة واحدة. ولما سألتها إن كانت تريد الغداء، أومأت. هل تريدين أن نأكل في الفندق؟ هزت رأسها. «هل تريدين أن نأكل بالخارج؟» أومأت. بعد المزيد من هذا الحوار غير اللفظي استقررنا على أن تناول السجق وأن نجلس بالخارج ونفترش الحشيش بالقرب من فورت دي روسي. ثلاث ساعات ولم تنبس بحرف.

لذلك قلت: «في المرة القادمة سوف أقول لا».

خلعت نظارتها الشمسية وحدقت فيّ كما لو كنت شخصاً خليعاً. على مدى ثلاثين ثانية كاملة. رفعت شعرها المنسدل على جبهتها وقالت غير مصدقة: «المرة القادمة! ماذا تعني بالمرة القادمة؟».

حاولتُ جاهداً أن أشرح لها كيف أن والدها قد دفع بشكل مسبق لليلتين أخريين. ضربت يوكي الأرض بقبضة يدها. «لا أصدق هذا. هذا شيء مقزّز فعلاً».

– لا أقصد أن أضايقك يا يوكي ولكن فَكرّي في الأمر بهذه الطريقة. إن والدك على الأقل يبدو قلقاً. أقصد أني ذكر مثل كل الذكور، وأنت أنثى غضّة وفي غاية الجمال.

صرخت يوكي وهي تقاوم الدموع: «مقزّز فعلاً».

هرعت إلى الفندق ولم أرها حتى المساء.

(30)

في هاواي. عشت أياماً كانت هي النعيم بعينه. كانت فاصلاً من السلام. حينما حضرت جوون لتسديد القسط التالي، تظاهرت بأن حمّى قد أصابتني ورددتها بشكل مهذب. استخرجتْ قلم رصاص من حقيبتها ودوّنت رقم هاتفها على ورقة وقالت إنه يمكنني أن أتصل حينما أشعر بأني مستعد لذلك. ودّعتني وغادرت وهي تهز كفليها في غروب الشمس.

اصطحبت يوكي إلى أمها مرات قليلة أخرى. تمشيت مع ديك نورث على الشاطئ، وسبحت في حمام السباحة معه. كان ديك يسبح بشكل مدهش. إن كونه بذراع واحدة لم يكن له أثر يذكر. تحدثت يوكي وأمها وحدهما، لكن عن ماذا، لست أدري. لم تحدثني يوكي عن ذلك، وأنا لم أسألها.

في مرة من المرات ألقى عليّ ديك بعض قصائد روبرت فروست. لم يكن فهمي للإنجليزية جيداً بما يكفي، ولكن طريقة إلقائه كانت وحدها كفيلة بإيصال معنى الشعر الذي تدفق منه منغّماً ومفعماً بالمشاعر. صودف أيضا أن رأيت بعضاً من صور آمي التي لم تكن قد جفت بعد. صور لوجوه من هاواي. وجوه عادية، ولكن بين يديها تصبح الصور حية ومفعمة بحيوية الجزيرة الصادقة. كان فيها دنيوية وبهيمية تجفف الدم في العروق، وإيحاءات جنسية. قوية

ولكنها متواضعة. نعم كانت آمي تمتلك موهبة. ليست مثلي ومثلك كما سبق وقال ديك.

كان ديك يعتني بآمي مثل عنايتي بيوكي. لكن اهتمامه بالطبع كان أكثر شمولية. كان ينظف البيت ويغسل الملابس ويطهو الطعام ويقوم بالتسوق. يتلو عليها الشعر ويقول النكات ويطفئ سجائرها ويحرص على مدها بالتبغ ويتأكد أنها غسلت أسنانها، ووضعت صورها في ملفات وأعدت الكتالوج المكتوب لجميع أعمالها. كل ذلك بيد واحدة. لم أكن أعرف كيف يجد هذا المسكين الوقت لكي يَنْظُم الشعر. ولكن من أنا حتى أتكلم في ذلك؟ إنني أخرج في رحلة مدفوعة من والد يوكي، وفوقها فتاة ليل تُلقَى أمامي.

في الأيام التي لم نكن نزور فيها والدة يوكي، كنا نمضي اليوم في ركوب الموج واللعب على الشاطئ ونذهب للتسوق وندور بالسيارة حول الجزيرة. في المساء كنا نخرج نتمشى ونذهب إلى السينما، ونشرب بينا كولادا وعصير الفاكهة. كان لدي ما يكفي من الوقت لطهو الطعام إن شعرت برغبة في ذلك. أمضينا وقتاً ممتعاً وتركت الشمس علينا أثراً برونزياً جميلاً. اشترت يوكي بكيني يحمل رسومات هاواي من أحد المتاجر في الهيلتون وكانت وهي تلبسه أشبه بفتاة حقيقية من هاواي. كانت ماهرة في ركوب الموج بل كانت تتغلب على الموجات التي تعجزني أنا. حينما تركتها وحدها على الشاطئ اقترب منها بعض الأشخاص محاولين مدّ حوار معها. ولكن يوكي لم تكن تعرف كلمة واحدة بالإنجليزية، لذا لم يكن صعباً عليها أن تتجاهلهم. وكانوا ينصرفون ساخطين حينما أعود.

سألتني يوكي: «هل يكون لدى الأولاد فعلاً رغبة كبيرة نحو البنات؟».

- نعم. ولكن هذا يتوقف على الشخص بالطبع. وبصفة عامة أظن أن باستطاعتك القول إن الرجال يشتهون النساء. لديك معرفة عن الجنس، أليس كذلك؟

قالت يوكي باقتضاب: «أعرف ما فيه الكفاية».

شرحت لها: «حسناً، الرجال لديهم تلك الرغبة الجسدية للنوم مع النساء. إنه شيء طبيعي. حفظ النوع».

- لا يهمني حفظ النوع. لا أريد أن أعرف عن العلوم والنظافة. أريد أن أعرف عن الحافز الجنسي. كيف يعمل؟

قلت: «حسناً، افترضي أنك طائر، وكان الطيران يجعلك تشعرين بالسعادة. ولكن كانت هناك ظروف بعينها، فيما عدا في حالات نادرة، تمنعك من الطيران. لا أعرف ولكن لنقل، ظروف جوية سيئة، أو اتجاه الرياح أو الأشياء الموسمية. فكلما طالت المدة التي لم تطيري فيها، احتجت أكثر للطيران وسوف تتراكم الطاقة داخلك وتجعلك سريعة الغضب. وتشعرين أنك مثل زجاجة ممتلئة أو شيء من هذا القبيل. تشعرين بالضيق وربما حتى بالغضب. هل فهمتِ ما أقول؟».

قالت: «فهمت. دائماً أشعر بذلك».

- حسناً، هذا هو الحافز الجنسي لديك.

- إذاً متى كانت آخر مرة مارست الطيران فيها؟ أعني قبل أن يشتري لك أبي تلك المومس.

- في نهاية الشهر الماضي.

- هل كانت جيدة؟

أومأت.

- هل دائماً يكون جيداً؟

قلت: «لا، ليس دائماً. ضعي شخصين كلاهما يعاني من نقص ما وسوف لا تسير أي من الأمور بشكل صحيح. قد تطيرين بشكل جيد وسهل، وفجأة تجدين نفسك أمام شجرة ضخمة لم تريها من قبل، فيحدث الاصطدام».

تأملت يوكي في ذلك. ربما كانت تتخيل طيراً يطير في أعلى السماء، وغير مدرك تماماً للخطر الذي أمامه مباشرة. هل كان ذلك أسلوب شرح سيّئاً أم ماذا؟ هل ستأخذ الأشياء على المحمل السيّئ؟ ما هذا الذي فعلته، كانت ستكتشف ذلك بنفسها قريباً.

واصلتُ شرحي لها: «إن فرصة أن يتم تصحيح الأشياء بشكل تدريجي تتحسن مع العمر. تكتسبين المهارة وتتعملين قراءة أحوال الطقس والرياح. ومن جهة أخرى يتضاءل دافع الجنس مع العمر. تلك هي الطريقة التي تسير بها الأمور».

قالت يوكي: «أمر مثير للشفقة».

- نعم، مثير للشفقة.

هاواي. كم يوماً أمضيتها في الجزيرة؟ تلاشى مفهوم الزمن من رأسي. اليوم يعقب الأمس والغد يعقب اليوم. الشمس تشرق وتغرب، القمر يطلع ويغيب، اليوم مد وغداً جَزْر.

سحبت مدوّنة مواعيدي وتفحصت الروزنامة. كنا قد أمضينا عشرة أيام في هاواي. كنا نقترب من نهاية أبريل. ألم أكن أنوي قضاء أسبوع واحد هناك؟ أم أنها كانت شهراً؟ أيام من ركوب الموج وشراب البينا كولادا.

ولكن كيف وصلت إلى هذه البقعة من العالم؟ بدأ الأمر معي بالبحث عن كيكي فيما عدا أنني لم أكن أعرف اسمها في ذلك

الوقت. استرجعت خطواتي إلى سابورو ومنذ ذلك تتوالى الشخصيات الغريبة الواحدة تلو الأخرى. والآن انظر إليّ وأنا أستظل بشجرة جوز الهند وفي يدي شراب استوائي وأستمع إلى كالابانا.

ماذا حدث عبر الطريق؟ ماي قُتلت. حقق معي رجال الشرطة. ترى ماذا حدث في قضية ماي؟ هل توصل المحققون لهويتها؟ وماذا عن جوتاندا؟ كيف هو الآن؟ في المرة الأخيرة التي رأيته فيها كان متعباً وفي حالة يرثى لها. تركنا كل شيء معلّقاً آنذاك.

في القريب العاجل سوف يتعين عليّ العودة إلى اليابان. بيد أنه كان أمراً صعباً أن أخطو الخطوة الأولى في هذا الاتجاه. كانت هاواي هي المتنفس الأول والحقيقي بعيداً عن التوتر، لكل من يوكي وأنا. يوماً وراء يوم لم أكن تقريباً أفكر في أي شيء. لا شيء سوى السباحة والتمدد في الشمس والتنزه حول الجزيرة بالسيارة أثناء الاستماع إلى ذاستونز وبروس شبرنجستين والمشي في ضوء القمر على الشاطئ والشراب في بارات الفنادق.

كنت أعرف أن ذلك لا يمكن أن يستمر إلى الأبد. ولكن لا يمكنني أن أترك ذلك. ولا يمكنني أن أتحمل أن تعود يوكي إلى حالتها العصبية السابقة.

كانت حجة متقنة بالنسبة لي. انقضى أسبوعان.

ذات يوم وقبل الغسق بقليل، توجهت بالسيارة أنا ويوكي إلى قلب المدينة هونولولو. كان المرور سيئاً بيد أننا لم نكن في عجلة من أمرنا وكنا راضين بمجرد التسلي بما يحدث على الطرق الجانبية. هونولولو، كم هي مدينة مسلّية. مليئة بالبضائع الرخيصة والأماكن التي تقدم طعاماً شهياً. ولكن ليس فيها مكان واحد يمكن لفتاة أن تمشي فيه بمفردها.

بمجرد خروجنا من وسط المدينة باتجاه المرفأ كانت البنايات تصبح أندر وأقل جاذبية. كانت هناك بنايات مكاتب ومخازن ومقاه ثمة أحرف مفقودة من لوحاتها الخارجية، كما كانت الحافلات تغص بركابها العائدين من أعمالهم إلى بيوتهم.

كان ذلك حينما طلبت يوكي أن تشاهد فيلم «إي تي»[16] (E.T.) مرة ثانية.

قلت لها: «حسناً، بعد العشاء».

فقالت إنه فيلم رائع وتمنت لو أنني كنت مثل «إي تي»، وعندئذ لمست جبهتي بإصبعها، السبابة.

قلت لها: «لا تفعلي ذلك ثانية. لن أشفى أبداً».

وهو ما أضحكها.

كان ذلك حينما حدث ما حدث.

حينما يتصل شيء ما داخل رأسي فيحدث صوتاً عالياً. ثمة شيء حدث، بالرغم من أنني لم أكن أعرف حينئذ ماذا يكون.

كان يكفي لأن يجعلني أضرب بقوة على كابح السيارة بشكل مفاجئ، مما جعل السيارة التي خلفي تشغل آلة التنبيه بشدة ويمطرني قائدها بالشتائم حينما مر بجوارنا. لقد رأيت شيئاً يتصل. فقط الآن. شيئاً في غاية الأهمية.

«ماذا جرى؟» قالت يوكي أو هكذا تخيّلت أنها قالت.

ربما لم أسمع شيئاً. لأنني كنت مستغرقاً في التفكير في تلك اللحظة. كنت مستغرقا في التفكير في أنني رأيتها لتوّي. كيكي. لقد رأيت كيكي لتوّي. في قلب مدينة هونولولو. كانت هنا! لماذا؟ لا بد

---

(16) فيلم خيال علمي أمريكي يدور حول صداقة تقوم بين صبي ومخلوق تدفع به الظروف لأن يوجد على الأرض ويسمى «إي تي».

أنها هي؟ قدت السيارة للأمام حتى ألحق بها وألمسها. كانت تمشي في الاتجاه المعاكس، بجوار السيارة مباشرة.

- «اسمعي، أغلقي كل النوافذ وأقفلي كل الأبواب. لا تغادري السيارة. ولا تفتحي لأي شخص. سوف أعود بسرعة». قلت ليوكي ثم قفزت من السيارة.

- تمهل، لا تتركني هنا!

ولكني كنت أجري بمحاذاة الرصيف وأصطدم بالمارة وأدفعهم بعيداً عن طريقي. لم يكن لدي وقت حتى أكون مهذباً. كان عليّ اللحاق بها. كان يجب أن أوقفها وأن أتحدث إليها. لقد وجدتها. عدوت بمحاذاة ثلاث كتل سكنية، ثم رفعت رأسي. لمحتها في ملابس زرقاء، وتحمل حقيبة بيضاء في كتفها في بداية المساء. كانت عائدة لضجيج المدينة. تتبعتها رغم أن كثافة المارة على الرصيف كانت قد ازدادت. كانت هناك امرأة تبلغ ثلاثة أضعاف يوكي في حجمها وتسد عليّ طريقي. ولكني واصلت العدو محاولاً اللحاق بها. كانت كيكي تواصل السير. لم تكن سريعة أو بطيئة، وإنما تسير بسرعة طبيعية. بيد أنها لم تستدر لتنظر خلفها، أو حتى تنظر جانباً، أو تتوقف لتستقل حافلة وإنما فقط تمشي بشكل مستقيم. ربما يتبادر إلى ذهنك أنني سوف ألحق بها في أي لحظة الآن، ولكن المسافة بيننا لم تكن أبداً قليلة.

الشيء التالي الذي عرفته هو أنها انعطفت يساراً. كنت في أثرها بالطبع. كان شارعاً ضيقاً محاطاً ببنايات عادية قديمة. لم يكن لها أثر في أي مكان. توقفت وأنا ألهث. ما الذي يجري؟ كيف يمكنها أن تختفي مني مرة ثانية؟ ولكن كيكي لم تختف. وإنما كانت قد حجبتها عني حافلة كبيرة لأني وجدتها ثانية وهي تسير بالإيقاع نفسه على الرصيف الآخر.

صحت: «كيكي!».

لقد بدا أنها سمعتني. ألقت نظرة ناحيتي. كانت هناك مسافة ما زالت تفصلنا، وكان الوقت غسقاً ولم تكن أعمدة الإنارة في الشوارع قد عملت بعد. ولكنها كانت كيكي على أية حال. كنت على يقين من ذلك. كنت أعرف أنها هي. وكانت تعرف من يناديها. بل حتى إنها ابتسمت.

لكنها لم تتوقف. اكتفت بالنظر إليّ من فوق كتفها. لم تخفف من إيقاع سيرها. واصلت السير ثم دلفت إلى بناية. في ذلك الوقت كنت قد وصلت إلى هناك. لكن كنت متأخراً للغاية. لم يكن ثمة أحد في البهو وكان باب المصعد مغلقاً. كان مصعداً قديماً من النوع الذي فيه قرص يشبه الساعة يخبرك برقم الطابق الذي هو فيه. أخذت نفَساً وعيني مثبتة على القرص. الثامن. نزلت في الطابق الثامن. ضغطت على الزر ثم قررت، من دون تفكير، الصعود على الدرج بدلاً من ذلك.

بدا أن البناية كلها خاوية وهادئة هدوء الموتى. كان وقع حذائي يحدث صوتاً عالياً على الدرج الذي كان يعلوه التراب.

لم يكن الطابق الثامن يختلف عن ذلك في شيء. لم يكن هناك أنسي واحد. تلفّتّ يمنة ويسرة فلم أعثر على أي علامات للحياة. مشيت في الردهة وقرأت كل اللوحات الموجودة على الأبواب. شركة تجارية، مكتب تجاري، طبيب أسنان . . . كلّها مقفلة. كانت العلامات كلها قديمة ويعلوها الصدأ. مكاتب عادية في طابق عادي في بناية عادية. عدت مرة ثانية ورحت أتفحّص اللوحات الموجودة على الأبواب. لم يكن فيها شيء له صلة بكيكي. أرهفت سمعي، ولكن الصمت كان جاثماً على البناية جثومه على الأطلال.

ثم تناهى إلى مسمعي صوت. إنه وقع كعوب، كعوب عالية.

يحدث صدى في المكان ويحمل وزناً، وزن الذكريات القديمة. وفجأة وجدتني أجول خلال أحشاء ملتوية لكائن ضخم. مات منذ زمن، وتشقق وتآكل. بشيء يتجاوز الواقع ويتجاوز القدرة البشرية، دلفت من خلال صدع في الزمن ودخلت هذا الشيء.

تواصل صوت صدى الكعوب بشكل عال وعميق حتى إنه كان من الصعب أن أحدد من أي اتجاه يأتي هذا الصوت. ولكن مع تدقيق السمع تبين لي أن الصوت يأتي من نهاية الممر الذي ينعطف يميناً. تحركت بسرعة وهدوء إلى الباب الأبعد. راح وقع تلك الخطوات، صوت الكعوب، يبدو أكثر بعداً وضبابية ولكنها كانت هناك خلف الباب. باب لا يحمل أي علامة. وهو ما كان يثير خوفي. حينما فحصت المكان قبل دقيقة، كان كل باب يحمل لوحة.

هل كان ذلك حلماً؟ لا، ليس بهذه الاستمرارية. كل التفاصيل كانت تسير بشكل دقيق. إنني في قلب مدينة هونولولو. حاولت اللحاق بكيكي. ربما حدث شيء فوق العقل، ولكنه حقيقي.

نقرت على الباب.

توقف وقع الخطوات. وابتلع صوت الصدى الأخير الهواء. ملأ الصمت الفراغ.

انتظرت ثلاثين ثانية. لا شيء. حاولت مع قبضة الباب. وبصوت خشن ولكن منخفض فتح الباب إلى الداخل. كانت الغرفة من الداخل معتمة. تنبعث منها رائحة خفيفة للشمع الذي يغطي الأرضية. كانت خاوية إلا من صحف قديمة مبعثرة على الأرضية.

وقع خطى ثانية. بالضبط أربع خطوات، ثم عاد الصمت.

كان يبدو أن الصمت يصدر من مكان أبعد. مشيت نحو النافذة واكتشفت باباً جانبياً آخر. كان يفتح على درج صاعد إلى أعلى. قبضت على السلالم الحديدية الباردة واختبرت موطئ قدمي ثم

صعدت ببطء في ما استحال ظلاماً معتماً تماماً. كان الدرج يرتفع بشكل حاد. تخيلت أنني أسمع صوتاً يأتي من أعلى. انتهى الدرج. تلمست باحثاً عن مفتاح إضاءة. فلم أجد. بدلاً من ذلك وجدت باباً آخر.

فتح الباب على ما قدّرت أنه مساحة واسعة، ربما غرفة أسفل السقف. لم يكن هناك ذلك الظلام الحالك الذي كان لدى بئر السلم، لكن مع ذلك لم يكن الضوء يكفي للرؤية. أمسكت بقبضة الباب.

صحتُ: «كيكي!».

لم يأتني جواب.

وقفت لا أحرك ساكناً وانتظرت. لم أكن أعرف ماذا يجب أن أفعل. كان الزمن يتلاشى. حدقت في الظلام، وأرهفت السمع. ببطء وبشكل غير مؤكد راح الضوء المتسلل للغرفة يزداد. هل هو القمر؟ أضواء المدينة؟ مشيت بحذر إلى قلب المكان.

ناديت مرة ثانية: «كيكي!».

لا جواب.

استدرت ببطء حولي محاولاً أن أعرف ماذا يمكنني عمله. كانت ثمة قطع أثاث غريبة موضوعة في زوايا الغرفة. ظل رمادي ربما يكون لأريكة وطاولة وكراسي وخزانة. غريبة، غريبة جداً. كان المكان يبدو وكأنه أُعِدّ بواسطة قوة طرد مركزية، وكان سوريالي الطابع، لكنه يبدو حقيقياً. أعني أن الأثاث كان يبدو حقيقياً.

فوق الأريكة كان يوجد جسم أبيض. قد تكون ملاءة؟ أو ربما تكون الحقيبة البيضاء التي كانت كيكي تحملها؟ دنوت أكثر لأكتشف أنها شيء مختلف تماماً.

كان ذلك الشيء عظاماً.

كان هناك هيكلان عظميان بشريان موضوعين جنبا إلى جنب على الأريكة. هيكلان كاملان، أحدهما كبير والآخر صغير يجلسان تماماً كما كانا وهما في حياتهما. كان الهيكل الأكبر يضع ذراعاً على ظهر الأريكة. فيما يضع الآخر يديه فوق حجره. بدا أنهما قد ماتا بشكل فوري قبل أن يعرفا ماذا أصابهما، وتساقط لحمهما لكن وضعية جلوسهما لم تتغير وظلت كما هي. كانا يبدوان كما لو أنهما يبتسمان. يبتسمان وبشرتهما ناصعة البياض.

لم أشعر بأي خوف. لماذا؟ ليس لديّ أدنى فكرة. ولكني كنت هادئاً تماماً. كل ما كان بداخل الغرفة كان يخيم عليه صمت مطبق، كانت العظام نظيفة وصامتة. كان هذان الهيكلان قد ماتا تماماً وبلا رجعة. لم يكن هناك ما يُخشى منه.

مشيت ببطء داخل الغرفة. كانت تضم ستة هياكل. فيما عدا واحد، كانت كلها مكتملة. كلها تجلس في أوضاع طبيعية. كان هناك رجل (تبينت على الأقل من خلال الحجم أنه رجل) يتابع التلفزيون. فيما كان هيكل آخر ينحني فوق مائدة ما زالت توجد عليها الأطباق. الطعام كان قد تحوّل إلى تراب. ولكن الهيكل الوحيد الذي كان في حالة غير مكتملة كان ممدداً على سرير. كانت ذراعه اليسرى مبتورة من الكتف.

أغمضت عينيّ.

ما هذا برب السماء؟ كيكي، ما الذي تحاولين أن تظهريه لي؟

مرة ثانية سمعت وقع خطى. تأتي من غرفة أخرى، ولكن في أي اتجاه؟ بدا أنها ليس لها مكان. على مدى رؤيتي كانت هذه الغرفة

مسدودة. لم يكن هناك أي منفذ. تواصلت الخطوات، ثم تلاشت. الصمت الذي كان يخيم على المكان أصبح كثيفاً لدرجة أنه أصبح خانقاً. مسحت العرق المتصبب على وجهي براحة يدي. لقد تلاشت كيكي مرة ثانية.

خرجت من الباب الذي دخلت منه. ألقيت نظرة أخيرة: الهياكل الستة تلمع لمعاناً باهتاً. ويبدو كما لو أنها تستعد للقيام والتحرك من المكان بمجرد أن أغادر. سوف يشغلون التلفزيون ويعدّون لأنفسهم الطعام الساخن. أوصدت الباب بهدوء حتى لا أزعجهم، ثم عدت إلى الدرج المؤدي إلى المكتب الخاوي. كان الوضع كما هو، لا يوجد إنسي واحد، الصحف القديمة مبعثرة على الأرض.

ذهبت نحو النافذة ونظرت منها. كانت أنوار الشارع تتوهج بشدة، كانت السيارات والحافلات واقفة في المرآب كما هي. الشمس كانت قد غابت تماماً. لم يكن هناك أحد في مجال رؤيتي.

لكن حينما اتكأت على عتبة النافذة المغطاة بالتراب لاحظت قطعة من الورق في حجم البطاقة التعريفية. التقطتها وتفحّصتها. كانت تحمل رقم هاتف. كانت الورقة ما زالت قوية، لكن الحبر قد بهت. أمر مثير للاهتمام. دسستها في جيبي وخرجت إلى الردهة.

حاولت العثورعلى حارس البناية حتى أسأله عن المكتب حينما تذكرت أنني تركت يوكي في السيارة بمفردها في حي سيّئ السمعة من المدينة. كم المدة التي تركتها فيها هناك؟ عشرين دقيقة؟ ساعة؟ كان الليل يرخي سدوله على المدينة.

كانت يوكي في حالة نعاس، وتدفن وجهها في المقعد، والراديو يعمل، حينما عدت للسيارة. نقرت على النافذة ففتحت لي الباب.

قلت بجدية: «معذرة».

قالت وهي شبه مخدرة: «جاء كل أنواع الأشخاص الغريبين. كانوا يصيحون ويضربون على زجاج السيارة ويهزونها. شعرت بفزع شديد».

- أنا آسف جداً.

حدّقت في وجهي. تغير لون بؤبؤي عينيها، وانتابت ملامحها رعشة خفيفة مثل سطح بحيرة سقطت عليه ورقة شجر. تمتمت بكلمات غير واضحة. أين ذهبتَ وتركتني؟

«لست أدري، لست أدري» صدرت عني هذه الكلمات ثم ذابت مثل صدى وقع الأقدام. سحبت منديلاً من جيبي وجففت العرق عن جبهتي.

نظرتْ إليّ يوكي شزراً ومدت يدها لتمسّ وجنتي. كانت أناملها ناعمة. تنشقت الهواء حولي وكان أنفها الصغير ينتفخ بشكل خفيف. رمقتني بنظرة طويلة. «لقد رأيتَ شيئاً، أليس كذلك؟».

أومأتُ.

قالت: «ولكنك لا تستطيع أن تقول ماذا رأيت. لا يمكنك أن تعبّر عنه. لا يمكنك تفسيره لأي شخص. ولكن يمكنني أن أرى ذلك». ثم اتكأت ومسّت وجنتي مساً خفيفاً بوجنتها. «يا له من شيء صعب».

سألتها ضاحكاً: «كيف ذلك؟» لم يكن هناك ما يدعو للضحك. «بكل المقاييس أنا إنسان عادي جداً ولا يمكن أن تجدي من يفوقني في ذلك. ولكن لماذا تحدث لي كل هذه الأشياء الغريبة باستمرار؟».

قالت يوكي: «صحيح، لماذا؟» ثم أكملت: «لا تنظر إليّ. أنا مجرد طفلة. أنت الشخص البالغ هنا».

- صحيح.

- ولكني أفهم كيف تشعرين.

- لكني لا أفهم.

- في أوقات مثل هذه، يحتاج الكبار إلى الشراب.

ذهبنا إلى بار هاليكولاني. البار الذي بالداخل وليس الذي على حمام السباحة. طلبت شراب مارتيني هذه المرة فيما أخذت يوكي صودا ليموناده. كنا الوحيدين في المكان. كان عازف البيانو يعزف مقطوعة لرحمانينوف «رماد النجوم»، «ضوء القمر في فيرمونت»، «ولكن ليس من أجلي». كان يعزف بإتقان لا يبارى. ثم ختم بمقدمة موسيقية مؤثرة للغاية لشوبان. صفقت يوكي لذلك وابتسم العازف التصفيق.

عند الكأس الثالثة من المارتيني أغمضت عيني فخطرت ببالي تلك الغرفة مرة ثانية. مشهد من تلك المشاهد التي تستيقظ فيها وأنت مبلل بالعرق وتشعر بالارتياح لكون ما رأيت كان مجرد حلم. ولكنه لم يكن حلماً. كنت أدرك ذلك وكذلك يوكي. أدركت أنني رأيت شيئاً. تلك الهياكل الستة. ماذا تعني؟ ومن يكونون؟ وهل يمكن أن يكون ذلك الهيكل ذو الذراع الوحيدة هو ديك نورث؟

وما الذي كانت كيكي تحاول أن تقوله لي؟

أتذكر قطعة الورق التي دسستها في جيبي، القطعة التي وجدتها على عتبة النافذة. ذهبت إلى الهاتف وطلبت الرقم. لا جواب. فقط صوت جرس يرنّ ويرنّ. عدت إلى مقعد البار وتنهدت، وقلت: «إنني أفكر في العودة إلى اليابان غدا. إذا وجدت مقعداً على الطائرة فسوف أفعل. لقد أمضيت هنا وقتاً أطول من اللازم. كانت رحلة

رائعة ولكن حان وقت العودة. لدي أشياء يجب أن أنتهي منها في البيت».

أومأت يوكي كما لو كانت تعرف ذلك مسبقاً. «حسناً، لا تقلق بشأني. يمكنك العودة إن كنت تعتقد أنه يجب أن تعود».

– وماذا ستفعلين؟ ستبقين هنا؟ أم تريدين العودة معي؟

هزت يوكي كتفيها. «أعتقد أنني سوف أذهب لأقيم مع أمي لبعض الوقت. لا أظنها سوف تمانع. لا أميل للعودة الآن».

انتهيت من آخر كأس مارتيني.

– حسناً، سوف نفعل ما يلي: سوف أوصلك بالسيارة إلى ماكاها غداً. بهذه الطريقة سوف يتسنى لي أن أرى والدتك مرة أخرى. وبعد ذلك سوف أتوجه إلى المطار.

في تلك الليلة تناولنا العشاء الأخير معاً في مطعم مأكولات بحرية بالقرب من برج ألوها. لم تتكلم يوكي كثيراً، وكذلك أنا. كنت متأكداً أنني سوف أنزلق في أي لحظة، وفمي ممتلئ بمحار البحر، للتفكير في تلك الهياكل العظمية في الغرفة التي أسفل السقف.

كانت يوكي تنظر إليّ نظرات ذات مغزى فيما نتناول الطعام. بعد أن انتهينا، قالت: «من الأحسن لك أن تذهب إلى الفراش. تبدو مرهقاً».

حينما عدت إلى غرفتي صببت لنفسي بعض الخمرة وفتحت التلفزيون. كانت مباراة بين فريقي اليانكي والأوريولز. لم أكن أرغب في مشاهدة البيسبول، لكني تركت المباراة على أية حال. كانت شيئاً يربطني بالواقع.

دارت الخمرة في رأسي. أخذني النعاس. وحينئذ تذكرت قصاصة الورق التي في جيبي وجربت الرقم ثانية. تركت الهاتف يرن خمس عشرة مرة. حملقت في التلفزيون، كان وينفيلد يدخل في مربع الضارب حينما خطر ببالي شيء ما.

ماذا كان ذلك الشيء؟ كانت عيناي مثبتتين على الشاشة.

ثمة شيء يشبه شيئاً. شيء يتصل بشيء.

لا، هذا من غير المحتمل. أخذت قصاصة الورق وذهبت إلى الورقة التي دوّنت جوون فيها رقم هاتفها. قارنت الرقمين.

يا إلهي. إنه الرقم نفسه.

كل شيء، كل شيء يترابط. بيد أنني مع ذلك لم أجد تفسيراً لما يعنيه ذلك.

في اليوم التالي اتصلت بالخطوط الجوية اليابانية وحجزت رحلة ما بعد الظهر. سددت فواتيرنا، وكنت أنا ويوكي في طريقنا إلى ماكاها. فجأة ادلهمّت السماء. كانت ثمة عاصفة ثلجية تخيم على الأفق.

قالت يوكي: «تبدو السماء مثل لعبة الباكمان وهي تسحق قلبك. بيب بيب بيب بيب بيب».

– لست أفهم.

– هناك شيء يأكلك.

فكرت في ذلك وأنا أقود السيارة وقلت لها: «إني ألمح شبح الموت بشكل متكرر. إنه شبح كثيف للغاية. كما لو أن الموت قريب جداً مني ويحيط بي ويقبض عليّ من كاحليّ. يمكنه أن يقع في أي لحظة. ولكن ذلك لا يفزعني. لأنه لم يكن أبداً موتي أنا. إنه دائماً

موت شخص آخر. في كل مرة يموت شخص، أشعر بأن ذلك ينهك قواي. كيف ذلك؟».

هزت يوكي كتفها.

- الموت قريب مني دائماً، لا أعرف لماذا؟ وكلما وجد له منفذاً ظهر منه.

قالت يوكي: «ربما يكون ذلك هو مفتاحك. ربما يكون الموت هو صلتك بالعالم».

قلت: «أي تفكير هذا؟ إنه يبعث على الاكتئاب».

بدا أن ديك نورث قد حزن حقاً لرحيلي. ليس لأنه كان بيننا اتفاق مشترك، وإنما لأن كلاً منا شعر بارتياح ما نحو الآخر. وكنت أحترمه على شِعره الذي وظفه لعلاج قضايا حقيقية. تصافحنا. وفي أثناء ذلك طاف بخاطري الهيكل العظمي ذو الذراع الواحدة. هل يمكن أن يكون هو هذا الرجل؟

سألته حينما جلسنا معاً مرة أخيرة: «ديك، هل فكّرت يوماً في الموت؟ كيف ستموت؟».

ابتسم وقال: « كنت أثناء الحرب أتفكر كثيرا في الموت. كان الموت يحدق بنا من كل صوب، وكانت هناك طرق كثيرة يمكن أن تموت بها. لكن في الآونة الأخيرة، فلا. ليس لدي وقت لأقلق بشأن ما ليس لي عليه سلطان. أنا مشغول في أوقات السلام أكثر مما كنت في أثناء الحرب». ثم ضحك وأضاف: «وما الذي يجعلك تسأل؟».

قلت له، لا شيء.

قال: «سوف أفكر في الأمر. سوف نتحدث فيه حينما نلتقي المرة القادمة».

حينئذ طلبت مني آمي أن أتمشى معها، فرحنا نتمشى في طريق مخصّصة للمشي.

قالت آمي: «أشكرك على كل شيء. من كل قلبي أشكرك. لست أجيد التعبير عن هذه الأشياء. لقد أذبت الجليد الذي بيني وبين يوكي. لقد أصبحت أنا ويوكي قادرتين على الكلام معاً. أصبحنا أكثر قرباً. وهي الآن تأتي للإقامة معي».

قلت: «أليس ذلك جيداً؟» لم أجد شيئاً غيْر ذلك لأقوله. بالكاد سمعتني آمي.

- يبدو أن الطفلة قد هدأت كثيراً منذ أن قابلتك. لم تعد سريعة الغضب أو عصبية. لست أعرف ماذا جرى، ولكن من المؤكد أن لك أسلوباً خاصاً في التعامل معها. ما هو الشيء المشترك الذي يجمعك بها؟

أكدت لها أنني لا أعرف.

- بحسب رأيك ماذا يجب أن نفعل حيال ذهاب يوكي إلى المدرسة؟».

قلت: «إذا لم تكن تريد الذهاب إلى المدرسة، فربما ينبغي أن تفكري في بديل. أحياناً يكون أمراً سيئاً أن تُفرَض المدرسة على الطفل، وخصوصاً إذا كانت طفلة مثل يوكي ذات حساسية عالية وتلفت الانتباه أكثر مما تحب. ربما يكون استقدام معلم خاص فكرة جيدة. أعتقد أنه من الواضح تماماً أن يوكي لم تخلق لدخول الامتحانات والمنافسة وضغط الزملاء والقواعد المدرسية وأداء الأنشطة الدراسية الإضافية. بعض الأشخاص يمكنهم العمل بشكل جيد من دون ذلك. أعرف أنني مثالي، ولكن الشيء الأهم هو أن تكتشف يوكي موهبتها وأن تتاح لها فرصة صقلها. ربما ستفكر في العودة

للمدرسة. سوف يكون ذلك أمراً جيداً أيضاً، إن كان ذلك قرارها».

قالت آمي بعد أن فكرت لبرهة: «أظنك على صواب. أنا أيضاً لست شخصية اجتماعية، ولم أكن أحتمل المدرسة أيضاً، لذا فإنني أفهم ما تقوله».

– إذا كنت تفهمين، إذاً ينبغي ألا يكون هناك شيء تفكرين فيه. أين المشكلة؟

– ليس هناك مشكلة. أعني أن المشكلة الوحيدة هي أنني لا أملك الثقة اللازمة بنفسي كأم. لذا ليس لدي القدرة على مساندتها في ذلك. إذا كنت تفتقر إلى الثقة، فسوف تستسلم. وفي أعماقي يساورني قلق بأن يكون عدم الذهاب إلى المدرسة هو خطأ من الناحية الاجتماعية.

– خطأ من الناحية الاجتماعية؟ لا أستطيع أن أعطيكِ أي تطمينات في هذا الخصوص، ولكن من يدري ما هو الخطأ وما هو الصواب. لا أحد بإمكانه قراءة المستقبل. النتائج يمكن أن تكون مدمّرة. ولكن ذلك يمكن أن يحدث في أي من الحالين. أعتقد أنك إذا أظهرتِ للفتاة أنك تحاولين بجدية كأم أو كصديقة أن تساعديها، وإذا أبديت بعض الاحترام إزاءها، فحينئذ ستصبح أكثر نشاطاً وتستكمل ذلك بنفسها.

وقفت آمي هناك هادئة، وهي تضع يديها في جيبي بنطالها. ثم قالت: «أنت تفهم حقاً نفسية الطفلة. كيف تسنى لك ذلك؟».

لأنني لم أكن دائماً أعيش في كوكب آخر، شعرت بالرغبة في أن أقول لها ذلك. لكني لم أفعل.

قالت إنها تريد أن تمنحني شيئاً كتعبير عن تقديرها لي. أخبرتها أنني تلقيت ما يكفي من زوجها السابق.

– ولكني أريد ذلك. إنه يمثل نفسه وأنا أمثل نفسي. وأريد أن أعبّر عن شكري لك. وإذا لم أعرف فسوف أنسى ذلك».

قلت مازحاً: «إن نسيتِ فسأكون في غاية السعادة».

جلسنا على أريكة وسحبت آمي علبة من سجائر سليم من جيب قميصها. أشعلت سيجارة وراحت تأخذ نَفَساً ثم تخرجه. ثم تركتها تتحول إلى رماد بين يديها.

في أثناء ذلك كنت أنصت للطيور وهي تغرد وشاهدت الذين يشذّبون العشب وهم يتحركون في عرباتهم. كانت السماء قد بدأت تصفو، بالرغم من أن التقارير كانت تشير إلى عواصف رعدية. كان ضوء الشمس القوي يخترق غطاء كثيفاً من الغيوم الرمادية. كانت تضع نظارتها الشمسية وترتدي كنزة ذات كُمّين قصيرين، بدا أنها غير عابئة بالوهج الذي يحدثه الجليد أو الحرارة، بالرغم من أن خيوطاً من العرق كانت قد ظهرت على ياقة قميصها. ربما لم تكن الشمس هي السبب. ربما كان ذلك بسبب التركيز أو الارتباك الذهني. مضى حوالى عشر دقائق وكأنها ليست هنا. مرور الوقت لم يكن عنصراً ذا قيمة في حياتها. وحتى إن كان، فهو ليس على قائمة أولوياتها. لكن الأمر كان يختلف معي. كان لدي طائرة وعليّ اللحاق بها.

قلت وأنا أنظر إلى الساعة: «عليّ أن أذهب. ويجب أن أعيد السيارة قبل الذهاب إلى المطار».

بذلتْ جهداً باهتاً لإعادة تركيز عينيها عليّ. وهي نظرة كنت ألاحظها على يوكي من وقت لآخر. قالت آمي: «آه، نعم الوقت. لم أنتبه لذلك. معذرة».

نهضنا من على الأريكة وسرنا باتجاه البيت.

خرجوا جميعاً لوداعي. طلبت من يوكي أن تتوقف عن تناول

الوجبات السريعة، وقلت إن ديك سوف يهتم بذلك. بدا مشهد الثلاثة في مرآة السيارة مثيراً للفضول. كان ديك يلوح بذراعه الوحيدة إلى أعلى، فيما كانت آمي تنظر نظرة شاردة وهي تضم ذراعيها أمام صدرها ويوكي تنظر جانباً وتقذف حصاة على الأرض. بقايا عائلة في زاوية بديلة من عالم غير مكتمل. إلى أي مدى أصبحت مستغرقاً في شؤونهم؟ كانت انعطافة السيارة يساراً كفيلة بأن يختفوا من المرآة.

لأول مرة منذ زمن أصبح وحيداً.

(31)

عندما رجعت إلى شقتي في شيبويا رحت أتفحص بريدي ورسائلي. لم يكن هناك بالطبع سوى أمور تافهة تتعلق بالعمل مثل: أين اختفيت؟ هل يمكنك أن تضطلع بهذا المشروع الجديد؟ لم أردّ على أي مكالمات. الأسرع والأبسط أن أبدأ بالعمل الذي بين يدي.

لكنني أجريت أولاً اتصالاً بماكيمورا. رفع فرايداي السماعة وعلى الفور أوصلني بالرجل الكبير. قدمت له تقريراً موجزاً عن الرحلة وقلت له إن هاواي كانت متنفساً جيداً ليوكي.

قال: «حسناً، أشكرك على كل شيء. سوف أتصل بآمي غداً. هل كان المال كافياً؟».

- بل فاض.

- حسناً، يمكنك أن تنفقه كما تشاء. هو لك.

قلت: «لا يمكنني أن أفعل ذلك. آه، كنت أود أن أسألك عن هديتك الصغيرة».

قال مازحاً: «آه، تقصد الفتاة».

- كيف رتبت ذلك؟

- من خلال قنوات. كنت متأكداً أنك لن تمضي الليل في لعبة لكوتشينة، أليس كذلك؟

- لا، ليس هذا ما أعنيه. أود أن أعرف كيف يمكنك أن تشتري لي امرأة في هونولولو وأنت في طوكيو. لدي فضول لمعرفة كيف تم ذلك.

صمت ماكيمورا وهو ما زاد من فضولي.

قال: «إنها أشبه بتوصيل دولي للزهور. أتصل بالمؤسسة في طوكيو وأخبرهم أنني أريد منهم أن يرسلوا إليك فتاة في المكان الفلاني والوقت الفلاني. حينئذ تتصل طوكيو بالمؤسسة التابعة لها في هونولولو وهم بدورهم يرسلون الفتاة. إنني أدفع لطوكيو. وطوكيو تحصل على نسبة ثم ترسل الباقي إلى هونولولو. ثم تأخذ هونولولو نسبتها وتعطي ما يتبقى للفتاة. مريح أليس كذلك؟ إن العالم الحديث فيه كل أنواع النظم».

- بالتأكيد إنه مريح للغاية. إنه يكلف لكن يوفر الوقت والجهد. أظن أنهم يسمّونها برقيات جنسية دولية. إنها آمنة أيضاً. لا مواجهات عنيفة مع القوادين. وفوق ذلك يمكنك أن تضمّها لحساب المصروفات.

قلت وأنا أومئ لنفسي: «إذاً هكذا يكون؟ هل يمكنك أن تعطيني رقم هذه المؤسسة؟».

- آسف، لا يمكن. إنه سري للغاية. للأعضاء حصرياً. تحتاج إلى المال والوضع الاجتماعي حتى تُقبل فيها. لن يتم قبولك فيها أبداً. أعني، انس الأمر. اسمع إنني بالفعل أثرثر كثيراً. لقد أخبرتك بكل ذلك فقط محبّةً وطيبة قلب نحوك.

شكرته على ذلك.

سألني: «إذاً، هل كانت جيدة؟».

قلت: «جيدة جداً».

- يسعدني سماع ذلك. لقد طلبت منهم أن يرسلوا إليك الأفضل. ماذا كان اسمها؟

- جوون.

- جوون؟ هل كانت بيضاء؟

- لا، من جنوب شرق آسيا.

قال: «سوف أطلبها المرة التالية».

لم يكن هناك المزيد الذي يمكن قوله، لذا شكرته مرة ثانية ووضعت السماعة.

بعد ذلك اتصلت بجوتاندا فسمعت آلة الرد. تركت له رسالة بأني عدت وفي انتظار مكالمة منه. كان قد مر معظم النهار، لذا ركبت السوبارو وتوجهت نحو أوياما للقيام ببعض التسوق قبل أن تغلق المتاجر أبوابها. اشتريت خضراوات طازجة تم جلبها مباشرة من مزارع كينوكونيا الواقعة في مكان ما من جبال ناجانو البعيدة حيث تحاط الحقول بالأسلاك الشائكة. وفيها أبراج مراقبة وحراس مسلحون بالبنادق الآلية. معسكر سجن مثلما في فيلم الهروب الكبير.

حينما رجعت من التسوق لم تكن قد وصلتني أي رسائل من جوتاندا.

في الصباح التالي، وبعد إفطار سريع في دانكن دوناتس، توجهت إلى المكتبة وقلبت في صحف الشهر السابق. كنت أبحث عما إذا كانت التحقيقات في مقتل ماي قد حققت نجاحا. قرأت أساهي، وماينيشي ويوميوري بدقة تامة، بيد أنني لم أجد سوى أخبار نتائج الانتخابات وتصريح من ريفشنكو ومقالة كبيرة عن انحراف الأحداث في المدارس، وكيف أن البيت الأبيض في أمريكا وبسبب «انعدام الذوق الموسيقي» قد ألغى حفلاً لفرقة بيتش بويز. على أية حال لم يكن هناك سطر واحد عن القضية.

قمت بعد ذلك بتصفح نسخ أعداد سابقة من مجلات أسبوعية متنوعة. وكان الخبر كما يلي: «جمال عار وجد مخنوقاً في فندق أكازاكا». كانت هناك مقالة مؤثرة بمساحة صفحة كاملة عن ماي. بدلاً من صورتها، كان هناك رسم للجثة قام به مختص في الرسم الجنائي. وهو أفضل الخيارات إذا لم تكن لديك الصورة المخيفة نفسها. كان الرسم يشبه ماي تماماً. هل يمكن لأي شخص آخر أن يتعرف عليها؟ لا، ماي كانت مليئة بالحيوية والدفء. مليئة بالآمال والخيالات. كانت لطيفة وناعمة ورائعة الجمال وتجرف ثلوجها الجنسية. كان ذلك هو السبب الذي جعلنا نتواصل بنحو جيد ونتشارك في هذه الخيالات. كانت كلها براءة.

لقد جعلها ذلك الرسم السيّئ تبدو رخيصة ومثيرة جنسياً. هززت رأسي. أغمضت عينيّ وتنهدت ببطء. لكن ذلك الخط كان يغني عن أي صورة من المشرحة ويوصل حقيقة مفادها أن ماي قد ماتت. ماتت تماماً وبلا رجعة. انتهت. غاصت حياتها نحو عدم مظلم.

كانت المقالة تتناسب مع الرسم. امرأة شابة يعتقد أنها في أوائل العشرينات وجدت ميتة خنقاً بواسطة جورب في فندق فخم في أكازاكا. عارية تماماً ومن دون إثبات هوية أو اسم، إلخ. لم يكن في ذلك من جديد بالنسبة لي سوى تفصيلة واحدة: الشرطة تلاحق متورطين مشتبه بصلتهم بشبكة دعارة محتملة، شركة ترسل المومسات إلى الفنادق الفخمة.

أرجعت المجلة إلى الرف وجلست أفكر. كيف استطاع رجال الشرطة أن يصلوا إلى شبكة الدعارة؟ هل وقعت أيديهم على بعض الأدلة القوية؟ ليس معنى ذلك أنني يمكن أن أتصل بهذين المحققين لسؤالهما.

غادرت المكتبة وتناولت غداء سريعاً بالقرب من المكان، ثم رحت أتمشى في انتظار أن تخطر لي فكرة رائعة. لم يحالفني ذلك الحظ. مشيت نحو ضريح ميجي وتمددت على الحشيش ورحت أتطلع نحو السماء.

رحت أفكر في مؤسسة المومسات. البرقيات الجنسية العالمية. سجّل طلبك في طوكيو فتجد فتاتك بانتظارك في هونولولو. شيء منظم ويعمل بكفاءة ودقة. لا فوضى ولا ضجيج. إنه شديد الشبه بعالم الأعمال. ما إن يخطر ببالك خيال، إلا وأمكنك أن تجده في السوق مثله مثل أي منتج آخر. الرأسمالية المتقدمة تنتج بكميات ضخمة البضائع التي تلبي كل ما يمكن تخيله من احتياجات. الخيال هي الكلمة المفتاح هنا. سواء كان دعارة أو تمييزاً أو اعتداء شخصياً أو دافعاً جنسياً، ما عليك إلا أن تمنحه اسماً جميلاً، وأن تغلفه بشكل جميل ثم يمكنك أن تبيعه. قبل أن يمر وقت طويل سوف يصبح لديهم كتيبات خاصة بخدمة بائعات الهوى في مركز تسوق سايبو.

يمكنك الاعتماد علينا.

تطلعتُ نحو السماء وفكرتُ في الجنس.

كنت أرغب في النوم مع يوميوشي. لم يكن مستحيلاً. فقط ضع قدماً واحدة داخل شقتها وأخبرها. «يجب أن تنامي معي. ينبغي أن تنامي معي». بعدئذ أقوم بنزع ملابسها برقة مثلما تفك رباطاً يحزم هدية. أولاً معطفها، ثم نظارتها، ثم سترتها. عندما أجردها من ملابسها، ستتحول إلى ماي. وتقول: «هل يعجبك جسمي؟».

ولكن قبل أن أجيب، كانت الليلة قد انتهت. كيكي بجواري، جوتاندا يمرر أصابعه الرشيقة على ظهرها. الباب يفتح. تدخل يوكي. تراني وأنا أمارس الجنس مع كيكي.

إنه أنا هذه المرة وليس جوتاندا. كانت الأصابع فحسب أصابعه.

تقول يوكي: «لا يمكنني أن أصدق ذلك. لا يمكنني حقاً أن أصدق».

أقول: «ليس الأمر كما تفهمين».

تقول كيكي للمرة الألف: «ما الذي يحدث هنا؟».

أصررت: «الأمر ليس كذلك. إن الفتاة التي أرغب في النوم معها هي يوميوشي. لقد فهمت الإشارة على نحو خاطئ».

الشيء الأول هو أنني يجب أن أفكك خيوط الاتّصال. وإلا سوف أعود خاوي اليدين. أو بيد شخص آخر. أو حتى بيد مفقودة.

بعدما تركت ضريح ميجي، ذهبت إلى مقهى في شارع خلفي في هاراجوكو حيث احتسيت فنجاناً قوياً من القهوة. ثم تمشيت ببطء نحو البيت.

في المساء اتصل جوتاندا.

كان يتحدث بشكل سريع: «معذرة، ليس لدي وقت الآن. هل يمكنني أن أراك الليلة حوالي الثامنة أو التاسعة؟».

- ليس هناك ما يمنع.

- حسناً، سوف نتناول العشاء معاً. سوف أمرّ عليك لآخذك بالسيارة.

أثناء انتظاري له، فتحت حقيبتي ورحت أتفحص الإيصالات الخاصة بالرحلة لفصل مصروفات ماكيمورا عن مصروفاتي. نصف إيجار السيارة والوجبات يذهب إليه بالإضافة إلى المشتريات الشخصية ليوكي. بدلة سباحة، وراديو ولوح ركوب الموج. حسبت المصروفات ووضعتها في مغلف ومعها الشيكات السياحية المتبقية

والجاهزة لأن يتم صرفها من البنك لإعادتها إلى ماكيمورا. إنني دائماً ما أهتم بهذه التفاصيل. ولكن ليس لأنني أحبها. إنني فقط أكره عدم الدقة في مسألة المال.

بعدما انتهيت من الحسابات، مزجت بعض السمك الأبيض بالسبانخ المسلوقة لتناوله مع قنينة من الشراب. ثم أعدت قراءة قصة قصيرة لهارو ساتو صدرت قبل سنوات قليلة. كانت أمسية ربيعية هادئة. السماء أصبحت أكثر ظلاماً ورسمت خيوطاً زرقاء الواحد فوق الآخر، ومع كل خط تتعمق ظلال الليل.

عندما مللت من القراءة، قمت بتشغيل معزوفة شوبيرت الشهيرة «الأزهار ذاوية» وهي معزوفة أحتفظ بها دائماً للربيع. كانت تتداخل مع شجون الليل الذي ترقد في أعماقه الهياكل العظمية الستة. كانت الحياة تغوص في هوة سحيقة، والعظام أصبحت صلبة مثل ذكريات تجسدت أمامي.

(32)

في الثامنة وأربعين دقيقة مرّ بي جوتاندا. كان يرتدي سترة عادية رمادية اللون فوق قميص أزرق عادي وبنطال من القطن العادي. ومع ذلك كان مظهره أخاذاً. فوق العادة.

دعوته للدخول حينما لمست لديه فضولاً نحو منزلي.

قال بابتسامة خجولة: «جميل». كانت تلك الابتسامة الحلوة تجعلك تشعر بالرغبة في دعوته لأن يمكث في بيتك لمدة أسبوع.

قال كما لو كان يُحدّث نفسه: «إنه يأخذني للماضي. يذكّرني بالمكان الذي كنت أقيم فيه قبل أن أصبح نجماً». مثل هذا التعليق إذا صدر عن أي شخص آخر، كان سيعتبر ازدراء غير مقبول، ولكن منه كان مجاملة تتسم بالمباشرة والخلو من أي أغراض.

قدمت له وسادة كبيرة وأخرجت طاولتي الصغيرة القابلة للطي من الخزانة. ثم أحضرت لكل منا بيرة سوداء مع مزيج من السمك الأبيض والسبانخ الذي أعددته قبل أن أشغّل معزوفة شوبرت مرة ثانية.

- رائع!

- حقاً؟ هل تجرب شيئاً آخر؟

- أحب ذلك، ولكني لا أريد أن أتعبك.

- لا تعب على الإطلاق. يمكنني إعداد المزيد بسرعة وسهولة.

- هل يمكنني أن أشاهد ذلك؟

قلت: «بكل تأكيد».

خفقت كراثاً مع نكهة خوخ. أعشاب بحر ورُبيان. شرائح سمك. بطاطس في زيت الزيتون وثوم. خيار. زنجبيل مطحون.

تنهد جوتاندا: «مذهل. إنك عبقري».

- جميل منك أن تقول ذلك، ولكني أؤكد لك أن الأمر بسيط جداً. فقط مزجت كل المواد التي لدي.

- إنها عبقرية مطلقة. ليس باستطاعتي أن أفعل ذلك أبداً.

- حسناً، شكراً لك. ولكني لا أستطيع أبداً أن أقلد طبيب أسنان.

قال: «آه...»، وهو يرفض ردّي للمجاملة. «هل تمانع إذا لم نخرج الليلة؟ إن هذا الطعام عظيم».

- ليس لدي مشكلة.

لذا شربنا وأكلنا. حينما نفدت البيرة تحولنا إلى ويسكي كاتي سارك. استمعنا إلى أغنيات سلاي وفاملي ستون ودورز وستونز وبينك فلويد. واستمعنا كذلك إلى بيتش بويز. كانت ليلة أشبه بليلة من سنوات الستينيات. ولو أن أي كائنات من الفضاء الخارجي هبطت علينا آنذاك لظنت أن خللاً قد أصاب عجلة الزمن وأننا عدنا إلى حقبة الستينيات.

لم تهبط أي من هذه الكائنات، ولكن بدءاً من الساعة العاشرة بدأ الجو يمطر. كانت الأمطار تهطل ناعمة وهادئة تكاد لا تسمع على الإفريز. صامتة صمت الموتى تقريباً.

مع انقضاء جزء كبير من الليل توقفنا عن تشغيل الموسيقى. لم

تكن لشقّتي جدران حاجبة للصوت مثل منزل جوتاندا. وأي ضوضاء عالية بعد الحادية عشرة سوف تجر علينا الشكاوى.

مع إيقاف تشغيل الموسيقى، كان همس المطر يؤكد نبرة حديثنا. عبّرت له عن أسفي أن الشرطة لم تحقق تقدماً كبيراً في قضية ماي. تنهد جوتاندا، لا لم يحققوا تقدماً. كان يطالع الصحف والمجلات هو الآخر.

فتحت قنينة ثانية من الكاتي سارك وأوّل جولة شربناها في نخب ماي.

استطردت: «المحققون توصلوا من خلال التحقيقات إلى شبكة دعارة، ولا بد أنهم قد وضعوا أيديهم على شيء. إنني متوجس من أن ذلك يمكن أن يقودهم إليك».

قال جوتاندا عاقدا حاجبيه بعض الشيء: «ذلك أمر محتمل. ولكن على الأرجح لا داعي للخوف. لقد أثار الموضوع قلقي وسألت بعض الأشخاص في الوكالة التي أعمل بها. سواء كان ذلك النادي لديه سياسة الكتمان كما يدعي أم لا. لكن هل تعرف؟ يبدو أن هذا النادي لديه الكثير من العلاقات السياسية. يبدو أنها بعض الأسماء الكبيرة جدا. لذا فحتى لو أفشى النادي بعض المعلومات للشرطة فإن الشرطة لن تكون قادرة على الذهاب بعيداً في التحقيق. لن يكون باستطاعتهم أن يضعوا أيديهم على أية شخص. وفي ذلك الأمر، فإن وكالتي لديها بعض النفوذ أيضاً. بعض النجوم الكبار لديهم أصدقاء مقربون جداً في مناصب كبرى. أحياناً في مناصب ليست لطيفة جدا. لذا فإنه من كلا الجانبين، ليس أمام رجال الشرطة متسعاً للمناورة. ولأنني بالنسبة لوكالتي بقرة حلوب فإنهم لا يريدون أن يصيبني مكروه. إنني استثمار كبير بالنسبة لهم. لا يريدون أن يروا قيمتي تهبط. نعم لو أنك كنت ذكرت اسمي للشرطة، لكنت قد استدعيت

بكل تأكيد. كل العلاقات السياسية في «جنزا» لا يمكنها الحيلولة دون وقوع ذلك. ولكن لا خوف من ذلك الآن. الباقي هو عبارة عن لعبة نفوذ، نظام ضد آخر».

قلت: «يا له من عالم قذر».

قال جوتاندا: «قذر حتى النخاع».

- صوتان لصالح قذر.

- ماذا تقول؟

- صوتان لصالح قذر، تم تمرير الحكم.

أومأ ثم ابتسم ابتسامة حزينة. «صوتان لصالح قذر. لا أحد يأبه لمجرد التفكير في فتاة راحت ضحية لجريمة قتل. كل شخص لا يهتم إلا بنفسه. وأنا من بينهم».

دلفت إلى المطبخ لإحضار ثلج، فأحضرت أيضاً بعض الجبن وبعض الرقائق.

قلت وأنا أجلس: «أريد أن أطلب منك معروفاً. هل يمكنك أن تتصل بالمؤسسة وتسأل عن شيء من أجلي؟».

أمسك شحمة أذنه. «ماذا تريد أن تعرف؟ أي شيء يتعلق بتلك القضية مستحيل. لن يكشفوا أي شيء أبداً».

- لا صلة لما أريده بذلك على الإطلاق. أريد أن أعرف عن فتاة ليل قابلتها في هونولولو. سمعت أن النادي يمكن أن يرسل بنات عبر البحار.

- من أبلغك ذلك؟

- شخص لم يذكر اسمه. إنني أراهن أن تلك المؤسسة التي كان يتحدث عنها هذا الشخص هي نفسها النادي الذي نتحدث عنه. لأنه يتعين عليك أن تكون شهيراً وثرياً حتى تُقبَلَ. ولا يمكنني الاقتراب من أي منهما، كما أُبلغت.

ابتسم جوتاندا وقال: «نعم. أظنني سمعت عن خدمة من هذا القبيل. مكالمة هاتفية واحدة تصنع كل شيء. لم أجرب ذلك، ولكن يرجح أنها المنظّمة نفسها. إذاً ماذا عن فتاة الليل في هونولولو؟».

– أود فقط أن أعرف إن كان لدى النادي فتاة من جنوب شرق آسيا اسمها جوون تعمل لحسابهم.

أطرق جوتاندا يفكر في ذلك، ولم يسأل عن أي شيء آخر. دوّن الاسم في مدونة مواعيده.

– اسمها جوون ماذا؟

قلت له: «لحظة، إنها فتاة ليل. هي جوون فحسب».

– حسناً، سوف أتصل بالنادي غداً.

قلت: «شكراً لك. أنا مدين لك بذلك».

«لا داعي للشكر. بعد ما فعلته من أجلي، فهذا لا يساوي شيئاً». ثم غمز لي بعينه ورفع لي إبهامه لأعلى. «بالمناسبة، هل ذهبت إلى هاواي بمفردك؟».

– من ذهب بمفرده؟ ذهبت مع فتاة. لكنها في الثالثة عشرة من عمرها.

– هل نمت مع فتاة في الثالثة عشرة؟

– ماذا تظن بي؟ الطفلة لم تلبس صدرية بعد.

– إذاً لماذا تذهب معها؟

– لأعلمها آداب الطعام وأشرح لها أسرار دافع الجنس، وأذهب معها لمشاهدة فيلم «إي تي». وما شابه ذلك من أمور».

أطال جوتاندا النظر إليّ، ثم حرك شفتيه مبتسماً. «إنك حقاً غريب بعض الشيء، هل تعرف ذلك؟».

صار الجميع يعتقدون ذلك الآن. تم إقرار المقولة بالإجماع.

ارتشف جوتاندا بعض الويسكي وتناول بعض الرقائق.

قال: «لقد رأيت زوجتي السابقة مرتين خلال الفترة التي لم نلتق فيها. ثمة انسجام بيننا الآن. أمر غريب، ولكن أن تنام مع زوجتك السابقة أمر مضحك».

– أظن ذلك.

– لماذا لا تحاول أن ترى زوجتك السابقة؟

– هذا مستحيل. إنها على وشك الزواج. ألم أخبرك بذلك؟

هز رأسه. «لم أكن أعرف. إنه أمر سيّئ للغاية».

قلت وأنا أعني ما أقول: «لا، هذا الوضع أفضل. ولكن ماذا عن زوجتك السابقة؟».

هز رأسه ثانية. «حالة ميئوس منها. لا يمكن التعبير عنها بغير ذلك. ميئوس منها. طريق مسدود. هل تعرف أننا نمارس الحب الآن أفضل مما كنا عليه. لا يتعيّن علينا أن نتكلم كلمة واحدة. كل منا يفهم الآخر. حالنا أفضل مما كنا عليه ونحن متزوجان. كل منا يحب الآخر. لكن هذا الوضع لا يمكن أن يستمر هكذا إلى الأبد، وأن نظل نلتقي في فنادق الحب. تمنيت لو أنه لا يتعين علينا أن نتوارى، ولكن لو اكتشفت عائلتها الأمر، لأحالت حياتي جحيماً. وكأنهم لم يحيلوها بعد؟ إنما لو خُيرتُ بيني وبينهم لاختارتهم في كل مرة. إنني أخسر من جميع الجهات . . . يا إلهي، الأشياء التي سأقدمها من أجل حياة طبيعية معها». راح جوتاندا يضع الثلج في كأسه. «أمر مضحك، أليس كذلك؟ يمكنني تقريباً الحصول على أي شيء أريده. فيما عدا الشيء الوحيد الذي أريده أكثر من أي شيء آخر».

قلت: «هكذا هي الدنيا. ولكني لم أحصل أبداً على كل شيء كنت أريده، لذا لا يمكنني في الواقع أن أتكلم».

قال جوتاندا: «لا، إنك مخطئ. إنك أصلاً لم ترد أي شيء أبداً. مثلاً، هل حدث أن أردت الحصول على سيارة مازيراتي أو بيت في أزابو؟».

– لو أن شخصاً فرضهما عليّ، . . . ولكني أظن أن بإمكاني العيش من دونهما. إن كلاً من شقتي الصغيرة وسيارتي السوبارو موضع ثقتي وترضيانني كل الرضا. ربما يكون الرضا هنا مبالغة. ولكنهما تناسبانني تماماً. من السهل أن أديرهما ولا يغضبانني بأي شكل من الأشكال. ولكن من يدري؟ ربما يأتي الوقت الذي أحتاج فيه إلى تلك الأشياء».

– لا، لقد جانبك الصواب ثانية. إن ذلك ليس له علاقة بالحاجة. هذه الأشياء ليست طبيعية. إنها مصطنعة. مثلاً المكان الذي أعيش فيه. الهدف هو سقف فوق رأسك، بصرف النظر عن أي قسم من المدينة يكون. ولكن الحمقى في الوكالة يقولون إما في قسم إيتاباشي أو كاميدو أو ناكانو. نجوميتك لا تسمح. أنت نجم كبير ويجب أن تعيش في أزابو. ولم أعرف بعد ذلك سوى أنهم وضعوني في ذلك البيت السخيف. يا له من هراء! أي عَظَمة تلك التي تميز أزابو بحق الجحيم؟ سلسلة من المطاعم غالية الأسعار يديرها مصممو أزياء وتلك البناية القبيحة المنظر برج طوكيو وكل هؤلاء النساء المجنونات اللاتي يطُفْنَ حول المكان طوال الليل. الأمر نفسه مع سيارة المازيراتي الملعونة. من بحق الجحيم يمكنه أن يقود مازيراتي في طوكيو؟ إنها مزرية. أما سوبارو أو بلوبيرد أو كورونا؟ فلا. نجم كبير ينبغي ألا يموت في أي شيء أقل من مازيراتي. إن الشيء الوحيد الذي يميز هذه السيارة هي أنها ليست جديدة، لقد أخذوها من مطرب شعبي.

صب بعض الويسكي فوق الثلج الذائب وأخذ رشفة ثم علت ملامحه امتعاضة.

«ذلك هو عالمي. أزابو، سيارات أوروبية رياضية فارهة. هراء أحمق بلا معنى. كيف بدأ كل ذلك الهراء؟ حسناً، الأمر بسيط للغاية. ما عليك إلا أن تكرر الرسالة وتكرر الرسالة وتكرر الرسالة. وتغرس هذا الشيء. حتى يصدقك الجميع. مثل الساحر. أزابو، بي إم دبليو، رولكس، أزابو، بي إم دبليو، رولكس، أزابو، بي إم دبليو، رولكس، أزابو، . . . .

تلك هي الطريقة التي تجعل هؤلاء الحمقى المساكين يصدقون هذا الهراء. ولكن إن صدقوا ذلك فإنهم يصبحون تماماً مثل كل الآخرين. يصبحون عمياناً وليس لديهم أي قدر من الخيال. لقد طفح بي الكيل. سئمت تلك الحياة التي يجعلونني أعيشها. أصبحت دميتهم الجذابة ذات الحجم البشري. أصبحنا مقيدين بالقروض والرهونات. لكن من يرغب في سماع هذه الشجون؟ على أية حال أنا أعيش في بيت فخم في أزابو، وأقود سيارة مازيراتي، وألبس ساعة تريك فيليب، وهي قفزة لأعلى عن رولكس، ألا تعرف ذلك؟ وبإمكاني أن أنام مع فتاة ليل، هي حصرياً للصفوة، في أي وقت أشاء. إنني موضع حسد كل المدينة الملعونة. أود منك أن تعرف أنني لم أطلب أياً من تلك الأشياء. ولكن أسوأ ما في الأمر يا عزيزي هو أن الأمر يصبح مملاً كلما واصلت العيش على هذا المنوال، ولا يمكنني الحصول على ما أريده حقاً».

قلت: «كالحب مثلاً؟».

«نعم، كالحب مثلاً. والسكينة. وأسرة طبيعية. وحياة بسيطة»، وراح يسرد باقي القائمة. ثم وضع كلتا يديه معا أمام وجهه. «انظر إليّ، كنت أمتلك عالماً من الإمكانيات. وكانت لدي فرص. ولكني الآن دُمية. يمكنني الحصول على كل امرأة أريدها تقريباً. ولكن المرأة الوحيدة التي أريدها حقاً. . .».

كان جوتاندا قد بدأ يثمل. لم يبدُ عليه ذلك. ولكنه كان يفضفض بكل ما كان مخزوناً لديه. ظللنا نتكلم على مدى أربع ساعات تقريباً على هذا النحو. سألني جوتاندا إن كان يتعين عليه أن يغادر، لكني أخبرته أنه لا يُعطلني عن أي شيء بعينه.

قال: «آسف أنني أقحمت نفسي عليك. في واقع الأمر، ليس لدي أي شخص آخر يمكنني الحديث إليه. إذا أخبرت أي شخص أنني في أعماقي أميل لأن أكون رجل سوبارو فسوف يظنون أنني مجنون، وسوف يذهبون بي إلى معالج نفسي. بالطبع، إنها الموضة الآن أن تذهب إلى معالج نفسي، هل تعرف ذلك؟ هراء مذهل. إن المعالج النفسي في الوسط الفني أشبه باختصاصي في إزالة القيء».

أغمض عينيه ثم أردف: «يبدو أنني لم آتِ إلى هنا إلا للتشكي».

- لقد رددت كلمة هراء عشرين مرة على الأقل.

- أحقاً؟ لا عليك. نَفّس عما بداخلك، إذا كان ذلك هو ما تريده.

- لا، كفاني هذا. آسف على جعلك تستمع لكل هذا الهراء. كل ما هنالك هو أنني محاط بأشخاص دنيئين وهو ما يجعلني أريد أن أتقيأ.

- إذاً اذهب وتقيأ.

قال جوتاندا من دون تردد: «الحمقى حولي في كل مكان. مصّاصو الدماء السمان، مصاصو الدماء ذوو الوجوه القبيحة يهزّون مؤخراتهم الكبيرة في الهواء، ويقوّضون آمال وأحلام الناس البسطاء. دائماً ما أحدّث نفسي أنه سيكون مضيعة لجهد مفيد أن نقتلهم خنقاً».

- نعم، ربما يكون استخدام مضرب بيسبول أفضل. سيستغرق الخنق وقتاً طويلاً جداً.

قال جوتاندا: «أصبت. ولكن الخنق سيجعل الهدف أوضح. الموت الفوري جيد جداً. لكن لماذا نضيع الرأفة عليهم».

- آه، صوت العقل.

استطرد متجاهلاً سخريتي ثم أخرج تنهيدة ووضع يديه معاً أمام وجهه: «بصدق، أشعر بأنني الآن أفضل كثيراً».

- حسناً، ما دمنا اتفقنا، ما رأيك في طبق من الأوتشازوكي؟

- أوتشازوكي؟ إنك تمزح. إنني أحب الأوتشازوكي.

غليت بعض الشاي الأخضر وخلطت معه الأرز والحليب والسمسم والملح وبعض أعشاب البحر.

قال جوتاندا: «بحسب وجهة نظري، حياتك ليست بالسيئة».

كنت أتكئ إلى الحائط منصتاً لصوت المطر. «من بعض النواحي بكل تأكيد. لست تعيساً. ولكني مثلك. أشعر بأنني أفتقد شيئاً. أعيش حياة طبيعية، أظن ذلك. إنني أرقص. أعرف الخطوات وأرقص. ولكن من الناحية الاجتماعية، لم أحقق شيئاً. فأنا في الرابعة والثلاثين، لست متزوجاً، ليست لدي وظيفة ثابتة، أعيش حياتي يوماً بيوم. لا يمكنني الحصول على قرض إسكاني. لا أنام مع أحد. ما الذي سأكون عليه خلال ثلاثين عاماً؟».

- سوف تفلت من الفشل.

قلت: «وحتى لو لم أفعل. من يدري؟ تماماً مثل كل شخص».

- ولكن بالنسبة لحياتي أنا، فلا توجد أي نواح أستمتع بها.

- ربما لا تستمتع، ولكن يبدو أنك تهتم بنفسك بشكل جيد.

هز جوتاندا رأسه. «هل الأشخاص الذين يهتمون بأنفسهم بشكل جيد يتدفقون بكل هذا السيل اللانهائي من الشجون؟ وهل يأتون لمضايقتك ويغرقونك بكل هذا؟».

قلت: «أحياناً يفعلون. إننا نتحدث عن الناس لا عن صفات عامة».

في الواحدة والنصف أعلن جوتاندا أنه راحل.

قلت: «يمكنك البقاء إن شئت. لدي فراش إضافي. بل سوف أعد لك إفطاراً أيضاً».

– لا، سأذهب، لكن أشكرك على العرض. أنا غير ثمل الآن ويمكنني العودة للبيت. ولكن ثمة معروف أود أن أطلبه منك أولاً. أخشى أن تعتبره غريباً بعض الشيء.

– تكلم.

– هل يمكن أن تعيرني سيارتك السوبارو لبعض الوقت؟ سوف أبادلك المازيراتي في المقابل. إن المازيراتي تثير البهرجة، ولا يمكنني أن أذهب إلى أي مكان بهدوء وخصوصاً حينما أحاول أن أرى زوجتي السابقة.

قلت: «يمكنك استعارة السوبارو كما تشاء. ولكن حتى أكون صادقاً لست متأكداً ما إذا كان بإمكاني تحمّل المسؤولية عن المازيراتي. إنني أوقف سيارتي في المرآب كثيراً، ولذا يمكن أن تتعرض للتخريب أثناء الليل. وإذا حدث ذلك، فلن أكون قادراً على دفع ثمن التخريب».

– لا تقلق بهذا الشأن. إذا أصابها أي شيء فسوف تتولى الوكالة العناية بذلك. إنها مؤمّنة من مقدمتها حتى مؤخرتها. انزل بها البحر إن رغبت في ذلك. صدقني. سوف يشترون لي فيراري بعدها. هناك كاتب أفلام إباحية لديه واحدة يريد أن يبيعها.

قلت بصعوبة: «فيراري؟».

ضحك: «أعرف ما تفكر فيه. ولكن يمكنك أن تهمل ذلك. من الصعب عليك أن تفهم، ولكن في هذا العالم المتهتك الذي أعيش فيه، لا يمكنك أن تحتفظ بذوق رفيع. لأن الشخص صاحب الذوق الرفيع يعتبر شخصاً منحرفاً ومسكيناً. شخصاً ساذجاً بلا مال. سوف تحصل على التعاطف لكن لن يفكر فيك أحد بشكل جيد».

تركني جوتاندا وهو يقود سيارتي السوبارو وأدخلت سيارته المازيراتي إلى المرآب. يا لها من آلة شديدة العدوانية. كلها استجابات وقوة. إن أقل ضغطة على دواسة السرعة تجعلها تطير عن الأرض.

قلت وأنا أربت على لوحتها الأمامية ربتة حانية: «مهلاً يا عزيزتي، لا حاجة لكل هذا العزم». ولكن المازيراتي لم تكن لتنصت لأمثالي. فالسيارات أيضاً تعرف طبقتها.

(33)

في الصباح التالي ذهبت لإلقاء نظرة على المازيراتي. كانت لم تبرح مكانها ولم يمسسها أحد. مشهد يبعث على الفضول أن تجدها واقفة حيث اعتادت السوبارو أن تكون. ركبتها وغصت في مقعد القيادة ولكني لم أشعر بالارتياح. تماماً مثلما تستيقظ من النوم فتجد امرأة جميلة لا تعرفها تنام إلى جوارك. ربما يكون رائعاً أن تنظر إليها، ولكن وجودها هكذا يبعث على القلق. وتحتاج إلى وقت حتى تتأقلم مع الأشياء.

في نهاية الأمر تركت السيارة وحدها في ذلك اليوم. وبدلاً من ذلك ذهبت مشياً إلى السينما واشتريت بعض الكتب.

قبل المساء بقليل اتصل جوتاندا. شكرني على ليلة أمس.

قال: «فيما يتعلق بنقطة اتصال هونولولو، فقد اتصلت بالنادي فأكدوا لي أن بإمكانك أن تحجز امرأة في هاواي من هنا. وسائل الراحة العصرية. سألت أيضاً عن جوون التي قابلتها. قلت لهم إن شخصاً رشح لي هذه الفتاة من جنوب شرق آسيا. ذهبوا وتفحصوا ملفاتهم. إنهم يبذلون جهداً كبيراً حتى تكون معلوماتهم سرية ولكن نظراً لأنني زبون يحظى بمعاملة خاصة، فقد قالوا لي كل شيء. ليس

ذلك شيء أفخر به، دعني أقول لك. على أية حال، فقد كان ثمة جوون في هونولولو مُدرَجة لديهم. إنها فتاة فلبينية. ولكنها استقالت قبل ثلاثة أشهر».

- قبل ثلاثة أشهر؟

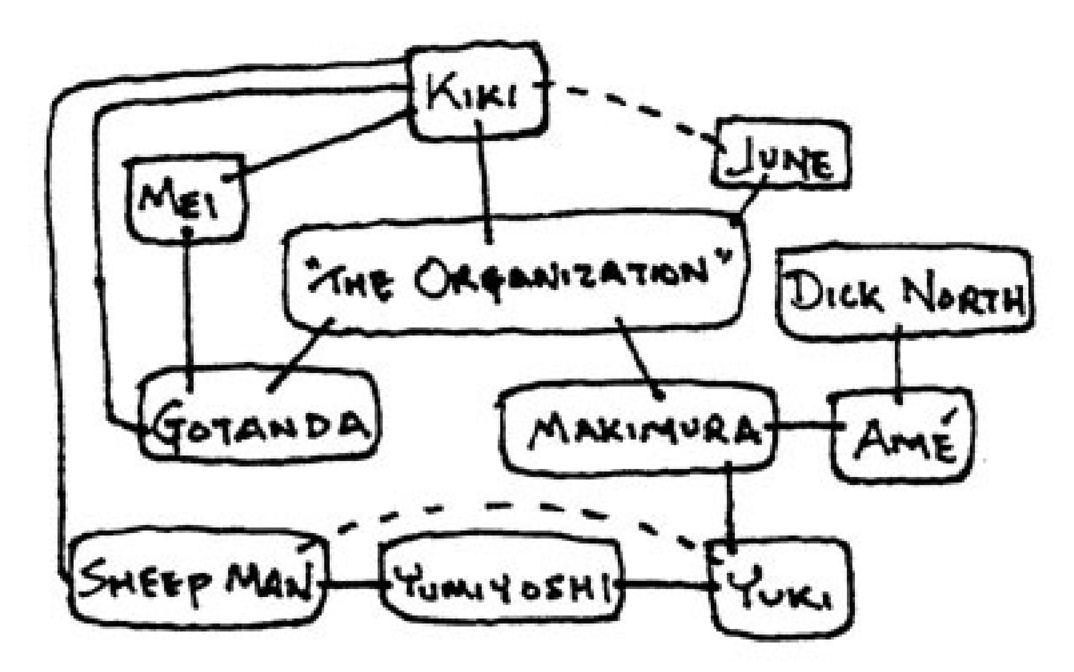
- ذلك ما قالوه.

شكرته ووضعت السماعة. إن ذلك سيحتاج إلى بعض الفهم الشاق.

خرجت أتمشى ثانية.

جوون تركت العمل قبل ثلاثة أشهر، ولكني نمت معها قبل أقل من أسبوعين. أعطتني رقم هاتفها، ولكني حينما اتصلت بها لم يرد أحد. كانت هذه هي فتاة الليل الثالثة: أولاً كيكي، ثم ماي، والآن جوون، واللائي اختفين جميعهن. ثمة خيط يجمعهن بجوتاندا وماكيمورا وأنا.

دلفت إلى مقهى ورسمت شكلاً توضيحياً في مدوّنتي عن هذه العلاقات. بدت مثل رسم توضيحي للقوى الأوروبية عشية الحرب العالمية الأولى.



رحت أتأمل الرسم وأنا ما بين الإعجاب واليأس. ثلاث فتيات ليل وممثل وسيم وسامة آسرة، وثلاثة فنانين وفتاة في بداية المراهقة، وموظفة استقبال متوترة في فندق. لو أن ذلك كان أكثر من شبكة علاقات عادية، فمن المؤكد أنني لم أكن لأفهمها. ولكنها يمكن أن تصنع رواية جيدة من روايات أغاثا كريستي.

لكن من الذي كنت أخدعه؟ لست أدري. كرة الخيط تتعقد كلما حاولت فكها. في البداية كانت هناك خيوط كيكي وماي وجوتاندا. أضف إلى ذلك ماكيمورا وجوون. ثم تبين أن كلاً من كيكي وجوون مرتبطتان برقم الهاتف نفسه. وهكذا دواليك.

قلت مخاطباً منفضة السجائر التي أمامي: «مشكلة عسيرة جداً على الحل، أليس كذلك؟» بالطبع لم تُجِب المنفضة. منفضة ذكية. جربت الأمر نفسه مع فنجان القهوة ووعاء السكر والفاتورة. جميعهم تظاهروا بأنهم لا يسمعون. أحمق أنا. كنت أنا الشخص الذي يجري كالمجنون وسط هذه الأحداث الغريبة. كنت الشخص المهترئ. كم كانت ليلة ربيعية جميلة ولكن بلا أمل في مواعدة غرامية.

ذهبت إلى البيت وحاولت الاتصال بيوميوشي. لم يحالفني الحظ. هل لديها دوام عمل في الصباح الباكر؟ أم ربما لديها موعد ليلي في نادي السباحة؟ كنت أشعر بحاجة ماسة لرؤيتها. كنت أفتقد تمتمتها المتوترة، ورشاقة حركاتها. الطريقة التي ترفع بها نظارتها على أنفها، ملامحها الجادة حينما تتسلل إلى الغرفة. أحببت الطريقة التي تخلع بها سترتها قبل الجلوس بجواري. كنت أشعر بالدفء لمجرد التفكير فيها. كنت أشعر بانجذاب نحوها. ولكن هل يمكن أن تستقيم لنا الأمور يوماً ما؟

كان عملها خلف مكتب الاستقبال وذهابها إلى نادي السباحة يمنحانها الرضا. بينما كنت أجد اللذة في سيارتي السوبارو

وتسجيلاتي القديمة وتناول طعام جيد حينما أقوم بعملية الجرف. هكذا نحن الاثنين. ربما ينجح ذلك وربما لا. بيانات ناقصة، أو التشخيص مستحيل. أم أن الأمر سوف ينتهي بأن أُلحِق بها الأذى هي الأخرى كما فعلت مع كل امرأة التقيتها؟ مثلما قالت زوجتي السابقة.

كلما فكّرت في يوميوشي، ازدادت رغبتي في الطيران إلى سابورو لاستكمال البيانات الناقصة. على الأقل يمكنني أن أبوح لها بمشاعري. ولكن، لا، يجب عليّ أولاً أن أفك بعض العقد الحَرِجة. هناك أشياء لم تستكمل. لم أكن أرغب في أن أظل أجرجرها أينما ذهبت. هناك ظل نصفه رمادي سوف يخيم على طريقي بقية حياتي. ليس مثالياً تماماً.

المشكلة تكمن في كيكي. لم أستطع أن أتغلب على الشعور بأنها في قلب كل ذلك. كانت تحاول الوصول إليّ. في أحلامي، في فيلم سينمائي في سابورو، في وسط مدينة هونولولو. ظلت تقطع عليّ طريقي، تحاول أن تقودني إلى مكان ما وأن تترك لي رسالة. كان كل ذلك واضحاً للغاية. ولكن لا شيء آخر.

كيكي، ماذا كنت تريدين مني؟

ماذا يجب عليّ أن أفعل؟

ليس باستطاعتي غير الانتظار حتى يظهر شيء. ليس هناك فائدة من الاندفاع. هناك شيء من المرجح أن يحدث. شيء من المرجح أن يظهر. ليس عليك سوى أن تنتظره حتى يظهر. يمكنك أن تسميه درساً من التجربة.

حسناً، إذاً سوف أنتظر.

كنت ألتقي جوتاندا كل بضعة أيام بعد ذلك. بعد فترة أصبح

ذلك عادة. وفي كل مرة نلتقي، كان يعتذر لاحتفاظه بالسوبارو لفترة طويلة جداً.

قال مازحاً: «ألم تمخر البحر بالمازيراتي بعد؟».

وكنت أجيب: «للأسف لا، لم يكن لدي وقت للذهاب إلى البحر».

جلست أنا وجوتاندا إلى البار نحتسي الفودكا والتونيك. كان إيقاعه في الشراب أسرع مني قليلاً. قال وهو يرفع الكأس نحو شفتيه: «أراهن أنه سيكون شعوراً رائعاً. أن تقذف بها في البحر».

قلت: «مثل نسيم عليل. ولكنك بعد ذلك سوف تحصل على فيراري».

- سوف أقذف بها هي الأخرى.

قلت: «وبعد الفيراري؟».

- من يدري؟ ولكن إن آجلاً أو عاجلاً، سوف تستدعيني شركة التأمين.

- أي شركة تأمين؟ ومن يأبه لشركة التأمين؟ يجب أن تفكر بشكل أكبر. اذهب إلى القمة. هذا فيلم فانتازيا، وليس واحداً من أفلامك المنخفضة الميزانية. الفانتازيا لا تحدد لها ميزانيات، فلماذا تكون وسطاً في ذلك؟ اذهب لأعلى من ذلك. لامبورغيني، بورش أو جاغوار! اجعل السماء سقفك! والمحيط من الاتساع بما يكفي لأن يبتلع آلاف السيارات. اجعل خيالك يؤدي وظيفته يا رجل.

ضحك: «لقد بددت قلقي».

قلت: «وأنا كذلك، خصوصاً أنها ليست سيارتي، وأنه ليس خيالي». ثم سألته عن أحواله مع زوجته السابقة.

أخذ رشفة من كأسه وتطلع في المطر بالخارج. كان البار قد خلا

من رواده فيما عدا نحن الاثنين. لم يكن أمام النادل من عمل سوى إزالة الزجاجات.

قال بوداعة مصحوبة بابتسامة هادئة: «الأمور تسير على ما يرام. لقد وقعنا في الحب. حب تم تأكيده وإتمامه بالطلاق. أمر رومانسي، أليس كذلك؟».

- أليس كذلك؟ ربما يُغشى عليّ.

ضحك.

قال: «ولكن ذلك صحيح».

قلت: «أعرف».

هكذا كان ينحرف حديثنا في كل مرة أرى فيها جوتاندا. ما كنا نتكلم بشأنه كان على درجة من الخطورة لا يمكن معه إلا الاستخفاف به. لم تكن معظم النكات جيدة. لكن ذلك لم يهم. كان يكفينا أن نقول النكات وأن يكون هناك نكات متبادلة بيننا. لم يكن كلانا يدرك إلى أي مدى كنا جادين.

إن الرابعة والثلاثين هي عمر حرج. نوع آخر من السن الحرج يختلف عن سن الثالثة عشرة، ولكن أكثر حرجاً. أنا وجوتاندا كنا في الرابعة والثلاثين وكلانا يقترب من أواسط العمر. كنا نتجهز لجعل نفسينا أكثر دفئاً في الأيام الأكثر برودة التي تنتظرنا.

جوتاندا عبَّر عن ذلك بنوع من البلاغة: «الحب، ذلك هو ما أحتاج إليه».

قلت: «لقد لمست وتراً لديّ». لكن الحقيقة هي أن ذلك ما أحتاج إليه أنا أيضاً.

توقف جوتاندا حتى يفكر في ما قال. فكرت فيه أنا أيضاً.

فكرت أيضاً في يوميوشي. كيف شربت كل ذلك البلودي ماري في تلك الليلة الثلجية.

قال جوتاندا بعد فترة: «لقد نمت مع نساء كثيرات جداً. يصعب عليّ أن أحصيهن. لكنك حينما تنام مع واحدة، فكأنما نمت معهن جميعاً. سُحقاً، إنك تجد نفسك تقوم بالحركات الآلية المملة نفسها. إن ما أريده هو الحب. ها أنا ذا أعري لك روحي العاطفية مرة ثانية. ولكني أقسم إن المرأة الوحيدة التي أرغب في النوم معها هي زوجتي السابقة».

طقطقت أصابعي. «مدهش. يجب عليك أن تدعو لمؤتمر صحفي. وليكن: أرغب في النوم مع زوجتي السابقة فحسب هي التصريح الرئيسي. سوف يتأثر الجميع حتى تدمع عيونهم. بل ربما ستتلقى تنويهاً من رئيس الوزراء».

- لا، يستحق المرء جائزة نوبل على ذلك. ليس هذا بشيء يمكن لأحد من عامة الناس القيام به».

- سوف تحتاج إلى معطف طويل لأسفل الركبتين حتى تحضر به حفل الجائزة».

- سوف أشتريه. يمكنك أن تضيفه إلى حساب مصروفاتي.

- حساب معفى من الضريبة المقدسة.

استطرد جوتاندا: «سوف أقف على المسرح مع ملك السويد. سوف أعلنها صراحة أمام كل العالم حتى يسمع. سيداتي سادتي، إن المرأة الوحيدة التي أرغب في النوم معها هي زوجتي! سيُحدث ذلك موجات من الانفعال. سحب العاصفة تنقشع، والشمس تخترق».

«الثلوج القطبية تذوب والفايكنغ يُقهَرون والحوريات يغنين».

آه، إنه الحب. لاذ كل منا بالصمت ورحنا نتأمل في عَظَمَته.

كان لدي الكثير مما أفكر فيه. كان عليّ التأكد من أنني أخذت بعض الفودكا وعصير الطماطم والليمون.

قلت: «أو حينئذ، ربما لن تتلقى جائزة. ربما سوف يلقون القبض عليك باعتبارك منحرفاً جنسياً».

أطرق جوتاندا يفكر في ذلك وقال: «ربما. إننا نتحدث عن ثورة جنسية جديدة. ربما تنتفض الجماهير وتسحقني بأقدامها حتى الموت. سوف أكون شهيداً جنسياً».

«أول ممثل يستشهد في سبيل الثورة الجنسية الجديدة».

«استُشهِد ولن ينام مع زوجته السابقة أبداً».

حان الوقت لجولة أخرى من الشراب.

كلما وجد لديه لحظة فراغ، كان جوتاندا يتصل فنخرج معاً أو يأتي هو إلى شقتي أو أذهب أنا إليه في شقته. ومرت الأيام. وقررت ألا أعمل على الإطلاق. لم أكن أشعر بأي قلق. كان العالم يسير بنحو جيد جداً بدوني. وفي أثناء ذلك كنت أنتظر.

أرسلت لهيراكو ماكيمورا ما تبقى من المال والإيصالات الخاصة بالرحلة عبر البريد.

في اليوم التالي تلقيت اتصالاً من بوي فرايداي يرجوني أن آخذها كلها.

كان أمراً مضنياً لي أن أمر بكل هذا الكر والفر، لذا فقد استسلمت. إذا كان ذلك سيجعل السيد سعيداً، فمن أنا حتى أجادل؟ وقبل أن تقول «المال في البنك» كان ماكيمورا قد أرسل لي شيكاً بثلاثمئة ألف ين. كما ضم المظروف أيضاً إيصالاً لخدمات تم تأديتها. وقّعته وختمته وأرسلته بالبريد. إنها عودة إلى العالم الرائع لحسابات المصروفات.

وضعت الشيك ذا الثلاثمئة ألف ين على سطح مكتبي من دون أن أمسسه حتى تراكم عليه الغبار.

جاءت عطلة الأسبوع الذهبي وانتهت.

اتصلت بيوميوشي عدة مرات. كانت هي دائماً الطرف الذي يحدد مدّة المكالمة. أحياناً كنا نتكلم لوقت طويل، وفي مرات أخرى كانت تقول ببساطة «مشغولة، يجب أن أذهب الآن» وتضع السماعة. أو إذا خيم صمت طويل بيننا أثناء المكالمة، كانت تضع السماعة من دون سابق إنذار. لكننا على الأقل كنا نتكلم. نتبادل المعلومات أحياناً. وفي أحد الأيام أعطتني رقم هاتفها المنزلي. إنه تقدُّم.

كانت تذهب إلى نادي السباحة مرتين في الأسبوع. وهو ما تبين لي أنه لا يزال يشعرني بلحظات من الغيرة. من بعض المدربين الوسيمين وكل من في النادي. كنت أغار مثل طالب في المدرسة الثانوية. وكان أخشى ما أخشاه هو أن تعرف هي ذلك. أغار من نادي سباحة؟ أمر مثير للسخرية. إنك غير ناضج. كنت أخشى أن ترفض أن تراني ثانية.

لذا حينما أثير الموضوع، أمسكت لساني. بالرغم من أن عدم الحديث عن ذلك قد ضخّم من جنون الارتياب لديّ. كنت أتخيل المدرب، جوتاندا بالطبع يستبقي يوميوشي بعد الحصة التدريبية من أجل جلسات خاصة مكثفة. يداه تسندان صدرها وبطنها فيما كانت تتدرب على السباحة.

كانت يداه تداعبان نهديها وتمسحان على فخذيها.

«الأمر على ما يرام. ألا تعرفين؟ المرأة الوحيدة التي أريد النوم معها هي زوجتي».

ثم يأخذ يد يوميوشي ويضعها فوق منطقة حوضه. وتبدأ في تدليكها له. انتصاب تحت الماء، مثل الشعاب المرجانية. يوميوشي تصل إلى النشوة.

«الأمر على ما يرام. ألا تعرفين؟ المرأة الوحيدة التي أريد النوم معها هي زوجتي».

كم أنا أحمق، كان ذلك هو ما يخطر ببالي كلما تذكرت يوميوشي. مع مرور الوقت كان الخيال يصبح أكثر تعقيداً حيث يدخل فيه طاقم كامل من الشخصيات. كيكي وماي ويوكي يدخلون كضيوف شرف. بينما كانت أصابع جوتاندا تُمسّد جسدها، يوميوشي أصبحت كيكي.

ذات ليلة قالت لي يوميوشي: «اسمع، إنني شخصية صريحة وبسيطة». كانت تبدو منهكة جداً بعد يوم طويل من العمل الشاق. «الفارق الوحيد بيني وبين أي شخص آخر هو اسمي. أما غير ذلك فأنا مثل كل الناس. إنني فقط أعمل خلف مكتب الاستقبال لفندق يوماً بعد يوم، وأبلي حياتي بلا طائل. لا تتصل بي مرة أخرى. لست أساوي حتى ثمن المكالمة».

- ولكني كنت أظنُّك تحبين العمل الفندقي.
- نعم أحبه.
- ولكن؟
- العمل جيد. ولكن أحياناً أعتقد أن الفندق سوف يلتهمني. فقط أحياناً. أسأل نفسي، لو أنني لم أكن هنا، أي فرق سيكون؟ سوف يظل الفندق هناك. ولكن لست أنا. إنني خارج الصورة. ذلك هو الفرق.

سألتها: «ألا ترين أنك تأخذين العمل في الفندق بجدية أكبر من

اللازم قليلاً؟ الفندق هو الفندق وأنت هو أنت. أفكر فيك كثيراً وأحياناً أفكر في الفندق. ولكن لم أفكر فيكما معاً أبداً. أنت هو أنت، والفندق هو الفندق».

– وهل تظن أني لا أعرف ذلك؟ أعرف ذلك ولكن الناس يرتبكون. لقد تم جرجرة حياتي الخاصة وهويتي في عالم هذا الفندق ثم بعد ذلك تم ابتلاعهما.

– إن ذلك يحدث لكل شخص. أن يتم استدراجك نحو شيء ما ثم تفقدين السبيل فيكون ذلك نهاية لشيء وبداية لآخر. لستِ الوحيدة في ذلك. إنه يحدث لي أيضاً.

قالت: «إنه ليس الشيء نفسه أبداً».

– لا، ربما لا. ولكني ما زلت أتعاطف معك. لأن فيك شيئاً جاذباً جداً.

لاذت يوميوشي بالصمت خلال الفراغ الهاتفي.

ثم قالت وهي على وشك النحيب: «إنني . . . إنني خائفة. إنني خائفة من تلك الظلمة. خائفة من أنها سوف تحدث ثانية في وقت قريب».

– مهلاً، ماذا أصابك؟ هل أنت على مايرام؟

بدأت تنتحب بوضوح الآن: «أنا على ما يرام. ماذا تظن؟ إذا كنت أبكي، هل في ذلك خطأ».

– لا، لا شيء على الإطلاق. كنت فقط قلقاً.

– هل يمكن أن تصمت؟

فعلت مثلما طلبت مني، وراحت يوميوشي تبكي حتى لم تعد قادرة على البكاء، ثم وضعت السماعة.

في السابع من مايو اتصلت بي يوكي.

قالت: «لقد عدت. ما رأيك أن نخرج معاً بالسيارة؟».

استقللت سيارة المازيراتي إلى بيتها في أكازاكا. ولكن حينما رأتها يوكي، انقبضت ملامح وجهها بعدم رضا.

– ماذا تفعل بهذه؟

– لم أسرقها. لا تقلقي. لقد سقطت سيارتي في بئر مسحورة، هل تعرفين ثم ماذا؟ ظهرت لي جنية البئر تشبه إيزابيل إدجاني وسألتني: هل كانت مازيراتي ذهبية اللون أم بي إم دبليو فضية؟ فقلت لها، لا هذه ولا تلك. كانت سوبارو نحاسية و. . .

قالت يوكي: «مهلاً. كف عن نكاتك السخيفة. أنا أسأل سؤالاً جاداً. من أين لك بذلك الشيء».

– لقد تبادلتها مؤقتاً مع صديق. كان يريد استعارة السوبارو لأسباب شخصية.

– صديق؟

– ربما لا تصدقين ذلك، ولكن نعم، لدي صديق واحد على الأقل.

صعدت إلى جانبي وألقت نظرة على داخل السيارة ثم علت ملامحها علامات الاستغراب. قالت: «سيارة غريبة. حمقاء».

– الآن وقد قلتِ ذلك، فقد قال مالكها الشيء نفسه. بالرغم من أن كلماته كانت مختلفة بعض الشيء.

أسكتها ذلك.

وجّهت المازيراتي جنوباً صوب شونان. لم تنطق يوكي بكلمة. قمت بتشغيل شريط ستيلي دان وخفضت الصوت وقدت بحذر. كان الطقس صافياً ودافئاً، لذا كنت أرتدي قميص ألوها وأضع نظارة سوداء

فيما كانت يوكي ترتدي قميص بولو قرمزياً. كان الجو يوحي بأننا عدنا إلى هاواي. أمامنا كانت هناك سيارة محملة بالخنازير، وعيونهم الحمراء تحملق من خلال الأقفاص نحونا. هل يمكن للخنازير أن تميز بين مازيراتي وسوبارو.

سألتها أخيراً: «كيف كانت هاواي بعد أن تركتها؟».

هزت يوكي كتفيها.

– هل سارت الأمور على مايرام مع والدتك؟

هزت كتفيها مرة أخرى.

– هل ركبت الموج؟

للمرة الثالثة هزت كتفيها.

– تبدين في صحة جيدة. بشرتك أصبحت برونزية تماماً. مثل قهوة بالحليب. ناعمة وجميلة.

مرة أخرى هزت كتفيها.

– هل تمرّين بدورتك الشهرية أو شيء من هذا القبيل؟

هزة الكتفين نفسها.

لذا قمت بهز كتفيّ أنا أيضاً.

قالت يوكي: «أريد العودة إلى البيت. ارجع بنا».

– هذا طريق سريع. وحتى نيكي لودا لا يمكنه أن يقوم بانعطافة للخلف.

– إذاً اخرج بنا من الطريق.

استدرت نحوها. بدت مرهقة فجأة، عيناها زائغتان وخاليتان من الحياة. ربما كانت شاحبة اللون بعض الشيء أيضاً. كان صعباً أن أعرف ذلك بسبب اللون البرونزي.

– هل تريدين أن نتوقف ونرتاح بعض الوقت؟

– لا أريد راحة. أريد العودة إلى طوكيو. الآن!

خرجنا من الطريق السريع عند يوكوهاما ثم عدنا في الاتجاه المعاكس. حينما وصلنا إلى أكازاكا، سألتني يوكي إن كان بإمكاننا أن نجلس في مكان ما. أوقفت المازيراتي في المرآب ومشينا نحو ضريح نوجي حيث وجدنا مقعداً.

قالت يوكي وهي تحاول أن تكون معتدلة: «آسفة. كنت أشعر بالإعياء. لم أكن أريد أن أقول أي شيء. لذا كتمت الألم».

– لا ينبغي أن تكتميه. أعرف كيف تشعر الفتيات. إنني معتاد على ذلك.

صرختْ: «ليس ذلك. هذا ليس له علاقة! إن ما ضايقني هو ركوب مثل هذه السيارة. تلك السيارة الغبية!».

– ما العيب في المازيراتي؟ ليست سيارة سيئة لهذه الدرجة. إنها تسير بشكل جيد وقيادتها سهلة أيضاً. نعم إنها مبهرجة كثيراً مقارنة بذوقي البسيط. حتى لو كنت أحتمل سعرها، أظن أنني لن أشتري مثل هذه السيارة».

– لا يهمني من أي طراز هذه السيارة. المشكلة هي السيارة. ألا تشعر بذلك؟ إنها سيئة. إنها خانقة. أشعر بضغط على صدري ومعدتي أيضاً. ألم تشعر بذلك؟

قلت: «لا. لكني لا أشعر بواحد في المئة من الراحة وأنا في هذه السيارة. أعتقدت أن ذلك لأني معتاد على السوبارو. تعرفين أن المرء يحب ما اعتاده. ولكن لا علاقة لذلك بالضغط الذي تتحدثين عنه».

هزت رأسها: «لا، إنه ليس كذلك على الإطلاق. هذا شيء غريب حقاً».

«هل ذلك بسبب . . . .؟» لم أكمل الجملة. لم أكن أريد أن أقول أي شيء يبدو أن فيه تنازلاً.

- نعم. إنه بسبب ذلك. شعرت بشيء غريب.

- حسناً، ما هو؟ كيف شعرتِ داخل هذه السيارة؟

هزت يوكي رأسها مرة أخرى، ولكن في هذه المرة تحدثت.

«سوف يكون سهلاً لو استطعت أن أشرح، ولكني لا أستطيع. لا يمكنني وضعه في صورة. إنه مجرد شعور. كتلة ثقيلة ومظلمة ومزعجة من الضغط داخلي. إنه . . .». بحثت يوكي عن الكلمة ويديها في حجرها. «هناك خطأ! لا أعرف أين هو. ولكن هناك شيء خطأ. لا يمكنني التنفس هناك. حاولت أن أتجاهله، ظننت أنه صعوبة في التنفس أو شيء من ذلك. ولكنه بعد ذلك أصبح أسوأ فأسوأ. لا أريد أن أركب هذه السيارة مرة ثانية، هل تسمعني؟ أعد سيارتك السوبارو».

تمتمتُ: «إنها لعنة المازيراتي».

قالت بحدة أشد: «لست أمزح. يجب ألا تقود هذه السيارة».

استسلمت مبتسماً: «حسناً، حسناً. أعرف أنك لا تمزحين. سوف أحاول ألا أقود المازيراتي أكثر من اللازم. أو ربما سأذهب وأغرقها في البحر».

قالت يوكي بجدية: «إذا أمكن».

احتاجت يوكي إلى ساعة حتى تستفيق من هذه الصدمة. جلسنا على الأريكة فيما أسندت ذقنها إلى يديها وأغمضت عينيها. كان

الناس يمرون من أمامنا. أناس كبار في السن، أمهات يصحبن أطفالهن، سياح أجانب بكاميراتهم المعلقة حول رقابهم. من وقت لآخر كان موظف أو شخص بهيئة مسؤول مبيعات يتوقف ويأخذ قسطاً من الراحة على مقعد مجاور لنا. فيحدق فينا ببذلته السوداء. بعد عشر دقائق يستأنف طريقه على الرصيف مرة أخرى. حسب معظم المعايير فإن أي بالغ طبيعي يجب أن يكون في محل عمله في هذه الساعة وأي طفل طبيعي يجب أن يكون في مدرسته.

سألتها: «كيف حال والدتك؟ هل عادت معك؟».

- نعم. إنها في هاكوني مع ذلك الشخص ذي الذراع الواحدة. تفرز صورها الخاصة بكاتماندو وهاواي.

- وأنت ألم ترغبي في الإقامة في هاكوني؟

- لم أحبها. لا يوجد ما أفعله هناك.

قلت: «أخبريني، ما الذي هناك بالضبط في طوكيو يمكنك أن تفعليه بمفردك؟».

هزة أخرى من هزات كتفيها المعتادة. «يمكنني الخروج معك».

- حسناً، ليس هناك شيء أفضل من ذلك. ولكن حتى أكون واقعياً سوف يكون عليّ أن أعود لعملي. لا يمكنني تحمّل أن أظل أتجول هكذا معك إلى الأبد. كما أنني لا أريد أي إحسان من والدك أيضاً.

قالت ساخرة: «يمكنني أن أفهم عدم رغبتك في أخذ مساعدات من والدي، ولكن لماذا تصر على تضخيم هذه المسألة؟ كيف تظن شعوري حينما أجرجرك إلى مكان مثل ذلك؟».

- إذاً أنت تريدين مني أن أقبل المال؟

- لو فعلت، فلن أشعر بذنب كبير.

قلت: «لم تفهمي يا يوكي. أنا لا أريد مالاً مقابل صداقتي لك. لا أود أن يتم تقديمي في حفل زفافك باعتباري مرافق العروسة منذ أن كانت في الثالثة عشرة. سوف يتندر كل الحضور بذلك. أريد أن أقدم باعتباري صديق العروسة حينما كانت في الثالثة عشرة».

احمرّت يوكي خجلاً: «أنت أحمق. أنا لن أقيم حفل زفاف».

- رائع. أنا لا أحب حفلات الزفاف. وكل هذه الكلمات العبثية وقطع كعكة الزفاف التي يفترض أن تأخذيها معك إلى البيت. وكل أنواع المجاملات. ولكن كل ما أريد أن أقوله هو: لا تشتري الأصدقاء. وخصوصاً بأموال حساب المصروفات.

- ذلك يمكن أن يكون الدرس المستفاد لقصة من قصص الجنيات.

- مدهش. أخيراً أصبح لديكِ موهبة المزاح. مع الممارسة يمكننا أن نشكل ثنائياً كوميدياً رائعاً.

هزت كتفيها.

تنحنحتُ منظّفاً حنجرتي: «ولكن بكل جدية يا يوكي، إن كنت تريدين التجول كل يوم، فأنا جاهز لذلك تماماً. ومن يرغب في العمل؟ إنه مجرد عملية جرف لا طائل من ورائها. ولكن ينبغي أن يكون هناك شيء واحد واضح: لن أقبل أي أموال مقابل البقاء معك. هاواي كانت مسألة مختلفة. أخذت مالاً مقابل ذلك. بل حتى قبلت المرأة التي ألقي بها إليّ. بالطبع، كنت أظن أنك لن تتحدثي معي مرة ثانية. لقد كرهت نفسي لقبولي الحصول على المال مقابل خدمات. من الآن فصاعداً، سوف أفعل الأشياء بطريقتي. لا أريد أن أجيب على أي شخص، كما لا أريد أن أعيش عالة على أي شخص. أنا لست ديك نورث ولست خادم أبيك وليكن اسمه ما يكون. لا ينبغي أن تشعري بالذنب».

ابتهجت يوكي: «هل تعني أنك ستخرج معي؟» ثم نظرت إلى أسفل حيث أصابع قدميها اللامعة.

- هل تراهنين؟ أنت وأنا يمكن أن نكون نموذجاً لشخصين منبوذين. يمكن أن نكون موضوعاً. لذا دعينا نستجم ونستمتع بأوقاتنا.

- لماذا أنت لطيف إلى هذا الحد؟

- لست لطيفاً.

صنعت يوكي شكلاً من الأشكال في الطين بطرف حذائها. شكلاً لولبياً.

- إذاً أنا لست عبئاً عليك؟

- ربما تكونين عبئاً وربما لست عبئاً. لا تشغلي رأسك الصغير بذلك. أنا أريد أن أكون معك لأني أحبك. أحياناً حينما أكون معك أتذكر أشياء افتقدتها حينما كنت في مثل سنك. مثلاً أتذكر صوت المطر ورائحة الرياح. وهو أمر رائع أن تستعيدي مثل هذه الأشياء. حتى لو ظننتي أنني شخص غريب. ربما تدركين ما أقصد يوماً ما.

- أنا أدرك بالفعل ما تقصد.

- حقا؟

قالت يوكي: «أعني أنني افتقدت الكثير من الأشياء في حياتي أيضاً».

قلت: «إذاً لقد فهمتِ».

لم تقل شيئاً. استدارت وهي تتطلع إلى زوار الضريح.

قالت يوكي: «ليس لدي أي شخص أتحدث إليه إلا أنت. صدّقني».

- وماذا عن ديك نورث؟

أخرجت يوكي لسانها: «إنه أبله».

- ربما يكون كذلك وربما لا. لكني أعتقد أن عليك أن تعرفي أنه إنسان طيّب ولا يفاخر بذلك. وهذه النوعية نادرة جداً. ربما لا يكون من مستوى والدتك وربما لا يكون شاعراً موهوباً. ولكنه يعتني بوالدتك بإخلاص. الأرجح أنه يحبها. إنه طاه ماهر ويمكن الاعتماد عليه وشخص مراع لمشاعر الآخرين.

- هو أبله مع كل ذلك.

بدا أن مشاعر يوكي نحوه نهائية. لذا غيرت الموضوع. تحدثنا عن الأوقات الممتعة التي أمضيناها في هاواي. الشمس والموج والنسيم الاستوائي وشراب البينا كولادا. قالت يوكي إن ذلك جعلها تشعر بالجوع، لذا ذهبنا لتناول بعض الفطائر والحلوى. ثم ذهبنا إلى السينما بعد ذلك.

في الأسبوع التالي مات ديك نورث.

(34)

كان ديك نورث يقوم بالتسوق في أحد مساءات الاثنين في هاكوني وما كاد يخرج من السوبر ماركت بحقيبة مملوءة بالمشتريات يحملها أسفل ذراعه حتى صدمته شاحنة كانت مسرعة. اعترف سائق الشاحنة بأنه لا يعرف ما الذي دفعه لأن يسير بهذه السرعة رغم عدم وضوح الرؤية في الطريق. كما أن ديك نفسه ارتكب خطأ قاتلاً. لقد نظر إلى يساره لكن لم يسعفه أجله للنظر عن يمينه أيضاً. وهو خطأ شائع بين الأشخاص الذين عاشوا في الخارج لفترة ثم عادوا لتوهم إلى اليابان. إنك لم تتعود بعد على السيارات التي تقود على الجانب الأيسر من الطريق. لقد دفعت الشاحنة ديك إلى المسار المعاكس من الطريق حيث صدمته شاحنة أخرى قادمة من ذلك الاتجاه. ومات على الفور.

حينما بلغتني الأخبار، كان أول ما خطر ببالي هو أنني صحبت ديك للتسوق من سوبرماركت مشابه في ماكاها. كم كان خبيراً في اختيار مشترياته بعناية، كان يفحص الفاكهة والخضراوات وبلا حرج كان يضع صندوقاً من التبغ في عربة التسوق. يا له من مسكين. غير محظوظ حتى النهاية. فقد ذراعه في فيتنام حينما داس الشخص

المجاور له على لُغم. كان يمضي الليل والنهار يطفئ سجائر آمي المشتعلة. والآن مات على الأسفلت وهو يحمل حقيبة من المشتريات.

جعلته جنازته يعود إلى أسرته الشرعية، زوجته وطفله. لم تحضر آمي أو يوكي الجنازة وكذلك أنا.

استعرت السوبارو من جوتاندا وأوصلت يوكي إلى هاكوني في ظهيرة ذلك الثلاثاء. كان ذلك بناء على توسل يوكي. «أمي لا يمكنها أن تعتمد على نفسها. بالتأكيد هناك الخادمة ولكنها عجوز ولا تقدر على عمل شيء، كما أنها تعود إلى بيتها ليلاً. لا يمكننا أن نترك أمي وحيدة هناك».

قلت: «نعم، ربما يكون من الأفضل أن تمضي معها بعض الوقت».

قالت يوكي وهي تقلّب خريطة الطريق. «هل تذكر حينما حدثتك عنه بشكل سيئ؟».

- مَن؟ ديك نورث؟

- نعم». قلت: «وصفتِهِ بأنه أبله».

دسّت يوكي الكتاب في جيب الباب وأسندت كوعها إلى النافذة ومدّت بصرها نحو المشهد الخارجي. «ولكن هل تعرف إنه لم يكن سيئاً. كان لطيفاً معي. لقد أمضى وقتاً يعلمني كيف أركب الموج. حتى من دون تلك الذراع، كان أكثر امتلاء بالحياة من كثير من الأشخاص ممن لديهم ذراعان. وفوق ذلك كان يعتني بأمي».

- أعرف.

- ولكني تحدثت عنه بشكل سيئ.

- لم يكن بوسعك تجنب ذلك. هذا ليس ذنبك.

كانت تمد بصرها طول الطريق أمامها. لم تستدر حتى تنظر إليّ. كان النسيم الذي يهبّ من خلال النافذة يداعب شعرها المنسدل على جبينها.

قلت: «إنه أمر محزن، لكني أظن أنه كان من تلك النوعية من الأشخاص. كان شخصاً لطيفاً، وربما جديراً بالاحترام. ولكنه عومل كأنه سلة مهملات. كان الناس دائماً يعتبرونه مكبّاً لنفاياتهم. ربما ولد بهذا الميل. أن تكون شخصاً عادياً هو شيء مثل بقعة على قميص. لا تمّحي أبداً».

- هذا ليس عدلاً.

- كقاعدة، الحياة ليس فيها عدل.

- نعم، ولكني أظن أنني نلت أشياء سيئة عنه.

- عن ديك؟

- نعم.

وجهت السيارة وصعدت إلى حافة الطريق ثم أوقفتها.

قلت وأنا أوبخها بنظرتي: «إنه عين الحمق مثل هذا النوع من التفكير. بدلا من الندم على ما فعلتِ، كان يمكنك أن تعامليه باحترام من البداية. كان ينبغي أن تكوني نزيهة. لكنك لم تفعلي. ليس من حقك حتى أن تشعري بالأسف».

نظرت إليّ مصدومة وقد شعرت بحرج.

- ربما أكون قاسياً عليك. ولكن اسمعي، أنا لا أهتم بما يفعله الآخرون. لا أريد أن أسمع مثل هذا النوع من الكلام منك. لا ينبغي أن تقولي مثل هذه الأشياء ببساطة وكأن مجرد قولها سوف يحل أي شيء. إنك تظنين أنك تشعرين بالأسف نحو ديك، ولكني لا أظن أنك تشعرين حقاً بالأسف. لو كنت في مكان ديك، فلن أتقبل ندمك

السهل. لا أحب أن يقول الناس «آه، لقد تصرفت بشكل شنيع»، إنها ليست مسألة أخلاق، بل مسألة إنصاف. ذلك شيء ينبغي أن تتعلميه.

لم تُحر يوكي جواباً. ضغطت بأصابعها على جانبي رأسها وأغمضت عينيها في صمت. بدا وكأن سنة من النوم قد أخذتها، لولا حركات رموشها الخفيفة وارتعاشات شفتيها. كانت تبكي في داخلها من دون نحيب أو دموع. هل كان عليّ أن أتوقع الكثير من فتاة في الثالثة عشرة؟ من أنا حتى أعتقد أنني أقوَم أخلاقاً من الآخرين؟ لكن سواء كانت في الثالثة عشرة أو لا، وسواء كنت نموذجاً يحتذى أم لا، لا يمكنك أن تدع الأشياء تنزلق هكذا. الغباء غباء. لا يمكنني أن أتسامح معه.

لم تتحرك يوكي. مددت يدي نحوها ولمست ذراعها.

قلت: «لا بأس. إنني قليل الإدراك للغاية. لا، حتى أكون منصفاً، لقد فعلت أفضل ما يمكن أن يُطلب منك».

سالت دمعة على وجنتها وسقطت في حجرها. كان ذلك هو كل شيء. جميلة ونبيلة.

طفقت تتحدث بعد دقيقة من ذلك: «إذاً ماذا بوسعي أن أفعل الآن؟».

قلت: «لا شيء. فقط فكري في الكلمة قبل أن تتلفظي بها. إنك مَدينة لهذا الميت. مع مرور الزمن، سوف تفهمين. ما يدوم، يدوم، وما لا يدوم لا يدوم. الزمن كفيل بعلاج معظم الأشياء. وما لا يستطيع أن يعالجه الزمن، يتعين عليك أن تعالجيه بنفسك. هل يصعب عليك ذلك؟».

أجابت وهي تحاول أن تبتسم: «بعض الشيء».

قلت وأنا أحاول أن أبتسم أيضاً: «بالطبع يصعب عليك. أشك

في أن يكون معظم الناس يفهمون ذلك. ولكنني أعتقد أنني على صواب. إن الناس يموتون في كل وقت. الحياة أكثر هشاشة مما نظن. لذا ينبغي أن تعاملي الناس بطريقة لا تخلف وراءها ندماً. بطريقة نزيهة وإن أمكن مخلصة. من السهل جداً ألا تحاولي ذلك، ثم تبكين وتعذبين نفسك بعد أن يموت الشخص. أنا شخصياً لا أقتنع بمثل ذلك».

اتكأت يوكي على باب السيارة.

قالت: «لكن ذلك شاق فعلاً، أليس كذلك؟».

قلت: «شاق فعلاً، ولكنه يستحق منك المحاولة. انظري إلى بوي جورج: حتى شخص بدين ومثلي الجنس، ولا يستطيع أن يغنّي، أمكنه أن يصبح نجماً».

ابتسمتْ: «حسناً، ولكن لماذا أنت دائم التطرق إلى حالة بوي جورج. أراهن أنك تحبه حقاً ومن كل قلبك».

قلت: «دعيني أفكر في ذلك بعض الوقت».

كان منزل والدة يوكي يقع في مجمع منتجع سكني كبير. كانت له بوابة كبيرة وفيه حمام سباحة وثمة مقهى مجاور له. كما كان يوجد أيضاً مركز تسوق يمتلئ بأنواع الوجبات السريعة. لا يوجد مكان يمكن لشخص مثل ديك نورث أن يشتري منه مواد غذائية. وكذلك أنا. مع انعطافة الطريق وصعوده نحو المجمع كانت سيارتي السوبارو قد بدأت تلهث.

في منتصف الطريق نحو التل كان يقع منزل آمي، أكبر بكثير من أن يكون بيتاً لأم وطلفة. أوقفت السيارة وحملت حقائب يوكي وصعدت باتجاه جسر حجري. أسفل المنحدر، كان بإمكاني رؤية

المحيط عند أوداوارا من خلال صفوف شجر الأرز. كان الجو غائماً والبحر باهتاً.

كانت آمي تذرع غرفة المعيشة الواسعة جيئة وذهاباً وثمة سيجارة مشتعلة في يدها. كانت توجد منفضة سجائر كبيرة من الكريستال تفيض منها أعقاب سجائر سْليم، فيما كان سطح المنضدة مغطى بالرماد. قذفت بآخر عقب في المنفضة وجاءت تحيي يوكي ممررة أصابع يدها خلال شعرها. كانت ترتدي كنزة واسعة وبنطالا من الجينز الباهت. شعرها كان غير مصفف وعيناها غائمتين.

قالت آمي: «كان أمراً رهيباً. لماذا دائماً تقع هذه الأشياء الرهيبة؟».

عبّرت عن مواساتي لها واستفسرت عن تفاصيل الحادث. أخبرتني أنها فجأة شعرت بأن كل شيء أصبح خارج السيطرة واعترتها حالة من الاضطراب والضياع. «وحتى تكتمل الصورة، فقد أصيبت الخادمة اليوم أيضاً بالحمى ولن تأتي. بعد كل هذا الزمن، لم تصبها الحمى إلا اليوم! أكاد أجن. الشرطة تأتي، وزوجة ديك تتصل، لست أدري ماذا ينتظرون مني».

– وماذا قالت زوجة ديك؟

– لم أفهم منها شيئاً. كانت تبكي. وحينما تتوقف عن البكاء، تغمغم بشكل لا أكاد أفهم منها ماذا تقول. وفي موقف كهذا، ماذا يمكنني أن أقول؟ ماذا يمكنني أن أقول؟

هززت رأسي.

– أبلغتها أنني سوف أرسل لها أمتعة ديك في أقرب وقت ممكن، ولكن عويلها كان يزداد حينئذ. إنها حالة ميئوس منها.

أخرجت تنهيدة عميقة ثم خرّت جالسة على الأريكة.

سألتها إن كانت تود أن تشرب شيئاً، فطلبت قهوة. وزيادة من عندي قمت بتنظيف منفضة السجائر ورفعت أكواب الكاكاو ونظفت المنضدة. كان حوض المطبخ يطفح بالأطباق المتسخة. فيما كنت أنتظر أن يغلي الماء قمت بترتيب المطبخ. كان ديك نورث يحرص على أن تكون خزانة الأطباق مرتبة، ولكن الفوضى كانت تسودها في ذلك الوقت. أطباق متسخة مكوَّمة في الحوض. كانت بقع الكاكاو على سطح الموقد. السكاكين ملقاة هنا وهناك وعليها آثار الجبن، وكل شيء آخر يرد بخاطرك، وغطاء وعاء السكر كان مفقوداً.

فيما كنت أعد القهوة، فكّرت في ديك، ذلك المسكين. كان يحاول أن يحافظ بجدية على النظام في هذا المكان. والآن وفي يوم واحد، راح كل شيء. الأمر كذلك تماماً. الناس يخلفون وراءهم آثاراً حيثما يشعرون بالراحة وبأن المكان يستحق العناء. مع ديك، كان ذلك المكان هو المطبخ. ولكن حتى هذا الوجود غير واضح المعالم كان في سبيله للتلاشي.

يا له من مسكين.

حملت القهوة فوجدت آمي ويوكي تجلسان على الأريكة. كانت آمي تسند رأسها إلى كتف ابنتها. كانت تبدو مخدرة ومنهكة. أما يوكي فبدا عليها الإعياء على الأقل. كم كان المشهد يبدو غريباً وهما معاً. يختلف تماماً عما كان حينما كانتا مفترقتين. معاً لا يمكنك الاقتراب منهما.

تلقفت آمي القهوة بكلتا يديها وراحت ترتشف منها ببطء وكأنها عثرت على شيء ثمين. اعترت عينيها التماعة خفيفة.

سألتُ يوكي: «هل ترغبين في شراب شيء يا يوكي؟».

هزت رأسها من دون أن تتفوه بكلمة.

سألتُ آمي: «هل انتهيت من الإجراءات الخاصة بالحادث والإجراءات القانونية وكل ذلك؟».

- نعم. لم تكن هذه الإجراءات في واقع الأمر صعبة أكثر مما ينبغي. لقد كان حادثاً عرضياً جداً. جاءني شرطي إلى المنزل ليبلغني بالخبر. فطلبت منهم أن يتصلوا بزوجة ديك فتولت هي كل شيء. أعني أنه لم تكن تربطني بديك أي علاقة قانونية أو حتى مهنية. وبعدئذ اتصلت الزوجة بي هنا. لم تقل أي شيء. كانت تبكي فقط، بل حتى لم تكن تصرخ.

حادث عرضي جداً.

لم يكد يمضي ثلاثة أسابيع حتى لم تعد آمي تذكر أن هناك شخصاً اسمه ديك كان في حياتها. كانت آمي من النوع كثير النسيان ولسوء الحظ كان ديك من النوع الذي يمكن أن يُنسَى.

سألتُ: «هل هناك شيء يمكنني أن أساعد فيه؟».

غمغمت: «نعم، أمتعة ديك. أخبرتك أنني سوف أعيدها إلى زوجته، أليس كذلك؟».

- نعم.

- ليلة أمس حزمت أمتعته ورتبتها. مخطوطاته وآلته الكاتبة وكتبه وملابسه. لقد اتسعت حقيبة واحدة لكل ذلك. لم يكن لديه أمتعة كثيرة. حقيبة واحدة ممتلئة فحسب. إنني أكره أن أسأل أحداً شيئاً، لكن هل بوسعك أن توصلها لزوجته؟

- بكل تأكيد. أين تسكن أسرته؟

- لست أعرف على وجه الدقة. مكان ما في جوتوكوجي. هل يمكنك أن تجد أين ذلك من أجلي؟

أرشدتني يوكي إلى المكتب الذي يضم أمتعة ديك. في الطابق

العلوي كانت هناك غرفة طويلة وضيقة في نهاية الردهة، والتي كانت في الأصل غرفة الخادمة. كان ديك قد رتب كل شيء في نظام محكم. على سطح المكتب كانت توجد خمسة أقلام رصاص، ومبراة وممحاة. وكان يوجد تقويم، وعليه كتابات يدوية دقيقة، معلقاً على الحائط.

اتكأت يوكي إلى الردهة وراحت تتفحص ما بداخل الغرفة في صمت. كل ما كان بوسعك سماعه هو صوت الطيور في الخارج. تذكرت البيت الريفي في ماكاها في هاواي. يخيم عليه الهدوء نفسه وفيه طيور أيضاً.

كانت بطاقة الحقيبة تحمل اسم ديك وعنوانه مكتوبين بخط يده. حملتها إلى أسفل. كانت الحقيبة وفيها كتبه وأوراقه أثقل كثيرا مما بدت. كان الوزن شيئاً آخر يذكرني بمصير ديك نورث.

قالت آمي: «ليس لدينا شيء للطعام. كان ديك قد خرج للتسوق ومنذئذ حدث كل ذلك».

قلت: «لا تقلقي. سوف أذهب إلى المتجر».

تفحصت محتويات الثلاجة لأرى ما فيها. بعد ذلك قدت السيارة إلى المدينة حيث السوبرماركت الذي أمضى فيه ديك لحظاته الأخيرة، واشتريت ما يكفي لأربعة أو خمسة أيام.

وضعتُ البقالة وشكرتني آمي. كنت أشعر بالرغبة في استكمال المهمة التي تركها ديك غير مكتملة.

ودعتني آمي ويوكي من فوق الجسر الحجري المجاور للمنزل. تماماً كما حدث في ماكاها، فيما عدا أنه في هذه المرة لم يكن أحد يلوح بذراعه. كان ذلك دور ديك. وقفت الاثنتان لا تحركان ساكناً

وهما تحدقان فيّ. مشهد ميثولوجي تقريباً، مثل أيقونة. حملت الحقيبة الرمادية إلى المقعد الخلفي للسيارة وانزلقت خلف المقود. كانت الأم وابنتها لا تزالان تقفان مكانهما حينما انعطفت بالسيارة وبدأت أخرج عن مجال رؤيتهما. كانت الشمس قد بدأت بالمغيب في البحر البرتقالي. ترى كيف ستمضيان الليلة؟ تساءلت.

وضح الآن أن ذلك الهيكل ذا الذراع الواحدة الذي كان في الغرفة المظلمة المخيفة في هونولولو كان ديك نورث. إذاً من يا ترى يمكن أن يكون الخمسة الآخرون؟

لنقل إن صديقي القديم، القط واحد. مات منذ سنوات عدة في هوكايدو.

ثم ماي هيكل آخر.

إذاً يبقى ثلاثة.

ماذا كانت كيكي تفعل؟ لماذا كانت تريد أن تريني هؤلاء الموتى الستة؟

انطلقت نحو أوداوارا وصعدت إلى طريق طوكيو ناغويا. خرجت عند سانغنغايا، ثم اجتزت ضواحي سيتاغايا بالاستعانة بالخريطة حتى وصلت إلى منزل ديك نورث. كان منزلاً عادياً مكوناً من طابقين وصغيراً جداً. كان الباب والنوافذ وحتى صندوق البريد وأضواء المدخل وكل شيء آخر تظهر عليه أشكال من المنمنمات. كانت الأنوار مضاءة داخل المنزل وبعض أصوات مسموعة. كانت تهيئة جثة ديك لدفنها تسير على قدم وساق. على الأقل كان لديه مكان يأوي إليه.

أخرجت الحقيبة من السيارة ووضعتها أمام الباب. ضغطت على جرس الباب فظهر لي رجل في أواسط العمر. أوضحت له أنني

أحضرت أمتعة ديك، كانت ملامحي تقول إنني لا أعرف أي شيء أكثر من ذلك. نظر الرجل إلى الشريط الذي يحمل الاسم واستوعب الموقف على الفور.

قال الرجل بلهجة جامدة وإن كانت ودّية: «أنا شاكر لك كثيراً».

ثم عدت أدراجي إلى شقتي في شيبويا وأنا لا ألوي على شيء.

قلت في نفسي، إذاً يبقى ثلاثة.

في ضوء هذه الأحداث، ماذا يمكن أن يعني موت ديك نورث؟

فيما كنت في غرفتي وحيداً، رحت أفكر في ذلك وأنا أحتسي كأساً من الويسكي، كيف يمكن أن يكون هناك معان؟ كل تلك البقع غير المفهومة التي يتألف منها اللغز وهذا الحدث الأخير لا يقدم أي حل. اطوه وضعه جانباً، فما زال غير مفيد. هل يمكن أن تكون هذه الوفاة متصلة بمكان آخر؟

حتى لو لم يكن لموت ديك أي مغزى في حد ذاته، فإن تغيراً كبيراً في الظروف بدا حتمياً. ولكنه ليس للأفضل أيضاً، هكذا يخبرني حدسي. ديك نورث كان شخصاً ذا نوايا طيبة. بطريقته الخاصة كان يحافظ على الأشياء متماسكة. لكن أما وإنه قد انتهى، فسوف يطرأ تغيير ما على الأشياء، وستصبح أكثر صعوبة.

مثلاً؟

مثلاً، أنا لم أهتم بملامح يوكي الخالية من أي تعبير حينما كانت مع آمي. كما لم أحب تحديق آمي الكئيب في الفراغ وهي مع يوكي. كان هنالك خلل ما. كنت أحب يوكي. إنها طفلة لطيفة، ذكية. ربما تكون عنيدة في بعض الأوقات ولكنها حساسة في حقيقتها. وفي الحقيقة، لم أكن أحمل أي ضغينة إزاء آمي. كانت جذابة وملهمة وغير عدائية. ولكن ضع كليهما معاً وسوف يكون المزيج مدمراً.

كانت هناك طاقة تتصاعد من كلتا الأنثيين معاً.

كان ديك نورث هو المنطقة العازلة بينهما بعد ماكيمورا. ولكن أمّا وقد انتهى، لم يتبق إلا أنا لأتعامل معهما.

اتصلتُ بيوميوشي مرات قليلة. كانت هادئة كما هي دائماً، بالرغم من أنني كنت ألمح قليلاً من السرور في صوتها. على ما يبدو لم أكن أسبب لها الكثير من الضيق. كانت تتوجه إلى عملها كل يوم، وإلى نادي السباحة مرتين أسبوعياً وتُواعد من وقت لآخر. أخبرتني أن شخصاً ما قد اصطحبها في نزهة إلى حديقة الأحد الماضي.

- إنه صديق ليس إلا. زميل دراسة قديم والآن يعمل في سابورو. هذا كل ما في الأمر.

قلت لها إنني لا أمانع ولا أتوقّف عند الأمر. ما كان يهمني بالفعل هو نادي السباحة.

قالت: «لكن على أية حال، كنت أريد أن أخبرك فحسب. أكره أن أخفي عنك شيئاً».

كررت قولي: «لست أمانع. كل ما أهتم به هو أن أعود إلى سابورو حتى أراك ثانية. يمكنك الخروج مع من تشائين. ليس لذلك علاقة بنا. كنت دائماً في بالي. مثلما قلت لك سابقاً، أشعر بأن ثمة رباطاً يجمع بيننا».

مرة ثانية سألتني ماذا أعني بذلك. ومرة ثانية كنت أتكلم من قلبي ولكن تفسيري لم يكن مفهوماً. وهذا هو دَيدَني.

تلى ذلك صمت معتاد. صمت ما بين محايد إلى إيجابي بعض الشيء. نعم الصمت ما زال صمتاً فيما عدا حينما تفكر فيه أكثر من اللازم.

كان جوتاندا يبدو متعباً حينما ألتقيه. كان يكثّف مواعيد لقاءاته مع زوجته السابقة لتصبح جدول عمل مزدحماً.

قال وهو يخرج تنهيدة عميقة: «كل ما أعرفه هو أنني لا أستطيع أن أستمر في ذلك إلى الأبد. لست مخلوقاً للعيش على الهامش هكذا. أنا شخص «بيتوتي». وهذا هو السبب في أنني مرهق إلى هذا الحد. أشعر بأنني منهك القوى».

قلت: «ينبغي أن تذهب إلى هاواي لبعض الاستجمام. أن تذهبا معاً».

قال وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة باهتة: «وهل هذا شيء لا أحبه؟ ربما خمسة أيام من الاستجمام على الشاطئ من دون أن أفعل شيئاً. بل حتى ثلاثة أيام ستكون رائعة».

في ذلك المساء ذهبت إلى منزله في أزابو، وجلست على أريكته الأنيقة وفي يدي الشراب حيث أشاهد مجموعة من الإعلانات التجارية عن الأدوية المضادة للحموضة التي قام بها. كانت هذه هي المرة الأولى التي أشاهدها.

أربعة مصاعد لبناية مكتبية بلا جدران أو أبواب تصعد وتنزل بأعلى سرعة. جوتاندا يرتدي بذلة سوداء ويحمل حقيبة في يده، كان كل ما به يوحي بأنه رجل أعمال من الطراز الأول. كان يروح جيئة وذهاباً من مصعد لآخر، يتناقش مع رئيسه في واحد، ويواعد سكرتيرة شابة جميلة في آخر، ويحمل حزمة من الأوراق هنا ويهرع لإرسالها هناك. هاتف يرن. كل هذا القفز ما بين هذا المصعد وذاك ليس بالأمر الهين، ولكن جوتاندا لم يفقد قناع هدوئه مع ذلك. كانت تعلو وجهه علامات الجدية أكثر فأكثر.

كان الصوت يقول: مع كل يوم يتراكم فيه القلق داخل معدتك، تخلص من ضغوطك من خلال هذا العلاج الناجع.

ضحكت: «هذا مضحك».

قال: «أظن ذلك أيضاً. إنه بَلَه ولكنه مرح. كل الإعلانات التجارية هراء، ولكن هذا الإعلان تم تصويره بشكل جيد. مشهد واحد لكنه أفضل من معظم أفلامي، يؤسفني أن أقول ذلك. القائمون على الإعلانات لا يترددون في الإنفاق على التفاصيل، خصوصاً أن تلك المؤثرات الخاصة والتجهيزات تكلف كثيراً».

- كما أنه يعكس السيرة الذاتية على نحو جيد.

ضحك قائلاً: «ها أنت قلتها. ولكن دعني أخبرك. إن هذه المادة لا تفيد في أي شيء. لقد أعطوني عشرات من العلب لأجربها، فتعجبت من أن تأثيرها محدود للغاية.

قلت وأنا أعيد الشريط بالريموت كنترول لمشاهدة الإعلان من جديد: «ولكنك تبدو مؤثراً حقاً. إنك لا تقل عن الكوميديين باستر كيتون. يبدو أنك اهتديت إلى طريقك من خلاله».

ارتسمت ابتسامة على شفتي جوتاندا. «سوف أكون سعيداً. إنني أحب الفكاهة. هناك شيء يمكن قوله حينما يستطيع شخص مستقيم مثلي أن يستخرج المرح من مثل هذه المشاهد الروتينية. المرء يحاول أن يعيش مستقيماً في عالم مجنون وملتوٍ ويزخر بالاضطراب. ذلك هو المضحك. هل تعرف ما أقصد؟».

أجبت: «نعم أعرف».

- لا ينبغي عليك حتى أن تفعل شيئاً مضحكاً. فقط تصرف بشكل طبيعي. ذلك في حد ذاته يبدو غريباً ومضحكاً. إن التمثيل بمثل هذه الطريقة يثير اهتمامي. ذلك النوع من الممثلين ببساطة لا يوجد في اليابان اليوم. إن الناس دائماً يبالغون حينما يتعلق الأمر بالكوميديا. ما أريد أن أفعله هو العكس. ألا أمثل». أخذ رشفة من

شرابه ومد بصره نحو السقف. «لكن لا أحد يأتيني بأدوار مثل تلك. إن الأدوار الوحيدة التي دأبوا على الإتيان بها لوكالتي هي أدوار أطباء ومدرسين أو محامين. لقد حدثتك في ذلك من قبل، ودعني أقول لك إنني أشعر بملل قاتل. أريد أن أرفضها، لكن لست في وضعية تؤهلني لرفض أي شيء وعلى معدتي أن تتحمل ذلك.

لاقى الإعلان الأول لجوتاندا عن المادة المضادة للحموضة استحساناً واسعاً. وقام ببعض إعلانات مكملة. كانت الوتيرة واحدة. إذا لم يكن يروح ويجيء ما بين القطارات والحافلات والطائرات في جزء من الثانية من الوقت، تجده يصعد إلى ناطحة سحاب وهو يتأبط حزمة من الأوراق أو يسير سيراً حثيثاً بين المكاتب. خلال كل ذلك كان جوتاندا يحافظ على وجه جامد خالٍ من أي تعبيرات.

- في البداية طلب مني المخرج أن أرسم على وجهي علامات التعب. كما لو كنت سيغشى عليّ من الإرهاق. ولكني أخبرته أن الأمر سيكون أفضل من دون ذلك لو أنني تصرفت بشكل طبيعي. بالطبع، كلهم حمقى. لكني لم أستسلم وأصررت على موقفي. لست أؤدي هذه الإعلانات لمجرد المرح، ولكني أعرف يقيناً الطريقة الصائبة لتأديتها. لذا تم تصوير الإعلان بالطريقتين، وقد راقت طريقتي للجميع. وبعد أن حقق الإعلان النجاح، ذهب كل الثناء إلى المخرج. بل لقد فاز ببعض الجوائز. لكن ليس ذلك ما يهمني. إن ما يؤلمني هو كيف أنهم يتصرفون كما لو كانوا قد ابتكروا الموضوع كله. إن الأشخاص الذين يفتقدون الخيال هم أول من يبادرون إلى التبرير لأنفسهم.

أطفأ جوتاندا الفيديو ووضع تسجيلاً لبيل إيفانز.

«كل هؤلاء الحمقى يعتقدون أنهم يتمتعون بذكاء حاد، ويجعلونني أرقص فوق رؤوسهم. تعالَ إلى هنا، اذهب إلى هناك.

افعل هذا، افعل ذاك. قم بقيادة هذه السيارة، اخرج مع هذه المرأة. إنه فيلم مضجر عن حياة مضجرة. حتى متى يمكن أن يستمر ذلك؟».

– ربما ينبغي عليك التخلص من ذلك والبدء من الصفر. إذا كان بوسع أي شخص أن يقوم بذلك، فبإمكانك أنت أيضاً. اترك وكالتك، وخذ وقتك حتى يمكنك سداد ديونك.

قال جوتاندا بابتسامة يائسة: «هل تظن أنني لم أفكر في ذلك؟ إذا بدأت العمل بشكل مستقل، فهذا هو ما سأفعله. سوف أعود للمربع رقم واحد وألتحق بمجموعة مسرحية. أنا لا أمانع في ذلك صدقني. ولكن إن فعلت فسوف تنبذني زوجتي السابقة على الفور. لقد كبرت تحت الضغط– ضغط النجومية وهي بحاجة لأن يكون من يحيط بها من الأشخاص يشعرون بذلك الضغط. إذا تغيرت هذه الأجواء فلا يمكنها أن تتنفس. لذا إن كنت أريد أن أكون معها، فليس أمامي خَيار. دعنا نتحدث عن شيء آخر. يمكنني أن أستمر في ذلك حتى الصباح ولن أصل إلى أي شيء».

لذا أستحضر كيكي.

كانت كيكي هي السبب في أنني وجوتاندا أصبحنا صديقين، بالرغم من أنه لم يسمع من فمي كلمة عنها إلا قليلاً. هل أجد صعوبة في الحديث عنها؟ لو كان الأمر كذلك، لما ألحّ هو.

أخبرته أنني وكيكي التقينا مصادفة وأننا عشنا معاً بعد ذلك مباشرة. لقد أصبحت جزءاً من حياتي من دون أدنى تطفل من جانبها، حتى إنني لم أكن أصدق كيف أنها لم تكن في حياتي من قبل. «في البداية لم ألحظ ما هو غير عادي فيها. ولكن حينما أمعنت التفكير فيها لاحقاً، بدا لي أن السيناريو بمجمله غير حقيقي تماماً. وحينما حاولت أن أعبّر عن ذلك، بدا سخيفاً. وهذا هو السبب في أنني لم أبلغ أحداً بذلك».

أخذت رشفة من الكأس ثم وضعت بعض الثلج فيها.

– في تلك الأيام كانت كيكي تعمل كموديل لعروض المجوهرات ورأيت تلك الصور لأذنيها وبكل صراحة اعتراني هوس بهما. كانت أذناها ستظهران في ذلك الإعلان الخاص بـ. . . ، نسيت عن ماذا، وكانت وظيفتي هي أن أكتب كلمات الإعلان. تسلمت صوراً ثلاثاً لأذنيها، صورا مقرّبة بما يكفي لأن ترى زغب الوجه ووضعتها على الحائط في شقتي. بدأت أحدق في هذه الصور يوماً وراء يوم. كنت أبحث عن بعض الإلهام أو عن عبارة جاذبة تكون شعاراً للمنتج، ولكن بعد ذلك أصبحت الأذنان جزءاً من حياتي. حتى بعدما انتهيت من كتابة كلمات الإعلان، احتفظت بالصور. كانت الصور مدهشة، وعالية الإتقان وساحرة. الصورة الحلم للأذن. لكن مع ذلك تحتاج إلى رؤية الأذنين الحقيقيتين. لقد كانا. . .».

– نعم، أذكر أنك قلت لي شيئاً عن أذنيها.

– اعتراني هذا الهوس التام. لذا اتصلت لأعرف من تكون وفي نهاية الأمر وصلت إليها ووافقت على أن تراني. في اليوم الأول، التقينا في مطعم حيث أرتني أذنيها بشكل شخصي. أعني ليس بطريقة مهنية وكانتا أكثر إدهاشاً مما هما عليه في الصورة. كانتا فاتنتين! رائعتين! أخبرتني أنها كانت حينما تعرضهما كموديل فإنها تخدّرهما، حتى تصبحان أكثر بهاء وإثارة ولكنهما كانتا مختلفتين عما كانت تبديهما لي. وكانت حينما تفعل، يبدو كأن العالم كله قد اعترته عملية تحوّل. أدرك أن ذلك يبدو مثاراً للسخرية، ولكن لا أعرف كيف أعبّر عن ذلك.

طفق جوتاندا يفكر بجدية في ما قلت. «ماذ تعني بقولك إنها كانت تخدر أذنيها؟».

– تعزل أذنيها عن وعيها – تفقد وعيها بأذنيها.

- آه.

- تُوصل تياراً كهربياً بهما.

- حقاً؟

- يبدو جنوناً، لكنه حقيقي.

- أصدقك. إنني فقط أحاول أن أفهم. لست أمزح.

اعتدلت في جلستي على الأريكة ورحت أنظر إلى لوحة على الحائط.

- كانت هناك قوى خاصة تنبعث من أذنيها. كانتا مثل دوامة كبرى من القدَر تجتذبني. وكان بإمكانهما أن تقودا الناس إلى المكان الصحيح.

فكر جوتاندا في كلماتي مرة أخرى وقال: «وهل قادتك كيكي لأي مكان؟ أعني إلى المكان الصحيح؟».

أومأت ولكن لم أقل شيئاً عن ذلك. هذا موضوع شرحه يطول.

قلت: «والآن، تحاول أن تقودني إلى مكان ما مرة ثانية. أستشعر ذلك بقوة. على مدى الأشهر القليلة الماضية كان ينتابني ذلك الشعور المزعج. وشيئاً فشيئاً بدأت أتعثر في الخيط. إنه خيط دقيق للغاية. لقد انقطع مرتين، ولكنه أوصلني إلى هذا الحد البعيد. أوصلني بأشخاص كثيرين. أنت أحدهم. أنت إحدى الشخصيات الرئيسية في هذه الدراما. صحيح أنا ما زلت غير قادر على إحكام السيطرة على ما يجري. فقد مات شخصان كنت أعرفهما مؤخراً. أحدهما كان ماي. والآخر شاعر ذو ذراع واحدة. لست أدري ما الذي يحدث، ولكن ما أعرفه هو أن ثمة شيئاً يحدث».

كانت كل قطع الثلج في الكأس قد ذابت، لذا أحضر جوتاندا بعضاً من الثلج من المطبخ لتجديد شرابنا.

استطردت: «إذاً أنت ترى أني تائه. مثلك تماماً».

قال جوتاندا: «لا، هنا جانبك الصواب. أنا وأنت لسنا متماثلين. أنا واقع في حب امرأة واحدة. وهو نوع من الحب محكوم عليه بالفشل. وأنت لست كذلك. ربما تكون مرتبكاً وتدور في متاهة ولكن مقارنة بذلك المستنقع الذي أدخلت نفسي فيه فأنت أفضل حالاً بكثير. لديك ما تسترشد به أحياناً. لديك أمل. هناك إمكانية لأن تجد مخرجاً. ولكن ذلك ليس متوفراً في حالتي مطلقاً. ذلك هو الفارق الكبير بيني وبينك».

حسناً، ربما، ربما. «مهما يكن، فإنني متعلق بهذا الخيط من كيكي. ذلك كل ما أستطيع فعله في الوقت الراهن. كانت ترسل لي هذه الإشارات والرسائل. لذا أمضي وقتي محاولاً أن أسمع الإشارات».

استأنف جوتاندا بحذر: «هل تظن أن هناك احتمالاً أن تكون كيكي قد قتلت؟».

- مثل ماي؟

- نعم. لقد اختفت فجأة. حينما سمعت أن ماي قد قتلت، فكرت مباشرة في كيكي. فربما وقع لها الشيء نفسه. لم أكن أريد أن أقول ذلك قبل الآن.

لكني رأيتها في وسط مدينة هونولولو في وقت الغسق الغائم. لقد رأيتها حقاً. ويوكي عرفت ذلك.

قال جوتاندا: «مجرد شيء خطر ببالي. لست أقصد أي شيء بذلك».

- بالتأكيد، احتمال قائم. لكنها ما زالت ترسل لي الرسائل. رسائل واضحة وعالية الصوت.

وضع جوتاندا ذراعيه متقاطعتين أمام صدره وهو شارد البال. بدا أنه مرهق للغاية. ظننت أنه ربما يغشى عليه. كان الليل يتسلل إلى الغرفة ويغلف جسمه الأنيق بظلال سائلة.

وضعت الثلج في كأسي مرة ثانية ثم أخذت رشفة.

كان ذلك حينما لاحظت وجود شخص ثالث في الغرفة. شخص آخر كان يوجد في الغرفة بالإضافة لي وجوتاندا. كنت أستشعر حرارة جسم، ونَفَساً، ورائحة. لكن ذلك لم يكن لبشر. تجمدت. قلبت نظري بسرعة في جوانب الغرفة، لكني لم أر شيئاً. لم يكن هناك سوى الشعور بوجود شيء. شيء صلب، لكنه غير مرئي. تنفست بعمق. أرهفت السمع حتى أسمع.

كان ينتظر رابضاً ويحبس أنفاسه. ثم اختفى.

شعرت بالارتياح فأخذت رشفة أخرى.

بعد دقيقة أو اثنتين، فتح جوتاندا عينيه وابتسم نحوي. «معذرة، يبدو أننا جعلنا من الليلة أمسية كئيبة».

قلت: «ذلك لأننا شخصان مكتئبان بالأساس».

ضحك جوتاندا، من دون أن يعقّب.

(35)

في نهاية مايو، قابلت وبمحض الصدفة، على حد علمي، واحداً من المحققين اللذين استجوباني حول مقتل ماي. إنه بوكيش. فبينما كنت خارجاً من مركز تسوق «طوكيو هاندز» الذي يضم كل ما تحتاج إليه للمنزل، إذا بي أجد نفسي في مواجهته لدى باب الخروج. كان الطقس أشبه بأواسط الصيف، ومع ذلك كان يرتدي معطفاً ثقيلاً من الصوف، غير عابئ تماماً بالحرارة. ربما يتلقى رجال الشرطة تدريباً يجعلهم عديمي الحس. كان يحمل كيساً من «طوكيو هاندز» مثلي. تظاهرت بأنني لم أره وحاولت أن أتجاوزه فإذا بالمحقق المقدام يتحدث إليّ مباشرة.

- هل تعرف، لا يجب أن تكون رسمياً إلى هذه الدرجة. كما لو كان كل منا لا يعرف الآخر.

«أنا في عجلة من أمري»، كان ذلك هو كل ما قلته.

قال: «أوه؟» ولم تنطلِ عليه الحيلة ولو للحظة.

تمتمت: «يتعين عليّ أن أعود للعمل».

قال: «أتفهم ذلك. ولكن بالتأكيد شخص مشغول مثلك يمكنه أن يوفر عشر دقائق من وقته. اسمح لي بأن أشتري لك فنجاناً من

القهوة. كنت أرغب في الحديث إليك، في موضوع ليس له علاقة بالعمل. صدقني، فقط عشر دقائق من وقتك».

تبعته إلى مقهى مزدحم بروّاده. لا تسألني عن السبب. كان بوسعي أن أعتذر بأدب وأعود إلى بيتي. لكنني لم أفعل. دخلنا المقهى وجلسنا بمحاذاة أُسر ومجموعات من الطلاب. كان مذاق القهوة شنيعاً والأجواء سيئة. سحب بوكيش سيجارة وأشعلها.

قال: «حاولت أن أقلع عن التدخين. ولكن ثمة شيء في عملنا هذا. حينما أكون في عملي، يجب أن أدخن».

لم أقل أي شيء.

– إن عملنا مرهق للأعصاب. الجميع يكرهك. وكلما أمضيت وقتا أطول في جريمة قتل، زادت كراهيتهم لك. نظرك يضعف وبشرتك تبدأ بالتجعد. لن يمكنك أن تقدر عمرك. بل حتى الطريقة التي تتحدث بها يعتريها التغيير. ليست بالطريقة الصحية للعيش.

أضاف ثلاث ملاعق من السكر والكريمه لقهوته وأذابها جيداً وشربها كما لو كان خبيراً في شرب القهوة.

نظرت إلى ساعتي.

قال بوكيش: «آه، نبهتني للوقت. ما زال لدينا خمس دقائق؟ حسناً. سوف أكون مختصراً. إذاً عن تلك الفتاة المقتولة. ماي».

«ماي؟» تساءلت. ليس بوسعك أن توقِع بي بهذه السهولة.

لوى شفتيه بطريقة لبقة. «أوه. حسناً. بالتأكيد. الفتاة القتيلة اسمها ماي. ليس اسمها الحقيقي بالطبع. كان الاسم الحركي. تبين أنها فتاة ليل. تماماً مثلما توقعت. لم تكن تبدو محترفة ولكن كان بوسعي الجزم بذلك. تعودت على معرفة فتيات الليل من مجرد نظرة. الملابس والزينة وملامح الوجه. ولكن في هذه الأيام تعثر على فتيات

لا يمكنك أبداً أن تصدق أنهنّ في هذه المهنة. إما أنّها الحاجة إلى المال أو أنهن مدفوعات بالفضول. لا أتقبل تلك المهنة. إنها محفوفة بالمخاطر. أم لعلك تعتقد غير ذلك؟ الالتقاء برجال لا تعرفهم خلف أبواب مغلقة. هناك توجد كل الأنواع. تجد المنحرفين جنسياً أو المخبولين».

أومأت مرغماً.

– ولكن الفتيات الشابات لا يدركن ذلك. يحسبن أن كل شيء جيد. معذورات. حينما تكون شابا تظن أن بإمكانك أن تتعامل مع كل شيء. ولكن حينما تدرك الحقيقة، يكون ذلك متأخراً للغاية. وتُفاجأ بجورب يلتف حول عنقك. يا له من شيء مؤسف.

– إذاً هل اكتشفت القاتل؟

هز بوكيش رأسه وعلت وجهه تكشيرة. «ليس بعد، لسوء الحظ. اكتشفنا بعض الحقائق المثيرة للاهتمام. لكننا لم ننشرها في الصحف. لأن التحقيق ما زال جارياً. مثلاً، تبين لنا أن اسمها المهني كان ماي، لكن اسمها الحقيقي كان آوو، لكن أي فائدة من اسمها الحقيقي. لقد ولدت الفتاة في كوماموتو. والدها موظف عام. كوماموتو ليست المدينة الكبيرة. ولكنه كان موظفاً كبيراً. الحالة المادية للأسرة كانت جيداً جداً. الأم كانت تأتي إلى طوكيو مرة أو مرتين في الشهر للتسوق. لم تكن لديهم مشكلات مالية. كانت الفتاة تحصل على مصروف جيد منهما. كانت تخبرهما أنها تعمل في مجال الموضة. لديها أخت أكبر منها متزوجة من طبيب، وأخ أصغر يدرس القانون في جامعة كيوشو. إذاً كيف لفتاة مثل هذه من بيت كريم، أن تبيع مؤخرتها؟ ثمة صدمة كبيرة بانتظار الأسرة. لم نفصح لهم عن تفصيل كونها فتاة ليل، ولكن حقيقة أن ابنتهم العزيزة خُنقت حتى الموت داخل غرفة فندق كانت أمراً مقلقاً للغاية».

لم أنبس بكلمة وتركته يواصل.

«لقد تفحصنا شبكة الدعارة التي كانت تعمل بها. لم يكن أمراً هيناً، لكننا تمكنا من تعقبها. كيف برأيك استطعنا أن نقوم بذلك؟ راقبنا أبهاء بعض الفنادق حول المدينة واستدعينا بعض النسوة اللائي على قائمة الاشتباه بالعمل في التجارة غير القانونية. أريناهن الصورة نفسها التي أريناك إياها ووجهنا لهن بعض الأسئلة. إحداهن أفشت بعض المعلومات. لسنَ كلّهن مثلك يحاولن جاهدات إخفاء المعلومات. على أية حال، تبين أن القتيلة كانت تعمل حصرياً لتلك المنظمة أو النادي ذي بطاقة العضوية المرتفعة الثمن جداً. لا يمكن لشخص مثلك أو مثلي أن ينضم إليها. أعني، هل بوسعك أن تدفع سبعين ألف ين لقنينة شراب؟ أعرف أنني لا أستطيع. بذلك المبلغ يمكنني أن أبتز زوجتي وأشتري دراجة جديدة للطفل». قال وضحك بعصبية. «لكن لو فرضنا أن بوسعي دفع المبلغ، فلن يكون ذلك كافيا لحصولي على العضوية. إنهم يدققون في خلفية الشخص، هل تعرف. الأمان أولا. لا يمكنهم احتمال أي حماقة من العملاء. ولكنهم أيضاً يفضلون طبقة بعينها من العملاء. لا يمكن بحال لمحقق أن يحصل على العضوية. ليس معنى هذا أن كونك تعمل في تنفيذ القانون يحول بينك وبين ذلك. إذا كنت من علية القوم، علية القوم الحقيقيين، فتلك قصة أخرى. ربما يمكنك الدخول يوماً ما. ولكن بالنسبة لشرطي محقق مثلي، فلا مجال».

انتهى من قهوته وأشعل سيجارة أخرى.

– لذلك طلبنا من النقيب مذكرة تفتيش. استغرق الأمر ثلاثة أيام. ما إن وصلنا إلى المكان، حتى كانت قد تمّت إزالة كل شيء. أصبح خالياً. لا شيء. ولا ذرة تراب. كان هناك تسريب. من أين جاء ذلك التسريب؟

– لست أدري.

– ماذا دهاك يا رجل. أنت لست أبله. إن التسريب جاء من الداخل. أعني من داخل الشرطة. شخص في رأس الهرم. بالطبع لا يوجد دليل. لكننا نجوب الشوارع ونعرف أن ثمة جريمة داخلية قد ارتكبت حينما تقع واحدة. لكن مؤسسة مثل تلك تكون معتادة على مثل هذه الأشياء. يمكنهم ضبط كل شيء في وقت أقل من ذاك الذي نستغرقه لاستخدام الحمام. لقد تلاشوا. إنه يستأجرون مكاناً آخر، ويشترون خطوط هاتف جديدة وبهذه الطريقة يعودون لمزاولة أعمالهم. لا يتركون أي أثر. لكنهم يظلون محتفظين بقائمة المشتركين لديهم، وتظل صفوف الفتيات منتظمة، ونادرا ما يعوقهم عائق. وليس هناك من سبيل لاقتفاء أثرهم. يتم قطع الخيط. مع تلك الفتاة القتيلة، لو كان لدينا أدنى فكرة عن نوعية الزبائن الذين هم من اختصاصها، لأمكننا أن نفعل شيئاً. ولكن في ظل هذا الوضع، يتعين علينا أن ننفض أيدينا.

قلت: «لا تنظر إليّ».

– هل أنت متأكد أنك لا تعرف أي شيء؟

– لو أنها كانت جزءاً من شبكة فتيات الليل الحصرية للنادي كما تقول، فلا بد أنهم عرفوا منذ أول لحظة تلَت قتلها، أليس كذلك؟

قال بوكيش: «بالضبط. لذا فإن الاحتمال هو إما أن القاتل ربما لم يكن مدرجاً على قائمة الزبائن، أو كان العاشق الشخصي للفتاة، أو أنها كانت تعمل لحسابها بعيداً عن النادي. لقد فتشنا شقتها، فلم نعثر على شيء.

– اسمع، أنا لم أقتلها.

قال بوكيش: «أعرف ذلك. لقد أخبرتك بذلك بالفعل. لستَ

من النوع الذي يقتل. يمكنني الحزم بذلك من مجرد النظر إلى وجهك. شخص من نوعك لا يقتل أحداً أبداً. ولكنك تعرف شيئاً، ذلك هو ما أعرفه. إنك تعرف أكثر مما تبوح. لكن لماذا لا تبوح بما لديك؟ ذلك هو كل ما أود معرفته. لن أتشدد معك. أعطيك كلمة شرف.

قلت: «لا أعرف أي شيء».

تمتم بوكيش وهو ينفث الدخان: «هذا لن يقودنا إلى أي شيء. في الواقع إن علية القوم لا يبدون اهتماماً بهذا التحقيق. في نهاية الأمر، إنها مجرد فتاة ليل وقتلت في فندق، ليس هذا بالأمر الكبير. تلك هي نظرتهم. ربما يفكرون في أن موت فتاة ليل أمرٌ غير مؤسف على أية حال. إن علية القوم نادراً ما يلقون ولو نظرة على جثة. ليس لديهم أدنى فكرة عما يعني أن يروا فتاة جميلة، عارية ومخنوقة مثل ذلك. يمكنهم أن يتخيلوا إلى أي مدى يثير الرثاء ذلك. ويمكنك أن تراهن أن علية القوم في الشرطة ليسوا وحدهم في ذلك الوكر. دائماً توجد قلة من الموظفين العامّين البارزين الذين يضعون أصابعهم في الكعكة أيضاً. يمكنك أن ترى الأزرار الذهبية على الصدور تلمع في الظلام. إن المحققين يكتسبون قدرة على ملاحظة هذا النوع من الأشياء. إننا نرى أبسط وميض، فنمد أعناقنا مثل السلحفاة. شيء تتعلمه من رؤسائك. تلك هي الطريقة التي يسير بها الأمر. أحياناً يكون التوجه هو أن مقتل الآنسة ماي سوف يتم إخفاؤه. يا له من شيء مؤسف».

رفعت النادلة فنجان قهوة بوكيش. كان فنجان قهوتي ما زال نصف ممتلئ.

قال بوكيش: «إنه شيء غريب، ولكني أشعر بأني قريب من هذه الفتاة ماي. لماذا أنا كذلك، لست أدري. ولكن حينما رأيتها مخنوقة

وعارية على سرير ذلك الفندق، مسّت وتراً بداخلي. فقررت وتعهدت أمامها أن أصل إلى ذلك الوغد الذي فعلها. لقد رأيت من الجثث ما لا يُحصى. إذاً ينبغي أن تكون هذه مجرد جثة من الجثث؟ لكن هذه كانت من نوع خاص. غريبة وجميلة. كان ضوء الشمس ينصب عليها صباً من خلال النافذة فيما كانت هي ترقد وقد تجمدت. عيناها جاحظتان، ولسانها بارز من فمها والجورب ملفوف حول عنقها. تماماً مثل رابطة عنق. كانت ساقاها منفرجتين، وقد بالت. حينما رأيت ذلك، أدركت أن الفتاة كانت تطلب مساعدتي. لا بد أن تلك اللفتة الإنسانية مني قد حازت على إعجابك، أليس كذلك؟».

- لست أدري.

قال المحقق: «يبدو أنك كنت مسافراً لفترة. لونك صار برونزياً من الشمس».

تمتمت بشيء عن عمل في هاواي.

- يا له من عمل جميل. كم أتمنى لو استطعت أن أعمل في مهنتك، بدلا من رؤية الجثث ليل نهار. إنها رفقة حقيقية ومرحة. هل سبق أن رأيت جثة؟

- لا، لم أر أي جثث.

هز رأسه ونظر إلى ساعته. «حسناً، إذاً أرجو أن تعذرني على إضاعة وقتك. ولكن كما يقولون صغر العالم يجعلني أقابلك في مكان مثل ذلك مصادفة. ماذا تحمل في حقيبتك؟».

- مكواة تلحيم.

- آه، لدي منظفة أنابيب في البيت. فقد سُدّت البالوعة في البيت.

دفع الحساب. عرضت عليه أن أدفع لنفسي لكنه أصر.

فيما كنا نهم بالخروج، سألته بعفوية إن كان قتل فتيات الليل أمر شائع.

قال وقد اتسعت حدقتاه قليلاً: «أظن أنه ربما يمكنك أن تقول ذلك. ليس كل يوم، ولكن ليس خلال الإجازات فقط أيضاً. هل هناك من سبب يجعلك مهتماً بجرائم قتل العاهرات؟».

- مجرد فضول، هذا كل ما في الأمر.

ذهب كل منا في طريقه، ولكن الشعور بالغثيان الذي أصاب معدتي لم يفارقني حتى الصباح التالي.

(36)

مرّ مايو بطيئاً مرّ السحاب.

انقضى شهران ونصف الشهر من دون عمل. كانت مكالمات العمل التي تردني تَقِلُّ شيئاً فشيئاً. بدأ عالم المهنة ينساني. وإن أردت الدقة، لم يكن يأتيني عمل أو مال. ومع ذلك كان لدي الكثير من المال في حسابي. لم أكن أعيش حياة بذخ. كنت أقوم بطهو طعامي وأغسل ملابسي، ولم أكن أنفق الكثير. لا قروض، ولا أذواق خيالية في الملابس أو السيارات. لذا في ذلك الوقت لم يكن المال يمثل لي مشكلة. حسبت مصروفاتي الشهرية، وقسمتها على رصيدي في البنك، فتبين لي أن لدي ما يكفي خمسة أشهر أو أكثر. وسوف يأتي شيء ما خلال فترة الانتظار تلك. وإذا لم يأت شيء، يمكنني حينئذ أن أعيد التفكير في الأمر. وفوق ذلك فإن شيك ماكيمورا ذا الثلاثمائة ألف ين كان ما يزال فوق سطح مكتبي. إذاً لن أتضور جوعاً.

كل ما كان عليّ عمله هو أن أحافظ على إيقاع ثابت وأن أتحلى بالصبر. كنت أذهب إلى حمام السباحة عدة مرات في الأسبوع، وأقوم بالتسوق، وأُعد الوجبات. وفي المساء كنت أستمع للتسجيلات أو أقرأ.

بدأت أتردد إلى المكتبة وأتصفح الأعداد القديمة من الصحف قراءة ما نُشر عن جرائم القتل التي حدثت خلال الأشهر القليلة ماضية. الجرائم التي كان ضحاياها من الإناث فقط. كان عدد النساء مقتولات في العالم صادماً. طعن، ضرب حتى الموت، خنق حتى موت. لم يكن هناك ذكر لأي واحدة تشبه كيكي. لا واحدة تشبه يكي في أي قضية. بالتأكيد كانت هناك طرق للتخلص من الجثث. ثل تعليق ثُقل بها وإلقائها في البحر. حملها ودفنها وسط التلال. ماماً مثلما دفنت القط كيبر. لن يعثر عليه أحد أبدا.

ربما كانت ضحية حادث؟ ربما دهستها سيارة مثل ديك نورث. فحصت أخبار النعي لضحايا الحوادث. الضحايا من النساء. مرة انية، عدد كبير من الحوادث التي راح ضحيتها الكثير من النساء. ضحايا السيارات والحرائق والغاز. ومع ذلك لا أثر لكيكي.

ضحايا الانتحارات؟ السكتات القلبية؟ لكن يبدو أن الصحف لم تكن مهتمة. كان العالم مليئاً بطرق الموت، طرق أكثر من أن نغطيها. ينبغي أن تكون حالات الموت التي تستحق التغطية استثناء. إن معظم الناس يذهبون دونما أن يلاحظهم أحد.

لذلك كان كل شيء ممكناً. لم يكن لدي دليل على أن كيكي ماتت، أو دليل على أنها حية.

كنت أتصل بيوكي بين حين وآخر. لكن دائماً كانت إجابتها حينما أسألها عن حالها إجابة غير واضحة.

- لست بحال جيدة، ولست بحال سيئة. لا شيء مهماً.

- وماذا عن والدتك؟

- إنها لا تجهد نفسها، فلا تعمل كثيراً. تمضي اليوم كله جالسة هنا أو هناك. شيء من هذا القبيل.

- هل يمكنني مساعدتك في شيء؟ كالتسوق أو أي شيء آخر؟

قالت: «الخادمة تقوم بالتسوق، لذا فنحن على ما يرام. والمتجر يقوم بإيصال المشتريات. أنا وهي نمضي الوقت مخدّرتين. الحياة هناك كما لو أن الزمن قد توقف. هل الزمن يمر حقاً؟».

قلت: «لسوء الحظ، فإن الساعة تدق، والساعات تمر مع هذه الدقات. الماضي يتزايد، والمستقبل يتراجع. الإمكانيات تتضاءل، وأسباب الندم تتصاعد».

لم تعلق يوكي على ذلك.

قلت لها: «يبدو أن ليس لديك الكثير من الحيوية والنشاط».

- أوه حقاً؟

- أوه حقاً؟

- ماذا أصابَك؟

- ماذا أصابَك؟

توقف عن السخرية مني.

- من الذي يسخر منك؟ أنا مجرد صدى ذهني، جزء من خيالك. إنه رد لإثبات اكتمال حديثنا.

قالت يوكي: «أبله كالعادة. أنت تتصرف كما لو كنت طفلاً».

- لا، هذا ليس صحيحاً. لدي تأملات داخلية عميقة وروح براغماتية. أنا عميق مثل الصدى. ولست كما تظنيني.

- ههه. هراء.

- ههه. هراء.

صاحت يوكي: «كف عن ذلك. إنني جادة!».

قلت: «حسناً، سأكف. دعينا نعيد الأمر من البداية ثانية. يبدو أن ليس لديك الكثير من الحيوية والنشاط، يوكي».

تنهدت تنهيدة وقالت: «حسناً، ربما لا أكون كذلك. حينما أكون مع أمي، ينتهي بي الأمر بحالة من حالاتها المزاجية. كما لو كانت تملك قدرة على توجيه مشاعري. كل ما تفكر فيه هو نفسها. إنها لا تفكر أبداً في أي أحد آخر. ذلك هو ما يجعلها قوية للغاية. هل تعرف ما أقصد. لقد رأيت ذلك بنفسك. حينما تشعر بالاكتئاب، أشعر بالاكتئاب. حينما تبتهج، أبتهج».

سمعت صوت قداحة.

قلت: «ربما آتي لزيارتك».

- هل يمكنك ذلك؟

- هل يناسبُك غداً؟

قالت يوكي: «رائع. إنني أشعر بتحسن الآن».

- إنني سعيد لذلك.

- إنني سعيدة لذلك.

- توقفي عن ذلك.

- توقفي عن ذلك.

«إذاً غداً موعدنا»، قلت ذلك وأنا أضع السماعة قبل أن تتمكن من ترديد ما قلت.

كانت آمي بالفعل «نوعاً من ذلك». كانت تجلس على الأريكة وتضع ساقاً على ساق، وهي تحدق شاردة في مجلة تصوير تضعها على حجرها. كان مشهداً من لوحة انطباعية. النافذة كانت مفتوحة، ولكن لم يكن هنالك أي نسيم يحرك الستائر أو الصفحات. نظرَتْ نظرة خفيفة لأعلى وابتسمَتْ حينما دخَلْتُ الغرفة. بدا أن الهواء يهتز

حول ابتسامتها. ثم رفعت إصبعاً نحيفاً خمسة سنتمترات وأشارت إليّ بالجلوس على الكرسي المواجه. أحضرت الخادمة لنا شاياً.

قلت لها: «سلمت الحقيبة إلى عائلة ديك».

سألتني آمي: «هل رأيت زوجته؟».

- لا، لقد سلمتها فقط للرجل الذي فتح لي الباب.

- شكراً لك.

- العفو.

أغمضت عينيها ووضعت راحتيها مضمومتين على وجهها. ثم فتحت عينيها وجالت بنظرها في الغرفة. لم يكن هناك سوى أنا وهي. رفعت فنجاني ورحت ارتشف الشاي.

لم تكن آمي ترتدي قميصها الجينز كعادتها. كانت ترتدي بلوزة بيضاء وتنورة خضراء باهتة. كان شعرها مصففاً بعناية، وفمها يزدان بأحمر الشفاه. كانت قد حلّت محل حيويتها المعتادة هشاشة أحاطت بها مثل موجة من الضباب. كانت الأجواء معطرة بعطور توشك على التلاشي. جمال آمي على النقيض تماماً من جمال يوكي. كان النقيض الملون، جمال الخبرة. كانت لديها مقدرة تامة على التحكم فيه، وتعرف كيف تستخدمه، فيما كان جمال يوكي جمالاً بلا غاية، وغير موجّه، ويفتقر إلى اليقين. امراة جذابة في أواسط العمر هي واحدة من أعظم متع الحياة.

«لماذا أنا. . . . .؟» تساءلت آمي بصوت عال، لكن كلماتها انقطعت. انتظرتها حتى تكمل.

«لماذا أنا . . . . .؟» بدأت ثانية، «أنا مكتئبة للغاية؟».

قلت: «لقد مات شخص مقرب. أمر طبيعي أن تنتابك مثل هذه المشاعر».

قالت بفتور: «أظن ذلك».

تطلعت آمي في وجهي، ثم هزت رأسها. «أنت لست أحمق. إنك تعرف ما أود أن أقول».

قلت: «لماذا لم يكن الأمر الصدمة القوية لكِ؟ هل هذا ما تودين قوله؟».

- نعم، شيء من هذا القبيل.

حتى لو أنه لم يكن ذلك الرجل العظيم. حتى لو لم يكن موهوباً لذلك الحد. فإنه كان على صواب. لقد أوفى بواجباته بنبل وامتياز. لقد ضحى بما يملك وعمل بجد حتى ينجح، ثم مات.

إن قيمته لم تتكشف إلا بعد موته. كنت أود أن أقول ذلك، ولكني لم أفعل. ثمة أشياء لا يمكنني أن أحمل نفسي على التلفظ بها.

«لماذا يحدث ذلك؟» قالت مخاطبة نقطة في الفراغ. «لماذا تنتهي الحال بكل الرجال إلى ذلك؟ لماذا يسلكون جميعهم مسالك غريبة؟ لماذا دائماً يتركونني؟ لماذا لا يمكنني أن أصحح هذه الأوضاع؟».

حدقت في ياقة بلوزتها. كانت تبدو مثل طيات نظيفة تمّت إزالة قذارتها. أحشاء باهتة لكائن حي من فصيلة نادرة.

ثمة عمود من الدخان الخفيف كان يتصاعد من سيجارتها الموضوعة على منفضة السجائر، متداخلاً مع أجواء الصمت.

ظهرت يوكي، كانت قد غيرت ملابسها، بما يوحي أنها تريد الخروج. نهضتُ وأخبرتُ آمي أننا سنخرج بعض الوقت.

لم تكن آمي منصتة إليّ. فصاحت يوكي: «أمي، سنخرج الآن»، لكن آمي أومأت إيماءة خفيفة وهي تشعل سيجارة أخرى.

تركنا آمي جالسة بلا حراك على الأريكة. في البيت كان ما زال يخيم شبح ديك نورث. كان ديك نورث ما زال بداخلي أنا أيضاً. تذكرت ابتسامته، ودهشته حينما سألته إن كان قد استخدم قدميه في تقطيع الخبز.

يا له من رجل مثير للاهتمام. لقد أصبح أكثر حياة منذ موته.

(37)

بعد ذلك، ذهبت لأرى يوكي مرات قليلة. ثلاث مرات إن شئت الدقة.

لم يبدُ أن إقامتها مع أمها في جبال هاكوني قد راقت لها على الإطلاق. لم تكن سعيدة هناك، لكنها لم تكره ذلك أيضاً. كما أنها لم تشعر بأنها مضطرة لأن تُعنى بأمها. إن يوكي تدع نفسها تُدفع كما تشتهي الرياح. كانت موجودة في الحياة ولكن من دون حماسة لأي من جوانبها.

بدا أن الخروج يجعلها تسترد حيويتها. كانت نكاتي السخيفة قد بدأت تستفزّها، وكان صوتها قد استعاد حيويته. ولكن ما إن تعود إلى البيت حتى تتحول مرة أخرى إلى كائن خشبي. فيصبح صوتها رخواً وينطفئ التوهج في عينيها. بل، وكأنما لترشيد صرف طاقتها، يتوقف عالمها الصغير عن الدوران.

سألتها فيما كنا جالسين على الشاطئ: «أليس من الأفضل لك أن تعودي إلى طوكيو وتعيشي بمفردك هناك لفترة؟ فقط لتغيير وتيرة الحياة. ثلاثة أو أربعة أيام. تغيير المكان يصنع المعجزات. البقاء هنا في هاكوني لن يزيدك إلا بؤساً. لست الشخص نفسه الذي كان في هاواي».

قالت يوكي: «لا خيار أمامي. لكن ذلك أشبه بمرحلة عليّ أن أخوضها. ليس مهماً أين أقيم، لكني سوف أظل هكذا».

- هل ذلك بسبب أن ديك نورث مات، وأن أمك على هذه الحال؟

- ربما. ولكن ذلك ليس هذا كل شيء. مجرد الابتعاد عن أمي لن يحل لي كل شيء. لا يمكنني أن أعتمد على نفسي في أي شيء. لست أدري، ولكن هكذا أشعر. كما لو أن رأسي وجسمي لا يوجدان معاً. كما لو أن إشاراتي ليست جيدة جداً في الوقت الحالي.

استدرت ومددت بصري نحو البحر. كانت السماء مدلهمة. كان ثمة هواء دافئ يداعب الأعشاب المنشرة على الرمال.

سألتها: «إشاراتك؟».

ابتسمت يوكي: «إشارات النجوم. تعرف، إنها صحيحة. إن الإشارات تتحول إلى الأسوأ. بالنسبة لي ولأمي. أنا وهي على الموجة نفسها. إننا متصلتان بهذه الطريقة، حتى لو كنت بعيدة عنها».

- متصلتان؟

قالت يوكي: «نعم، متصلتان ذهنياً. أحياناً لا يمكنني احتمال ذلك وأحاول أن أقاومه. وفي أحيان أخرى أكون متعبة للغاية وأستسلم ولا أبالي. الأمر يشبه كما لو أنني لست حقاً مسيطرة على نفسي. كما لو أنه يتم تحريكي من خلال قوة ما. لا أستطيع احتمال ذلك. أود أن ألقي بكل شيء من النافذة. أريد أن أصرخ «لست إلا طفلة، أنا طفلة!» وأن أذهب للاختباء بإحدى الزوايا».

قبل أن يتأخر بنا الوقت، أخذتُ يوكي بالسيارة إلى البيت وعدت أدراجي إلى طوكيو. طلبت مني آمي أن أبقى لتناول العشاء، كما

كانت تفعل عادة، ولكني رفضت. إنه شيء لا يبعث على الشهية على الإطلاق أن تجلس لتناول طعام مع أم مكتئبة وابنتها الشاردة، وكلاهما على طول الموجة نفسا وما زالت ذكرى شخص ميت تخيِّم على المكان. كان الهواء مفعماً بالموت. والصمت. كان الليل ساكناً حتى إنه باستطاعتك أن تسمع أي همس. مجرد التفكير في ذلك كان يقذف بحجر في معدتي. ربما كان حفل شاي «مات هاتر» بالقدر نفسه من العبثية، ولكنه كان على الأقل أكثر حيوية.

كنت أشغل موسيقى الروك إند رول في مسجّلة السيارة طوال الطريق إلى البيت. احتسيت البيرة وأنا أعد العشاء وأكلت بمفردي في هدوء.

لم أكن أنا ويوكي نفعل الكثير. كنا نستمع للموسيقى أثناء قيادة السيارة، أو نتمشى ونحن نحدق في الغيوم، أو نتناول الآيس كريم في فندق فيوجيا، أو نستأجر قارباً في بحيرة أشينوكو. وفي أغلب الأحوال كنا نكتفي بالحديث، ونمضي كل فترة الظهيرة ونحن نتفرج على اليوم وهو يمرّ. حياة المتقاعدين.

ذات مرة وبناء على اقتراح يوكي بأن نشاهد فيلماً، قدنا السيارة حتى وصلنا إلى أوداوارا. تفحصنا قائمة الأفلام المعروضة فلم نجد شيئاً لافتاً للانتباه. كان فيلم جوتاندا «حب من طرف واحد» يعرض في إحدى دور السينما وحينما ذكرت أن جوتاندا كان زميل دراستي في المدرسة الثانوية، وأنني ألتقيه من وقت لآخر، أثار ذلك فضول يوكي.

- هل شاهدته؟

قلت: «نعم، شاهدته». لم أقل كم مرة.

سألتني يوكي: «هل كان جيداً؟».

- لا، كان سخيفاً. مضيعة للسينما على أقل تقدير.

- وماذا يقول صديقك عن الفيلم؟

ضحكت: «يقول إنه سخيف ومضيعة للسينما. إذا كان الممثل نفسه يقول ذلك، فيمكنك التأكد من أنه سيئ».

- ولكني أريد أن أشاهده على أية حال.

- كما تشائين.

- ألا تمانع؟

قلت: «حسناً، مرة أخرى لن تضيرني».

في يوم عادي من أيام الأسبوع، كانت دار السينما خاوية من الرواد. كانت المقاعد صلبة، وتفوح في المكان رائحة كما لو كانت خزانة ملابس. اشتريت ليوكي قطعة من الشوكولاته من المقصف فيما كنا ننتظر أن يبدأ عرض الفيلم. اقتطعت قطعة لي. حينما أخبرتها أنني لم أتناول الشوكولاته منذ عام، لم تصدق ذلك.

- ألا تحب الشوكولاته؟

قلت: «ليست مسألة أحب أو لا أحب. أظن فقط أنني لست مهتماً بها».

- مهتماً؟ يا لك من شخص غريب. من سمع عن شخص لا يحب الشوكولاته؟ هذا غير طبيعي.

- لا، ليس كذلك. هناك أشياء مثل ذلك. هل تحبين الدلاي لاما؟

- أي شيء ذلك؟

- إنه ليس شيئاً، إنه شخص. إنه الزعيم الروحي للتيبت.

- كيف لي أن أعرف ذلك؟

- حسناً، هل تحبين قناة بنما؟

- نعم، لا، لست أهتم.

- حسناً، وماذا عن النسبة التقريبية بين محيط الدائرة ونصف قطرها؟ أو الحقبة الجوراسية؟ أو النشيد الوطني السنغالي؟ هل تحبين أو تكرهين الثامن من نوفمبر 1987؟

ردت قائلة: «اسكت، هل يمكنك ذلك؟ كيف يمكنك أن تُخرج كل هذا الهراء بهذه السرعة؟ فهمت أنك لا تحب ولا تكره الشوكولاته، وأنك فقط غير مهتم بها. هل أنت سعيد إذاً؟».

كان الفيلم قد بدأ في ذلك الوقت. كنت أعرف قصة الفيلم حتى النهاية ولذا لم أعره الكثير من الاهتمام. لم تكن يوكي تهتم بالسينما أيضاً، إن جاز أن يكون ما تتمتم به لنفسها دليلاً على ذلك.

على الشاشة كان المعلم الوسيم جوتاندا يشرح في الصفّ كيف يتنفس أحد الحيوانات الرخوية. ببساطة وبصبر ولمسة مرح. فيما كانت الفتاة البطلة تحدق فيه.

سألتني يوكي: «هل هذا الشخص صديقك؟».

- نعم.

قالت يوكي: «يبدو شخصاً سخيفاً بحق».

قلت: «أنت قلتِها. ولكن في الفيلم فقط. في الواقع هو شخص جيد».

- إذاً يتعين عليه أن يشارك في أفلام جيدة.

- ذلك ما يريد أن يفعله. لكن ذلك ليس سهلاً كما تتصورين. إنها قصة طويلة.

مر الفيلم، القصة واضحة وعادية. السيناريو عادي، والموسيقى عادية. ينبغي أن يغلفوا الفيلم في كبسولة زمنية ويسمونها: «عاديّة أواخر القرن العشرين» ثم يدفنوها في مكان ما.

وأخيراً جاء مشهد كيكي. النقطة الأشد إثارة في الفيلم. جوتاندا وكيكي ينامان معاً. مشهد صباح الأحد.

أخذتُ نفساً عميقاً وركزت على الشاشة. أشعة شمس صباح الأحد تتسلل من خلال الستائر، الإضاءة نفسها، الوضوح نفسه، الألوان نفسها كما كانت دائماً. لقد نقشت كل تفاصيل هذه الغرفة في رأسي. بل باستطاعتي أن أتنفس هواء تلك الغرفة. الكاميرا تقترب من جوتاندا. يداه تتحرك لأسفل ظهر كيكي. يداعبها بشكل مثير للشهوة بلا هوادة. بدت رعشة خفيفة تسري في جسدها. مثلما يطرف لهب شمعة من أثر تيار هواء صغير لا يمكن لجسم الإنسان أن يشعر به. حبست أنفاسي. الكاميرا تركز على أصابع جوتاندا. تبدأ الكاميرا بالدوران. يظهر وجه كيكي. تدخل الفتاة البطلة. تصعد درج الشقة، تقرع الباب، ثم تفتحه. مرة أخرى أسأل نفسي، لماذا لم يكن مقفلاً؟ أمر لا أفهمه. ولكنه لا يجب أن يكون مقفلاً. إنه مجرد فيلم، وفيلم عادي. تدخل الفتاة، فترى جوتاندا وكيكي نائمين معاً. بدت الصدمة في عينيها. ترمي بالكعك ثم تركض. جوتاندا يجلس في السرير، وهو يلاحظ بفتور ما حدث.

كيكي تقول جملتها الوحيدة: «ما الذي يحدث؟».

بالطريقة نفسها دائماً.

أغمضت عيني. فظهر لي ضوء صباح الأحد، ويد جوتاندا، وظهر كيكي بكل وضوح.

الشيء التالي الذي أعرفه هو أن يوكي كانت منحنية ورأسها على ظهر المقعد الذي أمامها، وهي تلف ذراعيها حولها كما لو كانت تحمي نفسها من البرد. صمت مطبق، لا يحرك شعرة. لم يكن همسة نَفَس.

سألتها: «هل أنت على ما يرام؟».

قالت يوكي بصعوبة: «لا، لا أشعر بأني في حالة جيدة».

- دعينا نغادر هذا المكان. هل تعتقدين أنه يمكنك ذلك؟

أومأت يوكي نصف إيماءة. أخذت بذراعيها المتصلبتين وساعدتها على الخروج من السينما. فيما كنا نخترق الممر الفاصل بين الصفوف، كان جوتاندا قد ظهر على الشاشة خلفنا وهو يحاضر في الطلاب عن البيولوجيا. في الخارج كانت الشوارع هادئة بسبب هطول الأمطار. كانت رائحة الأمواج المتكسرة تهب من البحر. كنت أسندها من كوعها، مشيت بها ببطء حتى السيارة. كانت يوكي تعض على شفتها ولا تقول أي شيء. لم أقل أي شيء أنا أيضاً. كان مرآب السيارات يبعد حوالى مئتي متر عن السينما، ولكن الوصول إلى هناك استغرق دهراً.

(38)

أجلستُ يوكي في المعقد الأمامي وفتحت النافذة التي بجوارها. كان رذاذ خفيف، لا تدركه العين، يتساقط. ورائحة المطر تفوح في المكان. بعض الناس كانوا يرفعون مظلاتهم، فيما كان آخرون يسيرون وكأن شيئاً لا يتساقط. لو أن يداً امتدّت لن تعود إلا ببلل خفيف. كان مطراً لطيفاً.

أسندت يوكي ذراعاً إلى الباب ووضعت ذقنها عليها، فيما كانت انحرافة رقبتها تجعل نصف وجهها خارج السيارة. ظلت على تلك الوضعية لفترة ولم تكن تتحرك إلا للتنفس. كل ارتفاع طفيف يتبعه انخفاض طفيف. كيف يمكن لأي شخص أن يبدو أكثر هشاشة واستسلاماً من ذلك؟ من المكان الذي كنت أجلس فيه، كان يبدو أن أقل شيء سيكون كافياً لأن يفصل رأسها وكوعها. هل كانت مجرد طفلة، ولم تعتد على طرائق العالم، فيما كنت أنا بالغاً أتحمّلها رغم افتقاري للمهارة؟

سألتها: «هل هناك ما يمكنني فعله؟».

قالت يوكي وهي تبتلع لعابها ووجها لأسفل. «لا». بدا صوتها، وهو ينظف حنجرتها، غير طبيعي. «خذني إلى مكان هادئ لا يوجد فيه أحد، ولكن ليس بعيداً جداً».

- ما رأيك في الشاطئ؟

- أي مكان. لكن لا تقد بسرعة. قد أتقيأ إذا كان في الطريق الكثير من المطبات.

رفعتُها ووضعتُ رأسها على مسند الرأس، بعناية كما لو كنت أحمل بيضة، وأغلقت نافذتها إلى النصف. ثم بعد ذلك توجهنا ببطء وبحسب ما تسمح به الحركة المرورية نحو شاطئ كونيفوزو. أوقفنا السيارة وسرنا نحو الشاطئ حيث تقيأت يوكي على الرمال. كانت معدتها خاوية إلا من الشوكولاته وعصارات الهضم. كانت تعتريها نوبات تقيّؤ ولكن من دون أن يخرج منها أي شيء. إنك تدمرين جهازك بأكلمه حتى تصبح معدتك في حجم قبضة اليد. دلّكت ظهرها. كانت الأمطار الخفيفة تتواصل، لكن يوكي لم تلاحظ ذلك.

اغرورقت عينا يوكي بالدموع وهي تحاول أن تتقيأ من دون جدوى.

حاولت أن أهدّئها.

بعد عشر دقائق على ذلك، مسحتُ فمها بمنديل، ثم أهالت الرمل على ما تقيأته. بعد ذلك مشيت بها وأنا أسندها من ذراعها نحو رصيف ميناء قريب. جلسنا متكئين إلى حائط البحر فيما كان المطر قد بدأ يهطل. رحنا نحدق في الموج والسيارات التي كان يُسْمع أزيزها في الخلفية وهي تسير على جسر شانون الغربية. كان الأشخاص الوحيدون حولنا يقفون في الماء أمامنا ليصطادوا. لم يستديروا ليرونا. كانت يوكي تسند رأسها إلى كتفي ولا تقول أي شيء. كنا نبدو مثل عاشقين.

أغمضت يوكي عينيها وراحت تتنفس ببطء. كان يبدو أنها نائمة. وكان يبدو عليها الإعياء. كنت أمسح الدموع والمطر عن وجهها. ظل المطر يهطل في صمت فوق البحر المترامي الأطراف.

وأخيراً وفيما كانت تسند رأسها إلى كتفي، فتحت عينيها ونظرت إليّ بتركيز ضعيف. سحبت علبة سجائر «فرجينيا سلِم» من جيب بنطالها وأشعلت واحدة. أو حاولت مراراً أن تشعلها. لكن لم تكن لديها القدرة حتى على إشعال عود الثقاب. لم أعطها محاضرة بشأن التدخين، ليس هذه المرة. وأخيراً أشعلَتْها وألقت بعود الثقاب بعيداً. ثم وبعد سحب نَفَسين من السيجارة، ألقت بها بعيداً هي الأخرى. ظلت مشتعلة حتى أطفأها المطر.

سألتها: «أما زالت معدتك تؤلمك؟».

- قليلاً.

- ما رأيك في ألا نطيل البقاء هنا؟ هل تشعرين بالبرد؟

- أشعر بتحسن. المطر يبدو جميلاً.

كان الصيادون يحدقون في المحيط الهادئ. ترى ما الذي يجذبهم للصيد؟ لا يمكن أن يكون مجرد الإمساك بالسمك. هل يمكن أن يكون ذلك ذوقاً مكتَسَباً؟ مثل الجلوس في الخارج على الشاطئ أثناء المطر مع فتاة مشدودة الأعصاب في الثالثة عشرة من عمرها؟

«صديقك»، بدأت يوكي بحذر بصوت متهدج.

- صديقي؟

- نعم، الذي في الفيلم.

أخبرتها: «اسمه الحقيقي جوتاندا. مثل المحطة التي على خط يامانوت. التي بعد مجيرو وقبل أوزاكي».

- قَتل تلك المرأة.

حملقتُ بيوكي بشدة. بدت متعبة. كانت أنفاسها غير منتظمة، مثل روح غارقة. ما الذي كانت تقوله الفتاة؟

سألتها: «قتل تلك المرأة؟».

– تلك المرأة التي كان نائماً معها صباح الأحد.

لم أفهم. لم أستطع أن أفهم. عمَّ تتحدث؟ ابتسمتُ وقلت لها وأنا نصف غائب عن الوعي: «ولكن أحداً لم يمت في الفيلم. لا بد أنك مخطئة».

قالت يوكي وهي تمسك بذراعي: «ليس في الفيلم. في الواقع. لقد قتلها بالفعل. لقد رأيت ذلك. لقد أفزعني ذلك حتى إنني بالكاد أستطيع أن أتنفس». لقد تجسّد في خيالي ما قالته مرة ثانية حتى لو لم أكن أصدقه. «أستطيع أن أرى عملية القتل كلها واضحة وحادة. صديقك قتل تلك المرأة. أنا لا أختلق هذا من عندي. صدقني».

تصلّب عمودي الفقري، ولم أعد أستطيع أن أنبس بكلمة. كان كل شيء يتهاوى من مكانه ويسقط خارج يدي. لم أستطع أن أمسك بأي شيء.

قالت يوكي: «آسفة. ربما كان ينبغي ألا أقول أي شيء». تنهّدت وحلّت يدها عن ذراعي. «الحقيقة الصادقة هي أنني لا أعرف. أشعر أن ذلك حقيقي، ولكن لا يمكنني في الحقيقة التأكد إن كان حقيقياً أم لا. وأعرف أنك ربما ستكرهني مثل كل شخص آخر لقولي ذلك. ولكن ليس بوسعي إلا أن أخبرك. سواء أكان ذلك حقيقياً أم لا، فقد رأيته. لا يمكنني أن أظل صامتة بشأنه. أشعر بفزع حقاً. أرجوك لا تغضب مني. ليس باستطاعتي التغلب على ذلك. أشعر كما لو أنني أنهار».

قلت وأنا أمسك بيدها: «أنا لست بمجنون، لذا اهدئي وأخبريني بما رأيت».

– إنها المرة الأولى التي أرى فيها شيئاً بهذا الوضوح الشديد.

لقد خنقها، تلك المرأة التي في الفيلم. ووضع الجثة في السيارة وسار مسافة طويلة، طويلة جداً. كانت تلك السيارة الإيطالية التي كنت تقودها ذات مرة. تلك السيارة. إنها له، أليس كذلك؟

قلت: «نعم، إنها سيارته. هل رأيت شيئاً آخر؟ اهدئي وفكري مرة ثانية. أي شيء يرد بخاطرك، مهما كان صغيراً، أخبريني به. أريد أن أعرف».

هزت رأسها بتردد مرتين أو ثلاثاً. ثم أخذت نفساً عميقاً. «في الحقيقة ليس هناك أكثر من ذلك. رائحة الطين. الجاروف. الليل. صوت الطيور. ذلك هو كل شيء. لقد خنق تلك الفتاة حتى الموت، وحملها في تلك السيارة وواراها في التراب في مكان ما. ذلك هو كل شيء. وهذا هو الجزء الغريب حقاً، وهو أن كل شيء لم يكن شريراً أو شنيعاً أو أي شيء. لم تكن تبدو أنها جريمة. كانت مثل مراسم يتم تنفيذها. كانت مثل شيء حصل على نحو هادئ بين القاتل والضحية. ولكنه هدوء غريب، أغرب ما يكون. كما لو أن ذلك كان يجري على حافة العالم أو شيء من هذا القبيل».

أغمضت عينيّ. لم تذهب أفكاري إلى أي وجهة. الأشياء والأحداث التي كانت في ذهني أخذت تتفكك، وتتطاير مثل الشظايا خلال الظلام. لم أصدق ما كانت تقوله يوكي، ولكني لم أُكذّب ما كانت تقوله يوكي. تركت كلماتها تسقط. ما تقوله لا يمثل حقيقة. إنه احتمال. لا أكثر من ذلك ولا أقل، ولكن قوة الاحتمال كانت مزلزلة.

كان أقل القليل الذي عرفته من النظام خلال الأشهر القليلة السابقة قد انهار. أصبحت مرتبكاً وغير متيقن، لكن ذلك كان نظاماً جديداً، وقد وجد له موطناً. هذا كل ما في الأمر.

الاحتمال قائم. وفي اللحظة التي اعترفت فيها بذلك، كان ثمة

شيء يبلغ النهاية. حتى وإن كان بشكل خفي، إلا أنه أكيد. لقد انتهى. ولكن ما هو ذلك؟ لم أستطع أن أفكر أكثر من ذلك. لا، ليس الآن. في تلك الأثناء وجدت نفسي وحيداً مرة ثانية. مع فتاة في الثالثة عشرة من عمرها، على شاطئ ممطر، فتاة تشعر بوحدة قاتلة.

ضغطت يوكي على يدي.

كم مضى على إمساكها بيدي، لست أدري. يد صغيرة ودافئة جداً، كانت تبدو تقريباً غير حقيقية. لمستها كانت تبدو مثل شيء خفيف يستعاد من الذاكرة. دافئة مثل الذكرى، ولكنها لا تقودك لأي شيء.

قلت لها: «هيا بنا نذهب. سوف آخذك إلى البيت».

عدت بها إلى هاكوني. لم يتحدث أي منا. حينما أصبح الصمت طاغياً، قمت بتشغيل مذياع السيارة. كانت هناك بعض الموسيقى، ولكني لم أنصت إليها. كان تركيزي منصباً على القيادة. يديّ وقدميَّ، تغيير السرعة، والتحكم في المقود. كانت المساحات تروح وتجيء بشكل يبعث على الملل.

لم أكن أرغب في أن أضطر لرؤية آمي، لذا تركت يوكي عند المدخل.

قالت يوكي وهي تنظر إليّ وتضغط على ذراعيها وترتعد: «اسمع، لا ينبغي أن تصدق كل ما أخبرتك به. لقد رأيت ذلك فقط، ذلك كل ما في الأمر. مثلما قلت، لا أعرف إن كان ذلك وقع حقاً. أرجوك لا تكرهني. سوف أموت إن فعلت».

قلت وأنا أرسم ابتسامة على وجهي: «أنا لا أكرهك. ولن أبتلع أي شيء، ما لم يكن الحقيقة. أحياناً يجب أن يخرج الإنسان مثل هذه الأشياء. الضباب لا بد أن ينقشع. أعرف ذلك جيداً. لو تبين أن

ما تقولينه صحيح، فذلك يعني أنني توصلت إلى لمحة من الحقيقة من خلالك. لا داعي للقلق. إنه شيء عليّ أن أتبيّنه بنفسي».

- هل تنوي رؤيته؟

- طبعاً. سوف أسأله عن صحّة ذلك. ليست هناك طريقة أخرى.

هزت يوكي كتفها: «ألست غاضباً مني؟».

- لا، لست غاضباً منك. بالطبع لست غاضباً. ولماذا أغضب منك؟ إنك لم ترتكبي أي خطأ.

قالت: «لقد كنتَ شخصاً جيداً. لم أقابل أحداً مثلك أبداً».

تساءلت: «ولماذا تستخدمين الزمن الماضي؟ وأنا أيضاً لم أقابل فتاة مثلك».

قالت يوكي: «إلى اللقاء». ثم ألقت عليّ نظرة فاحصة وطويلة. بدت عصبية ومتململة. كما لو أنها أرادت أن تضيف شيئاً آخر أو تمسك بيدي أو تقبّلني على خدي.

ظلت الصور القلقة للاحتمال تطفو في رأسي خلال طريق العودة للمنزل. تركت نفسي تستغرق في الموسيقى العبثية، فيما ركّزت انتباهي على الطريق أمامي. توقف هطول المطر بمجرد أن خرجت من الطريق السريع طوكيو-ناجويا، ولكن لم تسعفني قدرتي على إيقاف المساحات إلا بعدما توقفت في مرآب السيارة في شيبويا. كانت الفوضى تضرب أطنابها في رأسي. كان عليّ أن أفعل شيئاً. لذا جلست هناك في سيارتي السوبارو في المرآب، ويداي ملتصقتان بالمقود.

(39)

حاولتُ أن أعيد ترتيب أفكاري.

السؤال الأول: هل يجب أن أصدق يوكي؟ حللت الأشياء على أساس الاحتمال المحض، متخلصاً من العناصر العاطفية قدر استطاعتي. لم يستدع ذلك مني جهداً عظيماً. كانت مشاعري مخدَّرة، كما لو كنت ملدوغاً من البداية. الإمكانية قائمة. كلما فكرت في الإمكانية، تحركت نحو الاحتمال. وقفت في المطبخ لأعد قهوة. ثم صببت لنفسي فنجاناً وعدت به إلى فراشي. لكن ما إن انتهيت منه، حتى صار الاحتمال يقيناً ناصعاً. نعم، لقد كان تماماً مثلما رأته يوكي. جوتاندا قتل كيكي، ونقل جثتها إلى مكان بعيد وواراها في التراب.

كم هو عبثي. لم يكن هناك أي دليل. فقط حلم طفلة في الثالثة عشرة من عمرها وذات حساسية مفرطة بعد أن شاهدت فيلماً. ولكن ما قالته قد لا يرقى إليه شك من ناحية ما. كان شيئاً صادماً لي. بيد أن غرائزي ما زالت لا تتقبله بشكل كامل. لماذا؟ كيف أتيقن أكثر؟

لم أكن أعرف.

السؤال التالي: لماذا يقتل جوتاندا كيكي؟

لم أكن أعرف.

السؤال التالي: هل قتل جوتاندا ماي أيضاً؟ لماذا؟ وما الذي يدفع جوتاندا لقتلها؟

مرة أخرى لم أكن أعرف. قدحت زناد عقلي، ولكني لم أستطع التوصّل إلى سبب واحد يجعل جوتاندا يقتل كيكي أو ماي.

كانت هناك الكثير من المجهولات.

كان عليّ أن أرى جوتاندا. أن أسأله مباشرة. وصلت إلى الهاتف ولكن لم أستطع حمل نفسي على الاتصال برقمه. وضعت السماعة، وتمددت على السرير ورحت أحدق في السقف. لقد أصبح جوتاندا صديقاً. لم أكن أظن أبداً أن يصبح صديقاً لي على هذه الدرجة. لنفترض أنه قتل كيكي، فما زال صديقي. لم أكن أريد أن أخسره مثل الأشياء الكثيرة التي خسرتها في هذه الحياة. لا، لم أستطع أن أهاتفه.

لم أكن أرغب في الحديث مع أي أحد.

جلست وحينما رنّ الهاتف، تركته يرن. لو أنه جوتاندا، ماذا عساي أن أقول له؟ لو كانت يوكي أو يوميوشي، فلست أبالي. لم أكن أرغب في التحدّث إلى أي شخص.

على مدى أربعة أو خمسة أيام مكثت في البيت وأنا أفكر. لماذا؟ بالكاد كنت أتناول الطعام أو أذوق طعم النوم. لم أقرب الشراب. مكثت في البيت. فقدت الاتصال بجسمي. رغم كل ما ألمّ بي بالفعل، كنت لا أزال أخسر. والآن كنت هنا، وحيداً. كان الأمر دائماً أشبه بذلك. من بعض الجوانب كنت أنا وجوتاندا من النوع نفسه. ظروف مختلفة، تفكير مختلف، أحاسيس مختلفة، لكن النوع نفسه. كلانا ظل يخسر. والآن كل منا يخسر الآخر.

كان بوسعي أن أرى كيكي تسأل: ما الذي يحدث؟ ولكن هل

ماتت كيكي، وأهيل عليها التراب في باطن الأرض؟ مثل قطّي كيبر؟ في نهاية المطاف، كيكي لا بد أن تموت. أمر غريب ألا أستطيع رؤية الأشياء بأي طريقة أخرى. كأن غلاف روحي لم يعد هشاً. كنت أحاول ألا أشعر بأي شيء على الإطلاق. كان إذعاني مثل مطر صامت يتساقط فوق بحر شاسع. حتى الوحدة كانت فوق طاقتي. كان كل شيء يتخلّى عني، مثل عَدَم تذروه الرياح بعيداً.

إذاً انضمّ شخص آخر إلى المجموعة التي تضمُّها أغرب غرفة في عالمي. مات أربعة، ويبقى اثنان. عاجلاً أو آجلاً، سوف يتم نقل العظام البيضاء إلى تلك الغرفة عبر بعض الملابسات المستحيلة. غرفة انتظار الموت في وسط مدينة هونولولو، والمتصلة بالعرين المظلم البارد للرجل المقنَّع في فندق سابورو والمتصل بغرفة نوم صباح الأحد حيث نام جوتاندا مع كيكي. هل كنت أفقد عقلي؟ أحداث حقيقية، في ظل ظروف خيالية، غير اعتيادية، وملتبسة، وغريبة. أليس هنالك شيء مطلق؟ أليس ثمة حقيقة؟ سابورو خلال ثلوج مارس يمكن أن تكون بكل سهولة غير حقيقية. لقد كان الجلوس مع ديك نورث على شاطئ ماكاها حقيقياً بما فيه الكفاية، ولكن هل يوجد رجل بذراع واحدة يقطع الخبز إلى شرائح بكل إتقان؟ وبائعة هوى في هونولولو تعطيني رقم هاتف أجده لاحقاً في غرفة انتظار الموت التي قادتني إليها كيكي؟ لماذا ليس ذلك حقيقياً؟ ما الذي يمكنني أن أُقرّ من دون أن أتسبب في تصدع أركان العالم الذي أعيش فيه.

هل المرض كامن هنا أم هناك؟ هل يهم ذلك؟ ما هو الخيط الآن؟ خذ خطوة وارقص، حتى تحوز إعجاب الجميع. هل مواصلة الخطى هي الحقيقة الوحيدة؟ حسناً، ارقص بنفسك على إيقاع الهاتف، اتصل بصديقك جوتاندا، واسأله ببساطة: «هل قتلت كيكي؟».

لا سبيل لذلك. شلل مفاجئ اعترى يدي. أجلس بجوار الهاتف مخدراً، وتعتريني هزة كما لو كنت أواجه ريح عكسية. أصبحت أتنفس بصعوبة. كنت أحب جوتاندا، أحببته كثيراً. كان صديقي الوحيد، كان جزءاً من حياتي. فهمته.

حاولت الاتصال به. في كل مرة كنت أضرب رقماً خطأ. في المحاولة السادسة، ألقيت بالسماعة على الأرض.

لم أتمكن أبداً من الاتصال. في النهاية، كان جوتاندا هو الذي جاء إلى بيتي.

كانت ليلة ماطرة. كان يرتدي قبعة واقية من المطر، والمعطف الأبيض نفسه الذي ارتداه في الليلة التي أوصلته فيها إلى يوكوهاما. كان المطر يهطل بغزارة، وكانت قبعته تقطر ماء. لم تكن لديه مظلة تقيه من المطر.

ابتسم حينما رآني. ابتسمت أنا أيضاً، ابتسمت لاإرادياً تقريباً.

قال: «تبدو متعباً. اتصلت بك كثيراً، ولكن لم ألقَ رداً أبداً. لذا قررت المجيء إليك. هل تعرّضت لهذا الطقس؟».

قلت: «تعرضت ليست هي الكلمة الصحيحة».

حملق في وجهي. «حسناً، ربما أتيت في وقت غير مناسب. سوف أعود ريثما تصبح أحسن حالاً. آسف على المجيء بهذه الطريقة من دون أن أخطرك مسبقا».

هززت رأسي وأخرجت زفيراً. لم تسعفني أي كلمات. انتظر جوتاندا بصبر. أكدت له: «لست مريضاً أو أي شيء. كل ما في الأمر أنني لا آكل ولا أنام. أظن أني أحسن حالاً الآن. على أي حال، كنت أرغب في الحديث معك. دعنا نذهب إلى مكان ما. لم أتناول وجبة كاملة منذ زمن».

ركبنا المازيراتي باتجاه الشوارع المضيئة الغارقة في المطر. كانت قيادة جوتاندا دقيقة وناعمة كما هو دائماً، ولكن السيارة الآن أصبحت تصيبني بالتوتر. كانت السيارة المعزولة عن الصوت تشق قناة وسط الضجيج الذي يحيط بنا.

سألني جوتاندا: «إلى أين تريد الذهاب؟» كان كل ما يهمني هو الوصول إلى مكان هادئ يمكنني الحديث فيه والحصول على طعام جيد دون مقابلة زحام الرولكس. نظر إليّ ولكني لم أقل شيئا. على مدى ثلاثين دقيقة كنا ندور بالسيارة، وعيناي مركزتان على البنايات التي نمر بها.

حاول جوتاندا مرة ثانية: «لا أستطيع التفكير في أي مكان. ماذا عنك؟ أي أفكار؟».

«لا أستطيع أنا أيضاً». كنت حقاً لا أستطيع. كنت شارد الذهن.

قال مبتهجاً: «حسناً، إذاً، لماذا لا نأخذ الاتجاه المعاكس؟».

- الاتجاه المعاكس؟

- أعني مكاناً مزدحماً ومليئاً بالضجيج. يمكننا الاستجمام بهذه الطريقة.

- حسناً، ولكن أين؟

- هل لديك رغبة في البيتزا؟ دعنا نذهب إلى شاكيس.

- ليس لدي مانع. لست ضد البيتزا. ولكن ألن يراك الناس إن ذهبت إلى مكان مثل ذلك؟

ابتسم جوتاندا ابتسامة باهتة، مثل الوهج الأخير لشمس الصيف حينما يتخلل أوراق الشجر؟

كان شاكيس يغصّ برواد نهاية الأسبوع. ازدحام وضوضاء. كانت هناك فرقة من أربعة أشخاص يرتدون قمصاناً عليها خطوط

بيضاء وحمراء ويعزفون موسيقى الجاز على أنغام أغنية «تايجر راج» فيما راح يردد وراءهم مجموعة من الزملاء يحتسون البيرة. كانت رائحة البيتزا تملأ المكان. لم يكن أحد يعير الآخر انتباهاً.

سجّلنا طلبنا. ثم وجدنا مائدة تحت مصباح تيفاني مقلّد على نحو رديء في مؤخرة المطعم.

قال جوتاندا: «ماذا قلت؟ أليس ذلك أفضل؟».

لم أكن قد اشتهيت البيتزا قبل ذلك، ولكن أول قضمة جعلتني أفكر أنها كانت أفضل طعام تذوقته في حياتي. لا بد أنني كنت أتضور جوعاً. كلانا شربنا، وأكلنا وشربنا. وحينما نفدت البيتزا، طلب كل منا جولة أخرى من البيرة.

قال جوتاندا: «رائعة، أليس كذلك؟ كنت أشتهي البيتزا على مدى الأيام الثلاثة الماضية. بل حتى حلمت بها، ساخنة جداً، وهي تخرج من الفرن. لكن مع ذلك، فإني لم أتناولها في الحلم. حدقت فيها وسال لعابي لها فحسب. ذلك هو كل الحلم. لم يحدث أي شيء آخر. ماذا يقول يونغ عن أنواع البيتزا؟» توقف جوتاندا برهة. ثم قال: «إذاً، ما هو ذلك الشيء الذي كنت تريد أن تحدثني بشأنه؟».

أطرقت. الآن، وإلا فلا. ولكن هل يمكنني الإفصاح عن هذا الشيء؟ لقد كان جوتاندا في منتهى الاستجمام، ويستمتع بالأمسية. نظرت إلى ابتسامته البريئة، ولم أقدر على حمل نفسي على قول ذلك. ليس الآن، على الأقل.

سألته: «ما هي آخر أخبارك؟ عملك؟ زوجتك السابقة؟».

قال جوتاندا: «العمل كما هو. لا جديد، لا شيء جيداً، ولا شيء أريد أن أفعله. يمكنني أن أصرخ حتى يجف حلقي، ولكن لا أحد يود أن يسمع ما ينبغي عليّ قوله. زوجتي- هل سمعتُ ذلك؟ ما

زلت أعتبرها زوجتي رغم كل هذا الوقت - لقد رأيتها مرة واحدة منذ آخر مرة رأيتك فيها».

- أما زلت تصطحبها إلى فنادق الحب؟

- تقريباً، لم أعد أفعل.

- أخبرتك أنها وأنا كنا نلتقي في فنادق الحب الخاصة بالأزواج. هل تعرف، إن ترددك على هذه الأماكن يُحدث فيك أثراً. إنها مظلمة، كل النوافذ مغطاة. المكان لا يصلح إلا للمضاجعة، إذاً من يحتاج إلى نوافذ؟ كل ما تحصل عليه هو حمّام وسرير، بالإضافة إلى موسيقى وتلفزيون وثلاجة، ولكن كل ذلك يفتقد للمعنى ومصطنع للغاية. في واقع الأمر إنه يخلف لديك إحباطاً وأنت تقوم بذلك. وبعد فترة على هذا المنوال، ينتابك الرهاب من الأماكن المغلقة وتتملكك كراهية المكان. ومع ذلك فإن هذه الفنادق هي الملاذ الوحيد لنا.

أخذ جوتاندا رشفة من البيرة ومسح فمه بالمنديل.

نظر نحوي ثم ابتسم قائلاً: «لا يمكنني أن أحضرها إلى بيتي. سوف تجد فيها صحف الفضائح ضالتها إن اكتُشف ذلك. ليس لدي وقت للذهاب إلى أي مكان آخر. سوف يتشمّمونها أيضاً على أي حال. لذا نذهب إلى فنادق المضاجعة تلك».

سألني جوتاندا: «ما رأيك في فطيرة بيتزا أخرى؟ سوف أقتسمها معك. لا أعرف مدى شهيتي، ولكني ما زلتُ جائعاً».

في الحال كنت أنا وهو نتناول فطيرة متوسطة الحجم. كان أطفال المدرسة ما زالوا يصيحون، رغم أن الفرقة الموسيقية كانت قد أنهت معزوفتها الأخيرة. غادر الموسيقيون المسرح.

انتهينا من البيتزا الإضافية، ولكن بطريقة ما لم نستطع أن نرفع

أعيننا عن المسرح الخالي. من دون الموسيقى، كانت أصوات رواد المطعم قد أضحت بلاستيكية. كانت موجات الصوت تتصلب كلما اقتربت منا، ولكنها تتكسر حينما تصل إلينا. تلف وتدور ببطء لأعلى المرة تلو المرة، فتلمس وعيي، ثم تتراجع. تذهب بعيداً، بعيداً. موجات بعيدة كانت ترتطم بعقلي.

سألتُ جوتاندا: «لماذا قتلت كيكي؟» لم أكن أقصد أن أسأله. لقد انزلق مني السؤال.

حدق فيّ كما لو كان ينظر نحو شيء بعيد. انفرجت شفتاه قليلاً. كانت أسنانه بيضاء وجميلة. ظل يحدق فيّ مباشرة لوقت طويل. كانت الموجات داخل رأسي تدور وتدور، والأن أصبح صوت الموجة أعلى، ثم أخفض. كما لو أن الاتصال بالحقيقة كان يقترب ويتراجع. أتذكر أصابعه الناعمة وهي مضمومة بأناقة على المائدة. حينما كنت أفقد الاتصال بالواقع، كانت تبدو لي مثل تحفة فنية.

حينئذ ابتسم ابتسامة هادئة.

وكرر ببطء: «هل أنا قتلت كيكي؟».

قلت: «مجرد مزاح».

وقعت عينا جوتاندا على المائدة وأصابعه. «لا، هذه ليست مزحة. هذا أمر هام للغاية. يتعين عليّ حقاً أن أفكر في ذلك. هل أنا قتلت كيكي؟ يتعين عليّ أن أمعن التفكير في ذلك بشكل جاد للغاية».

حملقت فيه. كان فمه مبتسماً، لكن عينيه لم تكونا كذلك.

سألته: «هل ثمة سبب يجعلك تقتل كيكي؟».

- هل ثمة سبب يجعلني أقتل كيكي؟ أنا نفسي لا أعرف. هل قتلت كيكي؟ ولماذا؟

حاولت الضحك: «مهلاً، وكيف لي أن أعرف؟ هل قتلت كيكي أم لم تقتلها؟».

– قلت لك إنني أفكر في الأمر. هل أنا قتلت كيكي، أم لم أقتلها؟

أخذ جوتاندا رشفة أخرى من البيرة، وضع كأسه، أسند رأسه على يده. «ليس بمقدوري التيقن. يبدو حمقاً مني، أليس كذلك. ولكني أقصد ما أقول. لست متأكداً. أظن أنني ربما حاولت أن أخنقها. أظن في منزلي. لماذا قتلت كيكي هناك؟ لم أكن حتى أرغب في أن أكون أنا وهي بمفردنا. لا فائدة، لا يمكنني أن أتذكر. لكن على أي حال، كيكي وأنا كنا في بيتي- وضعت جسدها في السيارة وأخذتها إلى مكان ما وواريتها في التراب. في مكان ما وسط الجبال. لست متأكداً إن كنت حقاً فعلت ذلك. لا أستطيع أن أصدق أنني فعلت شيئاً من هذا القبيل. مجرد شعور بأنني ربما فعلتها. لا أستطيع أن أثبت ذلك. لقد نال مني اليأس. الجزء الأكثر أهمية ملتبس. أحاول التفكير إن كان ثمة دليل ملموس. مثل جاروف. لا بد أنه كان يتعين عليّ أن أستعمل جاروفاً. لو وجدت جاروفاً، لعرفتُ أنني فعلتها. دعني أحاول مرة ثانية. سوف أشتري جاروفاً من متجر حدائق. سوف أستخدم الجاروف في حفر حفرة ودفن كيكي. ثم أُلقي بالجاروف. حسناً، أين؟».

– كل شيء مفتت، مثل الحلم. القصة يمكن أن تأخذ هذا الطريق وذاك. ثم لا تذهب إلى أي مكان. لدي ذكريات لشيء ما. ولكن هل هذه الذكريات لشيء حقيقي؟ أم أنها لشيء اختلقته لاحقاً ليتماشى مع ذلك؟ ثمة خلل بي. الأمور تسوء منذ أن وقع الانفصال بيني وبين زوجتي. إنني متعب. إنني ضائع حقاً.

لم أقل أي شيء.

بعد برهة استطرد جوتاندا. «حسناً، ما هو الحقيقي على أية حال؟ من أي ناحية يمكن أن يكون كل ذلك رُهاباً؟ أو تمثيلاً؟ ظننت أنني إن أصبحت أكثر قرباً منك، فسوف أصبح أكثر سيطرة على الأشياء. فكرت في ذلك منذ أول مرة سألتني عن كيكي. ظننت أنك ربما تزيل عني هذا الالتباس. افتح نافذة حتى يدخل بعض الهواء النظيف».

ثنى ذراعيه ثانية، وراح يحملق فيهما. «لنفترض أنني قتلت كيكي – ترى ماذا سيكون السبب؟ أحببتها. أحببت النوم معها. حينما أكون مكتئباً كانت هي وماي متنفسي الوحيد. إذاً لماذا أقتلها؟».

– هل قتلت ماي؟

حدق جوتاندا في يده للحظة، ثم هز رأسه. «لا، لا أظن أنني قتلت ماي. أشكرك يا إلهي لأن لديّ دليلاً على وجودي في مكان آخر في تلك الليلة. في اليوم الذي قُتلت فيه، كنت في الاستديو حتى منتصف الليل، ثم ذهبت مع مديري إلى منطقة ميتو. يا لها من راحة. لو أن أحداً لم يقسم أنني كنت في الاستديو في تلك الليلة، لَساورني الشك في أني قتلت ماي أيضاً. ولكني ما زلت أشعر بالمسؤولية عن موت ماي. لست أدري لماذا. لم أكن هناك، ولكن الأمر يبدو كما لو كنت قتلتها بيديّ. يخامرني شعور بأنها ماتت بسبب له علاقة بي».

مر دهر آخر وهو يحدق في أصابعه.

قلت له: «جوتاندا، إنك متعب للغاية. ذلك كل ما في الأمر. ربما لم تقتل أحداً. لقد تلاشت كيكي في مكان ما. حينما كنا معاً، اعتادت أن تختفي على هذا النحو. لن تكون هذه هي المرة الأولى. إنك تُحمّل نفسك فوق طاقتها. لا تفعل ذلك».

– لا، الأمر ليس كذلك. ليس بتلك البساطة. أغلب الظن أنني

قتلت كيكي. لا أظن أنني قتلت ماي، ولكن نعم، أظن أني قتلت كيكي. ما زلت أستشعر في أصابعي الهواء الخارج من حنجرتها. ما زلت أستشعر ثقل الطين في الجاروف. في واقع الأمر، لقد قتلتها.

– ولكن لماذا تقتل كيكي؟ أمر لا يمكن فهمه.

قال: «لست أدري. ربما انتابني دافع لتدمير الذات. لقد حدث لي ذلك من قبل. حينما أترك فجوة بيني أنا جوتاندا وبيني أنا الممثل، وأخطو خطوة للخلف ألاحظ أنني أحمق. إنني أقف في أحد جوانب هذا الصدع العميق للغاية والمعتم، ثم ومن دون أن أشعر أجدني انتقلت للجانب الآخر، لدي ذلك الدافع لتدمير شيء ما. لتهشيمه إلى شظايا. كوب. قلم. موديل بلاستيك. بيد أن ذلك لم يحدث قط حينما يكون الناس حولي. فقط حينما أكون وحدي.

حينما كنت في المدرسة الابتدائية، أذكر أنني دفعت صديقاً لي، وسقط على صخرة صغيرة. لست أدري لماذا فعلتها. ولكن الشيء الذي عرفته بعد ذلك، أنه سقط هناك. لم يكن سقوطاً كبيراً، ولذا لم يتسبّب له ذلك بأذى كبير. كان يظن أن ذلك حادث عرضي. أعني، ما الذي يجعلني أدفع صديقاً لي من فوق الحافة عن عمد؟ كان ذلك هو ما شغل الجميع. لم أكن متيقناً تماماً. ثم في المدرسة الثانوية، أشعلت النيران في صناديق البريد. فعلت ذلك أكثر من مرة، ولم يكن مجرد مزحة طلاب. كنت كما لو أني مضطر لعمل ذلك. كما لو كان ذلك هو الشيء الوحيد الذي يوقظني. كان ذلك هو ما أفكر فيه لاإرادياً. ولكن بعد ذلك كنت أتذكر الإحساس بالأشياء. ما زلت أستشعر أثر ذلك في يديّ. ولن أكون قادراً على إزالة ذلك عن يديّ. يا إلهي، كم هي رهيبة هذه الحياة. لست أدري كيف يمكنني أن أحتملها».

هز جوتاندا رأسه.

استطرد جوتاندا: «كيف لي أن أتأكد ما إذا كنت قد قتلت كيكي؟ ليس ثمة دليل. لا جثة. لا جاروف. لا أثر للتراب على بنطالي. لا تورمات جلدية في يديّ. ليس معنى ذلك أن حفر حفرة سوف يسبب لك تورمات في يديك. لا أتذكر حتى أين واريتها. افترض أنني توجهت للشرطة واعترفت، من سيصدقني؟ إذا لم يكن هناك جثة، فليس هناك جريمة قتل. لقد اختفت. ذلك ما أنا متأكّد منه. مرت أوقات كنت أريد أن أخبرك، ولكني لم أستطع. ظننت أن ذلك سوف يمحو أي تقارب بيننا. حينما أكون معك، أشعر براحة كبيرة. لا أشعر أبداً بتلك الفجوة. أنت لا تعرف ما قيمة ذلك. لا أريد أن أخسر صداقة مثل صداقتنا. لذا ظللت أرجئ إخبارك حتى تسأل كما سألت الآن. كان يتعين عليّ حقا أن أتطهّر من ذلك».

– تتطهر؟ لكن ليس هناك دليل على أنك فعلت أي شيء؟

– الدليل ليس هو القضية. كان ينبغي أن أخبركِ أولاً. ولكنني أخفيت الأمر. تلك هي المشكلة.

– مهلاً، حتى لو كان ذلك صحيحاً، حتى لو أنك قتلت كيكي، فإنك لم تكن تقصد قتلها.

رفع كفّيه أمامه، كما لو أنه سوف يقرأهما.

– «لا. لم أكن أقصد. ليس لدي سبب. كنت أحبها، وإلى حد ما كنا صديقين. كنا نتكلم. كنت أستطيع أن أحدثها عن زوجتي، وكانت تصغي لما أقول بصدق. ما الذي يجعلني أرغب في قتلها؟ ولكني فعلت، أظن، بهذه اليدين. ربما لم أفعلها عامداً. ولكنني فعلتها. قتلتها خنقاً. ولكني لم أكن أخنقها، كنت أخنق ظلي. أتذكر حينما كنت أفكر، لو استطعت التخلص من ظلي، لأصبحت أفضل حالاً. لكنه لم يكن ظلي. كان ظل كيكي.

كل هذا حدث في ذلك العالم المظلم. هل تعرف ما أتحدث عنه؟ ليس هنا في هذا العالم. وكانت كيكي هي التي قادتني إلى هناك. تخلّص مني، هكذا طلبت مني كيكي. هيا اقتلني، أنا موافقة. لقد دعتني لذلك، سمحت لي بذلك. أقسم بكل صدق أن ذلك هو ما حدث. من دون دراية مني. هل يمكن لذلك أن يحدث؟ كانت أشبه بحلم. كلما فكرت في الأمر، بدا غير حقيقي. ما الذي يجعل كيكي تطلب مني أن أقتلها؟».

ازدردت آخر ما تبقى من البيرة الدافئة. كانت هناك طبقة كثيفة من دخان السجائر قد طفت فوقنا كما لو كانت كائناً أثيرياً.

سألته: «هل ترغب في مزيد من البيرة؟».

– نعم، يمكنني شراب واحدة أخرى.

ذهبت إلى البار وعدت بكأسين شربناهما في صمت. كان المكان مزدحماً ازدحام محطة أكيهابارا في ساعة الذروة. كان الزبائن يجيئون ويروحون بشكل متواصل. لم يكن أحد يأبه للاستماع إلى حديثنا. بل إن أحداً حتى لم ينظر إلى جوتاندا.

«ماذا أقول لك؟»، تصنّع جوتاندا ابتسامة وهو يتحدث. «لا أرى حتى نجمة واحدة»، قال جوتاندا وهو يرفع كأسه التي أصبح ثلثاها فارغاً كما لو كان ينظر في أنبوب اختبار.

قلت بهدوء: «دعنا ننسى ذلك. أستطيع أن أنساه. انسها أنت أيضا».

– هل تظن أن بوسعي أن أنساها؟ سهل أن تقول، فأنت لم تقتلها بيديك.

– مهلاً، هل تسمعني؟ ليس هناك دليل على أنك قتلت كيكي. توقف عن لوم نفسك على شيء ربما لم يحدث حتى. إن اللاشعور

لديك يستخدم مسألة اختفاء كيكي كطريقة ملائمة لتحميلك الذنب. أليس ذلك ممكناً؟

قال جوتاندا وهو يبسط كفيه على الطاولة: «حسناً، دعنا نتحدث عن الاحتمالات. لم أكن أقوم بأي شيء ولكنني فكرت في الاحتمالات لاحقاً. كافة أنواع الاحتمالات. مثل احتمال أنني سوف أقتل زوجتي. هل أنا على ما يرام؟ ربما كنت سأخنقها إذا سمحت لي بذلك، مثلما فعلت مع كيكي. الاحتمالات مثل السرطان. كلما فكرت فيها، تكاثرت بشكل أكبر ولا يكون هناك سبيل لإيقافها. أصبحت الأمور خارج سيطرتي. أنا لم أحرق صناديق البريد فحسب. قتلت أربع قطط. كنت ألقي بالحجارة على نافذة الجيران. لست أستطيع التوقف عن اقتراف مثل هذه السخافات. ولم أخبر أحداً بها على الإطلاق، حتى هذه اللحظة. يا إلهي»، تنهّد بعمق، «كم هو مريح أن أفضي إليك بذلك».

«يا له من شيء ملعون الذي سأفعله لاحقاً؟ تلك الفجوة – إنها كبيرة جداً، عميقة جداً. خطر، أليس كذلك؟ كلما اتسعت الفجوة، زادت غرابة ما أجد نفسي أقترفه من حماقات. هل هذا شيء يعيش في جيناتي؟ يا إلهي، أخاف أن ينتهي بي الأمر لأن أقتل زوجتي. ليس لدي أي سيطرة على ذلك. لأنه سوف لن يحدث في ذلك العالم».

قلت وأنا أتصنّع ابتسامة: «إنك قلق أكثر مما ينبغي. انس هذا الهراء بشأن الجينات. ما تحتاج إليه هو إجازة بعيداً عن العمل. توقف عن رؤية زوجتك لفترة. تلك هي الطريقة الوحيدة. ألق بكل شيء إلى الريح. تعال معي إلى هاواي. تمدد على الشاطئ، اشرب بينا كولادا، اسبح، اركب الموج، اسمع الموسيقى. وإذا ما زالت لديك رغبة في القلق، يمكنك ممارسة القلق لاحقاً».

قال وعيناه تطرفان وهو يبتسم: «فكرة ليست بالسيئة. سوف نحضر فتاتين، ويمكن لأربعتنا أن نتسكع حتى الصباح مرة أخرى. كان ذلك باعثاً على المرح».

جرف تلك الثلوج الجيدة.

قلت: «أنا جاهز للسفر في أي وقت. ماذا عنك؟ كم ستحتاج من الوقت للانتهاء مما تقوم به؟».

ابتسم جوتاندا نحوي أغرب ابتسامة. «إنك لا تفهم شيئاً، أليس كذلك؟ ليس هناك شيء اسمه الانتهاء في عملي هذا. كل ما يمكنك عمله، هو أن ترمي الشيء برمّته. وإذا فعلت ذلك، فعليك أن تتأكد أنني لن أعمل مرة أخرى. سوف يتم إقصائي من الوسط بشكل دائم. وسوف أفقد زوجتي بشكل دائم».

ارتشف آخر شرابه.

- ولكن ذلك جيد. العودة إلى اللاشيء أمر جيد. في هذه النقطة، أنا مستعد لأن أسميها استقالة. إنني متعب. حان الوقت لأن أذهب إلى هاواي وأتمدّد. حسناً، دعنا نتخلص من كل شيء. يمكنني أن أعيد التفكير في الأشياء لاحقاً، لكن الأمر يستحق المحاولة. سوف أعهد لك بكل شيء. أثق بك. وثقت بك منذ أن اتصلت بي أول مرة. تبدو شخصاً جديراً بالاحترام. تماما مثلما كنت أريد دائماً أن أكون.

اعترضت محتجّاً: «لا يوجد مثل هذا الشخص الجدير بالاحترام هنا. إنني فقط .... أواصل الخطى وأرقص. ليس هناك معنى لذلك على الإطلاق».

فرد جوتاندا يديه بعرض جسمه على المائدة. «وأين هو المعنى في حياتنا؟ أرجوك دلّني عليه. أين هو في حياتنا؟» ثم ضحك.

«ولكن. لا يهم على الإطلاق. إنني مذعن لذلك. سوف أتبع مثالك. سوف أخرج من مصعد لمصعد. ليس ذلك بمستحيل. أستطيع القيام بأي شيء إن وضعت عقلي فيه. إنني جوتاندا الذكي، الوسيم، حلو المعشر على أية حال. إذاً، اتفقنا، هاواي. سوف نشتري التذاكر غداً. درجة أولى. سوف تكون درجة أولى. بي إم دبليو، رولكس، وأزابو. سوف نغادر بعد غد ونصل إلى هناك في اليوم نفسه. هاواي!! إنني أبدو جميلاً في قميص ألوها».

- سوف تبدو جميلاً في أي شيء.

- أشكرك على دغدغة ما بقي من ذاتي.

نظر إليّ جوتاندا نظرة فاحصة وطويلة. «هل تظن حقاً أن باستطاعتك أن تنسى أنني قتلت كيكي؟».

- أوه، ماذا؟

- حسناً، ثمة شيء آخر لا تعرفه عني. هل تذكر أني أخبرتك أنني وُضعت بالحبس لمدة أسبوعين؟

- نعم.

- كانت كذبة. لقد بحت بكل شيء وأطلقوا سراحي على الفور. لم أكن خائفاً. كنت أسعى بطريقة مَرَضِيّة أن أفعل شيئاً جباناً. كنت أريد أن أكره نفسي. إنني سيّئ جداً. لعلك لم تعرف أنك حينما التزمت الصمت لتحفظ ماء وجهي، قد حفظت أيضاً الجزء المُنْتن الذي أخفيه. لقد فعلت شيئاً لي، لم أكن لأفعله لنفسي - أزلت وساخاتي. هل تعرف، كنت مبتهجاً بذلك. لقد منحني ذلك الفرصة لأن أكون أكثر صدقاً مع نفسي. أشعر أنني أخيراً أصبحت نظيفاً. صديقي، أراهن أن ذلك لم يكن أمراً تبعث مشاهدته على السرور.

قلت: «لا تقلق بشأن ذلك». كنت أريد أن أقول له، إن ذلك

قارَبَ المسافة بيننا. ولكني لم أفعل. قررت الانتظار حتى تصبح الكلمات ذات مغزى أكبر. لذا اكتفيت بتكرار نفسي. «لا تقلق بشأن ذلك».

أخذ جوتاندا قبعته الواقية من المطر التي كانت على ظهر كرسيه، وتفحّص إلى أي مدى كانت مبتلة، ثم أعادها. قال: «أود أن أطلب منك جميلاً كصديق. أرغب في مزيد من البيرة، ولكن ليس لدي القدرة على النهوض وإحضار واحدة».

قلت: «لا مشكلة».

نهضت واقفاً وذهبت إلى البار. كان هناك طابور من الأشخاص، لذا استغرق مني بعض الوقت. حينما عدت إلى الطاولة، وفي يدي الكأس، كان جوتاندا قد اختفى وكذلك قبعته. ولم تكن هناك مازيراتي في المرآب أيضاً. رائع، هززت رأسي. رائع فحسب.

لم يكن ثمة ما يمكنني عمله. لقد اختفى.

(40)

في ظهيرة اليوم التالي استخرجوا المازيراتي من خليج طوكيو. كما توقعت. لا مفاجآت. بمجرد أن اختفى، استبصرت ذلك آتياً.

جثة أخرى. القط، كيكي، ماي، ديك نورث، والآن جوتاندا. خمس. بقيت واحدة. والآن، من التالي الذي سيموت؟ ليست يوميوشي، لن أستطيع احتمال ذلك. يوميوشي لا يفترض أن تموت. إذاً، يوكي الطفلة؟ ما زالت في الثالثة عشرة. لا يمكنني السماح بأن يحدث لها ذلك. كنت أتفحّص القائمة، كما لو كنت إله الموت، أصدر أوامر الفناء.

توجّهت إلى قسم شرطة أكازاكا لأبلغ بوكيش أنني ظللت مع جوتاندا حتى الليلة قبيل موته. بطريقة ما ظننت أنه من الصواب أن أفعل ذلك، بالرغم من أنني لم آتِ على ذكر كيكي بطبيعة الحال. ذلك كان كتاباً مغلقاً. بدلا من ذلك، تحدثت عن كيف كان جوتاندا منهكاً، وكيف أن ديونه كانت تتراكم، ومشكلاته مع العمل، والضغوط التي يواجهها في حياته الخاصة.

دَوّن بوكيش ما قلته. على عكس ما سبق، لم يكتب سوى إفادة بسيطة. وقّعت عليها. لم يستغرق الأمر ساعة. قال: «الناس يموتون عن يمينك ويسارك، ما هذا؟ بهذا المعدل، لن يمكنك أن تقيم

صداقات ولن يكون لك تأثير على الناس. سوف يكرهونك، وقبل أن تعرف ذلك، سوف يضعف بصرك، وتترهل بشرتك. ليس ذلك بالاحتمال الجيد».

ثم أخرج تنهيدة عميقة.

- حسناً، على أية حال، كان انتحاراً. قضية تُفتح وتُغلق. بل وهناك شهود. لكن يا لها من خسارة. لا أبالي إن كان نجماً سينمائياً، ولكنه ما كان ينبغي أن يشق البحر بالمازيراتي، أليس كذلك؟ كانت هوندا سيفيك أو تويوتا كورولا عادية ستؤدي الغرض.

- كانت مُؤمّنة.

«لا سيدي، التأمين لا يغطي الانتحار أبداً»، ذكّرني بوكيش. «على أي حال، يمكنك الانصراف الآن. يؤسفني موت صديقك. وشكراً على تجشمك الصعاب والحضور إلى هنا». قال وهو يودعني لدى الباب. «قضية ماي لم يتم حسمها بعد. ولكن التحقيقات ما تزال سارية».

لمدة طويلة بعد ذلك، رحت أتجول على قدميّ ولدي شعور كما لو كنت قد قتلت جوتاندا. لم أستطع أن أخلّص نفسي من هذا العبء. استرجعت كل الأشياء التي تحدثنا عنها في تلك الليلة. كم كنت أتمنى لو أعطيته الإجابات التي كان يحتاج إليها لينقذ نفسه، لربما كان كل منا الآن مسترخياً على شاطئ هاواي.

لا سبيل. جوتاندا كان قد عقد العزم من البداية. كان يفكر في أن يشقّ البحر بالمازيراتي كل ذلك الوقت. كان ينتظر حُجّة. كان ذلك هو مخرجه الوحيد. كان يضع يديه بالفعل على مقبض الباب، المازيراتي كانت تغرق في رأسه، والمياه تملأها، وتخنقه، المرة تلو المرة.

لقد تركني موت ماي مزعزعاً، وأصابني موت ديك بالاكتئاب والانزواء. أما موت جوتاندا فقد ألقى بي في صندوق من اليأس مغلق بالرصاص. إن موت جوتاندا لا يعوَّض. لم يحدث أن وجد جوتاندا نفسه في انسجام مع دوافعه الداخلية. كان يدفع نفسه قدر استطاعته إلى حافة وعيه - ثم مباشرة يعبر الخط إلى ذلك العالم الآخر المظلم.

لقد جعلت المجلات والتلفزيون وصحف التابلويد من موته وليمة عاشت عليها لفترة. مثل خنافس تنهش في جيفة. كانت العناوين وحدها تكفي لجعلي أتقيأ. كنت أرغب في خنق كل مروّجي الفضائح في المدينة.

صعدت إلى السرير وأغمضت عينيّ. تناهى إلى سمعي صوت ماي آتياً من ظلمات سحيقة.

أرقد هناك، وأنا أكره كل شيء. عمليات الموت كانت فوق الفهم، ومذاقها كان مقززاً. عالم الأحياء أصبح فاحشاً. كنت عاجزاً عن عمل أي شيء. جاء الناس وذهبوا، ولكن بمجرد أن يذهبوا، لا يعودوا أبداً. كانت رائحة الموت تفوح من يديّ. لم أعد قادراً على التخلص منها، مثلما قال جوتاندا.

مهلاً، أيها الرجل المقنَّع، هل هذه هي الطريقة التي تربط بها بين عالمك؟ تربط موتاً بموت؟ قلت ربما يكون قد فات الأوان لأن أكون سعيداً. لن أمانع في ذلك، ولكن لماذا هذا؟

عندما كنت صغيراً، كان لديّ كتاب العلوم. كان هناك فصل عن «ماذا سيحدث للعالم لو لم يكن هناك احتكاك؟» الإجابة: «كل شيء على الأرض سوف يطير في الفضاء من قوة الطرد المركزي للدوران». تلك كانت حالتي المزاجية.

(41)

بعد ثلاثة أيام من شق جوتاندا البحر بالمازيراتي، اتصلت بيوكي. وحتى أكون صادقاً، لم أكن أرغب في الحديث مع أي شخص، ولكن من بين جميع الناس، كان لزاماً عليّ أن أتحدث إليها. كانت بها هشاشة ما وتعاني من الوحدة. طفلة. وكنت أنا ربما الشخص الوحيد في العالم الذي سوف يصغي إليها. وفوق ذلك، فإن يوكي لا تزال حية. وثمة واجب، علي أن أحافظ عليها كذلك. كان هذا هو على الأقل ما أشعر به.

لم تكن يوكي في هاكوني. كانت آمي المرتبكة هي من ردت على الهاتف وقالت إن يوكي غادرت قبل يومين للعودة إلى المنزل الواقع في أكازاكا.

اتصلت بهاتف منزلها في أكازاكا. انتزعت يوكي السماعة على الفور. لا بد أنها كانت بجوار الهاتف مباشرة.

سألتها: «هل الأفضل لك أن تكوني بعيداً عن هاكوني؟».

- لا أدري. لكني كنت بحاجة لأن أكون وحدي. والدتي امرأة بالغة، أليس كذلك؟ ينبغي أن تكون قادرة على الاعتماد على نفسها. كنت أريد أن أفكر في نفسي. ما الأشياء التي يجب أن أفعلها من الآن فصاعدا. أظن أن الوقت قد حان لأن أهتم بحياتي.

- حسناً، ربما يكون ذلك أفضل.

- رأيت الصحف. ذلك الشخص، صديقك، مات، أليس كذلك؟

- نعم، إنها لعنة المازيراتي. صدق تحذيرك لي.

لم تجب يوكي. كان الصمت يسري خلال الأسلاك. نقلتُ السماعة من الأذن اليمنى إلى اليسرى.

سألتها: «ما رأيك في الخروج للطعام؟ أعرف أنك لا تأكلين سوى الوجبات السريعة، أليس كذلك؟ أنا نفسي لم أكن أتناول طعاماً جيداً. دعينا نتناول طعاماً أفضل».

- لدي موعد مع شخص في الثانية، ولكن قبل ذلك ليس لدي شيء.

نظرتُ إلى الساعة. كانت قد تجاوزت الحادية عشرة بقليل.

قلت: «حسناً. سوف أتجهّز الآن. إذاً سوف أراكِ خلال ثلاثين دقيقة».

غيّرت ملابسي، أخذت جرعة كبيرة من عصير البرتقال، ووضعت حافظة النقود والمفاتيح في جيبي. اليوم عطلتي، أم ليس كذلك. هل نسيت شيئاً؟ حسناً، دائماً أنا في عطلة. نسيت أن أحلق ذقني. أجريت ماكينة الحلاقة سريعاً فوق لحيتي، ثم ضبطت هندامي قبالة المرآة. هل يمكن أن يبدو عليّ أنني فتى في العشرين؟ ربما. وربما لا. ولكن هل يأبه أحد لذلك؟ غسلت أسناني مرة ثانية.

كان الطقس مشمساً في الخارج. الصيف على الأبواب. لو أن موسم المطر يمكن إيقافه. وضعت النظارة الشمسية، وسرت بالسيارة نحو بيت يوكي. ضغطت على جرس مدخل بيتها. كانت ترتدي ثوباً بنصف كم وتنتعل صندلاً، وتحمل حقيبة كتف.

قلت: «تبدين اليوم في غاية الأناقة».

أجابت: «أخبرتك أنني سألتقي شخصاً ما في الثانية، أليس كذلك؟».

- الثوب يليق بك. جذاب، ومناسب لليافعات.

ابتسمَتْ من دون أن تقول شيئاً.

كانت الساعة الثانية عشرة إلا قليلاً، لذا كان المطعم لنا وحدنا. أخذ كل منا شوربة ومعكرونة وبعض السمك وسَلَطة. عندما حان موعد وصول رجال الأعمال، كنا قد غادرنا المكان.

سألتها: «إلى أين؟».

قالت: «ليس هناك مكان معيّن. فقط خذني في جولة بالشوارع».

قلت: «هذا ضد النظام الاجتماعي. ومضيعة للوقود». لكن يوكي تجاهلت ما قلت وكأنها لم تسمع.

بدلا من ذلك قامت بتشغيل الاستريو. أغنية توكنج هيدز، الخوف من الموسيقى. متى وضعت هذا الشريط؟

قالت: «لقد قررت أن أستعين بمعلمة. إنها هي التي سأقابلها اليوم. أخبرت أبي أنني أريد أن أدرس، وهو الذي وجدها لي. إنها تبدو شخصية جيدة بحق. أمر غريب، ولكن مشاهدة ذلك الفيلم جعلني أريد أن أدرس».

- أي فيلم؟ «حب من طرف واحد»؟

- نعم. يبدو غريباً لك، أعرف. إنه حتى غريب بالنسبة لي. ربما أداء صديقك لدور المدرس جعلني أشعر بالرغبة في الدراسة. في

البداية كنت أظن أنه فيلم سخيف. لكن يبدو أنني قد أصبحت أسيرته. ربما كانت لديه موهبة.

- نعم، كانت لديه موهبة. باستطاعته أن يمثل. إذا كان خيالاً. لكن ليس حقيقة، إن فهمتِ ما أقصد.

- أظن ذلك.

- كان ينبغي أن تشاهديه كطبيب. أخبرني أنه كان يمثل. على أية حال، مجرد الرغبة في عمل شيء هو علامة جيدة. لا يمكنك حقاً مواصلة العيش هكذا من دون أن تدرسي. أعتقد أن جوتاندا سيسرّه أن يسمع ذلك.

- هل رأيته؟

قلت: «نعم. رأيته وتحدثنا. تحدثنا لوقت طويل. حديثاً صادقاً للغاية. ثم بعد ذلك مات. كان يتحدث معي، ثم شقّ الخليج بالمازيراتي».

- بسببي؟

هززت رأسي: «لا، ليس بسببك. ليس خطأك. ليس خطأ أحد. للناس أسبابهم الخاصة للموت. ربما يبدو أمراً بسيطاً، لكنه ليس كذلك أبداً. إنه أمر أشبه بالجذر. ما يظهر فوق الأرض هو جزء صغير فقط منه. ولكن إن رحت تجذبه، فسوف تظل تسحبه وتسحبه. إن عقل الإنسان يعيش في ظلمات سحيقة. لا يعرف السبب الحقيقي سوى الشخص نفسه، بل ربما حتى الشخص لا يعرف».

كان ينتظر مبرراً. كان بالفعل يضع يديه على مقبض الباب.

لا، لم يكن خطأ أحد على أية حال.

قالت يوكي: «ما زلت أظن أنك تكرهني من أجل ذلك».

- لست أكرهك.

- ربما لا تكرهني الآن، ولكنك سوف تفعل لاحقاً.

- ليس الآن، وليس لاحقاً. لست أكره بهذه الطريقة.

قالت هامسة لنفسها: «ربما لا تكرهني، ولكن شيئاً سوف يتلاشى. أنا أعرف ذلك».

حملقت فيها: «غريب. لقد قال جوتاندا الشيء نفسه».

- أحقاً؟

- نعم. قال إن لديه إحساساً بأن أشياء سوف تتلاشى. لست أعرف أي نوع من الأشياء قَصَدها. ولكن أياً كانت، سوف تذهب في وقت ما. إننا في حالة دوران، لذا فإن الأشياء لا يمكنها إلا التلاشي حينما يحدث ذلك. تزول حينما يحين وقت زوالها. ولا تزول إلا حينما يكون قد آن أوان زوالها. مثل ذلك الثوب الذي ترتدينه. قبل سنتين، لم يكن يليق بك، وكنت تفكرين آنذاك أن فرقة توكنج هيدز الموسيقية هي شيء قديم لا قيمة له. ربما لم تكوني ترغبين حتى في أن أصطحبك في جولة بالسيارة. هذه أمور لا يمكن تحاشيها. كما يقولون، اسبح مع التيار. ولا تسبح ضده.

- سوف أظل أحبك دائماً. وليس لهذا علاقة بالزمن.

- يسعدني أن أسمع ذلك، لأنني أود أن أظن ذلك. لكن وحتى أكون نزيهاً معك يوكي، فإنك ما زلت لا تعرفين الكثير عن الزمن. يحسن بك ألا تأخذي قرارات في أمور أكثر مما ينبغي الآن. الناس تعتريهم تغيرات بشكل لن تصدقيه.

لاذت بالصمت. انقلب الشريط على الوجه الآخر ذاتياً.

الصيف. أينما قلبت وجهك، كان كل شيء في المدينة يوحي بالصيف. رجال الشرطة وطلاب المدارس وسائقو الحافلات كانوا

جميعهم يلبسون زياً بأكمام قصيرة. بل كانت هناك بعض النساء بثياب من دون أكمام. لكن ومع ذلك فقد كانت تثلج قبل وقت ليس بطويل.

- أحقاً أنك لا تكرهني؟

قلت: «بالطبع لا. في هذا العالم المفتقر إلى اليقين، ذلك هو الشيء الوحيد الذي أنا علي يقين منه».

- بشكل مطلق؟

- بشكل مطلق وبمقدار 2500 في المئة.

ابتسمتْ. «ذلك ما كنت أود سماعه». ثم سألتْ: «كنت تحب جوتاندا، أليس كذلك؟».

قلت: «كنت أحبه بكل تأكيد». فجأة تحشرج صوتي. اغرورقت عيناي. بالكاد استطعت مقاومة الدموع وأخذت نفساً عميقاً. «في كل مرة قابلته كان حبي له يزداد. ذلك لا يحدث كثيراً، خصوصاً في سني».

- هل قتل المرأة؟

مددت بصري إلى أفق السماء المصاحب لتباشير الصيف لبرهة.

- من يدري؟ ربما فعل ذلك، وربما لم يفعل.

كان ينتظر مبرراً.

اتكأت يوكي إلى نافذتها وراحت تنظر إلى الخارج وتستمع إلى توكنغ هيدز. بدا أنها كبرت قليلا عما كانت حينما التقيتها أول مرة، قبل شهرين ونصف فقط.

سألتني: «ماذا ستفعل الآن؟».

قلت: «نعم، ماذا سأفعل؟ لم أقرر بعد. أفكر في العودة إلى سابورو. غداً أو بعد غد. فهناك توجد الكثير من النهايات المفككة».

يوميوشي. الرجل المقنَّع. فندق الدولفين. مكانٌ كنت جزءاً منه. حيث كان ثمة شخص يبكي لأجلي. ينبغي لي العودة حتى أغلق الدائرة.

عرضت على يوكي أن أقلّها إلى حيث تشاء. «أُقسم لك، أنني متفرغ اليوم».

ابتسمت: «أشكرك، ولكن باستطاعتي أن أتدبّر أمري. الطريق طويل جداً، سوف يكون القطار أسرع».

قلت وأنا أرفع نظارتي الشمسية: «هل سمعتك تقولين شكراً؟».

- هل لديك أي مشكلة مع ذلك؟

- لا.

كنا في محطة يوجوي هاتشيمان حيث كانت ستستقل خط قطار أوداكيو. نظرت إليّ يوكي لمدة عشر أو خمس عشرة ثانية. لم يكن ثمة تعبير محدد على وجهها، فقط تغير تدريجي في وهج عينيها، وشكل فمها. ولأول مرة بدت شفتاها أكثر بروزاً، وأصبحت نظرتها أكثر حدّة وجرأة. مثل جزء من شعاع شمس الصيف ينعكس على الماء.

أغلقت الباب، ونزلت من السيارة من دون أن تنظر خلفها. علّقت بصري بشكلها وهو يغيب وسط الزحام. عندما أصبحت خارج رؤيتي، انتابني شعور بالوحدة، وكأن علاقة حب قد انفرط عقدها للتو.

عدت بالسيارة إلى أوياما للتسوق في كينوكونيا، ولكن مرآب السيارات كان ممتلئاً. ثم فكرت، ألست ذاهباً إلى سابورو غداً أو بعد غد؟ ثم أدرت السيارة وتوجهت نحو البيت. إلى شقتي الخاوية. حيث استلقيت على السرير ورحت أحدق في السقف.

أطرقت: لقد أوجدوا اسماً لذلك. الخسارة. الفقدان. آه ليست هذه بالكلمات اللطيفة.

تناهى إلى سمعي صوت واقواق

وتردد الصدى في فضاء بيتي الخالي.

(42)

رأيت كيكي في الحلم. أظن أنه كان حلماً. إما أنه حلم أو شيء أشبه بالحلم. ربما تسأل: وما هو الشيء الأشبه بالحلم؟

لست أدري. ولكن يبدو أنه موجود. مثل أشياء أخرى كثيرة جداً ليس لدينا أسماء لها، ومع ذلك فهي موجودة في اللايقين وراء حدود الإدراك.

ولكن دعنا نسمّيه حلماً، ذلك أبسط وأسهل. ذلك تعبير هو الأقرب إلى شيء حقيقي بالنسبة لنا.

كان الوقت فجراً حينما حلمت بكيكي.

وفي الحلم كان الوقت فجراً أيضاً.

أنا على الهاتف. مكالمة دولية. قمت بالاتصال بالرقم الذي تركته لي كيكي على ما يبدو على حافة نافذة تلك الغرفة في وسط مدينة هونولولو. باستطاعتي سماع خطوط الهاتف تتواصل. إنني أتصل. أو هكذا ظننت. كانت الأرقام تتواصل بالترتيب. فاصل قصير، نغمة رنين قصيرة. ضغطت بالسماعة على أذني وقمت بعد التقارير المكتومة. خمس، ست، سبع، ثماني رنات. في الرنة الثانية عشرة رد شخص ما. في تلك اللحظة، وجدتني في تلك الغرفة. تلك

الغرفة الكبيرة، غرفة الموت الخالية في وسط مدينة هونولولو. بدا أن الوقت نهاراً. وقت الظهيرة، على ما ينبئ الضوء الكثيف القادم من الخارج. كانت ذرات الغبار تتراقص خلال أشعة الضوء هذه، ساطعة كشمس جنوبية وحادة مثل جروح سبّبها سكّين. بيد أن مكوِّنات الغرفة من دون إضاءة كانت كئيبة وباردة. كان التباين رهيباً. كانت مثل قاع المحيط.

أجلس على أريكة هناك في الغرفة، والسماعة على أذني. كان سلك الهاتف يمتد بعيداً على الأرض، ويصل إلى منطقة مظلمة، عبر الضوء، ليختفي ثانية في الظلام. سلك طويل للغاية. أطول من أي سلك رأيته. وضعت الهاتف على حجري ورحت أتطلع في الغرفة.

كان أثاث الغرفة مثلما كان. القطع نفسها في الأماكن نفسها. السرير، المائدة، الأريكة، الكراسي، التلفزيون، لمبة الأرضية. كانت نفس الرائحة تفوح من الغرفة مثلما كانت الحال قبل ذلك. آسنة وعفنة، هواء متكدس. بيد أن الهياكل العظمية الستة قد اختفت. ليسوا على السرير، ليسوا على الأريكة، ليسوا على الكراسي أمام التلفزيون، وليسوا على مائدة الطعام. لقد اختفوا جميعاً. وكذلك اختفى فتات الطعام والأطباق من على المائدة. وضعت الهاتف على الأريكة ونهضت. أشعر بصداع خفيف. النوع الذي ينتابك حينما تشعر بطنين في أذنيك. جلست مرة أخرى.

استشعرت بحركة قادمة من ناحية الكرسي الأبعد في الظلام. حدّقت بعينيّ. ثمة شخص أو شيء ما قد نهض وأسمع خطاه قادمة نحوي. إنها كيكي. إنها تخرج من الظلمة وتعبر نحو النور وتتخذ كرسياً من المائدة. كانت ترتدي الثياب نفسها التي ارتدتها قبل ذلك. ثوباً أزرق وحقيبة يد بيضاء.

كانت تجلس هناك وتحملق فيّ. كانت هادئة وتغشاها السَّكينة.

لم يكن جلوسها في الضوء أو الظلام، وإنما بالضبط فيما بينهما. أوشك أن أنهض وأذهب نحوها، ولكني تراجعت. كنت ما زلتُ أشعر بألم خفيف في جانبَي رأسي.

سألتُ: «هل ذهبت الهياكل في مكان ما؟».

تقول كيكي مبتسمة: «أظن ذلك».

– هل تخلصتِ منها؟

– لا، لقد تلاشوا من أنفسهم. ربما أنت تخلصت منهم؟

حينما رأيت الهاتف بجانبي، ضغطت بأصابعي على جانبي رأسي.

– ماذا تعنين؟ تلك الهياكل؟

تقول كيكي: «إنها أنت. هذه هي غرفتك. كل شيء هنا هو أنت. نفسك. كل شيء».

ردّدت بعدها: «غرفتي. حسناً، وماذا عن فندق الدولفين؟ ماذا يوجد هناك؟».

– ذلك مكانك أيضاً. بالطبع. هنالك يوجد الرجل المقنَّع. وأنا هنا.

لم تهتز أشعة الضوء. إنها صلبة ومتسقة. الهواء وحده يهتز قليلاً من خلالها. ألاحظ ذلك من النظر حقاً.

أقول: «يبدو أن لديّ غرفاً في أماكن كثيرة. تعرفين، لقد ظللت أرى تلك الأحلام. عن فندق الدولفين. وهناك شخص ما يبكي من أجلي. يتراءى لي الحلم نفسه في كل ليلة تقريباً. فندق الدولفين يمتد بشكل طولي وضيق وهنالك شخص يبكي من أجلي. كنت أحسبه أنت. لذا كان عليّ أن أراك».

تقول كيكي بصوت شديد النعومة يهدئ الأعصاب المهترئة:

«الكل يبكي من أجلك. على أي حال، ذلك المكان برمّته لك. وكل شخص هناك يبكي من أجلك».

– ولكنكِ كنت تتصلين بي. ولذلك السبب عدت إلى الفندق لأراكِ. ومن هناك بدأت أشياء كثيرة. تماماً مثلما حدث في السابق. قابلت كل أنواع الناس. أشخاصاً ماتوا. ولكنك اتصلت بي، أليس كذلك؟ إنه أنت من أرشدتني عبر كل ذلك، أليس كذلك؟

– لم أكن أنا. إنه أنت الذي اتصلت بنفسك. أنا مجرد انعكاس. أنت أرشدتَ نفسك من خلالي. أنا شريكك الشبح الراقص. أنا ظلك. لست أي شيء أكثر من ذلك.

لكني لم أكن أخنقها، كنت فقط أخنق ظلي. لو أني كنت أستطيع أن أقضي على ظلي، لأمكنني أن أصبح أفضل حالاً.

– ولكن لماذا يبكي من أجلي كل هؤلاء؟

لم تجب. نهضت وبخطى خفيفة تحركت ووقفت أمامي. ثم ركعت وحاولت أن تتلمس شفتي بأناملها. أصابعها رشيقة وناعمة. ثم تلمس جانبي رأسي.

تهمس كيكي: «إننا نبكي على كل الأشياء التي لا يمكنك البكاء عليها». وببطء وكأنها تريد أن تشرح. «نحن نذرف الدمع على كل الأشياء التي لم تدع نفسك أبداً تذرف عليها الدمع، نحن نبكي كل الأشياء التي لا تَبكيها أنت».

– أما زالت أذناكِ كما كانتا؟

بدت عليها ابتسامة: «أذناي .... إنهما في أحسن تقويم. تماماً مثلما كانتا».

سألتُ: «هل يمكنك أن تريني أذنيك ثانية، مرة واحدة أخرى فحسب؟ كان شعوراً لم أعرفه من قبل، كما لو أن العالم كله قد وُلد

من جديد. في ذلك المطعم، في ذلك الوقت، حزت على إعجابي. لم أنسهما أبداً».

تهز رأسها. وتقول: «ربما يوماً ما. ولكن ليس اليوم. إنهما ليستا شيئاً يمكنك أن تراه في أي لحظة. إنهما شيء يمكنك أن تراه في الوقت المناسب فقط. اليوم ليس مناسباً. يوماً ما سوف أريكهما مرة ثانية، حينما تكون بحاجة إلى ذلك حقاً».

تراجعَتْ للخلف ووقفت أسفل شعاع عمودي من الضوء قادم من أعلى. ظلت واقفة هناك وكاد جسمها يتحلل بين ذرات الضوء القوي.

سألتها: «كيكي، أخبريني، هل أنت ميتة؟».

استدارت في الضوء لتصبح في مواجهتي.

تقول كيكي: «جوتاندا يظن أنه قتلني».

- نعم، إنه يفعل. أم أنه فعل.

- ربما قتلني. بالنسبة له يبدو الأمر كذلك. هو يرى أنه قتلني. ذلك ما كان يحتاج إليه. لو أنه لم يقتلني، لظل مضطرباً. يا له من رجل مسكين. ولكني لست ميتة. اختفيت فحسب. انتقلت إلى عالم آخر، عالم مختلف. مثلما تستقل قطاراً يسير بمحاذاة قطارك. هكذا يكون الاختفاء. ألا ترى ذلك؟

لا، لست أرى.

- إنه أمر بسيط. انظر.

بتلك الكلمات، مشت كيكي صوب الحائط. لم تتباطأ خطواتها، حتى حينما وصلت إلى الحائط. ابتلعها الحائط. تلاشى وقع خطواتها أيضاً.

ظللت أراقب الحائط الذي ابتلعها. إنه مجرد حائط. ساد الصمت الغرفة. لم يكن هناك سوى ذرات الضوء تتسرب خلال

الهواء. كان رأسي يؤلمني. ضغطت بأصابعي على جانبَيْ رأسي مثبتاً عينيّ على الحائط. حينما أفكر في ذلك، وفي تلك المرة التي كانت في هونولولو حينما تلاشت داخل الحائط أيضاً.

أسمع صوت كيكي: «الأمر أبسط مما تتصور، أليس كذلك؟ الآن يمكنك أن تحاول».

- هل تظنين أنني أستطيع؟

- قلت إنه بسيط، أليس كذلك؟ هيا ابدأ، وحاول. امش مستقيماً كما أنت. لا تتوقف. وسوف تصل إلى هذا الجانب. لا تخف. لا يوجد ما تخشى منه.

أجذِبُ الهاتف وأنهضُ قائماً، ثم أسير، وأسحب السلك، مباشرة نحو الحائط حيث اختفت. ينتابني القلق كلما لاح لي الحائط، ولكني لم أبطئ من إيقاع خطواتي. حتى حينما لامست الحائط، لم أتأثر. اخترق جسمي الحائط كما لو كان جيباً شفافاً من الهواء. يبدو أن الهواء قد اعتراه بعض التغيير. ما زلت أحمل الهاتف وأنا أمرّ من خلال الحائط وأعود إلى غرفة النوم في شقتي. أجلس على السرير والهاتف على حجري.

أقول: «الأمر بسيط. بسيط جداً جداً».

وضعت السماعة على أذني، ولكن لم تكن هناك حرارة.

هكذا انتهى الحلم. أو أيّما كان.

(43)

عندما رجعتُ إلى فندق الدولفين، كانت هناك ثلاث فتيات يقفن خلف مكتب الاستقبال. كما هي الحال دائماً، كن يرتدين سترات مكويّة بعناية، وبلوزة ناصعة البياض. استقبلنني بابتسامة. لم تكن يوميوشي بينهن. وهو ما أثار ضيقي. أو بدلاً من ذلك، هو ما قوّض كل آمالي. كنت أعوّل كثيراً على أن أراها في الحال إلى حد جعلني غير قادر على النطق باسمي حينما طُلب مني. لذلك ترددت موظفة الاستقبال من وراء ابتسامتها ونظرت إلى بطاقة الائتمان الخاصة بي متشككة وهي تجري بحثاً في الكمبيوتر.

أُعطيت غرفة في الطابق السابع عشر. أفرغت حقيبتي وأخذت حماماً ونزلت إلى البهو. ثم جلست على الأريكة وتظاهرت بأنني أقرأ مجلة، فيما كنت ألقي نظرات خاطفة على المكتب بين الفينة والأخرى. ربما تكون يوميوشي في فترة راحتها. انقضت خمس وأربعون دقيقة من دون أن تظهر. ما زالت الفتيات الثلاثة اللائي لا يمكن تمييزهن عن بعضهن، وذوات التسريحات المتماثلة، في عملهن. بعد ساعة، كان اليأس قد تملّكني.

خرجت للتجول في المدينة واشتريت صحيفة المساء. ثم دلفت إلى مقهى حيث قرأتها من أولها إلى آخرها وأنا أشرب فنجاناً من القهوة والأمل يحدوني في أن أجد مقالة تثير الاهتمام.

لم يكن هناك أي ذكر لجوتاندا أو ماي. مع ذلك كانت هناك جرائم قتل أخرى وبعض عمليات الانتحار. أثناء قراءتي، كنت آمل أن أجد يوميوشي تقف خلف المكتب حينما أعود إلى الفندق.

لستُ محظوظاً إلى هذا الحد.

هل تكون ولسبب مجهول قد تلاشت هي أيضاً بشكل مفاجئ؟ اخترقت حائطاً؟

انتابني قلق رهيب. حاولت الاتصال بها على هاتف بيتها، لكن لا جواب. وفي النهاية، اتصلت بقسم الاستقبال أسألهم. يوميوشي في إجازة. سوف تعود للعمل بعد غد. فكرت، لماذا لم أتصل بها قبل مجيئي؟

أوصلت نفسي إلى هذه الحالة. لم يخطر ببالي أن أقوم بشيء بسيط مثل هذا. كم أنا غبي! ومتى كانت آخر مرة هاتفتها على أية حال؟ ولا مرة واحدة منذ أن مات جوتاندا. ومن يدري متى كانت آخرة مرة حتى قبل موته. ربما ليس منذ أن تقيأت يوكي على الشاطئ. منذ متى كان ذلك؟ كنت قد نسيت يوميوشي. ليس لدي أدنى فكرة عما قد يكون ألمّ بها.

اعترتني هزة مفاجئة. ماذا لو أن يوميوشي قد تلاشت في حائط، وأنني لن أراها أبداً مرة أخرى؟ نعم، هناك جثة أخرى يجب أن تذهب. لم أكن أرغب في التفكير في ذلك. بدأت ألهث. كنت أجد صعوبة في التنفس. شعرت بقلبي يتضخم لدرجة أنه سينفجر في صدري. هل هذا يعني أنني كنت واقعاً في غرام يوميوشي؟ كان عليّ أن أراها وجهاً لوجه حتى أتاكد من ذلك. اتصلت بشقتها المرة تلو المرة حتى آلمتني أصابعي. لا جواب.

جافاني النوم. كنت أرقد في سريري في الفندق وأنا أتصبب عرقاً. أضأت الأنوار ونظرت إلى الساعة. الثانية. الثالثة والربع. الرابعة والثلث. بعد ذلك تملّكني اليأس. جلست بجوار النافذة فيما كان ضوء الصبح يزحف على المدينة على وقع ضربات قلبي.

يوميوشي، لا تتركيني وحيداً. أحتاج إليك. لا أريد أن أكون وحيداً أكثر من ذلك. من دونك سوف يُلقَى بي في أقاصي الكون. أرجوكِ، أريني وجهك، اجعليني ألزم مكاناً ما. شدّي وثاقي إلى هذا العالم. لا أريد أن ألحق بالأشباح. لست إلا شخصاً طبيعياً. أنا بحاجة إليك.

من السادسة والنصف صباحاً، رحت أتصل بشقتها مرتين كل ساعة. لكن من دون جدوى.

في سابورو يكون يونيو وقتاً رائعاً من أوقات السنة. فقد ذاب الثلج منذ وقت طويل، والسهول التي كانت متجمدة قبل شهور قليلة أصبحت الآن خصبة. الحياة تشع في كل مكان. الأشجار أصبحت كثيفة الأوراق، والأوراق تتمايل مع النسيم. السماء عالية وصافية. يا له من فصل يبعث على الإلهام. مع كل ذلك كنت أقبع في فندقي وأنا أواصل الاتصال برقم يوميوشي وتعتريني حالة من الجنون. سوف تعود غداً - فعلام العجلة؟ كنت أردد ذلك على نفسي كل عشر دقائق. لم يكن باستطاعتي الانتظار. لكن من يضمن أنها ستعود غداً؟ جلست بجوار الهاتف ورحت أطلب رقم هاتف منزلها. وبعد ذلك تمددت على السرير ورحت أحدق في السقف.

ها هنا حيث كان فندق الدولفين. كانت بقايا فندق. حيث أقام آخرون لا أحصيهم عدداً، ووطأوا تشققات أرضياته ورأوا آثار البقع التي تغطي الحوائط. جلست في مقعدي، وقدماي على الطاولة،

وعيناي مغمضتان، وأنا أحاول أن أستحضر المكان القديم. شكل الباب الأمامي، السجاد المهترئ، المفاتيح النحاسية المتسخة، زوايا النوافذ المعبأة بالغبار. لقد مشيت في تلك الردهات، وفتحت تلك الأبواب، ودخلت تلك الغرف.

لقد اختفى فندق الدولفين القديم. ومع ذلك ظل حضوره جاثماً. أسفل فندق الدولفين هذا، الممتد عبر القارات، ووراءه، وبداخله. كان باستطاعتي أن أغمض عينيّ وأتمثّله. الصوت الصادر عن المصعد الأشبه بصوت كلب يعوي. كان ما زال هنا. لا أحد يدري بذلك، لكنه كان هنا. هذا المكان كان نقطة الربط حيث يلتقي كل شيء. هذا المكان هنا من أجلي، قلت لنفسي. كان على يوميوشي أن تعود. كان كل ما عليّ فعله هو أن أجلس ساكناً وأنتظر.

كانت خدمة الغرف تأتيني بالعشاء الذي كنت أتناوله مع بيرة آخذها من بار الغرفة. في الساعة الثامنة حاولت الاتصال برقم يوميوشي مرة أخرى. لكن لا جواب مرة أخرى.

فتحت التلفزيون وشاهدت مباراة بيسبول مع وضع الصوت على الصامت. كانت مباراة مملة. لم أكن أرغب في مشاهدة البيسبول بأي شكل من الأشكال. كنت أود أن أرى أجساداً بشرية حقيقية تتحرك. بادمنتون، كرة ماء، أي شيء كان سيفي بالغرض.

في الساعة التاسعة جربت الاتصال مرة أخرى. في هذه المرة رفعت السماعة بعد رنة واحدة. في البداية لم أصدق أنها بالفعل هناك. تجمدت الكلمات في حلقي. يوميوشي هناك بالفعل.

قالت يوميوشي بهدوء تام: «عدت للتو. ذهبت إلى طوكيو لزيارة بعض الأقارب. اتصلت ببيتك مرتين، لكن لم يرد أحد على الهاتف».

- أنا هنا في سابورو وكنت أتصل بِك مثل المجنون.

- إذاً كل منا كان تقريباً يفتقد الآخر.

«تقريباً يفتقد الآخر»، كان ذلك كل ما استطعت أن أقوله وأنا أقبض بشدة على السماعة وأحملق في شاشة التلفزيون الصامت. لم تسعفني الكلمات. فاجأني ردها. تملّكني ارتباك شديد.

- هل ما زلت على الخط؟ هل تسمعني؟ هل تسمعني؟

- أنا هنا وعلى ما يرام.

- صوتك يبدو غريباً.

شرحت لها: «أنا... أنا متوتر. يجب أن أراك وإلا لن أستطيع الكلام. كنت متوتراً طوال اليوم. يجب أن أراك».

قالت بعد تفكير لبرهة: «أعتقد أن بإمكاني أن أراك ليلة غد». كان باستطاعتي أن أتمثلها وهي ترفع نظارتها فوق جسر أنفها. مِلت بجسمي نحو أرضية الغرفة وأنا أحكم قبضتي على السماعة وأسند ظهري إلى الحائط. «غداً موعد بعيد للغاية. أعتقد أنه سيكون من الأفضل لو التقينا الليلة. في الحال، في واقع الأمر».

تخللت صوتها علامات الرفض. حتى لو لم يقل هذا الصوت أي شيء بعد، فقد شعرت فيه بالرفض. «أنا متعبة للغاية الآن. إنني منهكة. عدت لتوي. ولأن لديّ نوبة عمل صباح غد، فلست أرغب الآن إلا في النوم. غداً بعد أن انتهي من عملي، سنلتقي. ما رأيك في ذلك؟ أم أنك لن تكون موجوداً غداً؟».

- لا، سوف أكون هنا لفترة. يؤسفني أنك متعبة. لكن صدقيني، ثمة شعور بالقلق يتملكني. كما لو أنك وبحلول الغد سوف تختفين.

- أختفي؟

- تختفين. تتلاشين.

ضحكت يوميوشي. «أنا لا أختفي بسهولة. لن أذهب إلى أي مكان».

- لا، الأمر ليس كذلك. إنك لا تفهمين. إننا لا نتوقف عن التنقل. وفيما نقوم بذلك، ثمة أشياء حولنا تختفي. أعرف أن كلامي ليس واضحاً بشكل كاف، ولكن ذلك هو ما يقلقني. يوميوشي، أنا بحاجة إليك. أعني أنني أحتاج إليك حقاً كما لم أحتج إلى شيء من قبل أبداً. رجاء، لا تختفي.

توقفت يوميوشي لبرهة. قالت: «ماذا؟ أعدك بأني لن أختفي. سوف أراك غداً. لذا رجاء انتظر حتى ذلك الوقت».

قلت: «موافق». لم يكن أمامي إلا التظاهر بالاقتناع، مع أنني لم أكن كذلك رغم كل تأكيداتها.

«ليلة هانئة إذاً». قالت، ثم وضعت السماعة.

أخذت أروح وأجيء في الغرفة، ثم ذهبت إلى استراحة الطابق السادس والعشرين، الاستراحة التي رأيت فيها يوكي أول مرة. كان المكان مزدحما. كانت هناك شابتان تشربان على البار، كلاهما تلبسان وفق أحدث الصيحات، وكانت ساقا إحداهما جميلتين. جلست أحتسي الفودكا وأنا أتابعهما من دون أن أعيرهما انتباهاً خاصاً. ثم أدرت ناظري نحو خط الأفق في الليل. ضغطت بأصابعي على جانبي رأسي، بالرغم من أنني لم أكن أشعر بصداع. شعرت بشكل جمجمتي، وببطء، يأخذ شكل العظام التي أسفل الجلد، وأنا أتخيل الهيكلين العظميين للفتاتين الواقفتين لدى البار. جمجمة، فقاريات، عظمة القص في الصدر، الحوض، الذراعان، الساقان، المفاصل. عظام بيضاء جميلة بداخل هاتين الساقين الجميلتين. ناصعتان،

بيضاوان مثل السحاب، وغير قادرتين على التعبير. نظرت الفتاة صاحبة الساقين الجميلتين نحوي، لا بد أنها تنبهت لتحديقي. كنت أود أن أشرح لها أنني لم أكن أنظر إلى جسمها. بل كنت فقط أتأمل عظامها!

احتسيت ثلاث كؤوس، ثم عدت إلى غرفتي. بعدما وصلت أخيراً إلى يوميوشي، نمت كما لو كنت في حلم.

حضرت يوميوشي في الثالثة صباحاً. دق جرس الباب، أضأت المصباح المجاور للسرير ونظرت إلى الساعة. ثم وبعدما ارتديت رداء الحمام، توجهت صوب الباب خالياً من أي أفكار، وشبه نائم. فتحت الباب بشكل جزئي. فكانت هي في سترتها فاتحة الزرقة. دلفتْ إلى الغرفة من خلال هذه الفتحة الضيقة تماماً مثلما كانت تفعل دائماً.

وقفتْ وسط الغرفة وراحت تتنفس بعمق. من دون أن تحدث صوتاً خلعت السترة وطوتها بعناية على ظهر الكرسي. تماماً كما كانت تفعل.

«حسنا، أنا لم أختفِ، أليس كذلك؟» كان ذلك أول شيء نطقت به.

شعرت بصوتي وكأنه آت من مكان سحيق: «لا، لا يبدو أنك اختفيتِ». لم أكن أستطيع الجزم إن كان ذلك يحدث بالفعل أم لا.

قالت عن عمد: «الناس لا يختفون بسهولة».

- إنكِ فقط لا تعرفين. هناك الكثير من الأشياء التي يمكن أن تحدث في هذا العالم.

- ربما، ولكني هنا. لم أختف. أنت تُقرُ بهذا، أليس كذلك؟

قلبت ناظري في الغرفة ثم نظرت في عين يوميوشي. كانت هذه

حقيقة ماثلة في عالم اليقظة. «نعم، أقرُّ بذلك. لا يبدو أنك اختفيتِ. ولكن ما الذي يجعلك تأتين إلى غرفتي في الثالثة فجراً؟».

قالت: «لم أستطع النوم. ذهبت إلى الفراش مباشرة بعد اتصالك، ولكني استيقظت بعد الواحدة بقليل ولم أنم لحظة بعد ذلك. يبدو أن ما قلته قد ترك أثراً فيّ. لذا اتصلت بسيارة تاكسي وجئت إلى هنا».

- ألا يمكن أن يعتبر مجيئك إلى هنا في الثالثة فجراً أمراً غريباً؟

- لم يلحظ ذلك أحد. الكل نائم. الفندق يعمل على مدى الأربع والعشرين ساعة، والأشخاص الوحيدون الذي يكونون مستيقظين في الثالثة صباحاً هم موظفو قسم الاستقبال وخدمة الغرف. لا أحد يراقب مدخل الموظفين. ولا أحد يحتفظ بسجلّ لذلك. يمكنك دائماً أن تقول إنك جئت لتنام في غرفة النوم. لقد فعلت ذلك سابقاً مرات ومرات.

- فعلت ذلك سابقاً؟

- نعم، حينما لا يمكنني النوم. أجيء إلى هنا وأتجول بالفندق. أعرف أن ذلك يبدو غريباً، ولكنه مريح لي للغاية. وأنا أحب ذلك. لم يسبق أن لاحظني أحد. ليس ثمة مشكلة. بالطبع، إن وجدوني في هذه الغرفة، فتلك قصة أخرى. ولكن لا تقلق، سوف أظل هنا حتى الصباح ثم أخرج خفية للعمل. هل يناسبك ذلك؟

- بالطبع يناسبني. في أي وقت يجب أن تكوني في عملك؟

قالت: «في الثامنة. بعد خمس ساعات».

خلعت يوميوشي ساعتها بشكل متوتر ووضعتها على الطاولة. ثم شدت طرف تنورتها. كنت أجلس على زاوية السرير منذ أن صحوت من نومي على طرقاتها.

قالت: «والآن، سمعتك تقول إنك تحتاج إليّ، أليس كذلك؟».

قلت: «أحتاج إليك مثل المجنون. لقد ذهبت إلى كل مكان. قمت بدورة كاملة. وعدت إلى حقيقة أنني أحتاج إليك».

كرّرت، وهي تشد طرف تنورتها، بقولي: «مثل المجنون».

- نعم، ذلك صحيح. مثل المجنون.

- ولكن إلى أي الأماكن ذهبت؟

- لن تصدقي إن أخبرتك. لقد نجحت في العودة إلى الحقيقة - ذلك هو أهم ما في الأمر. لقد درت دائرة كاملة. وما زلت أقف على قدميّ وأرقص.

نظرتْ إليّ في استغراب.

- لا يمكنني الدخول في التفاصيل. لكن صدقيني، أنا بحاجة إليك. ذلك هو الأهم بالنسبة لي على أي حال. أرجو أن يكون ذلك مهماً بالنسبة لك أيضاً.

قالت يوميوشي من دون أن تغير تعابير وجهها: «إذاً ماذا تريد مني أن أفعل؟ هل أقع بين ذراعيك؟ أذرف الدمع تأثراً؟ أخبرك كم هو رائع أن تشعر بأنك مرغوب؟».

«لا، لا، لا شيء من ذلك»، قلت على الفور، لكنني لم أجد الكلمات المناسبة لمواصلة الكلام. وكأن هناك كلمات مناسبة. «ماذا يمكنني أن أقول لك؟ إنني أعرف ذلك منذ البداية ولم أشك فيه لحظة. كنت أعرف أننا سوف ننام معاً. لم نكن نستطيع ذلك في أول الأمر. لم يكن الوقت مناسباً. كان عليّ الانتظار حتى يحين الوقت المناسب».

- إذاً الآن يُفترض بي أن أنام معك؟ هكذا هو الأمر؟

- أعرف أن خللاً أصاب حديثنا. وأعرف أن تلك هي أسوأ

طريقة ممكنة لإقناعك. ولكن حتى أكون صادقاً هذه هي الحقيقة. لا يمكنني التحكم في الكلمات التي تصدر عني. أعني، أنه لو كانت هذه الظروف طبيعية، لحاولت أن أقوم بالأشياء على النحو الأمثل. لست بهذه الدرجة من البله. ولكن الأمر بسيط للغاية، وهذه الطريقة هي الأكثر صدقاً. أعرف ذلك. وهذا هو السبب الذي يجعلني لا أستطيع أن أعبّر عنها بأي شكل آخر. كنت دائماً أعرف أننا سوف ننام معاً. كان أمراً مقرراً، إنه واقع. ولا يمكننا الدخول في جدل حول ذلك. ربما يدمِّر ذلك كل شيء. صدقيني.

نظرت يوميوشي إلى ساعتها وقالت: «هل تدرك أن ما تقوله غير مفهوم بشكل كامل؟» ثم راحت تفك أزرار قميصها. «لا تنظر».

استلقيت على ظهري وأنا أحدق في زاوية السقف. هناك عالم آخر في مكان ما، ولكني الآن هنا، في هذا العالم. خلعت يوميوشي ملابسها ببطء. كان باستطاعتي سماع الصوت الناعم للأنسجة وهي تلامس جلدها، ثم صوت الطي. ثم صوت نظارتها وهي تضعها. صوت مثير جداً للغرائز. ثم بعد ذلك أضاءت المصباح الجانبي للسرير ثم انزلقت أسفل الغطاء بجواري. بالهدوء نفسه الذي تسللت به إلى غرفتي.

تلامسنا. جسدي وجسدها. تلامساً ناعماً، ولكن بجاذبية. نعم، كان هذا حقيقياً. على النقيض مما حدث مع ماي. ماي كانت حلماً وخيالاً ووهماً. صوت وقواق. ولكن يوميوشي توجد في العالم الحقيقي. كان الدفء المنبعث منها وثقلها وحيويتها أشياء حقيقية. داعبتها وأمسكت بها.

كانت أصابع جوتاندا وهي تمسّد ظهر كيكي وَهْماً أيضاً. كان تمثيلاً، مجرد صور على الشاشة، شبح يعيش بين عالم وآخر. لم تكن واقعاً. صوت وقواق.

كانت أصابعي الحقيقية، تمسّد جسد يوميوشي الحقيقي.

دفنت يوميوشي وجهها في صدري. شعرتُ بملمس أنفها. استكشفتُ كل جزء من جسدها. الكتف، الكوع، المرفق، راحة اليدين، أنامل الأصابع العشرة. كانت أصابعي تستكشف وشفتاي تطبعان القبلات. على نهديها، بطنها، جنبيها، ظهرها، ساقيها، كل استمارة كانت مسجلة ومختومة. كنت بحاجة إلى اليقين. مرّرت أصابعي على منطقة عانتها. نزلت لأسفل وقبلتها. صوت وقواق.

لم نكن نتكلم. كان كل منا يمسك بالآخر. أنفاسها كانت دافئة ورطبة. الكلمات التي لم تكن كلمات ظلت عالقة في الهواء. ضاجعتها. كنت صلباً، صلباً للغاية، وأفيض بالرغبة.

قبل الوصول إلى النشوة، عضّت يوميوشي ذراعي، بحيث أسالت منه دماً. كان الألم حقيقياً. أمسكت بفخذيها ورحت أقذف بشكل سلس. ببطء غير مسبوق، حتى لا تفوتني أي خطوة.

في السابعة أيقظتها. قلت: «يوميوشي حان وقت استيقاظك».

فتحت عينيها ونظرت نحوي. ثم انسلت من الفراش مثل السمكة ووقفت عارية في ضوء الصباح. بدت ممتلئة بالحياة الجديدة والحيوية. أسندت رأسي إلى الوسادة وأنا معجب بها. هذا هو الجسد الذي سجّلته وختمته قبل ساعات قليلة.

أخذت يوميوشي دوشاً، ومشطت شعرها بفرشاتي وارتدت ملابسها. شاهدتها وهي ترتدي كل قطعة من ملابسها، ولاحظت العناية التي تضع بها كل زر في عروته. ارتدت قميصها بعد ذلك، ثم تفحصت ملابسها في المرآة بحثاً عن أي تجعيدات. كانت تأخذ هذه الأشياء ببالغ الجدّية. كان مظهرها يوحي بالصباح. قالت: «أدوات زينتي في خزانتي الخاصة في الأسفل».

قلت: «أنت جميلة بما أنت عليه».

- شكراً، ولكن الزينة جزء من عملي. ليس لدي خيار.

عانقتُ يوميوشي. كان جيدا للغاية أن أعانقها وهي تلبس قميصها وتضع نظارتها.

سألتُ: «أما زلت ترغب فيَّ حتى الآن رغم طلوع الصبح؟».

قلت: «ما زلت أرغب فيك. أرغب فيك أكثر مما كنت أرغبك بالأمس».

- لم أجد أحداً يرغب فيَّ بهذه الدرجة من قبل أبداً.

- لا، هناك شخص كان يرغب فيك.

قالت: «ليس إلى هذا الحد الذي أشعرتني به. يبدو كأنني في غرفة دافئة وجميلة. لطيفة وتبعث على الاسترخاء».

- ابقي هنا إذاً. لا داعي لأن تغادري أبداً.

نظرت إليّ.

سألتُ: «هل ستبقين هنا؟».

- نعم، سوف أبقى هنا.

تراجعت يوميوشي للخلف قليلاً. «هل يمكنني قضاء ليلة أخرى معك؟».

- بكل تأكيد. ولكن ألا تخاطرين بذلك؟ أليس من الأفضل أن نذهب إلى شقتك أو ننزل بفندق آخر؟

قالت: «لا. أحب ذلك هنا. هذا هو مكانك، ومكاني أيضاً. أرغب في ممارسة الحب معك هنا. ذلك إن كنت لا تمانع».

- أرغب في أن أمارس الحب معك أينما يروق لك.

«حسناً، سوف أراكَ هذا المساء. هنا». وعندئذ فتحت الباب بشكل جزئي وانسلت خارجة.

شعرت بالسعادة. نعم، شعرت بالسعادة. وعندئذ تساءلت إذا كان الوقت قد حان لأن أقلع عن عادة جرف الثلوج، وأن أكتب بعض الأشياء من أجلي أنا كنوع من التغيير. بعيداً عن مواعيد التسليم. شيئا لنفسي. ليست رواية أو أي شيء. ولكنْ شيء لنفسي.

(44)

عادت يوميوشي في السادسة والنصف. كانت ما زالت ترتدي زي الفندق بالرغم من أن قميصها كان مختلفاً. لكنها أحضرت معها حقيبة ملابس ومساحيق وأدوات للزينة.

قلت: «لست أدري، ولكنهم سيكتشفون ذلك يوماً ما».

قالت: «لا تقلق، لست مستهترة». ثم ابتسمت وعلقت السترة فوق ظهر الكرسي.

ثم جلسنا على الأريكة وأمسك كل منا بالآخر بشدة.

قالت: «كنت أفكر فيك طوال اليوم. تعرف، ألن يكون رائعاً أن انتهي من عملي خلال النهار، ثم أنسل إلى غرفتك في الليل؟ فنمضي الليلة معاً، ثم في الصباح أذهب للعمل مباشرة».

قلت مازحاً: «بيت ملائم لمكان عملك».

– لكن لسوء الحظ أنه لا يمكنني أن أتردد إلى هذه الغرفة بشكل متواصل. وآجلاً أم عاجلاً سوف يكتشفون أمرنا.

– لا شيء يمر بسهولة في هذا العالم.

– أوافقك الرأي تماماً في هذه النقطة.

– ولكن سيكون الأمر على ما يرام إن أمضينا بضع ليال معاً، أليس كذلك؟

- أعتقد أن ذلك هو ما سيحدث.

- حسناً. سوف أكون سعيدة بتلك الأيام القليلة. ما رأيك في أن نظل في هذا الفندق؟

ثم بدّلت ملابسها، وطوت كل قطعة بعناية فائقة. خلعت ساعتها ونظارتها ووضعتهما على الطاولة. بعدئذ استمتعنا بالحب على مدى ساعة حتى وصل كل منا إلى حالة من الإنهاك. ليس هناك نوع من الإنهاك أفضل من ذلك.

«إممم»، كان ذلك تعبير يوميوشي عن الرضا. أسندت رأسها إلى ذراعي لتنال قسطاً من النوم. بعد فترة، استيقظتُ وأخذتُ دوشاً واحتسيتُ البيرة. جلستُ وقد حاز وجه يوميوشي النائم إعجابي. كان نومها لطيفاً للغاية.

قبل الثامنة بقليل استيقظتْ جائعة. طلبنا ساندويتشاً ومعكرونة من خدمة الغرف. أثناء ذلك وضعت متعلقاتها في الخزانة، وحينما دق جرس الباب، اختبأت في الحمام.

كانت السعادة تغمرنا.

بدأت وأنا أستكمل محادثتنا السابقة. «كنت أفكر في ذلك طوال الظهيرة. ليس لدي أي شيء في طوكيو على الإطلاق. يمكنني الانتقال إلى هنا والبحث عن عمل».

- تريد أن تعيش هنا؟

قلت: «نعم، سوف أعيش هنا».

- سوف أستأجر شقة هنا وأبدأ حياة جديدة هنا. يمكنك المجيء حينما ترغبين. يمكنك أن تمضي الليلة إن رغبتِ في ذلك. ويمكننا أن نجرّب ذلك خارج الفندق لفترة. ولكن لدي شعور بأنها ستنجح. سوف تعيدني إلى الواقع. سوف تمنحك فضاء يمكنك الاستجمام فيه. وسوف تجعلنا معاً.

ابتسمت يوميوشي ومنحتني قبلة كبيرة. «رائع».

- ماذا سوف يحدث لاحقاً، لست أدري. ولكن لدي شعور جيد بشأن ذلك. مثلما قلت.

- لا أحد يعرف ما يخبئه المستقبل. لست قلقاً حيال ذلك. في الوقت الحالي، إنه رائع. بل أفضل أنواع الروعة.

طلبت كيساً من الثلج من خدمة الغرف، وجعلت يوميوشي تختبئ في الحمام مرة ثانية. وفيما كانت بداخله، أعددت كأسين من البلودي ماري بعدما مزجت قنينة من الفودكا وعصير الطماطم اللذين اشتريتهما من المدينة في تلك الظهيرة. لم يكن هناك ليمون، لكن البلودي ماري مع ذلك كان جيداً. شرب كل منا في نخب الآخر. قمت بتشغيل معزوفة من الموسيقى الهادئة. وعلى الفور استمتعنا بمعزوفة مانتوفاني «غرباء في الليل».

قالت يوميوشي: «إنك تفكر في كل شيء. كنت أشتهي بلودي ماري لتوّي. كيف علمت ذلك؟».

- لو أنك تنصتين بعناية، لأمكنك سماع هذه الأشياء. ولو نظرت بعناية، لأمكنك رؤية ما تسعين إليه.

- كلمات من الحكمة؟

- لا، هذه مجرد كلمات. طريقة حياة في كلمات.

- ينبغي أن تتخصص في الكتابة الإلهامية.

تناول كل منا ثلاث كؤوس من البلودي ماري. ثم تجرّدنا من ملابسنا ومارسنا الحب مرة ثانية.

عند نقطة ما، وفي وسط ممارستنا للحب، ظننت أن بوسعي أن أسمع صوت مصعد فندق الدولفين القديم وهو يحتك بالعمود. نعم، هذا المكان كان هو العقدة، نقطة التقاطع. هنا حيث يلتقي كل شيء

وكنت أنا جزءاً من كل ذلك. هنا كانت الحقيقة، التي يجب ألا أتجاوزها. كنت بالفعل هناك. كل ما كان عليّ فعله هو العثور على العقدة حتى يتم وصل كل شيء. هذا ما كنت أبحث عنه على مدى سنين. وما كان الرجل المقنَّع يجمعه معاً.

مع انتصاف الليل، ذهبنا في نوم عميق.

كانت يوميوشي تهزّني. قالت بلطف: «استيقظ». كان الظلام قد حلّ بالخارج. كان رأسي نصف ممتلئ بالرواسب الدافئة للاوعي. كان المصباح المجاور للسرير مضاء. وكانت الساعة تجاوزت الثالثة بقليل.

كانت ترتدي زي الفندق وتمسك بكتفي وتهزّني وهي في غاية الجدية. كان أول ما خطر ببالي هو أن مديرها قد اكتشف أمرنا.

قالت: «استيقظ. رجاء، استيقظ».

قلت: «أنا مستيقظ. ماذا هناك؟».

- أسرع وارتد ملابسك.

سارعت بارتداء تي شيرت وبنطالا من الجينز وسترة ثم انتعلت حذائي الرياضي. ثم قادتني يوميوشي بيدها نحو الباب وفتحته فتحة صغيرة بمقدار ثلاثة سنتمترات أو اثنين.

قالت: «انظر». كنت أسترق النظر من خلال الفتحة. كانت الردهة غارقة في ظلام حالك. لم أستطع أن أرى أي شيء. كان الظلام كثيفاً وهلامياً وبارداً. بدا أنه عميق للغاية حتى إنك لو دسست فيه يدك لابتلعها. ثم بعد ذلك كانت تلك الرائحة العفنة مثل رائحة الورق القديم. رائحة تم تعتيقها في هوة الزمن السحيقة.

قالت: «إنه ذلك الظلام مرة أخرى».

وضعت ذراعي حول خصرها وجذبتها نحوي. قلت: «ليس هناك ما يدعو إلى الخوف. لا ترتعبي. لن يحدث لأحد سوء. هذا هو عالمي. لقد كانت المرة الأولى التي تحدثتِ فيها إليّ بسبب هذا الظلام. تلك هي الطريقة التي تعارفنا من خلالها. صدّقيني، كل شيء على ما يرام».

لكن مع ذلك لم أكن متيقّناً تماماً. في واقع الأمر، كنت أرتجف من الخوف. كنت كمن مسّه جنون، بالرغم من كلامي الذي يبدو عليه الهدوء. كان خوفاً ملموساً وأصلياً، كان عالمياً وتاريخياً وجينياً. ولأن الظلام يرعب، فهو يبتلعك، ويحيط بك، ويلغيك. من يا ترى من الأحياء يمكنه أن يضع ثقته في الظلام؟ في الظلام لا يمكنك أن ترى. الأشياء يمكن أن تلتوي، وتدور وتتلاشى. إن جوهر الظلام- العدم- يغلّف كل شيء.

قلت وأنا أحاول أن أقنع نفسي الآن: «الأمر على ما يرام الآن. ليس ثمة ما يُخشى منه».

سألتني يوميوشي: «إذاً ماذا سنفعل؟».

ذهبتُ بسرعة وأحضرت كشافاً صغيراً كنت قد أحضرته خصيصاً تحسّباً لحدوث ذلك.

قلت: «يجب أن نمر معاً خلال ذلك. عدت إلى هذا الفندق لأرى شخصين. أنت واحدة. والآخر هو شخص يقف في مكان ما هناك في الظلام. إنه بانتظاري».

- الشخص الذي كان في تلك الغرفة؟

- نعم.

قالت يوميوشي وهي ترتجف: «أنا مرتعبة. أنا مرتعبة حقاً». ومن يحق له أن يلومها؟

طبعت قبلة على جبينها. «لا تخافي. أنا معك. أعطيني يدك. إذا لم نتمكن من الخروج، فسوف نكون في أمان. مهما حدث، يجب ألا نفترق. هل تفهمين؟ علينا أن نبقى معاً». وعندئذ خرجنا إلى الردهة.

سألتُ بتوتر: «أي طريق نسلك؟».

قلت: «صوب اليمين. دائماً صوب اليمين».

سلّطنا الكشاف على أقدامنا ومشينا ببطء متعمد. مثلما حدث سابقاً، لم تكن الردهة في فندق الدولفين الجديد. السجادة الحمراء كانت بالية، الأرضية كانت رخوة، فيما كان ملاط الحوائط مليئاً بالبقع. كان أشبه بفندق الدولفين القديم، بالرغم من أنه لم يكن الدولفين القديم. بعد السير قليلاً، وكما حدث في السابق، انعطفت الردهة يميناً. انعطفنا، ولكن ثمة شيء كان مختلفاً الآن. لم يكن هناك ضوء أمامنا، ولم يكن يتسرب من الباب أي ضوء لشمعة. أطفأت كشافي الصغير حتى أتأكد. لا ضوء على الإطلاق.

كانت يوميوشي تقبض على يدي بشدة.

قلت وصوتي يبدو جافاً وميتاً، يكاد لا يكون صوتي: «أين ذلك الباب؟ قبل ذلك، كنت أرى باباً».

– وأنا أيضا. رأيت باباً في مكان ما.

وقفنا هناك عند انعطافة الردهة. ماذا حدث للرجل المقنَّع؟ هل كان نائماً؟ ألم يترك الأضواء مضاءة؟ كمنارة؟ أليس ذلك السبب الذي هو من أجله هنا؟ ما الذي يحدث هنا بحق الجحيم؟

قالت يوميوشي: «هيا بنا نعود. لا أحب الظلام. باستطاعتنا أن نحاول مرة أخرى. لا أود أن نخاطر بثقة زائدة».

كان كلامها منطقياً. لم أكن أحب الظلام أيضاً وكان ينتابني شعور منذر بأن ثمة خللاً قد وقع. ومع ذلك رفضت الاستسلام.

قلت: «دعينا نواصل السير. ربما يحتاج إلينا الرجل. ذلك هو السبب في أننا ما زلنا مرتبطين بهذا العالم». أضأت الكشاف مرة ثانية. اخترق شعاع صغير من الضوء الأصفر الظلام. «أمسكي بيدي الآن. أنا بحاجة لأن أدرك أننا معاً. ليس ثمة ما يُخشى منه. إننا باقيان، لن نذهب بعيداً. سوف نعود آمنين سالمين».

خُطوة بخُطوة، بل ربما أكثر بطئاً من ذلك، مشينا. كان العطر الهادئ المنبعث من شعر يوميوشي يفوح خلال الظلام، فيدغدغ حواسي بشكل لطيف. كانت يدها صغيرة ودافئة وصلبة.

بعد ذلك رأيناه. كان الباب الذي يؤدي إلى غرفة الرجل المقنَّع قد تُرك موارباً قليلاً ومن خلال الفتحة كان باستطاعتنا أن نستشعر البرد القديم وأن نشمّ الرائحة الرطبة على نحو مزعج. قرعت الباب. كما في السابق، بدت قرعة مدوية بشكل غير طبيعي. قرعت ثلاث مرات.

ثم انتظرنا. عشرين ثانية، ثلاثين ثانية. لا جواب. أين هو؟ ماذا يحدث؟ لا تقل لي إنه مات! نعم، كان الرجل لا يبدو في صحة جيدة في آخر مرة التقينا فيها. ليس باستطاعته أن يعيش إلى الأبد. هو أيضاً عليه أن يكبر ويموت. ولكن إن مات، من سيجعلني أظل متصلاً بهذا العالم؟

دفعتُ الباب وجذبت يوميوشي معي داخل الغرفة. أضأت الكشاف الصغير في المكان. لم تتغير الغرفة. أكوام الكتب والأوراق القديمة مكوّمة في كل مكان، منضدة صغيرة، وقد وضع فوقها طبق صغير استُخدم كموقد لشمعة. استخدمت قداحتي لإشعاله.

لم يكن الرجل المقنَّع هنا.

هل غادر الغرفة لبرهة؟

سألتني يوميوشي: «ومن يكون هذا الرجل؟».

قلت: «إنه الرجل المقنَّع. إنه يُعنى بهذا العالم. ويحرص على أن تكون الأشياء في اتصال بعضها مع بعض، ويتأكد أنه قد تم الربط بينها. لقد قال إنه أشبه بلوحة مفاتيح. إنه طاعن في السن، ويرتدي جلد خروف. كان يعيش ها هنا. مختبئاً».

– مختبئاً من ماذا؟

– من الحروب، والحضارة، والقانون، والنظام، . . . . الأشياء التي لا تشبه الرجل المقنَّع.

– بيد أنه ليس هنا. لقد ذهب.

أومأتُ برأسي. وفيما أنا أفعل ذلك، انحنى ظل ضخم على الحائط. «نعم، لقد ذهب. بالرغم من أنه يفترض أن يكون هنا».

كنا على حافة العالم. ذلك هو ما كان يعتبره القدماء حافة العالم حيث يتحول كل شيء إلى العدم. كنا هناك، نحن الاثنين وحدنا. وحولنا في كل مكان، فراغ بارد وشاسع. كان كل منا يقبض على يد الآخر بشدة أكبر.

قلت: «ربما يكون قد مات».

قالت يوميوشي: «كيف يمكنك أن تقول مثل هذا الشيء وسط الظلام. فكر في أمر أكثر إيجابية. ربما يكون بالخارج يقوم بالتسوق، أليس كذلك؟ وربما نفدت الشموع التي لديه».

قلت: «وإلا فإنه قد ذهب لجمع الضرائب الخاصة به». حتى في الغرفة الكئيبة المضاءة بالشمع، كان باستطاعتي أن أرى ابتسامة يوميوشي. تعانقنا. قلت: «تعرفين، ما رأيك أن نخرج نتجول في الكثير من الأماكن في أيام عطلاتنا؟».

قالت: «بكل تأكيد».

– سوف أشحن سيارتي السوبارو معي. إنها سيارة قديمة، ولكنها جيدة. إنها تعمل بشكل ممتاز. إنني أحبها أكثر من المازيراتي. أحبها حقاً.

قالت: «بالطبع. دعنا نذهب إلى كل مكان ونرى الكثير من الأشياء معاً».

تعانقنا لفترة أطول قليلا. بعدئذ انحنت يوميوشي لتلتقط كتيباً من كومة الأوراق التي كانت عند قدميها. دراسات في طرق التناسل المتنوعة لأغنام يوركشاير. كان الكتيب قد اصفرّ ورقه وغطاه الغبار.

شرحت لها: «كل شيء في هذه الغرفة يتعلق بالأغنام. في فندق الدولفين القديم، كان هناك طابق كامل مخصص لأبحاث الأغنام. كان هناك أستاذ للأغنام، الذي كان هو والد مدير الفندق. وأظن أن الرجل المقنَّع قد ورث كل ذلك. إنها ليست مفيدة لأحد على الإطلاق. لن يقرأ أحد هذه المواد أبداً. ومع ذلك، فما زال الرجل المقنَّع يعنى بها».

أخذت يوميوشي الكشاف اليدوي وتصفحت الكتيب. كنت من وقت لآخر ألاحظ ظلي وأتساءل أين كان الرجل المقنَّع حينما دهمني فجأة إدراك مرعب: بأنني سوف أترك يد يوميوشي!

قفز قلبي إلى حلقي. لم يكن ينبغي أن أترك يدها أبداً. سَرَت في جسدي حُمى وبدأت أتصبب عرقاً. سارعت بالإمساك بمرفق يوميوشي. إذا لم يترك كل منا الآخر، فسوف نظل آمنَيْن. ولكن كان ذلك متأخرا للغاية. كان السيف قد سبق العذل بالفعل. في اللحظة نفسها التي مددت فيها يدي، كان جسمها قد ابتُلع في الحائط. تماماً مثلما أن كيكي قد مرت من خلال حائط غرفة الموت. تماماً مثل الرمال المتحركة. ذهبت، اختفت، ومعها وهج الكشاف.

صرختُ: «يوميوشي!».

لم يُجِب عليّ أحد. خيّم الصمت والبرد، واشتدّ الظلام.

صرختُ ثانية: «يوميوشي!».

جاء صوت يوميوشي من وراء الحائط: «إنه أمر بسيط. في غاية البساطة. يمكنك المرور من خلال الحائط».

صرختُ: «لا! لا تنخدعي. تعتقدين أنه بسيط، ولكنك لن تعودي. الأمر يختلف هناك. ذلك هو العالم الآخر. إنه لا يشبه عالمنا هنا».

لا جواب. ران الصمت على الغرفة، وراح يضغط عليّ كما لو كنت في أعماق محيط.

غمرني شعور بالعجز واليأس. ذهبت يوميوشي. بعد كل هذا، لن يكون باستطاعتي الوصول إليها مرة أخرى. ذهبت.

لم يكن هناك وقت للتفكير. ماذا يجب أن أفعل؟ أحببتها، لا يمكنني أن أخسرها. تبعتها داخل الحائط. وجدت نفسي أمرّ خلال جيب شفاف من الهواء.

كان هواء بارداً ببرودة الماء. الزمن يتأرجح، ويلتوي بصورة متعاقبة، والجاذبية فقدت قوّتها. والذكريات، الذكريات القديمة مثل البخار تطفو لأعلى. راح جسدي يتحلل بشكل متسارع. لقد اخترقتُ العقدة الضخمة المتشابكة للحمض النووي الخاص بي. اتسعت الأرض، ثم حلّت فيها برودة شديدة ثم انكمشت. الأغنام تم إخفاؤها في الكهف. البحر لم يكن إلا فكرة هائلة، والمطر كان يهطل من دون صوت فوق اتساع البحر الشاسع. كان هنالك أشخاص مجهولو الهوية يقفون على الشواطئ ويحدقون نحو العمق. رأيت شريطاً زمنياً لا نهاية له من الأحداث الماضية يُعرَض أمام عيني عبر السماء. كان

ثمة فراغ يغلّف هذه الأشكال الشبحية فيما يحيط بهذا الفراغ فراغ أكبر. لقد ذاب اللحم حتى العظام وتطاير مثل الغبار. قال شخص ما: «ماتت بلا رجعة». تحلل جسدي وتطاير مثل الرميم، ثم تجمّع ثانية.

من كل هذه الفوضى، خرجت عارياً، على السرير. كانت الضلمة قد حلّت، ولكن ليست تلك الظلمة الحالكة التي كنت أخشاها. ما زلت لا أستطيع أن أرى. مددت يديّ. لم يكن بجانبي من أحد. كنت وحيداً ومنبوذاً على حافة العالم.

صرخت بأعلى صوتي: «يوميوشي!» ولكن لم يخرج أي صوت، فيما عدا صوت خشن جاف من حلقي. صرخت مرة أخرى. وعندئذ سمعت طقة خفيفة.

لقد أضيئت الأنوار. كانت يوميوشي تبتسم وهي جالسة على الأريكة مرتدية قميصها وتنورتها ومنتعلة حذاءها. كانت السترة فاتحة الزرقة مدلاة على ظهر الكرسي. كانت يداي تمسكان بملاءة السرير. ببطء رحت أرخي أصابعي وأستشعر التوتر يتسرَّب من جسمي. مسحت العرق عن وجهي. كان الضوء الذي يملأ الغرفة ضوءاً حقيقياً.

- يوميوشي»، قلت بصوت خشن.
- نعم؟
- هل أنت حقاً هناك؟
- بالطبع، أنا هنا.
- ألم تختفي؟
- لا. الناس لا يختفون بهذه السهولة.
- إذاً، كان ذلك حلماً.

- أعرف. كنت هنا طوال الوقت أرقبك. كنت نائماً وتحلم وتردد اسمي. رأيتك في الظلام. تعرف، باستطاعتي أن أراك.

نظرت إلى الساعة. كانت قبل الرابعة بقليل، قبل الفجر بقليل. الساعة التي تكون الأفكار فيها أعمق ما تكون. كنت أشعر بالبرد، وكان جسمي متيبساً. إذاً كان حلماً؟ ذهب الرجل المقنَّع، واختفت يوميوشي، ولم يبق إلا الألم واليأس. ولكن باستطاعتي أن أتذكر لمسة يد يوميوشي. كنت أستشعر اللمسة داخلي. كانت أكثر حقيقية من هذه الحقيقة.

- يوميوشي؟

- نعم.

- لماذا ارتديت ثيابك؟

قالت: «كنت أريد أن أشاهدك وأنا بملابسي».

سألتها: «هل تمانعين أن تتجردي من ملابسك مرة أخرى؟» كانت تلك إحدى طرقي للتأكد.

«لا مانع أبداً»، قالت وهي تنزع عنها ملابسها وتدسّ جسمها أسفل الغطاء. كانت تشع دفئاً ونعومة وتزن وزن شخص حقيقي.

قالت: «قلت لك إن الناس لا يختفون بسهولة».

«أحقاً؟» تساءلت وأنا أعانقها. لا، كل شيء قابل للحدوث. هذا العالم أكثر هشاشة وضعفه أشد مما نتصور.

من كان الهيكل العظمي رقم ستة إذاً؟ الرجل المقنَّع؟ أم شخصاً آخر؟ أم لعله يكون أنا نفسي؟ أنتظر في تلك الغرفة المعتمة والبعيدة. من بعيد، جاءني صوت فندق الدولفين القديم، مثل قطار في الليل. وصوت المصعد المزعج في نزوله وصعوده وتوقفه. ثمة شخص كان

يمشي في الردهة، **ثمة شخص يفتح الباب، ثمة شخص يغلق الباب**. إنه فندق الدولفين القديم. يمكنني الجزم. لأنني كنت جزءاً منه. وثمة شخص كان يبكي من أجلي. يبكي من أجلي لأنني لم أكن أستطيع البكاء.

قبّلت يوميوشي فوق جفنيها.

دنت من انحناءة ذراعي ونامت فوقها. بيد أنني لم أستطع النوم. كان من المستحيل لجسمي أن ينام. كنت يقظاً مثل بئر جافة. ضممت يوميوشي بقوة وبكيت. بكيت بداخلي. بكيت كل ما فقدته وكل ما سوف أفقده. كانت يوميوشي ناعمة مثل دقات الزمن، كانت أنفاسها تترك أثراً دافئاً ورطباً فوق ذراعي. إذاً هي حقيقة.

في نهاية المطاف زحف الفجر علينا. كنت أشاهد عقرب الثواني في الساعة وهو يدور في الوقت الحقيقي. شيئاً فشيئاً وإلى الأمام.

كنت أعرف أنني سوف أظل.

دقت الساعة السابعة، وتسلل ضوء الصبح من خلال النافذة راسماً مستطيلاً مائلاً على أرضية الغرفة.

همستُ: «يوميوشي، إنه الصبح».